وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الحضارية



الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية

إشراف

الأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائي

إعداد

مريزن سعيد مريزن عسيري

١٤٠٤ / ١٤٠٥ هـ

١٩٨٤ / ١٩٨٥ م



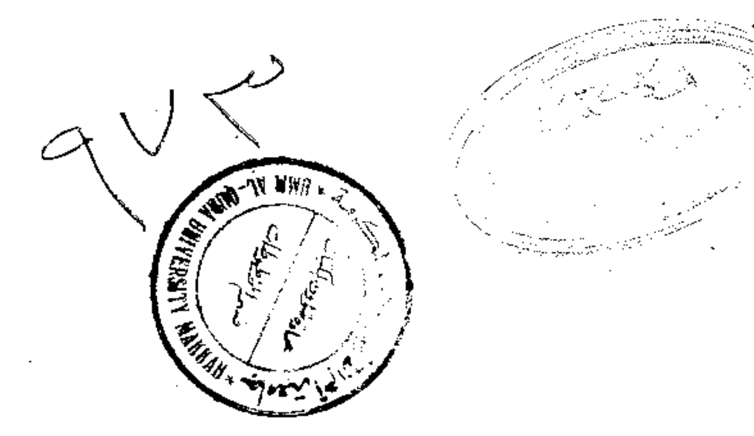
بسم الله الرحمن الرحيم

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. عبد [illegible] محمد [illegible]

د. صابر محمد دياب — صابر دياب

د. [illegible]



محتويات الرسالة

محتويات الرسالـــة

شكر وتقدير

شكر وتقدير

الحمد لله المعين على كل خير ، أشكره سبحانه وتعالى على عونه وتوفيقه الذى يسر أمرنا ووفقنا لاتمام هذا العمل ، فله جزيل الشكر وخالص الثناء. ثم نشكر من ساعدنا في اخراج هذا البحث من أولي الفضل ، وعلى رأسهم أستاذى الجليل **الأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائي** رجل الدين والعلم. فلقد قضيت معه ما لا يقل عن سبع سنوات منذ بداية السنة المنهجية وأثناء اشرافه على رسالتى الماجستير والدكتوراة فما عرفته الا شعلة من النشاط ، ومثالا للمثابرة والجد والاجتهاد ، وعنوانا للدقة والأمانة والاخلاص . حيث تابع هذا العمل لحظة بلحظة وأحاطه بارشاداته وتنبيهاته . جزاه الله خير الجزاء ، وأمد فى عمره ، وأدام عليه صحته ، ونفع به وبعلمه .

كما وأقدم جزيل الشكر لجامعة أم القرى ممثلة في معالي مديرها **الدكتور راشد بن راجح الشريف** ، ولعمادة كلية الشريعة ، ممثلة في عمدائها الكرام الدكتور محمد بن سعد الرشيد - الدكتور عليان الحازمي - الدكتور علي الحكمي - الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد . . أشكرهم جميعا على تيسيرهم أمور الطلاب وخدمة العلم . كما وأقدم جزيل الشكر لجميع العاملين بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي وما يقومون به من خدمات جليلة لطلاب العلم.

أشكر كل من ساهم في اخراج هذا العمل ، أساتذة وزملاء ، جزاهم الله خيرا . . وأمدنا جميعا بعونه وتوفيقه .

الباحث

المقدّمة

المقدمة :

الحمد لله الواسع العليم ، الذى امتدح العلماء في كتابه الكريم بقوله :" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات "[1] ، والقائل : " شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط "[2].

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا الكريم القائل فى حق العلماء : " من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة "[3] ، " وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم لرضى الله عنه ، وان العالم ليستغفر له من فى السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان فى جوف الماء ، وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وان العلماء ورثة الأنبياء "[4].

وصلى الله على أصحابه الكرام الذين اهتدوا بهديه ، وسلكوا سنته .. وبعد

فان حب المعرفة ، ومحاولة الوصول الى الحقيقة ، يجب أن يبقى الهدف الأخير لأى باحث ، انه ليس من السهولة بمكان ، كما يتصور البعض ، البحث فى مجال النشاط العلمي لأية أمة من الأمم ، لاسيما اذا كان ميدان الدراسة هو الحضارة الاسلامية ، ذلك أن التعرض للبحث في ميدان الحياة العلمية والفكرية فى الاسلام يتطلب من الباحث جهدا كبيرا ، وبحثا مضنيا في بطون أمهات المصادر المختلفة التخصصات للحصول على المعلومات المناسبة المختلفة المتباينة الاتجاهات .

---

(١) سورة المجادلة ، آية (١١) .
(٢) سورة آل عمران ، آية (١٨) .
(٣) ذكره البخارى فى صحيحه في ترجمة " باب العلم قبل القول والعمل" جـ١ /ص١٦ .
(٤) ابن حجر : فتح البارى جـ ١ / ص ٨٣ .

ان قضية البحث في التراث الاسلامي ، لاسيما ذلك التراث العلمي والفكري ، تواجه الكثير من المتاعب والصعوبات بسبب التناقض الواضح في معلومات المصادر التي سيطر على أغلبها أهواء شخصية ، وظروف سياسية ودينية ، تجعل الباحث في حيرة تامة ، وفي موقف يجد فيه من الصعوبة بمكان القدرة على الكتابة بصورة موضوعية ، لتظهر الدراسة في صورة صادقة وجلية وواضحة ، لاسيما في الفترات المتأخرة للدولة العباسية ، والتي ماج العراق أيامها بعناصر عرقية مختلفة ، من عرب وفرس وأتراك وغيرهم ، وعصبيات دينية طائفية ومذهبية ، من مسلمين ويهود ونصارى ، وسنة وشيعة ، وحنابلة وشافعية وحنفية ، كل هذه الفئات كان يموج بها المشرق الاسلامي بعامة ، والعراق بخاصة ، مركز الخلافة العباسية .

لقد أدى تفاعل هذه العناصر العرقية والدينية والمذهبية بعضها مع بعض الى التأثير في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ، الأمر الذى أثر بدوره على تكوين الاتجاه العلمي والفكرى والثقافي ، وتحديد مساره في العراق فترة البحث .

لقد أصبحت الخلافة العباسية والخليفة العباسي منذ عصر امرة الأمراء ، وحتى نهاية العصر السلجوقي ، في موقف لا يحسد عليه ، فلقد تسلم السلطة السياسية خلالها الأمراء المتغلبون من ترك وفرس ، وأصبح الخليفة العباسي مسلوب السلطة والارادة .

كما أن سياسة الادارة المالية غير الموفقة بمساعدة الأوضاع الاقتصادية المتردية في هذه الفترة أدت الى تحول واضطراب اقتصادى لم يكن في صالح عامة الناس ، هذا التحول الاقتصادى كان له أثره الفعال في خلخلة البناء الاجتماعي ، وتركز الأموال في يد أقلية محدودة من المجتمع ، هذا بالاضافة الى تدخل

السياسة والمصالح الشخصية المختلفة في الأمور الدينية ، والتجاء الكبراء الى الفقهاء يسألونهم الحلول فيما يعرض لهم من مشاكل سياسية ودينية ، كل ذلك أدى الى فقدان الوازع الديني لدى الكثير من عامة الناس .

كما أن الجدل الديني بين الفقهاء أصحاب الملل والمذاهب المختلفة ، ذلك الجدل المبني على التعصب الديني الأعمى الذى يخدم مصالح أخرى ، والتأييد لشيوخ الطوائف والمذاهب كان له أسوأ الآثار . فلقد أدى تحول السلطة السياسية في العراق من حوزة البويهيين الى قبضة السلاجقة ، الى تغيرات طائفية دينية جذرية ، من المذهب الشيعي البويهي الى المذهب السني السلجوقي ، وطبيعي أن يؤثر ذلك على اتجاه النشاط العلمي والثقافي والفكري ، فالشيعة تبنوا المذهب العقلي في تعاملهم مع العلوم العقلية والنقلية ، وفي تعاملهم مع طبقات المجتمع ، ولعل أوضح مثال لذلك فرقة الباطنية الاسماعيلية الشيعية وارثة حكم البويهيين والتى فطنت الى خطورة الموقف المتمثل في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في العراق والمشرق الاسلامي ، بحيث كيّفوا مذهبهم ودعوتهم على نحو يتيح لهم استقطاب الفئات العامة في المجتمع الاسلامي في العراق والمشرق الاسلامي ، وأفادوا من التيار العقلاني في نسج وتطبيع عقائدهم المذهبية واتجاهاتهم الاقتصادية والاجتماعية ، بعد مناداتهم وتبنيهم لمطلب العدالة للطبقة الفقيرة في المجتمع الاسلامي ، تلك العدالة التى لم ولن تجد الى نظامهم سبيلا . كانت دعوتهم تلك بمثابة جرس انذار بخطر بدأ يستشرى في جسم الدولة الاسلامية ، مما حدا بالوزير نظام الملك السلجوقي الى الرد عليهم بنفس سلاحهم الفكرى ، فأسس عشرات المدارس ، وأقام الربط ، وشيد المكتبات ، وشجع العلماء وقربهم ، وحذا الأمراء والوزراء حذوه في ذلك حتى أصبح العراق في هذا العصر يموج بحركة ثقافية وفكرية شاملة ، شملت الجميع ، على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم ودياناتهم ،

حتى أصبحت مدارس وجوامع ومعاهد ومراكز العلم والتعليم المختلفة في العراق تغص بطلاب العلم وعشاق المعرفة من العراق ، ومن الوافدين اليه من الأقطار الاسلامية .

ان أهمية تراثنا العلمي والفكرى ، وضرورة المحافظة عليه ، والحاجة الملحة الى احيائه والتعريف به وابرازه ، يعد الحافز العام الى طرق هذا الميدان في الدراسات الحضارية الاسلامية ، كما أن الوعي بالتراث الفكرى والثقافي وابراز النظام التعليمي والاهتمام به ، وانشاء المدارس ومراكز العلم المختلفة والاهتمام بالعلماء والعلوم هو الأساس الذى تبنى عليه حضارات الأمم .

والأمة الاسلامية أسهمت بحظ وافر في هذا الميدان ، الذى لم يجد من العناية والاهتمام ما يليق به من أبنائها اليوم ، على الرغم من أهميته القصوى ، التي لا تقل ، بل ربما تزيد على أهمية دراسة أى جانب من جوانب الحضارة الاسلامية .

ولقد كان من أهم الحوافز التي دفعتني الى اختيار هذا الموضوع هو الرغبة في دراسة وازاحة الغموض فيما انقطع من دراسة هذا الجانب الهام من جوانب الحضارة الاسلامية لمركز الخلافة العباسية في هذا العصر من تاريخ أمتنا المجيد ، والذى لم يجد الاهتمام المطلوب من جمهور الباحثين والدارسين بسبب اللبس والغموض وعدم توفر المعلومات الأكيدة لتاريخ وأوضاع هذه الفترة المختلفة ، هذا بالاضافة الى ما يراه الكثير من الباحثين من أن فترة العصر السلجوقي فترة جمود وانحدار واضمحلال للعلوم والآداب .

ان ما أشرنا اليه آنفا يعد من أهم العقبات التي واجهها البحث ، فلقد كان للتناقض الواضح في بعض القضايا والأحداث ، والغموض الشديد في بعضها الآخر ما جعل التواصل والاتساق بينهما أمرا غاية في الصعوبة والتعقيد ، ثم

ان طبيعة البحث تنطوى على مجال كبير للاسهاب والاطناب ، مبنى على مسببات تربط أجزاءه بعضها ببعض ، تتناول الأوضاع المختلفة ، وعلاقتها بالثقافة والفكر ، والجانب التربوى والتعليمي والعلمي لهذا العصر.

وموضوع هذا البحث يدور حول " الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي " وتحديد مسارها من خلال تأثيرها وتأثرها بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ، ونتيجة العلاقة بينهما ، التى تركت آثارا واضحة فى مجرى الحياة العلمية ، والمتمثلة فى ظهور العشرات من فطاحل العلماء فى الدراسات الشرعية ، واللغوية والنحوية ، والدراسات الانسانية والعلمية الصرفة ، ونشاطهم العلمي المتمثل فيما خلفوه من تراث علمي كبير يزيّن دور الكتب العالمية ، فاق كل ما كتب بأى لسان آخر . ولقد انتظم هذا البحث فى ثلاثة أبواب ومقدمة عن ملامح النشاط العلمي والفكرى في العراق فى العصر البويهي .

واختص الباب الأول بمتابعة أثر تطور الأوضاع المختلفة على الحياة العلمية ، وهذا الباب ينقسم الى فصلين .

كان الحديث فى الفصل الأول عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق خلال فترة البحث .

أما الفصل الثاني فقد أفرد لدراسة الأوضاع الدينية والتعرض للفرق والمذاهب الدينية المختلفة ، وما كان بينها من صراع وتنافر وأحقاد .

واختتم هذا الفصل بمحاولة توضيح آثار تطور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية على الحياة العلمية والفكرية خلال فترة البحث .

أما الباب الثاني فقد اختص بالبحث عن مظاهر النشاط العلمي فى العراق خلال العصر السلجوقي . وينقسم الى فصلين .

تناول البحث في الفصل الأول مدى عناية الخلفاء ووزرائهم والسلاطين ووزرائهم والكبراء واهتمامهم بالحركة العلمية ، بالاضافة الى الحديث عن حركة التأليف ودور الكتب والمراكز العلمية المنتشرة في العراق خلال هذا العصر .

أما الفصل الثاني فقد أفرد لبحث الحركة التعليمية ومراكز التعليم ووسائله ، وهو ينقسم الى ثلاثة مباحث ، استعرض المبحث الأول التعليم العام في الكتاتيب والمساجد والمجالس العلمية المختلفة ، والأربطة . أما الثاني فقد اختص بالحديث عن الاجازات العلمية والرحلة في طلب العلم كوسيلتين من وسائل التعليم. أما المبحث الثالث فقد ركز على التعليم النظامي ومدارس العراق خلال فترة البحث .

أما الباب الثالث فيتضمن دراسة شاملة للانتاج العلمي والأدبي في العراق خلال فترة البحث ، وتيسيرا للبحث فقد جرى تقسيم هذا الباب الى أربعة فصول .

اختص الفصل الأول باستعراض شامل للدراسات الشرعية من قرآن ، وحديث ، وفقه وأصول .

أما الفصل الثاني فقد أفرد لدراسة علوم اللغة العربية والدراسات الأدبية ، في حين اهتم الفصل الثالث بدراسة العلوم الانسانية ، من تاريخ وجغرافيا وفلسفة ودراسات تربوية .

أما الفصل الرابع فقد خصص لاستعراض نتاج علماء العصر في العلوم البحتة والتطبيقية .

واختتم البحث بدراسة موجزة عن أهم النتائج التي توصل اليها الباحث .

ولقد حاول الباحث تحرى واتباع الأسلوب العلمي فى مناقشة النصوص وايـراد مختلف وجهات النظر ، ومحاولة نقدها للوصول الى نتائج أفضل . مع اهتمـــام واسع بدراسة الظروف والأوضاع المختلفة التى كانت تحيط بالحياة العامة ومايشوبها من غموض ولبس في كثير من المعلومات والأحداث . والتى كان لها الأثر الواضح فـي تسيير نمط الحياة العلمية والثقافية فى هذا العصر .

لقد بذلت ما أستطيع بذله من خلال ما توفر لي من مصادر في دراسة هـذا الموضوع ، ولم أدخر وسعا في البحث والتدقيق والتنقيب .

وانني لا أدعى الكمال ، فهو لله وحده ، كما أنني واثق أنه قد فاتني الكثير، ومعترف بأنه " فوق كل ذى علم عليم " كما يقول الله تبارك وتعالى . وما أنــــا الا طالب علم ، أسأل المولى عز وجل أن يكون هذا البحث قد قدم صـــورة متوازنة ومتناسبة لابراز ميدان مهم من ميادين الحضارة الاسلامية كما أسأله تعالـى أن يأخذ بيدى انه نعم المولى ونعم النصير . والله من وراء القصد ، وهـــو حسبنا ونعم الوكيل .

الباحث

دراسة تحليلية

لأهم مصادر البحث

دراسة تحليلية لأهم مصادر البحث :

لابد ، والحديث هنا عن النتاج الفكرى والعقلي والعلمي في العراق في هذا العصر من تاريخ أمتنا المجيد ، من الاشارة الى ماعاناه الباحث من عنت وجهد في جمع المعلومات من ظانها المختلفة ، سواء أكانت خطية أم مطبوعة ، في كتب التاريخ العام أو المحلي ، وكتب التراجم والسير وطبقات الرجال والوفيات في مجالاتها وتخصصاتها المختلفة لعلماء الشريعة ، ورجال اللغة والأدب ، أو تراجم المؤرخين والجغرافيين ورجال التربية والفلسفة وعلم الكلام والدراسات الانسانية ، والعلوم البحتة. كل هذا أدى الى تنوع مصادر البحث وتعددها وهيأ امكانية الافادة منها جميعا ، مما يجعل من الصعوبة بمكان أمر تناولها جميعا بالتفصيل . انما نحاول هنا الاشارة الى أهمها مما يمكن أن نعده المعين الرئيسي الذى اعتمد عليه البحث فى بنائه بدرجة كبيرة ، لاسيما تلك المصادر المعاصرة لفترة البحث ، والتى أفادت في دراسة التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي والديني ، والتى قدمت معلومات مفصلة عن المبرزين في ميادين العلم والسياسة . وعلى كل حال فان الدراسة التحليلية لهذه الأحوال قد سارت وفق تسلسل سني الوفيات لمؤلفها .

أما فى تقرير مدى أهمية المصدر في بناء البحث فان ذلك يعود الى مدى الاستفادة منه فى بناء هيكل البحث، سواء أكان ذلك كما ، أم كيفا ، وذلك ما سيرد في ثنايا الدراسة . اضافة الى أن بعض المصادر كانت أساسية، لاغنى للبحث عنها ، حيث انها زودت البحث بمعلومات نادرة أفادت في جوانب معينة منه . ومع أنه قد أمكن الوصول الى عدد من المصادر الخطية ، والافادة منها ، فان ذلك كان في نطاق محدود ، كما أنها لم تكن أساسية فى بناء هيكل البحث .

ومع ذلك فانها كانت نماذج للانتاج العلمي المتمثل في الكتب والمصنفات المتخصصة لعلماء العصر في ميادين العلوم المختلفة ، كالطب ، والجغرافيا ، وعلم الهيئة والفلك .

وهكذا فقد أمكن الاعتماد عليها والافادة منها في تحليل وتقويم نشاط العلماء في هذا العصر .

ومن هذه المصادر الخطية ما يلي :

كتاب تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام[1] لمؤلفه محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، شمس الدين أبي عبد الله (المتوفى عام ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) والذهبي حافظ مؤرخ علامة محقق ، مولده ووفاته بدمشق ، رحل الى القاهرة ، وطاف كثيرا من البلدان ، وتصانيفه تقارب المائة .

ويقع كتابه هذا في ستة وثلاثين مجلدا ، سار فيه المؤلف على ترتيب السنوات وجمع فيه بين الحوادث والوفيات. وقد استعرض فيه وقائع وأحداث التاريخ الاسلامي حتى سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م. وتختص الأجزاء من الحادى عشر الى الرابع عشر منه بتاريخ أحداث العراق ، ووفيات أعيانه وعلمائه خلال العصر السلجوقي . ولقد أمد هذا الكتاب البحث بمعلومات جيدة عن حياة العلماء وآثارهم وأنشطتهم العلمية ، وقد جرت الافادة منه بشكل رئيسي في الباب الثالث من البحث .

---

(١) مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة الأجزاء ١١ برقم ٥٩٣ ، ١٢ برقم ٥٩٤ ، ١٣ برقم ٥٩٦ ، ١٤ برقم ٥٩٧ . عن مخطوط مكتبة أحمد الثالث بتركيا برقم ٢٩١٧.

أما كتاب انسان العيون في مشاهير سادس القرون[١] لمؤلف مجهول من رجال القرن السادس الهجرى ، فهو من المصادر المخطوطة ، واختص بتقديم معلومات واسعة عند تقديمه تراجم مشاهير علماء القرن السادس الهجرى ، وهو ما يدخل ضمن النطاق الزماني للبحث . ولقد أفاد البحث منه فيما أورد من تفصيلات عن عدد كبير من علماء العراق خلال القرن السادس الهجرى ، كان الكثير منهم في طي النسيان . كما زود البحث بالكثير من التفصيلات المفيدة عن حياتهم وآثارهم العلمية .

ولابد من الاشارة هنا الى أن البحث قد استخدم هذا المصدر بتحفظ شديد فاقتصر على المعلومات التي وردت فيه توثيقا لمصادر أخرى ، أما المعلومات التي انفرد بها فقد تعامل معها بحذر تتطلبه طبيعة كون المؤلف مجهولا ، وقد أشير الى ذلك في الهوامش باستمرار .

وقد استفاد البحث كما أسلفنا من عدد كبير من المخطوطات التي تعكس مستوى النشاط العلمي في العراق لعلماء بارعين في ميادين الطب والصيدلة والفلك والجغرافيا .

منها كتاب تقويم الأبدان في تدبير الانسان[٢] وكتاب منهاج البيان فيما يستعمله الانسان[٣] وهما ليحي بن عيسى بن جزلة الطبيب (المتوفى عام ٤٩٢ هـ/ ١٠٩٨م) الذى كان من مشاهير أطباء عصره ، فهو باحث عالم ، تلقى علومه الطبية

---

(١) مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ١٣١٠ ،عن مصور مكتبة (الدراسات العليا) برقم ٢٤٨ بكلية الآداب - جامعة بغداد .

(٢) مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ١٧ طب .

(٣) " " " " " " " " ١٢٨ طب .

ببغداد، وصنف غير ما ذكرنا له تصانيف حسانا .

وقد أفاد البحث من كتاب المغني في تدبير الأمراض[(١)]، وكتاب مختصر المغني في معرفة الأمراض[(٢)]، وهما لأبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن الطبيب (المتوفى عام ٤٩٤ هـ/ ١١٠٠م) الذي كان من أطباء العصر المتميزين في صناعة الطب . وقد تولى ادارة المارستان العضدي ، وله مصنفات فلسفية وطبية ومنطقية.

كما أفاد البحث كذلك من كتاب تقويم الصحة بالأسباب الستة[(٣)] للمختار بن الحسن المتطبب المعروف بابن بطلان (المتوفى عام ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥م) وهو من مشاهير أطباء العصر ، وقد تلقى علومه على يد عدد من المشاهير في بغداد .

ان مدى ما أفاد البحث من هذه الكتب يتجلى فيما أبرزت من أنشطة أطباء العصر ومؤلفاتهم ومصنفاتهم ، وما قدموه للمجتمع الاسلامي من خدمات جليلة ، في المعالجة والصحة والتطبيب . وقد تركزت افادة البحث منها عند استعراض العلوم الطبية ضمن ميادين العلوم في الفصل الرابع من الباب الثالث من هذه الرسالة .

وقد اعتمد البحث أيضا على عدد من المؤلفات الأخرى ، في علم الفلك والهيئة ، حيث صنف صاعد بن الحسن الطبيب الفلكي (المتوفى عام ٤٧٥ هـ/١٠٨٢م) كتابه المشهور " التشويق التعليمي في علم الهيئة "[(٤)] وهو كتاب اختص بعلوم الأرض ووضعها في الفلك، ومقادير الليل والنهار ، مما هيأ للبحث نماذج رائدة في هذه الاختصاصات .

---

(١) مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ١١٦ طب .
(٢) " " " " " " " " " ١٠٨ طب .
(٣) " " " " " " " " " ١٨ "
عن مخطوط مكتبة أحمد الثالث بتركيا برقم ٢٠٦٩ .
(٤) مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ٩ مجاميع علم هيئة وذلك عن مخطوطة مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم ٣٣٤١ .

كما استفاد من كتاب الزيارات[1] لأبي الحسن على بن أبي بكر الهروى (المتوفى عام ٦١١ هـ/ ١٢١٤م) الذى قضى معظم حياته فى التجوال والرحلات في طلب العلم ، وقد أرخ لرحلاته ووصف مشاهداته فى هذا الكتاب مما جعله مصدرا مهما فى ابراز أنشطة العلماء ورحلاتهم ، وما قدموه للجغرافية من خلال مشاهداتهم والمعلومات الوصفية التى حفظوها .

ويمكن أن يصدق ذلك أيضا على كتابه الآخر " منازل الأرض ذات الطول والعرض" الذى تعرض فيه لذكر الأقاليم والمدن وتواريخ انشائها وأهم معالمها وآثارها .

كما أفاد من كتاب تحفة العجائب وطرفة الغرائب[2] لأبي الحسن على بن محمد بن الأثير الملقب بعز الدين (المتوفى عام ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م) المؤرخ الامام من العلماء بالنسب والأدب ، ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر ، وسكن الموصل ، وتجول في البلدان ، وعاد الى الموصل حيث كان منزله مجمع الفضلاء والأدباء والمؤرخين ، وباعتباره مؤرخا فلا غرابة أن يكون جغرافيا ، حيث كان كتابه هذا من النماذج الفريدة لمزيج مفيد متفاعل فى هذين العلمين فى هذا العصر . وقد اشتمل هذا السفر على معلومات جغرافية مهمة ، عن عجائب الأفلاك وذكر عناصر الطبيعة ، وعجائب الجزائر والأنهار والجبال ، وخواص المعادن والأحجار ، والنبات والحيوان ، ومعلومات وصفيّة للكون ، والأقاليم ، والبلدان ، والمدن . وعلى كل حال ، فان المعلومات التى استخلصت فى هذا المجال كان لها أهميتها وخطورتها فى البحث ، وبشكل خاص حين تعرض الى ميدان الجغرافيا فى الباب الثالث من الرسالة . ان رجوع الباحث الى هذه المخطوطات قد هيأ له فرصة

---

(١) مصور مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ٨ جغرافيا .
(٢) " " " " " " " " ٨ طب (هكذا صنف)
عن مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٢٩٦٣ .

الحصول على تصور واضح لمستوى النشاط العلمي خلال فترة البحث ، ذلك أن الاطلاع على مصنفات هؤلاء العلماء قد ساعد في التعرف على مدى ما وصلت اليه الحركة العلمية والنشاط الفكرى فى هذا العصر .

. . . . . .

ولقد كان جل اعتماد البحث على المصادر المطبوعة ، وأغلبها في تراجم الرجال والطبقات ، وكتب الوفيات ، والتواريخ العامة وكتب الأدب ، ومما ينبغى أن أكرر الاشارة اليه هنا أن ترتيب استعراض المصادر فى الصفحات التالية لا يعكس مدى أهميتها فى البحث ، بل ان الباحث رأى أن من الضرورى أن يراعى تسلسل سنى الوفيات .

وعلى كل حال فان أهم المصادر المطبوعة التى قام عليها الهيكل العام للبحث هى ما يلى :

كتاب الامتاع والمؤانسة[1] ورسالة الصداقة والصديق[2] وكتاب مثالب الوزيرين وثلاثتها من تأليف أبي حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدى (المتوفى عام ٤٠٠ هـ/ ١٠٠٩م) فيلسوف ، متصوف ، معتزلي ، نعته ياقوت بشيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء ، صحب ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وله مصنفات أخرى حسان .

ولقد عاصر التوحيدى أيام البويهيين حيث نشطت الحركة العلمية والثقافية في بغداد على عهدهم . ومصنفاته الثلاثة هذه أفاد منها البحث معلومات أساسية

---

(١) طبع بعناية أحمد أمين ، وأحمد الزين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .
(٢) طبع ، شرح على متولي صلاح ، نشر مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز . القاهرة .
(٣) طبع ، بتحقيق ابراهيم الكيلاني ، دمشق ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م .

عن الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العراق على عهد البويهيين ، بالاضافة الى ما قدمته من نوادر عن الحركة العلمية والمتمثلة في مجالس العلم المختلفة ، والتي كانت تعقد في منازل الأمراء والوزراء البويهيين ، مما كان له الأثر الكبير في اعطاء تصور واضح عن مقدمة البحث ومدخله المتمثل في اعطاء صورة موجزة عن الحياة العلمية في العراق ، خلال الفترة التى سبقت الاطار الزماني للبحث .

ومن المصادر المهمة التى اعتمد عليها البحث فى دراسة الحالة المالية والادارية في العراق خلال العصر السلجوقي ، كتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم (١) ، لأحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه (المتوفى عام ٤٢١ هـ/ ١٠٣٠م) الذى اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق ، ثم أولع بالتاريخ والأدب . وكتب لعضد الدولة بن بويه ، ثم اختص ببهاء الدولة البويهي ، وعظم شأنه عنده ، وصنف عددا كبيرا من المصنفات في الآداب والعلوم والفنون . وكتابه تجارب الأمم هذا هو من كتب التاريخ الاسلامي العامة ، انتهى به الى السنة التى مات فيها عضد الدولة البويهي ، وهي سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢م .

والكتاب يعكس اهتمام المؤلف بالشئون المالية والادارية ، كما يعكس اهتمامه بالأحوال السياسية والاقتصادية في الدولة العباسية . وقد دعم المؤلف كتابه بالوثائق الرسمية ، ونقل الكثير من الأرقام والمعلومات من مصادرها الأصلية ، كما أنه اهتم بدراسة الأسباب والمسببات ومتابعتها ، اضافة الى أسلوبه البارز في التحليل فى كتابته ، وبحكم معاصرة المؤلف للبويهيين ووفاته قبيل وصول السلاجقة الى بغداد اختص كتابه هذا بتقديم معلومات مفصلة عن أوضاع العراق خلال العصر البويهي . وقد هيأ الكتاب للبحث فرصة الافادة من معلومات أساسية فى وصف الحالة السياسية

---

(١) طبعة القاهرة ١٣٣٤ هـ/ ١٩١٥م .

والاقتصادية والادارية في العراق بعامة ، وفي بغداد بخاصة ، على عهد البويهيين. بالاضافة الى ما قدمه الكتاب من معلومات تحليلية عن أسباب تردى الحالة الاقتصادية، وما نجم عن اعتماد نظام الاقطاع من نتائج كان لها أثرها البارز في تطوير ايرادات بيت المال . وبجانب ذلك فان الكتاب يعطي صورة رائعة عن صراع العباسيين مع البويهيين حول السلطة . وعلى الجملة فالكتاب من أهم المصادر في تغطية الفترة الزمنية التالية لما توقف الطبري عن الكتابة فيه ، مع ملاحظة أن المؤلف كان في بداية كتابه يتابع المعلومات التي أوردها الطبري الى حد بعيد ، مما يوحي بالنقل المباشر منه .

أما فيما يتصل بالفترة بين سنتي (٢٩٥هـ/٩٠٧م الى ٣٤٠هـ / ٩٥١م) ، فقد اعتمد ابن مسكويه على مصادر أخرى . ولعل أهم وأبرز ما في كتابه هو أن تأريخه للأحداث بعد سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م يعتمد على روايات شهود عيان ، لاسيما على روايات صاحبيه أبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد ، وأبي محمد المهلبي ، وهما من الشخصيات البارزة والمؤثرة في الأحداث ، فقد كانت لهما مكانتهما واطلاعهما الواسع واتصالاتهما الدقيقة .

ولقد ذيل على كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه هذا الوزير محمد بن الحسين بن عبد الله بن ابراهيم ظهير الدين أبو شجاع الروذراوري (المتوفى عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥م) وزير الخليفة المقتدي . فلقد كان أبو شجاع من الوزراء العلماء ، قرأ الأدب والفقه ، وصنف كتاب الذيل على كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه ضمنه تاريخ الفترة بين سنتي (٣٦٩ هـ/ ٩٧٩م الى ٣٨٩ هـ/ ٩٩٨م) متبعا في ذلك منهج مسكويه في كتابته .

وقد هيأ ذلك للبحث فرصة طيبة في التعرف على طبيعة التطورات التي جرت في العراق خلال المراحل المبكرة من وصول السلاجقة اليه .

كما استفاد البحث من كتاب رسوم دار الخلافة[1] لأبي الحسن هلال بن المحسن الصابئ (المتوفى عام ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦م) وهو كاتب ، مؤرخ من أهل بغداد ، تعلم الأدب ، وولي ديوان الانشاء في بغداد زمنا ، وصنف التصانيف الحسنة عن الأمراء والوزراء والأعيان والتواريخ . ولقد أفاد البحث من كتابه رسوم دار الخلافة اذ يقدم معلومات مهمة عن تطور رسوم دار الخلافة على عهد البويهيين كما يقدم صورا للظروف السياسية ، ومعاملة أمراء بني بويه للخلفاء العباسيين ومشاركتهم لهم في اختصاصاتهم الدينية والدنيوية .

ومن الكتب التي أفادت البحث كثيرا كتاب تاريخ بغداد مدينة السلام[2] ، للحافظ أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي (المتوفى عام ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٤م) ، وهو أحد الحفاظ المؤرخين المشهورين في هذا العصر ، رحل في طلب الحديث وألم بالأدب ، وصنف مايزيد على خمسين مصنفا ، أغلبها في علوم الحديث ، ويعد كتابه تاريخ بغداد من أهم المصادر التاريخية التي أسهمت في بناء الهيكل الأساسي للبحث . وقد شمل كتابه هذا التاريخ العلمي والثقافي لمدينة بغداد وما جاورها كما أنه يعد واحدا من أشهر كتب التراجم لرجال الحديث ، اذ أصبح مثالا يحتذى في التأليف ، ولم يقتصر ذلك على الكتب التي أرخت لمدينة بغداد فقط ، بل سار على نهجه المؤلفون في كتابتهم لتواريخ كثيرة صنفت في القرون اللاحقة ، وقد سبقت الاشارة الى أن الخطيب قد أفرد كتابه هذا ليترجم لعلماء الحديث ، ولمن اشتهر منهم بتخصص آخر الى جانب الحديث ، أعني العلماء الذين عاشوا في بغداد وما حولها ، منذ تأسيسها الى زمانه ، ولمن زارها من العلماء وعرف بالرواية

---

(١) طبع بتحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العاني ، بغداد سنة ١٣٨٣ هـ / سنة ١٩٦٤م.

(٢) طبعه ونشره دار الكتاب العربي ، بيروت .

عن علمائها ، ورواتها . وهكذا فالكتاب تاريخ محلي لمدينة بغداد ، وقد ضمّن المؤلف كتابه هذا مقدمة تعد أحسن ماقدم من وصف طبوغرافي لمدينة السلام. فضلا عن المعلومات المهمة التى يذكرها المؤلف في ثنايا تراجمه ، عن جوانب متعددة من تاريخ المدينة ، مثل المساجد والقصور ، ومنازل العلماء ، وأماكن اجتماعاتهم ، مما قدم مادة غنية ومهمة في رسم هيكل البحث وتزويده بمعلومات غاية في الأهمية تخللت أغلب فصوله . كما أن الكتاب قد أفاد البحث في تقديم معلومات مفصلة عن عدد كبير من عالمات وواعظات بغداد في هذا العصر.

وقد خدم كتاب الخطيب البحث بما قدمه من معلومات عن الحياة الثقافية والعلماء والحركة التعليمية في بغداد ، فقد أعطي تفاصيل عن مجالس العلم والسماع ، وعن الأماكن التى كانت تعقد فيها المجالس العلمية ، فضلا عن مجالس المذاكرة والمناظرة وحلقات الأدب .

واضافة الى ذلك فان البحث أفاد من المعلومات الواسعة التى قدمها الخطيب فى ثنايا تراجمه التى أفردها للمحدثين الذين تعرض لذكرهم ، وعن مواد الدروس وأوقاتها ، والتدريس وآدابه ، كما تعرض لذكر المعلمين وأساليبهم وأجورهم .

وعلى الجملة فقد اعتمد البحث ، لاسيما في البابين الثاني والثالث ، على هذا الكتاب كثيرا ، ذلك أنه قدم الكثير من النماذج الموثقة عن الحياة الثقافية والدينية والتربوية والعلمية في العراق خلال فترة البحث .

ومن المصادر المهمة التى أفاد منها البحث كثيرا مؤلفات حجة الاسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي (المتوفى عام ٥٠٥ هـ/ ١١١١م) ، والغزالي غنى عن التعريف ، ولقد كان لمصنفاته التى أمكن الاستفادة منها أهمية بالغة بحكم معاصرته

لفترة من البحث ، ولاسيما عند معالجة الجانب التربوى ونظام التعليم الاسلامي .

ومن هذه الكتب كتاب احياء علوم الدين[(١)] أبعد كتبه أثرا ، وأسيرها ذكرا ، وأبقاها على وجه الدهر. تناول الغزالي فيه العبادات ، والعادات ، والمهلكات والمنجيات ، مقسما كل واحد من هذه الأرباع الى عشرة كتب .

لقد أفاد البحث في جوانب متعددة منه من هذا السفر ، منها ما يخص التربية والتعليم ، ومنها ما يخص الفلسفة وعلم الكلام والنواحي الاقتصادية . ولعل باب العلم من الجزء الأول كان من أهم ما أفاد منه البحث من كتاب احياء علوم الدين وبخاصة عند الكلام عن التربية والتعلم .

وبجانب كتاب احياء علوم الدين أفاد البحث كثيرا من كتب الغزالي الأخرى كالرسالة اللدنية[(٢)] عن العلم وشرفه ، وأصناف العلوم وفروعها وطرق تحصيل العلوم ، وكرسالة أيها الولد[(٣)] رسالة تربوية تعليمية من تأليف أستاذ ماهر عالم بطبيعة عمله ، وهي رسالة الى أحد تلامذته ، يسدى اليه فيها نصائح عن أنواع العلوم وما ينبغي تعلمه منها ، وقد اشتملت هذه الرسالة على كثير من النوادر التربوية في معاملة المتعلمين .

هذه الكتب الثلاثة تعد من أهم مصادر البحث فيما يخص تربية النشء ومعاملتهم وتعليمهم ، وما يخص نظام التعليم والكتاتيب في هذا العصر ، وكذلك

---

(١) طبع عدة طبعات ، والمعتمدة طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت .

(٢) ، (٣) طبعت ضمن مجموعة " القصور العوالي" من رسائل الامام الغزالي جـ ١ ، الطبعة الثانية ، مكتبة الجندى ، القاهرة ١٣٩٠هـ، وقد طبعت رسالة " أيها الولد) وحدها طبعة خاصة محققة، في مطبعة المعارف فى بغداد ١٩٥٠م، أشرف عليها وحققها الأستاذ فؤاد الدين الكليدار ، كما نشر بعد ذلك رسالة " بداية المجتهد ونهاية المقتصد" محققة في عام ١٩٥٢م ببغداد أيضا .

عن المؤدبين ، والمعلمين ، والتلامذة ، آدابهم وشروطهم ، مما أفاد البحث منه في البابين الثاني والثالث الى حد بعيد .

ومن كتب الغزالي التى أفاد منها البحث أيضا في جوانب أخرى منه كتاب المنقذ من الضلال [١] وهو قصة حياة فكرية ، وتجربة صوفية روحية ، وسيرة ذاتية لحياة الامام الغزالي ، في صراعه مع الفلسفة والمذاهب والفرق المختلفة ومحاولته للوصول الى الحقيقة .

وبجانب هذه المؤلفات المهمة أفاد البحث من كتابين آخرين من كتب الامام الغزالي وهما كتاب الجام العوام عن علم الكلام [٢] وكتاب الاقتصاد في الاعتقاد [٣] حيث ناقش المؤلف موضوع علم الكلام ، وبيان مذهب أهل السلف ، وأن من خالفهم مبتدع . كما أوضح فيهما أهمية علم الكلام ، ومتى يجب تعلمه .

أما كتاباه تهافت الفلاسفة [٤] ومعيار العلم في فن المنطق [٥] فيعدان من أعظم ما ألف في الفلسفة والمنطق في القرون الاسلامية الوسطي ، ولقد كان غرض الامام الغزالي من تأليفه هذه الكتب هو حفظ الدين ، والذود عن حوزة الاسلام ، وذلك عن طريق كشف حقيقة الفلسفة التى استشرت في عصره ، وبيان عقم مذهبها ، وبطلانها ، وقصورها في الوصول الى معرفة الحق .

---

(١) طبع بتعليق محمد جابر ، نشر مكتبة الجندى ، القاهرة .
(٢) ضمن مجموعة القصور العوالي ، جـ ٢ ، الطبعة الثانية ، مكتبة الجندى ، القاهرة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
(٣) طبع بتقديم عادل العوّا ، دار الأمانة ، الطبعة الأولى ـ بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .
(٤) طبع بتحقيق سليمان دنيا ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦١م .
(٥) طبع بتحقيق سليمان دنيا ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٣٧٩ هـ/ ١٩٦٠م .

أما كتابه فضائح الباطنية[1] فقد صنفه لبيان بطلان عقائد المذاهب الباطنية، وانحراف عقيدتهم ، وكذبهم وتزييفهم ، حيث أفاد البحث منه كثيرا فيما يخص مناقشة موضوع الاسماعيلية في هذا العصر.

وفي الحق أنه كان لكتب الغزالي هذه أهمية أساسية في تشكيل معلومات البحث ، فقد أفادت كثيرا في دراسة موضوعات سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية وكلامية وعقائدية ، وتكمن أهمية كتب الغزالي هذه في كونه من العلماء الأفذاذ ذوي النظرات الصائبة ، والنقل الدقيق من معاصري فترة البحث ، بل هو شاهد عيان عدل ، حيث نشأ في أحضان الدولة السلجوقية ، ثم أختير مدرسا للنظامية في بغداد حاضرة الخلافة العباسية . ولا جدال في أنه كان لمصنفات حجة الاسلام الغزالي أثر كبير ، ودور بارز ومشرق في افادة البحث في الكثير من فصوله بدون استثناء ، وفي مناقشة الكثير من المواضيع التي اختص بها في مباحثه ومؤلفاته .

ومن رواد الكتاب والمؤرخين ورجال الأدب الذين كان لمصنفاتهم صدى واضح في هذا البحث ، أبو عبد الله محمد بن محمد عماد الدين الأصفهاني (المتوفى عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) وهو من بيت فضل وسؤدد وكتابة في هذا العصر. ولد في أصبهان ، وانتقل الى بغداد وانتظم في سلك طلبة المدرسة النظامية ، ثم ولي عدة مناصب ، منها نظر البصرة ثم واسط ، وكسب حظوة تامة لدى الزنكيين ، ولدى صلاح الدين ، ودرّس بالشام ، وتولى ديوان الانشاء على أيام نورالدين زنكي. وله مصنفات حسان في التاريخ والأدب والكتابة . أهمها ما يهمنا هنا ، أعني كتابه

---

(١) طبع بتحقيق عبد الرحمن بدوي ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت .

المشهور خريدة القصر وجريدة العصر.[1] اذ يؤرخ العماد في هذا الكتاب الضخم لطائفة من شعراء وأدباء القرنين الخامس والسادس في ديار الاسلام الممتدة من أواسط بلاد المشرق الى أقصى بلاد الأندلس. فلقد ألمّ بتراجمهم وأخبارهم، وعرض نماذج من أشعارهم، ولم يترك منهم الا النادر الخامل، حيث واصل العماد بهذا الكتاب سلسلة الكتب التى ألفها العلماء قبله في الشعراء والمحدثين، وسلكوا فيها طريقة خاصة، تجمع بين التاريخ والخبر، ولولا كتاب الخريدة هذا وكتاب زينة الدهر للحضيرى وكتاب وشاح الدمية للبيهقي لأبهم على الناس عصر كامل من تاريخ الشعر العربي.

ولقد أفاد البحث من هذا الكتاب فيما يخص الباب الثالث، لاسيما الفصل الثاني منه. هذا بالاضافة الى أن معظم فصول البحث قد أفادت منه بما حفظ لنا المؤلف من تراجم أدباء وشعراء وعلماء العصر، حيث أورد ذكرا لعدد كبير من مشاهير العلماء وأعيان العصر، مما ساعد في توضيح تطور الحركة العلمية ابان القرنين الخامس والسادس الهجريين، حيث عمت سائر مدن العراق نهضة علمية شاملة اتصلت شعلتها بأضواء النهضة العلمية التى بدأت في القرن الرابع. وفى الحق أن كتاب خريدة القصر هذا خير دليل على ما تمتع به العراق في فترة البحث من نهضة علمية في ميدان دراسات الأدب واللغة.

ولقد أفاد البحث من عدد من المصنفات لأبي الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى (المتوفى عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) علامة العصر فى التاريخ والسير والحديث، حيث صنف أكثر من ثلاثمائة مصنف في مختلف العلوم والفنون. ويعد كتابه المنتظم في

---

(١) القسم العراقي منه نشرته وزارة الاعلام العراقية، بمطبعة المجمع العلمي العراقي بتحقيق محمد بهجة الأثرى ١٩٥٥م - ١٩٦٤م. كما نشر قسم بلاد الشام بتحقيق شكرى فيصل، بالمطبعة الهاشمية - دمشق ١٩٥٩م.

تاريخ الملوك والأمم[١] من المصادر الأساسية التي قدمت معلومات قيمة للبحث ، وهو تاريخ اسلامي عام ، سار فيه ابن الجوزي على أساس السنين ، ذلك أنه يذكر أخبار كل سنة ، وما كان بها من أحداث ، ثم يعقب ذلك بذكر وفيات أعيان وعلماء تلك السنة منذ بداية الاسلام حتى نهاية سنة ٥٧٤ هـ .

وكان للمعلومات التي قدمها كتابه هذا أهمية خاصة في بناء هيكل البحث ، لاسيما فيما يخص الباب الأول ، والباب الثالث ، حيث قدم معلومات مهمة عن تفصيلات الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية في العراق خلال فترة البحث ، مما هيأ الفرصة لتوفر معلومات جيدة لدراسة هذه الجوانب . وبالاضافة الى ذلك فابن الجوزي قدم في كتابه هذا معلومات انفرد بذكرها عن نوادر علمية متصلة بأنشطة بعض علماء العصر ومناظراتهم ومحاوراتهم ، وكيف كانت تعقد مجالسهم ، اضافة الى تفصيلات عن انتاجهم العلمي ، كما خدم البحث في توفير معلومات أساسية أثناء تعرضه في ثنايا كتابه الى ذكر عشرات المدارس والأربطة والزوايا، أساتذتها ومنشئيها ، وما قدمه من خدمات علمية رائدة خلال فترة البحث .

وبجانب كتاب المنتظم لابن الجوزي ، فقد أفاد البحث كثيرا من مؤلفات أخرى للمؤلف ، مثل : كتاب صيد الخاطر[٢] وكتاب تلبيس ابليس[٣] وكتاب القصاص والمذكرين[٤] فقد عالجت هذه الكتب الثلاثة موضوعات مهمة متعلقة بالأوضاع الاجتماعية والدينية والعلمية ، كما تضمنت الكثير مما كان يشاهده المؤلف في أيامه من أمور غريبة، ومخالفة للسنة ، جبلت عليها طبائع الكثير من العلماء والصوفية والشطار والعيارين ، اضافة

---

(١) نشرت دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م منه الأجزاء من السادس الى العاشر .
(٢) نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
(٣) نشر دار الكتب العلمية ببيروت .
(٤) نشر بتحقيق د . محمد لطفي الصباغ، المكتب الاسلامي - دمشق ، وبيروت .

الى معلومات شخصية عن الفرق المنحرفة ، حيث أفاد منها البحث فيما يتصل بالباب الثاني ، لا سيما ماله صلة بالتعليم والعلوم والعلماء ، والمدارس والأربطة ، والفرق الدينية ، والكتب والمكتبات ، وفنونها وأسواقها ، وحلقات المذكرين والوعاظ والقصاص وبدعهم ، ومجالس العلم المختلفة ، بالاضافة الى ما أورده من معلومات عن المجتمع في عصره : عاداتهم وأعرافهم وتقاليدهم ، وعن الفرق الدينية المنحرفة : أهوائها ومفاسدها ، وأثرها على العلوم المختلفة والتعليم .

كما وأفاد البحث من كتاب راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية (1) لمؤلفه محمد بن علي بن سليمان بن محمد بن أحمد الراوندى (المتوفى عام ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م) الذى ينتسب الى أسرة من أهل العلم في بلدة راوند من أعمال مدينة كاشان ، حيث كان أغلب أفرادها من العلماء الأساتذة . وقد تلقى تعليمه في صغره على يد خاله تاج الدين أحمد بن محمد بن علي الراوندى ، وارتحل معه الى معظم مدن العراق حيث أتقن الخط وفنونه ، وأحسن التجليد والتذهيب ، ودرس الشريعة والفقه ، ونال حظوة تامة لدى سلاطين السلاجقة ، حتى أصبح من أشهر مؤرخيهم بتأليفه هذا الكتاب ، الذى يعتبر مصدرا أساسيا لتاريخ السلاجقة العظام ، من وقت قيام دولتهم في بداية القرن الخامس الهجرى الى وقت زوالها سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٤م.

وقد ألحق به فصلا من عدة صفحات ذكر فيها أخبار مفصلة عن السنوات الخمس التالية لزوال الدولة السلجوقية بحيث يصل هذا التاريخ الى سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م.

والأخبار التى رواها المؤلف في كتابه هذا ، ولاسيما ما يخص فترة حكم السلطانين ألب آرسلان وطغرلبك ، تعتبر أصيلة ومفصلة ومروية لأول مرة من شاهد

---

(1) ترجمة ابراهيم الشوربي وآخرين ، طبع سنة ١٢٧٩ هـ/ ١٩٦٠م.

عيان . والكتاب على الجملة يقدم معلومات أصيلة أفادت في بناء هيكل البحث عن تاريخ السلاجقة في العراق ، ونوادر أخبارهم ، وعن وزيرهم المتوّج نظام الملك ، وعلاقتهم بالخليفة العباسي ببغداد ، بالاضافة الى أن المؤلف قد أورد الكثير من المعلومات التي أسهمت في القاء الأضواء على الأحوال الاجتماعية والأدبية وأخبار سلاطين السلاجقة خلال فترة البحث .

ومما هو جدير بالذكر في هذا المجال ، أن ابن جبير ، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (المتوفى عام ٦١٤ هـ/ ١٢١٧م) الرحالة الأديب قد زار العراق في هذا العصر ، وضمّن رحلته معلومات مفصلة ومطولة عن ذلك ، وعليه فقد جاء كتابه الموسوم بـ " رحلة ابن جبير "(١) ليقدم اضافات جادّة الى مصادر البحث المهمة ، حيث أمد البحث بمعلومات مهمة عن المدن العراقية خلال فترة البحث ، معالمها وآثارها ، ومبانيها وأزقتها ، وأهم مظاهرها المختلفة ، كما أنه أعطى صورة مفصلة عن واقع الحياة الاجتماعية والثقافية في بغداد وواسط والحلة وتكريت والموصل حين زارها سنة ٥٨٠ هـ ، وتعتبر المعلومات التي وردت في كتاب رحلة ابن جبير هذا من المعلومات الموثقة من شاهد عيان عدل عن عادات وطبائع وأخلاق الناس ، اضافة الى ما قدم من معلومات جغرافية مهمة في طبوغرافية مدينة بغداد وأهم معالمها ، وما بينه في كتابه ما كان يجري من نشاط العلماء في مجالس الوعظ والعلم ، وذكر لأهم المدارس ببغداد وتعداد سكان المدينة وأزقتها وأسواقها ، مما خدم البحث كثيرا في أكثر من موضع من تلك التي لها صلة بالأوضاع العلمية والاجتماعية .

وقد استفاد البحث كثيرا في عرضه لتراجم الأدباء من كتاب معجم الأدباء(٢) أو ارشاد الأريب لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)

---

(١) نشر دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .
(٢) الطبعة الأخيرة ، مطبعة دار المأمون ، القاهرة .

المؤرخ الأديب ، وهو من أئمة الجغرافيين ، ومن العلماء باللغة والأدب ، بـدأ حياته نساخا حتى انه عاش من نسخ يده ، ورحل طلبا للعلم والتجارة ، وصنف تصانيف رائدة في فنها ، منها هذا الكتاب المتقدم الذكر ، ويقع في عشرين جزءا ، ذكر فيه من أخبار النحاة واللغويين والقراء وعلماء الأخبار والأنساب ، وكل من صنّف في الأدب ، والمؤرخين والوراقين والكتاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدونة ، والخطوط المنسوبة . حيث ذكر أخبارهم وشيئا من أشعارهم ، وتصانيفهم ، ويعتبر هذا الكتاب بحكم معاصرة مؤلفه لفترة البحث من أهم مصادر البحث في دراسة تراجم العلماء والأدباء وأعيان العصر ، حيث قدم تفصيلات عن حياتهم وأنشطتهم وانتاجهم العلمي ، بالاضافة الى ذكره لأحداث ونوادر أدبية وأخبار عن علماء العصر كانت معينا في سد نواقص التراجم لعدد كبير ممن ورد ذكرهم في الكثير من جوانب البحث ، لاسيما فيما يخص الباب الثالث وكذلك عند الكلام عن الكتب والمكتبات .

ومن أهم المصادر التى كانت عمودا أساسيا في بناء البحث كتاب الكامل في التاريخ (1) لمؤلفه عز الدين على بن محمد الشيباني ابن الأثير الجزرى (المتوفى عام ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م) الذى يعتبر من أعظم مؤرخي العرب ، فقد شب في بيئة علمية ، حيث جلس الى العلماء والشيوخ ، ودرس الحساب واللغة والفقه والحديث ورحل في طلب العلم الى بغداد والشام ، وعاش حياته منقطعا الى العلم والاستزادة والتأليف ، حتى استطاع بتأليفه كتاب الكامل أن يخلد اسمه بين كبار فطاحل المؤرخين . حيث تحرى الدقة ، وبحث عن الحقيقة فيما كتب ، مبتعدا عن الاسهاب وعن التكرار في الروايات ، شاملا لتاريخ العالم الاسلامي من بداية الاسلام حتى سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م منتهجا في ذلك طريقة الحوليات ، ذاكرا عدة حوادث آخر كل سنة ، ووفيات أعيان السياسة والعلم في تلك السنة . فكتابه هذا يعتبر دائرة

---

(1) طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م .

معارف عن التاريخ الاسلامي الى سنة ٦٢٨ هـ . ومن الواضح أن ابن الأثير قد اعتمد في تغطيته لحوادث التاريخ السابقة لعصر الطبري على المعلومات التاريخية التي أوردها الامام محمد بن جرير الطبري اعتمادا دقيقا الى حد بعيد ، حيث لخصها وتابعها بشكل دقيق وأمين ، غير أنه أضاف اليها بعد ذلك الكثير من المعلومات الخاصة بالفترة التالية لتوقف الطبري عن الكتابة .

ولقد جاءت أهمية هذا الكتاب من جهة معاصرة مؤلفه لفترة البحث كمؤلف منصف وشاهد عيان دقيق في مروياته ، فقد انفرد بذكر معلومات قلما تجدها في مصدر آخر ، نلمس منها مدى تحرى المؤلف الدقة ، اضافة الى حاسية المؤرخ الفذ في نظراته . كما أن أخباره الموجزة لا تخلو من ذكر أحداث وتحليلات شيقة ودقيقة للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية للعراق خلال فترة البحث ، مما ساعد في حل بعض الاشكالات التي واجهها البحث في وقائع وأحداث تمس تلك الأوضاع .

وكما سبق أن أسلفنا أن المؤلف كان يختم أحداث كل سنة بذكر عدة حوادث موجزة ، ووفيات أعلام العصر في السياسة والعلوم والآداب ، مما أفاد البحث بشكل خاص في متابعة التطورات العامة ، وفيما قدم من معلومات عن تراجم علماء العصر ، وما أسهموا به في ميادين تخصصاتهم المختلفة . . مما جعل الكتاب مصدرا مهما لمعلومات أبواب البحث وفصوله المختلفة دون استثناء .

ولقد أفاد البحث من كتاب ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد[1] لمؤلفه محمد بن سعيد بن يحي بن علي الدبيثي (المتوفى عام ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م) وهو من ثقات المؤرخين في أواخر العصر السلجوقي في العراق ، تعلم وتأدب بواسط ، وقرأ القراءات المختلفة والنحو ، حتى أصبح عالما فاضلا ، ومؤرخا يشار اليه بالبنان ، في حفظ التواريخ والسير وأيام الناس .

---

(١) حققه بشار عواد معروف ، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

ولقد اتبع ابن الدبيثي في كتابه هذا منهج الخطيب البغدادى في الاقتصاد في الأخبار ، ويعد تاريخه هذا من المصادر الموثوقة المعتمدة لفترة البحث ، حيث سجل فيه تراجم المشاهير والمشهورات من أهل النصف الثاني من القرن السادس ، ممن كانت له صلة ببغداد من أهل الحديث وذوى العلم وأهل الأدب والشعر ، وبلغ المؤلف في المعلومات التى أوردها بكتابه هذا الى سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م.

وقد اختصره الامام محمد بن أحمد الذهبي المتقدم الذكر (المتوفى عام ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م) وسماه (المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي)(١) .

ولقد اعتمد البحث على الكتابين فيما يخص الباب الثالث ، حيث أفاداه في تدقيق أسماء المشاهير والأعلام في بغداد خلال أواخر فترة البحث ، كما قدما الكثير من المعلومات ما كان معينا مهما للبحث في معرفة أخبار علماء العصر، هذا بالاضافة الى ما قدماه من خلال نصوص تراجم العلماء من معلومات مفيدة ، أمكن اعتمادها في معرفة أنشطة العلماء وجهودهم العلمية ومناظراتهم ، وأخبار الكتب والمكتبات في ذلك العصر.

واعتمد البحث على كتاب تاريخ دولة آل سلجوق(٢) لمؤلفه الفتح بن على بن محمد البندارى (المتوفى عام ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥م) الذى ترجم الشاهنامة ، وهو أديب ملم بالعربية والفارسية ، له مصنفات تاريخية عديدة . وكتابه هذا اختصار لكتاب نصرة الفترة للعماد الأصفهاني الكاتب (المتوفى عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) حيث زوده بمعلومات اضافية تحكي تاريخ السلاجقة منذ بداية حالهم حتى (سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥م) وأتى فيه بأخبار دولتهم وسلاطينهم ووزرائهم ، كتاريخ عام تابع فيه الكلام في الحوادث السياسية لسلاطين السلاجقة ووزرائهم وأخبارهم ، والحوادث التى جرت

---

(١) حققه مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
(٢) طبعة دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٨م.

في عصورهم دون ارتباط بمنهج الكتابة التاريخية على طريقة الحوليات. وهو يعد من مصادر البحث المهمة ، حيث انه دعم الأخبار الواردة في كتاب الأصفهاني ، وأضاف اليها اضافات جادة ، أفادت في تتبع التطورات السياسية والاقتصادية والعلمية في العراق خلال فترة البحث .

ويعد كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان[1] من مصادر البحث المهمة ، وقد صنفه سبط ابن الجوزى يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله أبو المظفر شمس الدين (المتوفى عام ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦م) وهو مؤرخ من الكتاب الوعاظ ، اعتنى بتربيته وتعليمه جده ، ثم انتقل الى دمشق واستوطنها ، وألف عددا من المصنفات في علوم الشريعة والتاريخ .

وكتابه هذا الذى أمكن الافادة منه هو الجزء الثامن ، والذى يسطر فيه تاريخ وحوادث نهاية القرن الخامس ، والقرن السادس حيث تتبع الأحداث على طريقة الحوليات ، مدعما دراسته التاريخية بوفيات تلك السنة من العلماء والأعيان والكبراء .

وتأتي أهمية كتاب مرآة الزمان من أن مؤلفه اعتمد في ذكر حوادث القرن الخامس الهجرى ووفياته على كتب معاصرة للفترة ، ومفقودة منها كتاب عيون التواريخ[2] الذى ألفه غرس النعمة محمد بن هلال الصابىء (المتوفي عام ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م) ولم يتمه والذى جعله ذيلا على تاريخ الوزراء الذى ألفه والده هلال بن المحسن الصابىء (المتوفى عام ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦م) .

ولقد تضمن كتاب مرآة الزمان هذا ، فيما يخص العراق في هذا العصر ، ذكر الكثير من تراجم العلماء وأنشطتهم العلمية ، اضافة الى ما قدمه من معلومات قيمة لها صلة بالأوضاع السياسية والاقتصادية ، وبالحياة الفكرية والعلمية لهذا

---

(١) طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٥/ ١٢٦، حاجي خليفة : كشف الظنون جـ٢/ ص٢٠٤٥.

العصر ، في ترجمته للعلماء والمعلومات التي قدمها عن المدارس ، والأربطة والزوايا، وحلقات العلم ، ومجالس المناظرات والمحاضرات ، والكتب والمكتبات ، مما أفاد البحث كثيرا في شتى فصوله ، لاسيما فيما يخص مباحث الباب الثالث ، حيث جرى التركيز على العلماء وأنشطتهم وانتاجهم العلمي في شتى ميادين العلوم والفنون والآداب .

كما اعتمد البحث على كتاب الروضتين في أخبار الدولتين وكذلك الذيل عليه(1) وكتاب الروضتين من تأليف شهاب الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي المعروف بأبي شامة (المتوفى عام ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٦م) الذى نشأ بدمشق ، وسافر طلبا للعلم ، وتولى التدريس بدمشق ، وصنف مصنفات حسانا .

وكتابه هذا هو تاريخ للدولتين النورية والصلاحية حتى نهاية سنة ٥٦٥ هـ / ١٢٦٦م حيث قدم فيه المؤلف دراسة قيمة لقيام الدولتين النورية والصلاحية، وعوامل قيامهما . وقد تضمن الكتاب معلومات مهمة عن أمرائهما ووزرائهما ، وما كان لهم من فضل في اثراء وتشجيع الحركة العلمية في الموصل وبلاد الجزيرة والذى يتمثل فى انشاء المدارس واستقطاب العلماء ورعايتهم وتشجيعهم . وبالاضافة الى هذا فقد أورد المؤلف تراجم مفصلة لعدد من علماء العصر المبرزين ، مما أسهم فى بناء الباب الثالث خصوصا عند استعراض أنشطة العلماء وانتاجهم .

وكان جل اعتماد البحث في ميادين دراسة الطب والصيدلة ، والرياضيات والفلك ، وتراجم وأخبار الحكماء والمهندسين ، والأطباء والفلكيين والمنجمين ومعرفة انتاجهم ونشاطهم العلمي ، على مجموعة متخصصة من المصادر التى أفردت

---

(1) نشرته مطبعة وادى النيل ، القاهرة ١٢٨٨ هـ/ ١٨٧١م ونشر ذيله عزة العطار ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م .

للعلوم التطبيقية والبحتة ، منها كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء[1] لابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي (المتوفى عام ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) وهو من أطباء العرب وأدبائهم المرموقين ، تلقى علومه الأولى في دمشق ثم رحل الى القاهرة والتحق بالمارستان الناصرى الذى أنشأه الملك الناصر صلاح الدين ، وأخذ يعمل في تحصيل العلم ، فاشتهر بطبه وحسن مداواته ، وصنف هذا الكتاب في تراجم الأطباء والرياضيين ، مما لم يصنف مثله شمولا واتساعا ، حيث أورد عددا من التراجم ينيف على أربعمائة ترجمة ، ابتدأه بترجمة كبار أطباء الاغريق والرومان والهنود في العصور الغابرة ، ثم تكلم عن الأطباء العرب والعجم ، وأطباء الشام ومصر والمغرب ، اذ أفرد لكل قطر تراجم أطبائه على حده ، ولم يترك في ذلك شاردة ولا واردة .

أما الكتاب الثاني الذى اعتمد عليه في هذا الميدان كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء[2] وهو كتاب جليل لا تقل قيمته عن قيمة كتاب عيون الأنباء في الشمول ، الا أنه مقتضب في أخباره . وعلى الرغم من صغر حجم الكتاب الا أن فائدته عظيمة في البحث . وقد صنفه الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفي عام ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨م) الوزير المؤرخ الكاتب ، الذى تولى القضاء ثم الوزارة بحلب أيام الملك عبد العزيز سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥م ، والذى اشتهر باستقامته وحبه للعلم والكتب . وقد صنف مصنفات حسانا رائعة أهمها هذا الكتاب الذى يشتمل على تراجم لمشاهير الأطباء المعروفين حتى عصره ، فقد أورد معلومات قيمة جدا عن حياتهم واسهاماتهم الطبية ، وما اشتهروا به الى جانب الطب ، وذكر مقتطفات وأخبارا نادرة في أساليبهم في المعالجة وطرائف من أخبارهم .

---

(١) منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت تحقيق د .نزار رضا ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
(٢) نشر دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

كما أفاد البحث من كتاب تاريخ حكماء الاسلام[1] لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي (المتوفى عام ٥٦٥ هـ/ ١١٦٩م) الباحث المؤرخ ، الذي اشتهر بعلوم الحكمة والرياضيات والفلك ، والذي صنف عشرات الكتب في مختلف الفنون . وكتابه هذا عبارة عن تراجم للحكماء والأطباء والرياضيين المشاهير في بلاد خوارزم وخراسان وفارس والعراق،ابتداء من أوائل العصر العباسي وحتى قبيل وفاته سنة ٥٦٥ هـ ، وهي تراجم مختصرة جدا في الغالب ، ولا يذكر فيها سنة الوفاة ، غير أنه انفرد بذكر تراجم لم نجدها في كتابي ابن أبي أصيبعة والقفطي .

وتتفاوت أهمية هذه الكتب بالنسبة للبحث ، من حيث الشمول للمترجم لهم ، وارتباطهم بالعراق في هذا العصر ، ومن حيث التوسع في اعطاء الأخبار عن حياتهم ، وفي ذكر مجالات أنشطتهم ومصنفاتهم ، وما اشتهروا به الى جانب الطب وفي اعطاء نوادر الأخبار العلمية عنهم .

على أن كتابي (عيون الأنباء ، (اخبار العلماء) قد زوّدا البحث بمعلومات مستفيضة ومهمة ودقيقة عن علماء الطب والرياضيات والفلك في العراق خلال فترة البحث، وعن حياتهم العلمية وأساتذتهم ومصنفاتهم ، ونوادر أخبارهم الطبية ، وأسلوبهم في المعالجة . اضافة الى تبيان ما كان لهم من أثر كبير في توسيع الدراسات المتجددة ، وتنشيط الحركة الطبية في العراق .

كما أن هذه الكتب قد هيأت للبحث معلومات قيمة من خلال تراجم العلماء عن مستشفيات بغداد ، وطرق المعالجة وصناعة الأدوية والعقاقير ومراقبتها ، وادارة المستشفيات ، وتدريس العلوم الطبية النظرية والعملية بها ، وأخبار طلاب الطب مع أساتذتهم ، مع ايراد نوادر شيقة في المعالجة والتطبيب ، مما أفاد البحث كثيرا في الباب الثالث .

---

(١) نشر بتحقيق محمد كرد علي ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م .

كما أسهمت هذه المصادر في ذكر تراجم علماء الرياضيات والفلك ، وما أسهموا به من نشاط فعال في هذا الميدان ، الأمر الذى أفاد في بناء هيكل دراسة العلوم البحتة في هذا العصر .

ومن المصادر التى جمعت بين التاريخ العام والاهتمام بسير الأعلام كتاب الجامع المختصر في التواريخ عنوان وعيون السير [1] لعلي بن أنجب بن عثمان المعروف بابن الساعي (المتوفى عام ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٥م) خازن المدرسة المستنصرية والذى كان واحدا من كبار المؤرخين فى عصره ، وما تبقى من الكتاب هو الجزء التاسع ، وهو يقتصر بقدر ما يتعلق الأمر بالبحث على معلومات خاصة بالفترة بين سنتى ٥٩٥هـ/ ٦٠٦ هـ وهي سنوات معدودة من تاريخ فترة البحث، غير أنه مع ذلك يتميز بالمعاصرة واعطاء معلومات قيمة لتراجم عدد من الكبراء وعلماء العصر. هذا بالاضافة الى اعطائه بعض الأخبار عن المراكز العلمية فى عصره كالمدارس وخزائن الكتب ، فضلا عن انفراده بذكر نوادر عن الحياة الاجتماعية ، مما أفاد البحث في اكمال النقص الحاصل فى تاريخ هذه الفترة .

ومن أهم مصادر البحث في تراجم عامة العلماء وذكر أخبارهم ، وذكر نشاط الحركة العلمية والتعليمية والمدارس والأربطة ، وجهود العلماء ونشاطهم في اثراء الحركة العلمية كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان [2] للقاضي شمس الدين أحمد بن محمد بن ابراهيم ابن خلكان (المتوفى عام ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م) وهو مؤرخ حجة وأديب ماهر ، ولد فى أربل حاضرة اقليم الجبال ، وعاش حياته بين الشام ومصر ، تولى القضاء ، ودرس في مدارس الشام ، وصنف عددا من الكتب أشهرها وأهمها

---

(١) نشر الجزء التاسع منه بتحقيق مصطفى جواد ، بغداد ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

(٢) حققه محمد محي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ، ثم د . احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م.

وفيات الأعيان ، الذى يعد من أشهر كتب التراجم ، ومن أحسنها ضبطا واحكاما ، وأجدرها بالثقة ، فلقد قدم المؤلف فيه تراجم شاملة لمشاهير وأعلام المسلمين ، من الخلفاء والسلاطين ، والأمراء والوزراء ، والقضاة ورجال العلم والأدب ، وأصحاب الفنون ، ممن برزوا في ميادين الدراسات الشرعية ، واللغة والنحو ، والدراسات الانسانية ، ودراسات العلوم البحتة ، مما أفاد البحث كثيرا ، لاسيما في الباب الثالث منه ، اضافة الى بقية فصوله الأخرى ، اذ انه قدم معلومات مهمة ودقيقة من خلال تراجمه عن الأحوال والأوضاع المختلفة لنشاط العلماء في مجال العلوم والآداب وعن رواد العلماء في هذا العصر . وتزداد أهمية الكتاب بما يقدمه من تفصيلات تخص فترة البحث مستقاة من كتب مفقودة ، مثل كتاب زينة الدهر ، وذيل كتاب ابن الدبيثي .

ومن كتب التراجم العامة التى أفادت البحث في ميدان دراسة نشاط علماء العصر كتاب تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب[1] لكمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن الفوطي الشيباني البغدادى (المتوفى عام ٧٢٣ هـ/ ١٣٢٣م) المؤرخ الفيلسوف الذى باشر خزانة الرصد في مراغه ، ثم عاد الى بغداد حيث عمل خازنا لكتب المدرسة المستنصرية ، وصنف مصنفات حسانا .

وكتاب الوافي بالوفيات[2] لمؤلفه خليل بن أيبك الصفدى (المتوفى عام ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) .

وكتاب فوات الوفيات والذيل عليه[3] لمحمد بن شاكر الكتبي (المتوفى عام ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) .

---

(١) نشر الجزء الرابع منه بتحقيق مصطفى جواد ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم ، بغداد .
(٢) نشر بتحقيق جماعة من الفضلاء في فيسبادن ، واستانبول ، ودمشق .
(٣) نشر بتحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

هذه المصادر أفاد منها البحث لاسيما في الباب الثالث منه ، حيث المعلومات الخاصة بتراجم العلماء والتي ورد في ثناياها معلومات قيمة لها علاقة مباشرة بالحياة العلمية والتعليمية ، اضافة الى ايرادها تراجم مفيدة عن علماء العصر وأنشطتهم العلمية .

كما استفاد البحث من كتاب تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم[١] للقاضي عزالدين عبد العزيز بن محمد ابن جماعة (المتوفى عام ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) وهو وان كانت المعلومات المستفادة منه محدودة ، غير أنها في غاية الأهمية، لارتباطها بنظام التعليم في الاسلام في الكتاتيب والمعاهد والمدارس ، ولأنها وضحت علاقة الأستاذ بتلامذته ، والشروط والآداب التي ينبغي أن يتحلى بها كل من الأستاذ وتلامذته ، وآداب الدروس ، وخصائص المدرسين والمعيدين ، وسكنى المدارس وشروطه ، وطرق التعليم . وأوقات حضور الدرس ، وما ينبغي للتلميذ احضاره من الأدوات المكتبية ، وكيفية التعامل مع الكتب . . . . الخ ، مما أفاد كثيرا فيما يخص التعليم العام في هذا العصر .

ولقد اعتمد البحث على مجموعة كبيرة من المصادر المتخصصة لتراجم رجال المذاهب ، نخص منها بالذكر ماكان أساسيا في بناء هيكل البحث ، مثل كتاب طبقات الشافعية الكبرى[٢] لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (المتوفى عام ٧٧١هـ/١٣٦٩م) ، وكتاب الذيل على طبقات الحنابلة[٣] لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الدمشق الحنبلي (المتوفى عام ٧٩٥ هـ/ ١٣٩٢م) وكتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب[٤] للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي

---

(١) طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .
(٢) نشر بتحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود الطناحي ، الطبعة الأولى ، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م .
(٣) طبع دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت .
(٤) منشورات دار المسيرة ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(المتوفى عام ١٠٨٩ هـ/١٦٧٨م) .

ان الفائدة المتحققة من هذه المصادر الثلاثة المتخصصة بتراجم رجال المذاهب في هذا البحث لم تكن محدودة ، حيث أمكن الاعتماد عليها في جميع فصول هذا البحث دون استثناء ، فلقد قدمت هذه الأسفار القيمة معلومات كثيرة ومتنوعة خلال استعراضها تراجم المشاهير والعلماء في مختلف التخصصات الشرعية واللغة والأدب، والدراسات الانسانية ، والعلوم البحتة ، حيث أمدت البحث ، لاسيما الباب الثالث منه ، بمعلومات قيمة عن الحركة العلمية ، ونشاط العلماء ومصنفاتهم ، ومدارس ومعاهد هذا العصر .

وبجانب هذه المصادر اعتمد البحث كثيرا على عدد كبير من المصادر والمراجع التي وفرت النصوص الأساسية ، التي أسهمت مجتمعة في بناء البحث بالشكل الذي ظهر فيه . وجميع هذه المصادر والمراجع جرى حصرها في الملحق الخاص بالمصادر والمراجع في آخر هذه الرسالة .

والله ولي التوفيق ، ومنه نستمد العون والقوة ، ونسأله تعالى أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم . . وهو حسبنا ونعم الوكيل ،

الباحث

التمهيد

ملامح الحياة العلمية في العراق
خلال العصر البويهي

التمهيد :

ملامح الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي :

أسرة بني بويه من الديلم[(١)] ومن بلاد جيلان[(٢)] التى تقع الى الجنوب الغربى من بحر قزوين ، وتنتسب هذه الأسرة الى بويه بن فناخسرو الملقب بأبى شجاع[(٣)] وقد استطاع زعماء هذه الأسرة قبل تسلطهم على الخلافة العباسية ، ودخولهم بغداد ، تكوين امارة واسعة ، ضمت الأهواز[(٤)] وكرمان[(٥)] والرى[(٦)] وهمذان[(٧)] وأصبهان[(٨)].

---

(١) الديلم : اسم ماء لبنى عبس فى أقاصى البدو ، والديلم متحصنون فى جبال منيعة. ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ / ص ٥٤٤ ، الحميرى : الروض المعطار / ص ٢٥٥ .

(٢) جيلان : بالكسر ، اسم لبلاد كثيرة من وراء جبل طبرستان ، وقد نسب اليها عدد لا يحصى من أهل العلم فى كل فن . ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ /ص ٢٠٠ .

(٣) أنظر عنه : الاربلى : خلاصة الذهب المسبوك /ص ٢٤٥ ، دائرة المعارف الاسلامية جـ ٤ / ص ٣٥٤ .

(٤) الأهواز : مدينة متصلة بالجبل ، فتحها حرقوص بن زهير السعدى . ياقوت : معجم البلدان جـ ١ / ص ٢٨٤ .

(٥) كرمان : أرض كرمان متصلة بأرض فارس ، وهى ثمانون فرسخا فى مثلها . ياقوت : ن.م.ص جـ ٤ /ص ٤٥٤ . الحميرى : الروض المعطار /ص ٤٩١ .

(٦) الرى : كورة معروفة ، تنتسب الى الجبل ، وليست منه ، بل هى أقرب الى خراسان ، فتحها نعيم بن مقرن . ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ / ص ١١٦ ، ابن حوقل : صورة الأرض / ص ٣٢١ .

(٧) همذان : مدينة من عراق العجم من كور الجبل ، محدثة اسلامية ، كثيرة المياه والزروع والبساتين ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ /ص ٤١٠ .

(٨) أصبهان : مدينة عظيمة من أعلام المدن ، وأصبهان اسم للاقليم بأسره ، وهى من نواحى الجبل . ياقوت : ن.م.ص جـ ١/ص ٢٠٦ .

اتخذ الأمير أحمد بن بويه[1] من الأهواز مقرا لادارة امارته ، وأخذ يمنى نفسه بدخول بغداد ، حاضرة الخلافة العباسية والتحكم فيها وفى الخلافة. وقد تحققت له أمانيه ، ذلك أن سوء الأوضاع المالية المستحكمة ، التى كانت تواجه الخلافة العباسية ، قد دعت الخليفة المستكفى بالله[2] الى المسارعة الى دعوته للقدوم اليه فى بغداد ، فسار اليها فى (جمادى الأولى سنة ٣٣٤ هـ / ١٠ مارس سنة ٩٤٥م) ودخلها دون مقاومة ، حيث قابله الخليفه المستكفى بالله ، واحتفى بقدومه ، فبايعه أحمد ، وخلع الخليفه المستكفى بالله عليه ، وعقد له لواء امرة الأمراء ، ولقبه بمعز الدولة ، ولقب أخاه عليا عماد الدولة[3] كما لقب أخاه الحسن ركن الدولة[4] وأمر أن تنقش ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم[5].

---

(١) أحمد بن بويه بن فناخسرو من ملوك بنى بويه ، توفى سنة ٣٥٦هـ /سنة٩٦٧م. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ / ص ١٤٧.

(٢) أبو القاسم عبد الله بن على ، مات ميتة سيئة بعد أن سمل وعمى وسجن سنة ٣٣٨ هـ/ سنة ٩٤٩م. ابن الطقطقى :الفخرى/ ص ٢٨٧ ، الاربلى : خلاصة الذهب / ص ٢٥٥.

(٣) على بن بويه بن فناخسرو الديلمى ، أبو الحسن ، عماد الدولة ، أول من ملك من بنى بويه . كانت له بلاد فارس ، وعاصمته شيراز . توفى سنة ٣٣٨هـ / سنة ٩٤٩ م . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ٣٩٩ - ٤٠٠.

(٤) الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمى ، ركن الدولة البويهى ، من كبار الملوك فى الدولة البويهية ، كان صاحب أصبهان والرى وهمذان وجميع عراق العجم ، استوزر أبا الفضل بن العميد ، توفى سنة ٣٦٦ هـ / سنة ٩٧٦م . ابن خلكان : ن.م.س جـ ٢ / ص ١١٨.

(٥) لمعلومات أوسع أنظر : مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢ / ص ٨٥ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ / ص ٣٤٠ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٦ / ص ٣١٤.

وبدخول البويهيين بغداد بدأت مرحلة جديدة من مراحل الضعف السياسي ، الذي عاشته الخلافة العباسية ، ذلك أن الخلافة أصبحت تسير وفق أهواء أمراء متغلبين ، لا يؤمنون بشرعية حكم العباسيين ، ولا يضمرون لهم أي احترام أو تقدير.

ففي أيام البويهيين تدهورت مكانة الخليفة العباسي ، وعاش في ظل الأحداث، ذلك أن الخلافة العباسية خلافة أهل السنة والجماعة ، في حين كان بنو بويه من أتباع المذهب الشيعي الزيدي ، وهم بطبيعة الحال لا يؤمنون باقامة أحد من غير العلويين من الفرع الزيدي .(١)

بل لقد اعتقدوا أن الخليفة العباسي مغتصب للسلطة ، ليس له بيعة شرعية وليس واجب الطاعة ، غير أنهم فضلوا أن يبقوه اسميا ليحكموا من خلال حكمه ، ويضمنوا طاعة جمهور الأمة ، الذين يعتقدون وجوب طاعته ، على أن يأتوا بامام زيدي يلزمهم الطاعة ، فتكون مصائرهم مرهونة بأمره .

وهكذا وجد الخليفة أنه قد فقد سلطاته السياسية والادارية والمالية ، ولم يبق له في الحقيقة الا شارات الخلافة ، والخطبة ، والصلاة ، وتعيين القضاة والخطباء وأئمة المساجد وقوامها .(٢)

---

(١) الزيدية : هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي كرم الله وجهه ، ساقوا الامامة في أولاد فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، ولم يجوزوا ثبوت الامامة في غيرهم ، الا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالامامة اماما واجب الطاعة ، سواء أكان من أولاد الحسن أم من أولاد الحسين. وقد تضمن الفقه الزيدي آراء المعتزلة ، ولذلك فقد جوزوا امامة المفضول مع وجود الأفضل . ولمعلومات أوسع أنظر : الشهرستاني : الملل والنحل جـ١/ ص ٢٠٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل جـ٦ / ص ٣١٥ ، الدوري : دراسات في العصور العباسية المتأخرة / ص ٢٤٨ .

لقد شعر البويهيون بنفوذ الخليفة الديني في الأوساط الشعبية وبين الفقهاء على السواء ، وأدركوا مدى التفاف الناس حوله ، وتمسكهم به ، ولذلك نجدهم يمارسون " التقية " وهي من صلب عقيدتهم المنحرفة ، حيث انهم أظهروا الولاء والطاعة للخليفة ، والتنافس على طلب مرضاته ، وذلك لضمان طاعة الناس لهم، وتأكيد شرعية حكمهم. أما في الواقع فقد جردوا الخليفة من أغلب اختصاصاته ، وتجردوا من كل احترام أو تقدير له .(١)

كما كان للسياسة التي انتهجها البويهيون في العراق أسوأ الأثر على الأوضاع العامة ، اذ تسببوا في تدهور الأحوال ، فقد تحزبوا لطائفيتهم وقدموا الشيعة العلوية في الوظائف والمصالح ، مما نجم عنه اشتعال الفتن الطائفية التي أدت الى شيوع الفوضى والاضطراب ، اضافة الى انتشار حالة الخوف وفقدان الأمن والاستقرار .

ولم يكتف البويهيون بالاستبداد بالسلطة دون الخلفاء ، بل ذهبوا الى أبعد من ذلك ، فقد شاركوهم في شاراتهم الوظيفية الخاصة بهم. ولم يعد الخليفة يتفرد باختصاص الدعاء له والولاء لحكمه في خطب الجمعة على منابر المساجد الجامعة في طول الدولة الاسلامية وعرضها ، بل أشرك معه الدعاء للأمير البويهي ابتداء من عهد الأمير عضد الدولة (٢) والذي بلغت به الغطرسة والاستهتار حدا جعله يأمر بافراد الدعاء له ، ومنع أن يرد في الخطبة ذكر بالدعاء للخليفة الطائع لأمر الله (٣)

---

(١) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢ / ص ٣٠٧ .

(٢) سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٥٦ وعضد الدولة هو أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة البويهي ، كان أعظم سلاطين زمانه ، توفي ببغداد سنة ٣٧٢هـ / ٩٨٢م. الثعالبي : يتيمة الدهر جـ ٢ / ص ٢١٦ ، ابن الجوزي : المنتظم جـ ٧ / ص ١١٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٥٠ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ ٤ / ص ١٤٢ .

(٣) هو عبد الكريم أبو بكر الطائع لأمر الله ، بويع بالخلافة سنة ٣٦٣هـ/سنة ٩٧٣م ، وقويت في عهده شوكة آل بويه. ابن الطقطقي : الفخري / ص ٢٩٠ .

مدة شهرين ، بسبب جرأة الخليفة واختلافه معه .(١)

والخلاصة ان السلطة الحقيقية فى الدولة انتقلت من يد الخلفاء العباسيين الى أيدى أمراء بنى بويه وأعوانهم .

ومما هو جدير بالذكر أن بعض الأمراء البويهيين قد حاولوا القيام باصلاحات اقتصادية فى العراق ، تتمثل فى محاولات اصلاح نظام الرى ، وتحسين أوضاع المزارعين والزراعة ، وقد قام بها كل من الأمير معز الدولة والأمير عضد الدولة ، فأسهمت الى حد ما فى تحسين معدلات الانتاج الزراعى .(٢)

على أن نظام الاقطاع الذى توسع الأمراء البويهيون فى استخدامه قد تسبب فى تدهور واردات بيت المال ، فى وقت كانت الدولة فيه بحاجة ماسة الى الأموال ، فاستحكمت الأزمة المالية ، ولم تعد الواردات كافية لمواجهة النفقات على الزراعة وعلى الجيش .

ولقد أقطع الأمير معز الدولة الكثير من الاقطاعات للقواد وكبار الموظفين والجند ، لاسترضائهم وتقوية جانبهم ، ولكن ذلك لم يقلل من نهم الجميع فى جمع أموال العامة لمصلحتهم مستغلين مناصبهم . وبذلك فشلت محاولات معز الدولة فى اصلاح نظام الرى والزراعة ، فقد أدى ذلك الى ارهاق بيت المال ، حيث قلت موارده .(٣)

هذا بالاضافة الى أن الأمير معز الدولة كان مسرفا فى الانفاق على قواته العسكرية ، مما نجم عن ذلك افلاس بيت المال . وقد أشار مسكويه الى ذلك بقوله : " فتعذر عليه أن يدخر ذخيرة لنوائبه ، أو أن يستفضل شيئا من ارتفاع ،

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ١٦٥ .
(٢) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢ / ص ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ٤٠٦ .
(٣) ن.م.ص جـ ٢ / ص ٩٨ .

ولم تزل مؤونته تزيد ، وموارده تنقص ، حتى حصل عليه عجز لم يكن واقفا على حد منه بل يتضاعف تضاعفا متفاقما ".[١]

وزاد الحالة سوءا أن الأمراء الذين جاءوا بعد معز الدولة - باستثناء عضد الدولة - لم يتمتعوا بعقلية سياسية ناضجة، أو حزم اداري مطلوب ، مما عجل في ارباك أمور الدولة ، واتجاه مؤسساتها المختلفة نحو الانهيار " فقد شغل بختيار[٢] نفسه باللهو واللعب ومعاشرة المساخر والمغنية "[٣]" وكان لا ينظر في دخل ولا خرج ، وانما يلزم وزيره تمشية الأمور ، ولا يمنع أحدا من جنده شيئا ، فاذا أوقفت أموره قبض على وزيره ، واستبدل به ، فلا يلبث الأمر أن يعود من الالتياث[٤] والانحلال الى أسوأ ما كان ".[٥] وعموما فقد كانت السياسة البويهية في العراق بشكل عام مضطربة وفاشلة ، لاتباعهم سياسة مذهبية تقوم على مناصرة المذهب الشيعي . وقد أثر ذلك كثيرا على نواحي الحياة العامة المختلفة ، اذ حدث الانشقاق في صفوف الأمة ، وكان أثره بالغا في تدمير روح الانتماء ، وفي شعور الناس بالضعف واليأس ، وتمزيق الصف الاسلامي ، وشيوع الخوف والقلاقل والفتن ، وسوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية .

وعلى الرغم مما ساد العراق في هذا العصر من التعصب المذهبي ، والفساد الاداري والسياسي ، والانهيار الاقتصادي ، فان ذلك لم يكن انعكاسه سريعا أو مباشرا على الحركة العلمية والأدبية والفكرية في العراق ، والمشرق الاسلامي .

---

(١) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢ / ص ٩٩ .

(٢) بختيار : أبو منصور عز الدولة ابن معز الدولة ، أحد سلاطين العراق من بني بويه توفي سنة ٣٦٧هـ/سنة ٩٧٨م . الثعالبي : يتيمة الدهر جـ ٢/ ص ٤ ، ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب جـ ١ / ص ٤٢ .

(٣) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢ / ص ٩٩ .

(٤) الالتياث : الاختلاط والالتفاف ، يقال : التاثت الخطوب ، اذا كثرت وتفاقمت . وأنظر : ابن منظور (لسان العرب - لوث) جـ ٢ / ص ١٨٧ .

(٥) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢/ ص ٣٠٧ .

فلقد عاش المجتمع فى هذا العصر نهضة علمية شاملة ، نشطت فيها العلوم على اختلاف أنواعها ، وصارت بغداد عاصمة الخلافة العباسية قبلة للعلم والمعارف فى العالم . ولقد كان للأمراء البويهيين دورهم على كل حال فى ابقاء بغداد مركزا للاشعاع العلمى، ذلك أنهم ضموا الى بلاطهم نخبة كبيرة من رجالات العلم والأدب ، وجمهرة فاضلة من رواد الفكر الاسلامى ، واحتشد فيها طائفة من العلماء والشعراء ورجال اللغة والبيان قل أن تحتشد فى عصر واحد ، وفى مركز واحد .

ولعل من حسن حظ العلم والأدب فى هذا العصر أن يتنافس أولوا الأمر فى الدولة فى الاستكثار من العلماء والأدباء والشعراء، فيجمعوهم حولهم، ويلحقوهم بمجالسهم باعتبار أن ذلك من مظاهر الجاه والسلطان ، وواسطة لذيوع شهرتهم وانتشارها فى البلدان . وقد كان للتنافس بين الأمراء أثره فى الصعود بأهمية ومكانة العلم والثقافة . هذا اضافة الى الحاجة لأساطين البيان ورؤساء صناعة الكتابة ، حيث وجدوا فيهم ضالتهم لضبط الأمور ، واضافة كذلك الى ما يمكن أن يعكس وجودهم من الأبهة والمقام السامى ، والتسبب فى التفاف الناس حولهم .

وينبغى ألا ننسى أن بعض الأمراء والوزراء البويهيين كان محبا للعلم والعلماء بل وكان فيهم من يشارك العلماء والأدباء والشعراء فى علمهم وأدبهم وشعرهم ، مثل معز الدولة البويهى الذى كان شاعرا ، وأديبا ، أحب الشعراء والأدباء، وقربهم الى بلاطه ، وآثر مجالس العلماء والأدباء على غيرهم .

وكذلك عز الدولة الذى كان محبا للعلماء والأدباء والشعراء ، وقد أشار أبو حيان التوحيدى [1] الى احدى الندوات التى حضرها فى مجلس عز الدولة فقال :

---

(١) على بن محمد التوحيدى البغدادى ، فيلسوف متصوف معتزلى ، صحب ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وله مؤلفات جيدة ، منها الامتاع والمؤانسة ، المقابسات ، الصداقة والصديق ، مثالب الوزيرين وغيرها . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢/ ص ١١٢ ، السبكى : طبقات الشافعية جـ ٤/ص ٢ .

" لقد رأيت أبا عبد الله البصرى ، فى مجلس عز الدولة سنة ٣٦٠ هـ /سنة ٩٧٠م فى شهر رمضان والجماعة هنا أبو حامد المروزى [١] ، وأبو بكر الرازى [٢] ، وعلى بن عيسى [٣] ، وابن نبهان ، وابن كعب الأنصارى ، والأبهرى [٤] ، وابن طرارة [٥] ، وأبو الجيش شيخ الشيعة ، وابن معرف [٦] ، وابن أبى شيبان ، وابن قريعة [٧] ، وناس كثير . وهو فى ايوان فسيح ، فى صدره من حضروا من أجله ، وأبو الوفاء البوزجانى [٨] المهندس ، نقيب المجلس ومرتب القوم فسئل البصرى عن مسألة . . . . . " [٩]

أما عضد الدولة البويهى فقد كان أعظم الأمراء البويهيين علما وسياسة ، وجرأة وهيبة ، لم يبلغ أحد منهم مبلغة من سعة الملك والسلطان ، فكان عالما حكيما ، تعلم العلم ودرسه على أيدى نخبة ممتازة من المعلمين الذين اشتهروا بالعلم والمعرفة ، وقد قصده علماء بغداد على اختلاف علومهم وثقافتهم ، وأجرى الرواتب والنفقات لرجال الدين والمفسرين والشعراء والنحاة والأطباء والمترجمين والمهندسين وغيرهم . " وكان فضلا عن ذلك يجالس العلماء ، ويعارضهم فى كثير من المسائل العلمية ، ويتشاغل بالعلم والأدب " [١٠] وقد أفرد هذا الأمير فى داره للحكماء والفلاسفة موضعا يقرب من مجلسه ، وكان مجلسه ندوة للمناظرات العلمية والأدبية وقد نقل لنا القفطى مثلا من تلك المناظرات فقال : " دار البحث ذات يوم فى

---

(١) أنظر عنه : ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ / ص ٦٩ .
(٢) ن.م.س جـ ٥ / ص ١٥٧ ، ابن النديم : الفهرست / ص ٢٩٣ .
(٣) ابن أبى أصيبعه: عيون الأنباء / ص ٣٢٣ .
(٤) ابن النديم : الفهرست / ص ٢٨٣ .
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ / ص ٢٢١ .
(٦) ن.م.س جـ ٢ / ص ٧٨-٧٩ .
(٧) ن.م.س جـ ٤ / ص ٣٨٢ .
(٨) ابن النديم : الفهرست / ص ٣٩٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ / ص ٨٠ ، القفطى : أخبار العلماء / ص ١٨٨ .
(٩) الثعالبي : نثر النظم وحل العقد / ص ٢ .
(١٠) الثعالبى : يتيمة الدهر جـ ٣ / ص ١٩٥ .

مجلس عضد الدولة حول الفرق بين النحو العربي والنحو اليوناني وأصل استنباطهما[1].

وقد صنف لعضد الدولة الكثير من الكتب ، منها كتاب التاجي صنفه له أبو اسحاق الصابي[2] وهو كتاب في أخبار الدولة الديلمية ودورها في التاريخ . وقد صنف له الشيخ أبو علي الفارسي[3] كتاب الايضاح ، وكتاب التكملة في النحو، وكتاب الحجة في القراءات ، وكتاب العضدي[4] . وصنف له علي بن عباس المجوسي الكتاب الملكي في الطب[5] .

وكان وزراء البويهيين قد ساروا على نهج أمرائهم في العناية بالعلوم والآداب وبالعلماء والمفكرين . فالوزير ابن سعدان[6] وزير الأمير صمصام الدولة[7] أحد هؤلاء الوزراء ، وكان بيته منتدى يجتمع فيه العلماء والأدباء ، منهم أبو علي عيسى بن زرعة الفيلسوف النصراني[8] ، وابن مسكويه[9] صاحب تجارب الأمم ، وأبو حيان التوحيدي .

---

(١) القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٨٣ .

(٢) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢ / ص ١٩١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ / ص٢٥ .

(٣) ابن خلكان : ن.م. س جـ ٢ / ص ٨٠ .

(٤) القفطي : انباه الرواة جـ ٢ / ص ٢٨٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل جـ ٧ / ص ٣٨٧ ، القفطي : أخبار العلماء / ص ١٥٥ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣١٩ .

(٦) ابن سعدان : أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان ، ظل في الوزارة الى سنة ٣٧٥هـ/سنة ٩٨٥م . ابن النديم : الفهرست/ص ١١٨ ، التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ص/ح ، أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم / ص ٨٥ .

(٧) صمصام الدولة أبو كاليجار المرزبان البويهي توفي سنة ٣٨٨هـ/سنة ٩٩٨م . دائرة المعارف الاسلامية جـ ١٤/ ص ٣٢٨ .

(٨) ابن النديم : الفهرست / ص ٣٦٩ ، القفطي : أخبار العلماء/ص ١٦٣ .

(٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ / ص٤٠٥ ، جـ ٥ /ص ١٣٧ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء/ص ٣٣١ .

هذا بالاضافة الى أن ابن سعدان نفسه كان واسع الاطلاع والمعرفة. وكانت تناقش في مجلسه موضوعات فلسفية بالغة الأهمية ، وكان ابن سعدان يعتز غاية الاعتزاز بهذه المجالس العلمية ، فكان يفاخر بها الأمراء والوزراء ، وقد قال عن مجالسه هذه " والله مالهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير ، وانهم لأعيان أهل الفضل ، وسايرة ذوى العقل ، وان جميع ندماء المهلبى (١) لا يفون بواحد من هؤلاء ، وان جميع أصحاب ابن العميد (٢) يشتهون أقل من فيهم ، وان ابن عباد (٣) ليس عنده الا أصحاب الجدل الذين يشغبون ويتصايحون " (٤).

ومن شجع العلم ، واهتم بالعلماء من وزراء الدولة البويهية أبو الفضل محمد بن العميد ، كان وزير ركن الدولة الحسن بن بويه ، وكان ابن العميد من ألمع شخصيات عصره ، علما وأدبا وسياسة ، فقد كان عالما بالفلسفة والنجوم ، فضلا عن الأدب

---

(١) الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون وزير عضد الدولة توفى سنة ٣٥٢هـ / سنة ٩٦٣م كان من كبار الأدباء الشعراء ، ومن رجال الحزم والدهاء. مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢/ص ١٢٣ ، الثعالبى : يتيمة الدهر جـ ٢/ص ٨ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ / ص ٩ .

(٢) أبو الفضل محمد بن العميد الكاتب ، وزير ركن الدولة أبى الحسن على بن بويه ، كان متوسعا فى علوم الفلسفة والنجوم ، أما الأدب والترسل فلم يقاربه أحد فى زمانه ، توفى سنة ٣٦٠ هـ / سنة ٩٧٠م . الثعالبى : يتيمة الدهر جـ ٣ / ص ١٥٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ / ص ١٠٣ ، العماد الحنبلى : الشذرات جـ ٣ / ص ٣١ .

(٣) أبو القاسم اسماعيل بن الحسن بن عباد الطالقانى ، أديب لغوى ، له مؤلفات منها : المجمل فى اللغة ، المحيط ، الكافى ، الوزراء ، وزر لمؤيد الدولة البويهى ثم لفخر الدولة ، توفى سنة ٣٨٥ هـ / سنة ٩٩٥م. الثعالبى : يتيمة الدهر جـ ٣/ ص ١٩٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٢٨ وياقوت : معجم الأدباء جـ ٦ / ص ١٦٨ .

(٤) التوحيدى : رسالة الصداقة والصديق / ص ٨٣ .

والترسل ، يقرب أهل العلم والأدب ، ويغدق عليهم الهبات . حفلت مجالسه بطوائف العلماء والأدباء ، وعقد مجالس علمية مختلفة ، للفقهاء يوما ، وللأدباء يوما، وللفلاسفة يوما ، ذكر لنا أبو حيان التوحيدى جانبا من مجالسه المهمة التى عقدها فى بغداد فقال : " دخل شهر رمضان ، فاحتشد وبالغ ، ووصل ووهب ، وجرت فى هذه المجالس غرائب العلم ، وبدائع الحكمة " (١) . وكان ممن يرتادون مجلسه ثابت بن ابراهيم بن زهرون الحرانى (٢) وجمهرة من العلماء (٣) .

وكانت أغلب اهتمامات ابن العميد متمثلة فى الأدب والشعر والترسل ، فكان مجلسه يضم غالبية عظمى من هذه الطائفة (٤) .

أما الوزير محمد بن الحسن بن صالحان فقد كان له مجلس خاص يحضره أهل العلم والمعرفة ، وكان كثير العطاء والهدايا لأهل العلم وحملة الفكر (٥) .

والصاحب بن عباد هو الآخر كان من الوزراء الذين كان لهم فضل فى ازدهار الحركة العلمية والفكرية فى هذا العصر ، وقد وزر لمؤيد بن ركن الدولة البويهى (٦) ، وكان الصاحب أديبا عالما فى اللغة والأدب ، أخذهما عن طائفة من العلماء والأدباء ، وعلى رأسهم ابن العميد (٧) ، وازدهرت مجالسه بجمهرة كبيرة من رواد العلم والأدب والشعر ، وفدوا اليه من كل صوب يمدحونه تارة ، ويتناظرون فى مجلسه تارة أخرى ،

---

(١) التوحيدى : مثالب الوزيرين / ص ٣٧٠ .
(٢) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٢٩٥ ، القفطى : أخبار العلماء / ص ٧٨ .
(٣) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول جـ ٩ / ص ١٤٣ .
(٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ٤ / ص ١٤٢ .
(٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ / ص ٢٣ .
(٦) مؤيد الدولة ابن منصور بويه بن ركن الدولة البويهى ، توفى سنة ٣٧٣ هـ / سنة ٩٨٣ م ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ / ص ٢٢٩ .
(٧) ابن النديم : الفهرست / ص ٢١٢ .

اشتهر منهم أبو الحسين السلامي[(١)] ، وأبو بكر الخوارزمي[(٢)] ، وأبو طالب المأموني ، وأبو دلف الخزرجي[(٣)] ، وأبو الحسن البديهي[(٤)] وغيرهم .

والى جانب هذه المجالس الزاهرة ، وما حظيت به من رعاية الأمراء والوزراء ، كانت هناك عوامل أخرى أسهمت في ازدهار الفكر والحركة العلمية في هذه الحقبة من تاريخ الدولة العباسية . فلقد كان لشيوع الكتب ومراكز التعليم والمكتبات الخاصة والعامة دور كبير في تحقيق ذلك ، فلقد ظهر خلال هذه الفترة العديد من المراكز التعليمية ، اتخذت من المساجد الجامعة مقرا لها ، فكانت أشبه ما تكون بالمدارس الى حد كبير . منها جامع المنصور ببغداد ، الذي كان عظيم المكانة التعليمية منذ انشائه . أما المسجد الجامع في البصرة فقد كان من المراكز العلمية المهمة في العراق ، هذا بالاضافة الى المساجد الجامعة في المدن الكبرى ، مثل سر من رأى ، وواسط ، والكوفة ، وغيرها .

أضف الى ذلك أن المستشفيات " البيمارستانات " قد استقرت أحوالها خلال العصر العباسي الثاني ، وتطورت حتى أصبحت - بالاضافة الى واجبها في رعاية المرضى وصرف الأدوية لهم - مراكز للتعليم والتدريب العملي ، يتولى التعليم فيها الاختصاصيون في العلوم الطبية ، وكان الطلبة يجتمعون في القاعة الكبرى بالمستشفى ، حيث يتلقون دروسهم من أساتذتهم ، ويشاركونهم في عيادة المرضى ، واجراء الفحوص لهم ، والتعرف على أعراض أمراضهم ، والتدريب على تشخيصها ووصف العلاج والأدوية والعقاقير المطلوبة[(٥)] .

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد جـ ١٠ / ص ١٤٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ / ص ٥٢١ .
(٢) ابن النديم : الفهرست / ص ٢٨٣ .
(٣) ن . م . س / ص ١٦٩ .
(٤) الثعالبي : يتيمة الدهر جـ ٣ / ص ٣٢ .
(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٢٣ .

ومن المراكز العلمية التى كان لها أكبر الأثر فى اثراء الفكر وتقدم العلوم فى هـذا العصر خزائن الكتب ، التى كانت دائما ملتقى العلماء وعشاق المعرفة ، وميـدانا للمناظرات والمناقشات والمطارحات العلمية ، ومن أشهر تلك الخزائن خزانـة عضد الدولة البويهى ، والتى كان يقوم عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد[(١)] .

ومما يجدر ذكره أن الصاحب بن عباد قد جمع من الكتب ما يحتاج فى نقله الى أربعمائة جمل[(٢)] .

ومن المكتبات الشهيرة أيضا مكتبة الأمير حبشى بن معزالدولة البويهى[(٣)] والتى كان عدد مافيها من الكتب أكثر من خمسة عشر ألف مجلد[(٤)] . وكذلك مكتبة ابن العميـد ، التى كانت تضم عددا كبيرا من نفائس الكتب ، وكان ابن العميد يرى أن المكتبة هـى أعز ما يملك . وقد أشار ابن مسكويه الى محتوياتها من الكتب فقال : " كانت كثيرة ، فيها كل أنواع الحكم والأدب ، تحمل على مائة وقر وزيادة "[(٥)] .

وهناك الخزانة الحيدرية فى النجف ، وخزانة بيت الحكمة العامة ، وخزانـة دار سابور فى بغداد ، التى كانت كعبة العلماء والأدباء ، يقصدونها فى أى وقت للقراءة والمتابعة والدرس ، اضافة الى عدد كبير من الخزائن العامة والخاصةالمنتشرة فى العراق فى هذا العصر[(٦)] .

وينبغى ألا نهمل فى هذا المجال منازل العلماء ، التى كانت مراكز مضيئـة لتلقى العلم والمعرفة ، يلتقى فيها أعداد من مريدى العلم ، حيث كانت تعقـد الندوات والمناظرات العلمية والأدبية .

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم / ص ٤٤٩ .
(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٧/ ص ٢١١ .
(٣) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢ / ص ٢٤٦ .
(٤) ن.م.ص جـ ٢ / ص ٣١٤ .
(٥) ن.م.ص جـ ٢ / ص ٢٢٤ .
(٦) لمعلومات أوسع عن مكتبات هذا العصر أنظر كتاب. كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة فى العراق ، بغداد ، سنة ١٩٤٨م .

ولابد لنا في هذه العجالة أن نذكر نبذة عامة ومختصرة عن محاور النشاط العلمي والأدبي في هذا العصر. فلقد كان القرآن الكريم، وقراءاته، وتفسيره، وعلومه، محورا رئيسيا لأنشطة العلماء والباحثين في الدراسات الشرعية واللغوية، أمثال نتاج المقرئ المفسر أبو بكر العطار المتوفى (سنة ٣٥٤هـ/سنة ٩٦٥م) الذي صنف "كتاب الاحتجاج"[(١)]، وأبي الحسن علي بن عيسى الرماني المتوفى (سنة ٣٨٥ هـ / سنة ٩٩٥م) الذي كان عالما في علم الكلام والفقه واللغة، والذي ألف تفسيرا للقرآن الكريم.[(٢)] أما أبو بكر النقاش شيخ المعتزلة ببغداد المتوفى (سنة ٣٥١ هـ / سنة ٩٢٢م) فانه ألف تفسيرا كبيرا يقع في اثني عشر ألف ورقة، بالاضافة الى كتاب "شفاء الصدور المهذب في تفسير القرآن".[(٣)] وقد برز بعد ذلك أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر البغدادي المتوفى (سنة ٤١٠هـ/سنة ١٠١٩م) الذي كان يلقي دروسه في جامع المنصور ببغداد، والذي ألف كتاب "الناسخ والمنسوخ في القرآن".[(٤)]

أما الحديث فمن رواده في هذا العصر أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني الشافعي، والذي سمع من خلق كثير في العراق والشام ومصر، وتوفي ببغداد (سنة ٣٨٥ هـ / سنة ٩٩٥م) وكان من أكبر محدثي القرن الرابع الهجري، وقد ألف العديد من المصنفات منها "كتاب السنن" و"كتاب الصفات" و"أحاديث النزول" و"كتاب الضعفاء والمتروكين"، و"العلل الواردة في الأحاديث النبوية" وغيرها.[(٥)]

---

(١) آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري جـ ١/ ص ٣٦١.
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣/ص ٢٩٩، وأنظر متز : الحضارة الاسلامية جـ ١ / ص ٣٦٥.
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٢٩٨.
(٤) الخطيب : تاريخ بغداد جـ١٤ /ص٧٠، السيوطي : بغية الوعاة / ص ٤٠٧.
(٥) الخطيب : تاريخ بغداد جـ١٢ /ص٣٤، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣/ ص ٢٩٧، السبكي : طبقات الشافعية جـ٢/ص ٣١٠، الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ٣/ص ١٩٩، اليافعي : مرآة الجنان جـ ٢/ ص ٤٢٥.

أما الفقه وعلومه ، فلقد تميز وانفرد عن العلوم الشرعية الأخرى في هذا العصر ، فأصبح العلماء فريقين : الفقهاء ، والعلماء على الحقيقة .[١] هذا بالاضافة الى نهوض علم الكلام بعد أن تخطى ماكان يكبله من قيود وعقبات ، واشتهر من رجال الفقه الحنفي أبو الحسن عبد الله الكرخي (المتوفى سنة ٣٢٠هـ/سنة ٩٥٢م) له العديد من المصنفات منها "رسالة في الأصول" و "كتاب مختصر الكرخي"[٢] وغيرها من الكتب .

ومن شيوخ الحنفية أيضا أبو الحسن أحمد بن محمد القدورى البغدادى (المتوفى سنة ٤٢٨ هـ / سنة ١٠٣٧ م) رئيس الأحناف في عصره ، والذى ألف "متن القدورى" و "مختصر القدورى" .[٣]

أما اللغة العربية فلقد حظيت بنصيب كبير من العناية في العصر البويهي ، ولعل ذلك بسبب رد الفعل الناجم عن تسلط الأعاجم . فلقد شهد هذا العصر فتحا جديدا في مجال العلوم العربية ، في ميدان النحو ، والمعاجم اللغوية . ويبدو أن أئمة اللغة في هذا العصر قد شعروا بالحاجة الى منهج علمي دقيق يسيرون عليه ، والى تناول مادة بحثهم بطريقة منظمة ،[٤] ولعل ذلك يوضح لنا السبب الذى دفع أحمد بن فارس الرازى المتوفى (سنة ٣٩٥هـ/سنة ١٠٠٤م) الى أن يصنف "كتاب المجمل" حافلا بالشواهد .[٥] ولقد أثرت اللغة العربية في هذا العصر لأسباب عديدة فقد

---

(١) متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى جـ ١ / ص ٣٢٠ .

(٢) ابن النديم : الفهرست / ص ٢٠٨ ، ابن العماد : الشذرات جـ ٢/ ص ٢٨٧ ، القرشي : الجواهر المضية جـ ١/ ص ٣٣٧ .

(٣) الخطيب : تاريخ بغداد جـ ٤/ ص ٣٧٧ ، القرشي : الجواهر المضية جـ١/ ص ٩٣ .

(٤) متز : الحضارة الاسلامية جـ ١/ص ٤٣٥ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي جـ ٢ ص ٤٧ .

(٥) الثعالبي : يتيمة الدهر جـ ٣/ص ٢١٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/ص ١١٨ .

" كان أبو علي الفارسي[1] وتلميذه ابن جني[2] رافعي لواء توسيع اللغة عن طريق القياس ، فخرجا على الناس بطريقة جديدة تخالف طريقة الآخرين المحافظين "[3].

على أن أكبر ما تم على أيدى علماء اللغة فى هذا العصر هو تحديد معانـــى الكلمات وعمل المعاجم[4]. هذا اضافة الى أن النحو قد نال حظه فى هذا العصـر من العناية والاهتمام. ولقد أدى الخلاف بين البصريين والكوفيين الى قيام مذهب نحوى جديد ، عرف بمذهب البغداديين ، تمثل فى وجهات نظر جماعة من العلماء المبرزين[5]. ولقد برز من علماء النحو فى هذه الفترة عبد الرحمن بن اسحاق الزجاج المتوفى (سنة ٣٢٩ هـ / سنة ٩٥٠م) وله " كتاب الجمل في النحو "[6]، وأبوالحسن على بن ابراهيم المتوفى (سنة ٣٤٠هـ/سنة ٩٥١م) وله كتاب " اعراب القــرآن "[7]، وأبو بكر محمد بن السرى النحوى ، المعروف بابن السراج ، المتوفى (سنة ٣٦٠هـ /سنة ٩٧٠م) وله كتاب " الأصول في النحو "[8]. وعلى بن محمد الهروى الذى كان

---

(١) توفى سنة ٣٧٧هـ/سنة ٩٨٧م التحق ببلاط عضد الدولة وصنف له عددا من الكتب ابن النديم : الفهرست/ص ٦٤ ، ابن الانبارى : نزهة الألباء /ص ٣٨٧.

(٢) أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى توفى سنة ٣٩٢هـ/سنة ١٠٠٢م. الثعالبى : يتيمة الدهر جـ ١/ ص ٧٢، ابن الانبارى : نزهة الألباء /ص ٤٠٦، السيوطى : بغية الوعاة / ص ٣٢٢، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣/ص ٢٤٦.

(٣) كمالة : اللغة العربية وعلومها /ص ١٧.

(٤) متز : الحضارة الاسلامية جـ ١ / ص ٤٣٥.

(٥) كمالة : اللغة العربية وعلومها / ص ١١٩.

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣/ ص ١٣٦.

(٧) ن.م.س جـ ٣ / ص ٣٠٠.

(٨) ن.م.س جـ ٤ / ص ٣٣٩.

حيا (سنة ٣٧٠هـ/سنة ٩٨٠م) وله كتاب " الذخائر في النحو " وكذلك كتاب " المرشد في النحو ".[1] وعلى بن عيسى الرمانى النحوى الذى كان من أفاضل النحويين البغداديين (توفى سنة ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤م) والذى صنف فى النحو " كتاب الحدود الأكبر " وكتاب " الحدود الأصغر " وكتاب " شرح كتاب سيبويه " ، وكتاب " الايجاز فى النحو ".[2] وأبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى (سنة ٣٩٢ هـ / سنة ١٠٠١م) ، وله " كتاب اللمع " ، "وكتاب الخصائص" وكلاهما فى النحو . هذا اضافة الى عدد آخر كبير من النحاة عاشوا فى هذا العصر .

ولقد عنى علماء النحو فى هذا العصر بدراسات جديدة فى الصرف والبلاغة، نذكر منهم ، على سبيل المثال لا الحصر ، أبا على أحمد بن على الفارسى ، وأبا الفتح عثمان بن جنى ، الذى كان رائدا فى التصريف وفقه اللغة فى كتابه " التصريف الملوكى ".[3]

أما الأدب فيعد هذا العصر بحق زبدة الحقب ، حيث كان للأدب فى كل مصر مرتع ، فلا تكاد تضيق بشاعر أو أديب أو كاتب مدينة حتى ينتقل الى غيرها ، ليحل فيها على الرحب والسعة . واشتد فى هذا العصر التنافس بين الشعراء والأدباء ، وظهرت فيه المقامات على يد بديع الزمان الهمذانى[4] كلون جديد من ألوان الأدب ، عولجت فيه اللغة ، وظهر السجع ، وانعكس فيه مدى اهتمام الأدباء ، على يد ابن العميد ، وابن عباد ، والمهلبى ، وأصبح هو الأسلوب المتبع فى طريقة كتابة الرسائل السلطانية والاخوانية[5] ، وحيث ان الأدب مرآة تعكس صورا للحياة ، فما المقامات الا وليدة مظاهر جديدة ، ظهرت فى هذه الحقبة .

---

(١) ابن النديم : الفهرست / ص ١٢٦ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ٢٩٩ .
(٣) كحالة : اللغة العربية وعلومها / ص ١٤٣ .
(٤) أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذانى توفى سنة ٣٩٨ هـ / سنة ١٠٠٧م . الثعالبى : يتيمة الدهر جـ ٤/ ص ٢٥٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/ص١٢٧ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ٢/ص ١٦١ .
(٥) متز : الحضارة الاسلامية جـ ١ / ص ٤٥٠ .

ولقد خلف شعراء هذا العصر ثروة جليلة من الانتاج الرائع ، اضافة الى ما أحدثوه من تطورات عميقة فى الأدب وأساليبه ، ولعل الشاعر المتنبى[١] و " ديوانه " خير مثال على ذلك ، فلقد أثار هذا الشاعر نشاطا أدبيا جليلا فى مراكز الدراسات الأدبية ، ونشطت حركة النقد الأدبى كثيرا فى معالجة انتاجه ، سواء أكان ذلك فى حياته أم بعد وفاته .

ومثل ذلك جرى بين أنصار شعر أبى تمام الطائى[٢] المعجبين به ، وبين أولئك الذين أظهروا اعجابهم وتقديرهم لشعر البحترى[٣] ولعل ذلك هو ما دفع الآمدى المتوفى (سنة ٣٧٠ هـ/ سنة ٩٨٠م)[٤] الى وضع كتاب " الموازنة بين الطائيين " .

وظل الشعر فى هذا العصر محتفظا بحيويته وقوته ، ملتزما بأغراضه الموروثة ، فلم يحفل عصر من عصور الاسلام بظهور عدد من الشعراء يضاهى ماظهر فى هذه الفترة ، فقد ذاع فيها صيت المتنبى[٥] ، وابن العميد ، وابن عباد ، والخوارزمى[٦] ، وبديع الزمان[٧] ، والصابى ، والتوحيدى ، والشريف الرضى[٨] وكشاجم ريحانة أهل الأدب[٩] والسلامى الشاعر المتوفى (سنة ٣٩٤هـ/سنة ١٠٠٣م)[١٠] .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ / ص ٥٠ .

(٢) ن.م.س جـ ٢/ص ١١ .

(٣) ن.م.س جـ ٦/ص ٢١ .

(٤) ابن النديم : الفهرست / ص ٢٢١ ، القفطى : انباه الرواة جـ ١/ ص ٢٨٥ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ٨/ص ٧٥ ، السيوطى : بغية الوعاة/ ص ٢١٨ .

(٥) أنظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/ ص ١٢٠ ، دائرة المعارف الاسلامية جـ ١/ ص ٣٦٣ .

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦/ص ٣٥٥ ، ياقوت: معجم الأدباء جـ١/ص١٠١ .

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ / ص ١٢٧ .

(٨) ن.م.س : جـ ٤/ ص ٤١٤ .

(٩) ابن النديم : الفهرست / ص ٢٠١ .

(١٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ / ص ٤٠٣ .

أما العلوم الانسانية فقد نالت في هذا العصر نصيبا وافرا من الدراسة والتحقيق ، وبرز الاهتمام بشكل خاص في ميدان التاريخ ، ودراسة الأقاليم والبلدان . ولقد تنوعت الاتجاهات في التأليف التاريخي ، فمع استمرار الاهتمام بتاريخ السير والفتوح ، وتاريخ الأنساب والطبقات ، وكذلك تاريخ الأمم الشامل لأخبار القدماء والمحدثين . ظهرت اتجاهات جديدة ، يمكن ملاحظتها بوضوح في هذا المجال ، فلقد عرف عن أبي الحسين هلال بن المحسن الصابي المتوفي (سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) انه عنى بتواريخ الرجال وكتب الأنساب وصنف فيها كتاب " الأماثل والأعيان " وكتاب " تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء " .(١) وقد برز في هذا المجال أيضا أحمد بن ابراهيم بن الحسن ، الذي عاش في بغداد أول القرن الخامس ، وصنف كتاب " المصابيح من أخبار المصطفى والمرتضى والأئمة من ولدهم الطاهرين "(٢) مما يعكس انسجاما مع الخط المتغلب في الدولة . كما ألف الشيخ غرس النعمة أبو الحسن بن هلال الصابي كتاب " عيون التواريخ " .(٣) أما في تواريخ الخلفاء والعالم فممن برز في

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦/ص ١٠١ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي جـ ٦/ ص ٣٥ .

(٢) الثعالبي : يتيمة الدهر جـ ٣/ص ١١٨ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي جـ ٦ / ص ٣٧ .

(٣) محمد بن هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال الصابي الحراني ، أبو الحسن غرس النعمة ، كان أديبا كاتبا مؤرخا من أهل بغداد ، محترما عند الخلفاء والملوك ، أنشأ دارا في بغداد ، وأوقف عليها أربعة آلاف مجلد في فنون العلم . من آثاره : " الهفوات النادرة من المغفلين الملحوظين " ، وكتاب " التاريخ الكبير " ، وهو ذيل على تاريخ والده ، الذي ذيله أبوه على تاريخ ثابت بن سنان ، على تاريخ ابن جرير الطبري ، وسماه " عيون التواريخ " وأخيرا كتاب " الربيع " . ولمعلومات أوفى عن ترجمته أنظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢/ ص ٢٦٧ ، ابن الجوزي : المنتظم جـ ٩/ ص ٤٢ - ٤٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/ص ١٣٤ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ ٥ / ص ١٢٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٣/ص ٢٧٩ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ١٤١٩ ، ١٤٧١ ، ٢٠٤٥ ، الزركلي : الأعلام جـ ٧/ص ٣٥٧ ، البغدادي : هدية العارفين جـ ٢/ص ٧٠ ، كحالة : معجم المؤلفين جـ ١٢/ص ٩٣ .

هذا العصر فى هذا الفن : أبو على أحمد بن محمد بن مسكويه المتوفى (سنة ٤٢١هـ/ سنة ١٠٣٠م) وأهم كتبه كتاب " تجارب الأمم وتعاقب الهمم" وهو فى أخبار التاريخ العالمى حتى سنة ٣٧٢ هـ/ سنة ٩٨٢م ، ويعد كتابه هذا من المصادر التاريخية الهامة ، ولاسيما عن الفترة التى توقف فيها الطبرى[1] فى تاريخه ، والتى تليها الى عصر المؤلف ، وله أيضا كتاب فى تاريخ الأدب أسماه " آداب العرب والفرس"[2] ومع أن الكتاب مفقود فان عنوانه يوحى بموقف مجامل . أما أبو الحسن على بن الحسين المسعودى[3] المتوفى (سنة ٣٤٦هـ/سنة ٩٥٧م) فقد خلف لنا كتابه الشهير " مروج الذهب ومعادن الجوهر " والذى يمتاز " بالتفاته الى الأمور الاجتماعية ، كبحثه فى ديانات العرب ، وآرائها فى الكيمياء ، والقيان"[4] ، اضافة الى كتاب " التنبيه والاشراف " .

والمجال هنا لا يتسع لذكر عشرات المؤرخين الذين ظهروا فى هذا العصر ، وما أفادوا به الباحثين من مؤلفات تاريخية تتناول تواريخ الأمم والدول ، والسير والتراجم ، والأنساب والطبقات .

وقد ظهر فى هذا العصر عدد من علماء الجغرافية والمسالك والبلدان ، وضعوا مؤلفات فى أحوال البلدان ومسالكها وأهلها ، كالرحالة أحمد بن فضلان بن العباس[5] مولى محمد بن سليمان رسول الخليفة المقتدر بالله العباسى المتوفى (سنة ٣٢٠هـ/ سنة ٩٣٢م) الى ملك الصقالبة ، وقد دون ملاحظاته عن رحلته هذه فى رسالة سجل فيها مشاهداته فى بلاد الترك والخزر[6] والروس[7] والصقالبة ، والباشغرد[8]

---

(١) ابن النديم : الفهرست/ ص٢٢٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤/ ص١٩١ .
(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ج ٦/ص ١١٨ .
(٣) ابن النديم : الفهرست / ص ٢١٩ .
(٤) كحالة : التاريخ والجغرافيا / ص ٥١ .
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٢٥٣ .
(٦) ياقوت : معجم البلدان ج ١/ ص ٣٦٧ .
(٧) ن.م.س ج ٣ / ص ٧٩ .
(٨) ن.م.س ج ١/ ص ٣٢٢ .

وغيرهم على اختلاف مذاهبهم وأخبار ملوكهم وأحوالهم متعرضا الى كثير من أمورهم [(١)].
وبرز من علماء جغرافية المسالك أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الاصطخرى الكرخى المتوفى (سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) [(٢)] الذى صنف "كتاب مسالك الممالك" وذكر فيه أقاليم الأرض على الممالك، وقصد بذلك بلاد الاسلام، ففصل فى مدنها وما تفرع عنها [(٣)]. كما برز أبو القاسم محمد بن على بن حوقل النصيبى البغدادى المتوفى بعد (سنة ٣٦٧ هـ / سنة ٩٧٧م) [(٤)] وله "كتاب المسالك والممالك" الذى ذكر فيه المفاوز والمهالك، والأقاليم والبلدان، وطبائع أهلها، وخواص البلاد فى نفسها، وذكر جبايتها وخراجها ومستغلاتها، وسواحلها، وأنهارها. وقد فصل ابن حوقل فى كتابه هذا الحديث عن بلاد الاسلام، فتناولها اقليما اقليما، وصقعا صقعا، وكورة كورة [(٥)].

أما فيما يتعلق بعلوم المنطق والفلسفة وأنواع الحكمة الأولى فلقد راجت دراسة هذه العلوم فى هذا العصر، وذلك بعد مرحلة السبات التى عاشتها فى أعقاب اجراءات الخليفة المتوكل على الله العباسى [(٦)] ضدها، حيث كبح جماح الدراسات المعتزلية والفلسفية. وحين تولى معز الدولة أحمد البويهى السلطة فى بغداد

----

(١) أنظر رسالته مطبوعة طبعة أولى، أصدرها مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٧٩ هـ والطبعة الثانية أعدتها مديرية احياء التراث العربى بدمشق.
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ /ص ٧٤.
(٣) كمالة : التاريخ والجغرافيا / ص ٢٥٣.
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٣٩٨.
(٥) كمالة : التاريخ والجغرافيا / ص ٢٥٥، ولمعلومات أوسع عن الجغرافية والجغرافيين فى هذا العصر. أنظر: كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى جـ ١ من ص ١٩٧ الى ص ٢٣٧.
(٦) أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله توفى سنة ٢٤٧ هـ / سنة ٨٩١ م. أنظر : الاربلى : خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٢٦، ابن العمرانى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء / ص ١٢١.

(سنة ٣٢٤ هـ / سنة ٩٤٥م) سارت الدولة في سياسة جديدة مغايرة ، لعل ذلك انعكاس لاختلاف عقيدة الحاكم ، ونظرته ورغباته ، فلقد ظهرت دراسات فلسفية جديدة كان من نتائجها " ازدياد نفوذ الفلسفة الأفلاطونية الجديدة ، التي كبحت مذهب أرسطو الذي يمثله الكندي وتلاميذه ، وكانت نصرة هذا الاتجاه الفكري الجديد هدف رجال مزودين بثقافة فلسفية التقوا بالبصرة "[1] وهؤلاء هم جماعة " اخوان الصفا " وأغلب الدراسات تشير الى انتمائهم الشيعي الاسماعيلي ، ونزوعهم نحو التنظيم السري الباطني . والدلائل التاريخية توضح لنا أن جماعة " اخوان الصفا " قد ظهرت في القرن الرابع الهجري ، وأن القائمين عليها قد وضعوا اثنتين وخمسين رسالة ، وما وصلنا منها ينقص رسالة واحدة عن الأصل[2] . ويبدو أن تأليفها قد استغرق من القائمين عليها وقتا طويلا ، وجهدا عظيما . غير أن أحدا من كتاب عصرهم لم يذكرهم ، باستثناء أبي حيان التوحيدي حين تحدث عن أحد أصحابه[3] فقال : " وقد أقام بالبصرة زمانا طويلا ، وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة ، منهم أبو سليمان محمد بن معشر البستي ، ويعرف بالمقدسي ، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني ، وأبو أحمد المهرجاني ، والعوفي وغيرهم ،وكانت هذه العصبة قد تآلفت بالعشرة ، وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهبا زعموا أنهم قرّبوا به الطريق الى الفوز برضوان الله ، والمصير الى جنته ، وذلك أنهم قالوا : الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة ، وذلك لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية[4] .

---

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي جـ ٤/ ص ١٥٤ .

(٢) يذكر جبور عبد النور أن النساخ دمجوا رسالتين معا في القسم الرابع ، قسم الرسائل الناموسية الالهية ، والشرعية الدينية . أنظر : جبور : اخوان الصفا ص ٥١ .

(٣) هو زيد بن رفاعة .

(٤) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة جـ ٢/ ص ٤ - ٥ .

اذن فاخوان الصفا فريق من الفلاسفة ، اعتنقوا مذهبا سياسيا عقائديا . وقد أوضح أبو حيان التوحيدى فى النص السابق هدفهم من تأليفهم لرسائلهم. ومعروف أن أبا حيان التوحيدى من علماء عصره المشهورين ، عاش تجربة عصره ، وشارك فى اثراء ثقافته ، ولم يكن ليقول كلامه هذا الا وهو يعلم بأمر هذه الجماعة وأهدافها وخططها ووسائلها . ويظهر من قراءة الرسائل أنها موجهة ضد الواقع الاجتماعى والفكرى والسياسى السائد ، والرغبة فى التغيير الجذرى على أساس استخدام سلاح الفلسفة ضد الالتزام الشرعى . وهى تعكس على أية حال وجهة نظر شيعية باطنية انقلابية ، ولذلك يقول التوحيدى : " وزعموا أنه متى انضمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال ، وصنفوا خمسين رسالة فى جميع أجزاء الفلسفة ، علميها وعمليها ، وأفردوا لها فهرستا ، وسموها رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، وكتموا أسماءهم وبثوها فى الوراقين ، ولقنوها الناس".[1]

ولسنا فى هذا العرض بصدد مناقشة عقيدة اخوان الصفا ورسائلهم وأساليبهم وأهدافهم المنسجمة مع الأمراء المتغلبين ، والموجهة أساسا لتقويض دعائم المجتمع القائم على أساس الفكر السنى السلفي ، والعقيدة الصافية. ان استعراض هذه الرسائل يعكس اهتماما فى علوم الرياضيات والفلك ، والجغرافية والتاريخ ، والموسيقى ، وعلم الأخلاق ، والتربية والتعليم . غير أن جميع هذه العلوم ينبغى أن تهدف الى خدمة الفلسفة وشيوعها على اعتبار أنها خلاصة العلوم . ولقد تعمد مؤلفوا الرسائل أن يكتبوها بأسلوب سهل سلس ، حتى يستطيع فهمها عامة الناس، ذلك أن الهدف هو التأثير على العامة ومتوسطى الثقافة ، بهدف تكوين القاعدة الشعبية التى تمكنهم من تحقيق أهدافهم فى التغيير المنشود .

أما فى ميدان العلوم البحتة ، كالطب ، والصيدلة ، وعلوم الرياضة ، من حساب وهندسة وجبر وفلك ، وعلم الحيل " الميكانيكا " والكيمياء ، وعلم الحيوان،

---

(١) التوحيدى : الامتاع والمؤانسة جـ ٢ / ص ٥ .

والنبات ، فلقد برع فيها الكثير من العلماء في العراق والمشرق الاسلامي في هذا العصر ، وكثفت حولها الكثير من الدراسات التي يمكن أن نلمس آثارها في تأليف الكثير من المؤلفات الرائدة ، التي تعكس روح التقصي والمثابرة والصبر ، والموضوعية المطلقة. ويمكن أن نشير في هذا المجال الى عدد من الأمثلة البارزة .

ففي مجال الطب وصناعته برز في هذا العصر في العراق نخبة ممتازة من علماء الطب ، عالجوا ، ودرسوا العلوم الطبية ، وركبوا الأدوية ، وترجموا ، وألفوا الكثير من الكتب الطبية .

وكان الخليفة العباسي المقتدر بالله (المتوفى سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م) قد أصدر تعليماته باجراء الامتحان للأطباء قبل التصريح لهم بممارسة مهنة الطب . وقد بقي هذا النظام ساريا ومعمولا به طوال العصر العباسي .(١) ولم يكن البيمارستان العضدي الذي أنشأه عضد الدولة البويهي في بغداد يتولى القيام بالمعالجة والتطبيب فقط ، بل كان كذلك مركزا علميا يتلقى فيه تلامذة الطب العلوم الطبية والنفسية ، والتدريبات العملية على مختلف العلوم الطبية والنفسية ، كما كانوا يرافقون أساتذتهم أثناء زياراتهم العلاجية ، واشرافهم على المرضى . وكان عبد الله بن الطيب أبو الفرج الفيلسوف المتوفى (سنة ٤٣٥هـ/سنة ١٠٤٣م) يقوم بتدريس علوم الطب في البيمارستان العضدي ، اضافة الى قيامه بمعالجة المرضى وتدريب طلابه فيه .(٢) كما أن أبا الحسن علي بن ابراهيم المتوفى (سنة ٣٩٤هـ/ سنة ١٠٠٣م) كان من بين الأطباء الأربعة والعشرين الذين اختارهم عضد الدولة للعمل في بيمارستانه ببغداد ، وكان أبو الحسن هذا من أفاضل علماء الطب .(٣)

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٠٢
(٢) ن.م.ص : ص ٣٢٩ . القفطي : أخبار العلماء / ص ١٥٨ .
(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣٢٩ ، القفطي : أخبار العلماء /ص ١٥٨ .

وبرز في هذا العصر عدد من الأطباء من أشهرهم ثابت بن ابراهيم بن زهرون الحراني ، كان طبيبا حاذقا فذا ، له مؤلفات جيدة في الطب ، توفي (سنة ٣٦٥هـ/سنة ٩٧٥م) .[(١)] وكان أبو الحسن ثابت بن سنان بن قرة من بيت مشهور بالطب ، كان ساعورا[(٢)] في البيمارستان العضدي ، وخدم الكثير من خلفاء بني العباس ، وله من المصنفات " كتاب التاريخ " ذكر فيه الحوادث والوقائع في زمانه .[(٣)] وبرز في ميدان الجراحة الطبيب الجراح أبو الحسين الجرائحي ، وهو من مشاهير المتخصصين في علم الجراحة ، اختاره عضد الدولة لتولي مسئولية البيمارستان العضدي ، وكان موصوفا بالخدمة في الصناعة .[(٤)]

أما أبو الحسن بن كشكرايا المعروف بتلميذ سنان فهو طبيب مشهور ببغداد له فطنة ومعرفة بصناعة الطب ، كان من بين الأطباء الاربعة والعشرين المختارين للبيمارستان العضدي ، له من الكتب كناشه[(٥)] المعروف بالهادي ، وكناش آخر .[(٦)] وكان الطبيب ابن منديه الأصفهاني أحد الأطباء الأربعة والعشرين بالبيمارستان العضدي ، له في الطب عدة تصانيف منها " كتاب الأغذية " اضافة الى كناش في الطب و " كتاب الكافي في الطب " و " كتاب المغيث في الطب " .[(٧)] أما الطبيب علي بن عيسى الكحال فكان أشهر كحالي العرب ، اختصاصيا في طب العيون ، صنف اثنين وثلاثين كتابا في علم الرمد ، أشهرها كتاب " تذكرة الكحالين " وصف

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء/ص ٣٠٤ ، القفطي : أخبار العلماء/ص ٧٨ .
(٢) الساعور : هو عميد أو ناظر المستشفى ، قال الزبيدي : هو مقدم النصارى في معرفة علم الطب وأدواته ، وأصله بالسريانية (ساعورا) ومعناه متفقد المرضى . أنظر: الزبيدي : تاج العروس ج ٣/ ص ٢٦٨ .
(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣٠٤ ، القفطي : أخبار العلماء/ ص ٢٦٠ .
(٤) القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٦٣ .
(٥) الكناش: الكنانيش والكناشات ، وهو جمع كناش سرياني معرب معناه المجموعة أو التذكرة ، ولعله الكراسة المعروفة ، وقد وقع كثيرا في كلام الحكماء وسموا به بعض كتبهم . الخفاجي : شفاء العليل / ص ٢٣١ .
(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء/ص ٣٢١ ، القفطي : أخبار العلماء/ص ٢٦٣ .
(٧) القفطي : أخبار العلماء ص ٢٨٥ .

فيه مائة وثلاثين مرضاً من أمراض العين . ونقل الكتاب الى العبرية واللاتينية .[(١)]

كما كان ابن وصيف ممن برز في هذا العصر في طب العيون ، عاش في بغداد حوالي (سنة ٣٥٠هـ/سنة ٩٦١م) لم يكن في زمانه أعلم منه في طب العيون . أخذ الناس عنه ورحل اليه من مختلف الأقطار ، من الأندلس وغيرها .[(٢)]

أما الطبيب علي بن رضوان المتوفى (سنة ٤٤٤هـ/سنة ١٠٥٢م) فقد اشتهر بدقته ومؤلفاته الطبية التي من أشهرها كتاب " تقويم الصحة "، و " مقالة في شرب الدواء المسهل " .[(٣)]

وممن اعتنى بأمور الصيدلة وصناعة الأدوية في هذا العصر الطبيب المشهور علي بن عباس المجوسي ، الذي خصص الجزء الثاني من كتابه " الملكي " للحديث عن الأدوية ومنافعها .[(٤)]

وفي هذا العصر كان للعلوم الرياضية والفلك نصيب وافر من الدراسة والاهتمام ، نبغ فيهما جماعة من العلماء ، كانت لهم دراسات وتجارب ونظرات صائبة . برز منهم محمد بن محمد أبو الوفاء البوزجاني المتوفى (سنة ٣٨٧هـ/ سنة ٩٩٧م) أحد الأئمة المعدودين في الرياضيات ، كتب في الجبر ، وزاد على بحوث الخوارزمي زيادات تعتبر أساسا لعلاقة الهندسة بالجبر ، ووضع طرقا جديدة في حساب المثلثات وحساب الجيب ،[(٥)] وكان لجميع معادلاته في حساب المثلثات أثر كبير في تقدمها . ومن مصنفاته " كتاب في عمل المسطرة والبركار والكونيا " و " كتاب ما يحتاج اليه العمال والكتاب من صناعة الحساب " و " كتاب تفسير كتاب الخوارزمي في الجبر

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء/ص ٣٣٣ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي جـ٢ص٤٠١ .
(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء/ ص ٣١١ ، القفطي : أخبار العلماء/ص٢٨٤ .
(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء/ ص ٣٢٥ ، القفطي : أخبار العلماء/ص ١٩٢ .
(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء/ ص ٣١٩ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي جـ ٤ ص ٢٩١ .
(٥) طوقان : تراث العرب العلمي /ص ٢٢٩ .

والمقابلة " و " كتاب المجسطي " وعشرات من الكتب الأخرى[١] وقد عمل في مرصد بغداد ، وكان واحدا من الفلكيين المشهورين في هذا العصر[٢].

وبرز من علماء الرياضيات أيضا أبو جعفر محمد بن الحسين الخازن الخراساني ، الذي كان خبيرا بالحساب والهندسة ، عالما بالأرصاد والعمل بها ، أعطى حلاً للمعادلة ذات الدرجة الثالثة ، باستعمال خطوط التقاطع للأشكال المخروطية ، له من الكتب " شرح لأول المقالة العاشرة لأقليدس "، وكتاب " المسائل العددية "[٣].

أما علم الفلك والنجوم فقد أعتنى به البويهيون عناية فائقة ، خصوصا في عهد شرف الدولة بن عضد الدولة البويهي المتوفى (سنة ٣٧٩هـ/سنة ٩٨٩م) الذي أنشأ مرصدا في بغداد ، عمل فيه عدد من رواد الفلك والرياضيات للاشراف عليه ، ورصد النجوم ، وتحديد مواقعها ومساراتها وحركاتها ، وذلك سنة ٣٧٨هـ/ سنة ٩٨٨م[٤].

وكان من أشهر علماء الفلك في هذا العصر أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي المتوفى (سنة ٣٧٦هـ/سنة ٩٨٦م) الذي عمل في خدمة عضد الدولة البويهي ، وألف له كتابا سماه " الكواكب الثابتة " أو " صور الكواكب الثابتة "[٥] وله كتاب " العمل بالاسطرلاب " وكتاب " المدخل الى علم النجوم "[٦].

----

(١) ابن النديم : الفهرست / ص ٣٩٤ ، كحالة : العلوم البحتة/ ص ١٦ .
(٢) ابن النديم : الفهرست / ص ٢٨٣ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي جـ٤ / ص ٢٢٤ .
(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٣ ، القفطي : أخبار العلماء/ص ٢٥٩ ، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي جـ ٤ / ص ١٨٣ .
(٤) القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٢٠ .
(٥) الكتاب مطبوع ، وقد أثنى ابن النديم على كتابه هذا ، واعتبره من نوادر المؤلفات الفلكية . ابن النديم : الفهرست / ص ٣٩٥ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي جـ ٤ / ص ٢١٧ .
(٦) بروكلمان : ن.م.س جـ ٤ ص ٢١٨ .

كما برز في علم الفلك في هذا العصر ابن الأعلم أبو القاسم العلوى على بن الحسين المتوفي (سنة ٣٧٥ هـ/ سنة ٩٨٥م) وهو صاحب " الزيج "[١] المشهور ، كان من العلماء المعدودين المشهورين بالهيئة وصناعة النجوم ، برز في هذا الفن واشتهر به ، ولاقى حظوة فائقة لدى عضد الدولة البويهي ، الذى عمل له " زيجه المشهور " الذى صار مرجعا للناس في زمانه وبعد وفاته .[٢]

أما أحمد الصاغاني أبو حامد الاسطرلابي المتوفى (سنة ٣٨٠هـ/سنة ٩٩٠م) فقد كان عالما فاضلا في الهندسة وعلم الهيئة ، وكان يتقن صناعة الاسطرلاب[٣] والآلات الرصدية الأخرى غاية الاتقان[٤] وقد صنف " رسالة في عمل الاسطرلاب وقوانين الهيئة ". وقد سبقت الاشارة الى أبي الوفاء البوزجاني الرياضي الفلكي الذى كان يعمل في مرصد شرف الدولة ببغداد .

أما يجن بن رستم الكوهي فقد كان عالما فاضلا كاملا بعلم الهيئة ، أوكل اليه بناء مرصد شرف الدولة ببغداد (سنة ٣٧٨هـ/ سنة ٩٨٨م) وقد علق بعض الباحثين المعاصرين على انجازاته بقوله : " انه انتقد بعض المسائل الفرضية المأثورة عن اليونان "[٥] وقد قام بعطية رصد الكواكب السبعة في حديقة القصر ببغداد ، له

---

(١) الزيج : كتاب منه يحسب سير الكواكب ، ومنه يستخرج التقويم ، وهو بالفارسية " زه " أي الوتر ، ثم عرب فقيل " الزيج ". أنظر الخوارزمي : مفاتيح العلوم/ص ١٦٩.

(٢) البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام ص٩٠ ، القفطي : أخبار العلماء/ص ١٥٧ .

(٣) الاسطرلاب : معناه مقياس النجوم ، وهو باليونانية " اسطرلابون " . أنظر : الخوارزمي : مفاتيح العلوم/ص ١٧٧، دائرة المعارف الاسلامية جـ٢ /ص ١١٤ .

(٤) القفطي : أخبار العلماء/ص ٥٦ ، حتى : تاريخ العرب جـ٢/ص ٤٥٩ ، ناجي معروف : المراصد الفلكية ببغداد / ص ١٣

(٥) سيديو : تاريخ العرب / ص ٢٤٣ .

من الكتب أكثر من عشرين كتابا ورسالة ، كلها فى علم الفلك والرصد .[(١)] أما فى بلاط السلطان ركن الدولة البويهى فقد برز الفلكى العالم أبو جعفر الخازن الخراسانى الذى حدد انحراف دائرة البروج ، وحلل احدى المسائل العويصة التى عجز عنها أرخميدس .[(٢)]

واضافة الى ذلك فقد بحث العديد من علماء هذه الحقبة فى علوم الطبيعة ، فتعمقوا فى دراسة الفيزياء والكيمياء والنبات ، وألفوا العديد من المؤلفات المهمة، كما قام بعضهم بترجمة بعض ما سبق تأليفه بلغات أخرى الى العربية فى هذا المجال ، ولعل مؤلفات العالم الجليل ابن النديم خير مثال فى هذا الاتجاه .

... ...

----

(١) أنظر عنه : ابن النديم : الفهرست / ص ٣٩٥ ، القفطى : أخبار العلماء / ص ٢٣٠ .

(٢) ابن النديم : الفهرست / ص ٣٩٣ ، حتى : تاريخ العرب ج ٢ / ص ٤٥٩ .

الباب الأول

أثر التطورات والأوضاع العامة في الحياة العلمية خلال فترة البحث

الباب الأول

أثر التطورات والأوضاع العامة في الحياة العلمية خلال فترة البحث في العراق

تناول الجغرافيون العرب منطقة مابين النهرين بالدراسة ، من الناحية الاقليمية، ووضحوا حدودا[1] ثابتة ومعروفة بالنسبة للعراق ، في الجهات الشرقية والغربية والجنوبية . وهم يعتبرون حدوده نفس حدود السواد[2] .

أما حدوده الشمالية فقد اختلف الجغرافيون في أمرها ، فقد جعلها المقدسي (٣٨٧ هـ/ ٩٩٧م) تسير مع الخط من الأنبار الى السن[3] ، أما ابن خرداذبة (٢٧٢هـ/ ٨٨٥م) والاصطخري (٣١٨هـ/ ٩٣٣م) وابن رسته (٣٠٠هـ/ ٩١٢م) والمسعودي (٣٣٢هـ/ ٩٤٣م) وابن حوقل (٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) فيجعلون حدوده

----

(١) يقصد بمصطلح " حدود " هنا ما استعمله الجغرافيون المسلمون من معنى عند استعمالهم هذه الكلمة بمعنى النهايات الخاصة باقليم معين ، كما وردت عند ابن خرداذبة في كتابه المسالك والممالك ص ١٤ (ط. لايدن ١٨٨٩م) أو نهاية اقليم أو بلد كما وردت عند ابن حوقل : كتاب المسالك والممالك ص ص ٢٠٩- ٢١٠ (ط. لايدن ١٨٧٣م) ، وياقوت : معجم البلدان جـ ٣/ ص ١٣٥ حين أشار الى أنها المناطق التي لا يحق للجباة بعدها مباشرة أعمالهم في الجباية . ولتفصيلات أوفى أنظر : El-Samarraie: Agriculture in Iraq during the 3rd century A.H. p.p. 1 - 39.

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية / ص ١٦٦ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم / ص ١٣٤ .

الشمالية تمتد من الملث وحربى.[1] ومنطقة مابين النهرين تشمل العراق والجزيرة ، ويحدها خط يبدأ من عبادان ، ويسير شمالا الى تكريت ، ثم السن ، ثم الحديثة ، ثم الموصل ، ثم جزيرة ابن عمر . وبعد ذلك يسير غربا الى ميافارقين، ثم جنوبا مع الفرات الى العذيب ، ثم شرقا بعد أن يدور حول البطيحة الى البصرة.[2]

وعليه يبدو أن حدود العراق الشمالية لم تستقر خلال العهود المختلفة في الاسلام .

وبلاد الجزيرة ، بمدنها الهامة ، كان لها ارتباط وثيق ، سياسيا وثقافيا ، مع بغداد وبقية مدن العراق ، مما حدا بنا الى ذكرها هنا ، وابراز دورها العلمي والثقافي فيهذا العصر ، الذى كان عصر خير وبركة ، التقت فيه التيارات العلمية بين مدن العراق والجزيرة ، متمثلة فى المدارس النظامية ، والرحلات العلمية للطلبة والعلماء ، فكتب التراجم وطبقات الرجال تذكر لنا عشرات العلماء الذين رحلوا من بلاد الجزيرة ، واستقروا فى مدن العراق ، لاسيما بغداد مدينة العلم ، وملتقى العلماء.

كما كان هناك أعداد من طلبة وعلماء مدن العراق اتجهوا صوب الجزيرة للدراسة ، ولربما استقر الكثير منهم هناك .

أما أهم العناصر التى كانت تسكن مابين النهرين فكانت مزيجا من أناس تختلف لغاتهم ، وتتباين ألوانهم وطبائعهم ، منهم العرب وهم الأكثرية ،وكانت قبائل

---

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك / ص ١٤ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة / ص ١٠١ ، الاصطخرى : المسالك والممالك / ص ٧٨ ، المسعودى : التنبيه والاشراف / ص ٥١ ، ابن حوقل : المسالك والممالك / ص ٢٢٤ .

(٢) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى / ص ١٩ .

بكر وديار ربيعة وديار مضر تقطن بلاد الجزيرة ،[١] وظهرت خفاجة في العراق الأوسط ،[٢] كما كانت قبائل ربيعة وضر وبنو تميم تستقر في جنوب العراق .[٣] وسكن الديالمة في العراق ،[٤] غير أن أعدادهم ازدادت كثيرا خلال العصر البويهي اضافة الى استيطان جماعات من الفرس الذين كان لهم أثرهم في حقلي الثقافة والسياسة .

أما الترك فكانوا من أقوى العناصر التي سكنت العراق منذ عصر المأمون ، وازدادت أعدادهم في العصور التالية . وكان لهم دور عظيم في توجيه الكثير من الأمور والأحداث السياسية في العراق خلال فترة البحث .

أما النبط فقد كانوا يسكنون البطيحة[٥] ، وكانوا يمثلون جزءا من سكان العراق . وذكر المسعودي أنهم سكان العراق القدماء[٦] .

ويعتبر الأكراد من سكان بلاد الجزيرة في الجزء الشمالي الشرقي من العراق وقد استقر بعضهم في الموصل .[٧]

أما أشهر الأديان التي كانت سائدة في العراق في هذا العصر فبالطبع الدين الاسلامي ، بطوائفه ومذاهبه المتعددة . كما أن العراق كان موطن الديانات المختلفة . ومع أن الدين الاسلامي قد أصبح هو دين الغالبية العظمى من السكان

---

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك/ص ٩٥ . ط. لايدن سنة ١٨٨٩م ، الاصطخري: المسالك والممالك/ص١٠٧ ط. لايدن سنة ١٨٧٠م .
(٢) الصابي : تحفة الوزراء / ص ٤٧٢ .
(٣) ن.م.ص ص ٤٧٢ ، الدينوري : الأخبار الطوال/ص ١٨٢ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٨/ ص ٢٢٦ .
(٤) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢ / ص ٤١ .
(٥) المقدسي : أحسن التقاسيم / ص ١٠٨ .
(٦) المسعودي : التنبيه والاشراف / ص ٧ .
(٧) ابن حوقل : المسالك والممالك / ص ٢١٧ .

فقد كان هناك طوائف دينية أخرى ، منهم أهل الذمة من النصارى واليهود . فقد كان في بغداد وحدها في القرن الرابع الهجري مابين أربعين وخمسين ألفا من النصارى .[1]

ويقول ابن حوقل : ان النصارى في مدينتي الرها وتكريت أكثر عددا .[2]

أما اليهود فلقد كانوا منتشرين في أغلب مدن العراق ، كالحلة والكوفة والبصرة. ويذكر القفطي أن اليهود هم أكثر أهل مدينتي سورا ونهر طك من بين أجزاء العراق[3] ، ويذكر أحد الباحثين أن عدد اليهود بالعراق في القرن السادس الهجري بلغ ستمائة ألف[4] حيث يقول : " وثم يهود في جميع المدن والقرى التي بين نينوى ودجلة ".[5]

أما الديانات غير السماوية والتي كانت منتشرة بالعراق فكان منهم المجوس ، والذين كثر عددهم بالعراق[6] ، وقد بقيت في العراق حتى عصور متأخرة بقايا ديانات وعقائد ، كالصابئة والثنوية وغيرهم .

... ...

---

(١) متز : الحضارة الاسلامية جـ ١ / ص ٨٤ .
(٢) ابن حوقل : المسالك والممالك / ص ١٥٦ .
(٣) القفطي : أخبار العلماء / ص ١٩٤ .
(٤) متز : الحضارة الاسلامية ص ص ٨١ - ٨٢ عن ربي بتاحيا / ص ٢٨٩ .
(٥) ن.م.س ص ص ٨١ - ٨٢ عن ربي بتاحيا / ص ٢٧٩ .
(٦) المقدسي : أحسن التقاسيم / ص ١٢٦ .

الفصل الأول

- الأوضاع السياسية
- الأوضاع الاقتصادية
- الأوضاع الاجتماعية

الأوضاع السياسية: ص ٧٨ ، ظهور دولة السلاجقة ص ٧٩ ، دخولهم بغداد ص ٨٢ ، علاقتهم بالخليفة العباسي ص ٨٣ ، كفاح الخلفاء من أجل استرداد هيبة الخلافة ص ٨٧ .

الأوضاع الاقتصادية: ص ٩١ ، الوزير نظام الملك ونظام الاقطاع ص ٩٤، الزراعة في العراق خلال فترة البحث ص ١٠٠ .

الأوضاع الاجتماعية : ص ١٠٢ ، العيارون ، والفتيان ص ١٠٤، الخليفة الناصر لدين الله العباسي والفتوة ص ١١٠ .

الفصل الأول

ولابد لنا ونحن ندرس الحياة العلمية والفكرية في هذه الفترة أن نتعرف على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق في هذا العصر ، وذلك لما لها من تأثير في تحديد البعد الثقافي ، والوعي الفكري ، في حياة المجتمع .

الأوضاع السياسية :

على الرغم من الدور السياسي الفعال للجند الأتراك بعد انتهاء خلافة المعتصم بالله ، كان القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي يمثل اتجاها جديدا في نمط التدخل ، فبعد أن كان تدخلهم خلال القرن الثالث داخليا ، باعتبار أنهم جزء من القوات التي يتألف منها الجيش العباسي ، فان تدخلهم في هذه الحقبة تمثل في كونهم قوة عسكرية خارجية ، توجهت الى مقر الخلافة ، وتسلمت مقاليد السلطة ، مما كان له كبير الأثر في توجيه أحداث التاريخ ، اضافة الى أثره على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الدولة الاسلامية خلال فترة البحث ، التي اعتبرها البعض " تغيرا عميقا في جميع أرجاء العالم الاسلامي ، تجلى في الظاهر بتأسيس دولة المرابطين في المغرب ، وقيام دولة أهم منها في المشرق هي الامبراطورية السلجوقية " .(١)

---

(١) كلود كاهن : تاريخ الشعوب الاسلامية / ص ٢٣٧ .

ولقد كان العصر السلجوقي عصرا ذهبيا في المشرق الاسلامي ، اذ جرى توحيد اغلب المناطق والدويلات في المشرق الاسلامي تحت امرة واحدة ، فاتحدت البلاد بعد أن كانت مجزأة .

ولقد كان للسلاجقة ، فضل عظيم في حماية الدين والذود عن الاسلام ، كما تمكنوا من تحقيق ما عجز عنه من سبقهم من المسلمين ، وهو احتلال الأناضول، ومن ثم التمهيد للقضاء على بيزنطة .[1]

وارتفع شأن أهل السنة والجماعة في عهدهم ، واستعاد الخليفة العباسي مكانته الطبيعية نسبيا في أعقاب التدهور المزري الذي أصاب مكانته خلال التحكم البويهي .[2]

يرجع السلاجقة في أصولهم الى مجموعة من القبائل التركية التي عرفت باسم : " الغزّ " دفعتهم الظروف الاقتصادية والسياسية السائدة في أواسط آسيا وبلاد المشرق الى التنقل بحثا عن أسباب العيش الرغيد[3] وحاولت الاستقرار في اقليمي ما وراء النهر وخراسان .

وقد أطلق على هذه القبائل اسم السلاجقة ، نسبة الى رئيسها سلجوق بن دقاق[4] الذي وحدها تحت زعامته ، فنسبت اليه ، وخضعت لحكم أبنائه وأحفاده .

وقد أدى جوار السلاجقة للمسلمين السنيين ، من السامانيين والخانيين والغزنويين ، الى اعتناقهم الاسلام . يقول ابن الأثير في كلامه عن سلجوق بن دقاق : " فسار بجماعته كلهم ومن يطيعه من دار الحرب الى ديار الاسلام وسعد

----

(١) زكار : مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية / ص ١٧ .
(٢) الفارقي : تاريخ الفارقي / ص ٨٦ .
(٣) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق / ص ١ .
(٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٢٢ .

بالايمان ومجاورة المسلمين ".[١]

ولقد استفاد سلجوق بن دقاق من مساعدته للسامانيين[٢] الذين استنجدوا به ضد هارون بن أيلك خان[٣] ، فأذنوا له بالمرور فى بلادهم ، والاستقرار بقومه بالقرب من شاطئ نهر سيحون ، واتخاذ مدينة " جند " مركزا لهم.[٤]

وهنا اطمأن السلاجقة الى حياتهم فى بلاد ما وراء النهر ، وأخذوا يعدون أنفسهم للقيام بدور أكبر . وقد استطاعوا فى سنوات معدودة اعداد جيش قوى حتى صاروا قوة يخشى بأسها ، ويرهب جانبها .[٥]

وبعد أن أحس السلاجقة بقوتهم بدأوا يغيرون على المناطق المجاورة لهم ، ويحاولون توسيع ممتلكاتهم ، فأوجس منهم الغزنويون خيفة ، وكان على رأسهم قائدهم الغازى محمود الغزنوى ، الذى استطاع بالحيلة والدهاء القبض على اسرائيل بن سلجوق ، وكان المقدم بينهم[٦] حيث حبسه فى قلعة " كالنجر " وقد ظل سجينا بها حتى وفاته .[٧]

كان لهذه الخديعة وقع عظيم فى نفس ميكائيل الذى تولى زعامة السلاجقة ، ونقلهم الى اقليم خراسان[٨] كبداية لمرحلة جديدة من مراحل كفاحهم ، وذلك للانقضاض على الدولة الغزنوية ، والأخذ بثأر اسرائيل ، ففى (سنة ٤٢١ هـ / سنة ١٠٣٠ م) توفى السلطان محمود الغزنوى ، وخلفه ابنه مسعود الذى اصطدم

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٢٢ .
(٢) السامانيون : ينتسبون الى أسرة فارسية عريقة . وقد بدأ نجمهم يرتفع فى القرن الثالث الهجرى . حسنين : سلاجقة ايران والعراق/ص ٧ ، عن اقبال : تاريخ ايران از ظهور اسلام تاحمله مغول/ ص ١٢١ .
(٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٢٢ .
(٤) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية / ص ٢ .
(٥) الراوندى : راحة الصدور / ص ٨٦ .
(٦) ن . م . س / ص ١٤٨ .
(٧) ن . م . س / ص ١٥١ .
(٨) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٧ .

بالسلاجقة فى معركة انتهت بهزيمته قرب نيسابور (سنة ٤٢٩ هـ/ سنة ١٠٣٧م) ودخل ميكائيل بقواته نيسابور فاحتلها ، وجلس على عرش مسعود فيها [(١)] وصار بذلك أول سلطان للسلاجقة ، ولقب طغرلبك السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبو طالب [(٢)]. وقامت الدولة السلجوقية ، وقويت أركانها خصوصا بعد معركة " دنداقان " الحاسمة مع الغزنويين (سنة ٤٣١هـ/ سنة ١٠٣٩م) [(٣)] والتى لم يفكر بعدها الغزنويون فى مهاجمة السلاجقة .

وأصبحت الدولة السلجوقية أكبر قوة عسكرية فى الشرق الاسلامى ، وأصبحت السلاجقة جميعا يخضعون لطغرل الذى قرر أن يتجه بنفسه لفتح العراق والولايات القريبة منه ، وأن يتخذ مدينة " الرى " عاصمة له ، فكتب فى عام (سنة ٤٣٢هـ / سنة ١٠٤٠م) رسالة الى الخليفة القائم بأمر الله [(٤)] أظهر فيها ولاء السلاجقة له ، وحبهم للجهاد فى سبيل الله ، وابتغاء مرضاته ، وطلب فى نهاية رسالته من الخليفة الاعتراف بشرعية دولتهم ، والاقرار بطغرلبك سلطانا عليهم ، حتى تكون ولايتهم شرعية ، وبأمر من أمير المؤمنين [(٥)].

بعدها بدأ طغرل فى تنفيذ خطته لاتمام سيطرته على ايران والعراق ، والقضاء على البقية الباقية من نفوذ الديالمة ، حيث انتصر فى حروبه جميعها ،

---

(١) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٨ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق / ص ص / ٢٧ - ٢٨ .

(٢) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية / ص ٩ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور / ص ١٠٠ .

(٤) هو أبو جعفر عبد الله بن أحمد - بويع بالخلافة (سنة ٤٢١هـ/سنة ١٠٣٠م) ، وتوفى (سنة ٤٦٧هـ/سنة ١٠٧٥م) . أنظر: الخطيب : تاريخ بغداد جـ٩/ ص ٣٩٩ ، ابن الأثير: الكامل جـ ١٠/ ص ٣٥ ، ابن دحية : النبراس فى تاريخ خلفاء بني العباس / ص ١٣٦ ، ابن العمراني : الأنباء فى تاريخ الخلفاء / ص ١٨٨ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور / ص ١٠٢ .

وأدرك غايته .[١] فقد قضى على الدولة الزيارية باستيلائه على اقليمى جرجان وطبرستان ، وضمهما الى حوزته[٢] ، ثم توجه لفتح خوارزم ، وبعد نجاحه فى ذلك اتجه من هناك الى مدينة الرى عاصمة اقليم خراسان فاتخذها عاصمة له ومقرا لحكومته[٣] ، وفى عام (٤٣٤هـ/١٠٤٢م) بسط نفوذه على قزوين ، وأبهر ، وزنجان ، وهمذان ، واقليم أذربيجان ، وكرمان ،[٤] وأتم فتح ايران بالاستيلاء على أصفهان (سنة ٤٤٢هـ /سنة ١٠٥١م) .[٥]

كل هذا حدث فى الوقت الذى كانت الأمور فيه تسير فى بغداد من سيء الى أسوأ مما شجع طغرلبك على المسير اليها ، وذلك بعد أن وصلت رسالته الى الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، الذى تقبلها بقبول حسن ، ودعا طغرل لزيارة بغداد.[٦]

تقدم طغرلبك بقواته الى بغداد ودخلها عام (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) حيث أمر بالقبض على الملك الرحيم البويهى الذى زج به فى سجن الرى حتى توفى عام (٤٥٠هـ /١٠٥٨م) .[٧] وأصبح طغرل سيد الموقف فى العراق ، وذلك بعد أن قضى على الدولة البويهية ، وفتنة أبى الحارث أرسلان التركي " البساسيرى " وذلك فى عام (٤٥٠هـ /١٠٥٨م) .[٨] وبذلك أصبح طغرل هو المؤسس الحقيقى لدولة السلاجقة بعد أن بسط نفوذه على ايران ، وحرر العراق من التسلط البويهى ، وكان التقارب بينه وبين الخليفة العباسي كبيرا بحكم انتمائه الى أهل السنة وايمانه بشرعية الخلافة العباسية ووجوب طاعته .

---

(١) الراوندى : راحة الصدور / ص ١٠٤ .
(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٣٠ .
(٣) ن.م.س جـ ٨ / ص ٣٤ .
(٤) ن.م.س جـ ٨ / ص ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .
(٥) ن.م.س جـ ٨ / ص ٥٤ .
(٦) الراوندى : راحة الصدور / ص ١٠٥ .
(٧) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٨٢ ، حوادث سنة ٤٥٠هـ/سنة ١٠٥٨م . أنظر أيضا : الفارقى : تاريخ الفارقي / ص ١٥٥ .
(٨) الراوندى : راحة الصدور / ص ١٠٩ .

والحق أن طغرلبك كان مسلما ملتزما ، يحب أهل السنة ، ويحرص على أداء الفرائض ، ويتقرب الى الله بخدمة الدين[1].

وبدخول السلاجقة بغداد تبدأ مرحلة جديدة من مراحل سيطرة الأتراك على الخلافة العباسية ، على أنها أفضل وأرحم بكثير من العصر السابق أيام الحكم البويهي الشيعي (سنة ٣٣٤هـ/ سنة ٩٤٦م - سنة ٤٤٧هـ / سنة ١٠٥٥م) الذى سلب الخليفة كل سلطة[2]، والذى كان فاتحة عهود السيطرة الأجنبية فى البلاد العربية[3].

ورغم امتناعهم عن ازالة الخلافة العباسية ، واقامة خلافة علوية مكانها فان البويهيين انتهجوا سياسة فى العراق ، كانت ذات أثر سيء فى هذه البلاد[4].

على أن علاقة سلاطين السلاجقة بالخلافة العباسية لم تستمر على الالتزام والسير على وتيرة واحدة خلال فترة حكمهم للعراق ، ذلك أنهم قسموا دولتهم منذ انشائها الى أقاليم ، وعينوا على كل اقليم منها حاكما من أفراد البيت السلجوقى ، كانوا يطلقون عليه لقب " الملك " وكل هؤلاء الملوك يخضعون للسلطان[5] وكان كل ملك يتمتع باستقلال ذاتى فى تصريف شئون ولايته الداخلية ، مما كان له عواقب سيئة على الخلافة والسلطنة السلجوقية على السواء ، فقد كانت حالة الصراع مستمرة بين أفراد البيت السلجوقى من أجل التوسع والاستئثار بالسلطة[6].

وكانت الخلافة العباسية فى بغداد تجاه تلك الصراعات والحوادث تتأثر بمراكز القوى لدى سلاطين السلاجقة ، الذين كانوا يحرصون على الظفر بموافقة الخلفاء

---

(١) الراوندى : راحة الصدور / ص ١٠٩.
(٢) البيرونى : الآثار الباقية / ص ١٣٢.
(٣) الدورى : مقدمة فى التاريخ الاقتصادى العربى / ص ٨٦.
(٤) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق / ص ١١.
(٥) الراوندى : راحة الصدور / ص ١٠٤.
(٦) كلود كاهن : تاريخ الشعوب الاسلامية / ص ٢٤١-٢٤٢ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق / ص ١٥٧.

العباسيين على توليتهم مناصبهم ، حتى يكتسبوا الصفة الشرعية ، وكان الخلفاء لضعفهم يمنحون السلطة لمن غلب.[1] ففى عصر السلاجقة العظام كان الاحترام متبادلا بين السلاطين والخلفاء ، اللهم الا فى بعض الفترات حيث كانت تحدث أحيانا الجفوة بينهما.

والملاحظ أن النزعة البدوية كانت عنصرا بارزا فى مختلف مظاهر حياة السلاجقة، وقد انعكس هذا على سياستهم ، ونظم حكمهم . وكان للحياة البدوية هذه تأثيرها الواضح فى سلاطينهم الأول الذين كانوا " بداة لاعلم عندهم بأخبار الملوك ومآثرهم"[2] ولهذا اضطروا الى الاستعانة بالأكفاء من أبناء البلاد التى يحكمون فيها ، كفارس والعراق وغيرها ، فى ادارة أعمال الدولة المختلفة ، وكان أعلى شخصيات هذه الطبقة العاملة فى ادارة الدولة هم الحجاب والوزراء ، نخص منهم الوزير العظيم نظام الملك[3] الذى سيطر على أمور الدولة السلجوقية سيطرة كاملة ، والذى كان رجل دولة وسياسة ، وفكر من خلال حكمه الذى استمر ثلاثين عاما ، وهو الذى ألف كتاب " سياسة نامه"[4] أو كتاب " السياسة " والذى يعرض فيه آراءه فى الحكم من خلال بعض النوادر النموذجية ، وهذا يؤكد ما ذهب اليه بعض المؤرخين من أنه يعتبر بحق أسلها من الادارة انفرد به الأتراك.[5]

ومما يدل على النزعة الاستبدادية للسلاجقة أنهم كانوا يدّعون أن حكمهم مستمد من الله ، مفروض على الناس ، طبقا لنظرية " الحق الالهى فى الحكم " ويؤيد ذلك قول نظام الملك الوزير حين أكد على أن الله تعالى قد اختار " السلطان وميزه على عباده ، وجعلهم جميعا خاضعين له ، منه يستمدون نفوذهم ودرجاتهم ،

---

(١) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق / ص ١٥٧ .
(٢) النظامي العروضي السمرقندى : جهار مقاله ، ترجمة عبد الوهاب عزام ، ويحيى الخشاب / ص ٣٢ .
(٣) سيأتى الحديث عنه فى الفصل الأول من الباب الثانى .
(٤) مطبوع . ترجمة وتعليق الدكتور السيد محمد العزاوى ، الناشر دار الرائد العربى .
(٥) كلود كاهن : تاريخ الشعوب الاسلامية / ص ٢٤٢ .

أما هو فيستمد قوته من ربه الذى جعله أمينا على عباده [١] ، ويؤكد هذا الأمر السلطان ألب أرسلان [٢] نفسه فى مرسوم تفويض ابنه ملكشاه الى نظام الملك يقول فيه : " ...... وأن نعده ونهيئه لنعمة الملوكية المفوضة من الله تعالى ، والتى حصلها بواسطة تربيتنا له " [٣]. والراوندى يقول فى حق السلطان ملكشاه : " كان السلطان ملكشاه ملكا جبارا نافذ السلطة ..... مؤيدا بالحق الالهى " [٤]. ولعل هذا ما دفع بكثير من الفقهاء والعلماء الى تناول موضوع الامامة والخلافة فى هذا العصر كالامام الماوردى المتوفى سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) فى كتابه "الأحكام السلطانية" [٥] بالاضافة الى كتابه "قوانين الوزارة" [٦].

وجاء بعده الامام أبو حامد الغزالى المتوفى (سنة ٥٠٥هـ/سنة ١١١١م) ، والذى أتيحت له تجربة نادرة ، فقد كان الفقيه وعالم السياسة ، وكانت تربطه بنظام الملك علاقات وصلات ، فقد وعى الأمور ، وشاهدها عن قرب ، وكان ذلك مدعاة الى أن يضع فى ميدان الحكم والسياسة والامامة عددا من المصنفات ، أهمها كتاب " التبر المسبوك " [٧] اضافة الى كتابه " احياء علوم الدين " ، وكتاب " الاقتصاد في الاعتقاد " الذى أفرد فيه فصلا عن الامامة .

وعلى كل حال فقد كان الخليفة العباسي فى عصر السلاطين العظام مسلوب السلطة الى حد ما ، فالسلطان طغرلبك حصل من الخليفة القائم بأمر الله على تفويض كامل بالنظر فى أمور الدولة وتدبير شئونها دون الرجوع اليه ، فقد جاء فى هذا

---

(١) نظام الملك : سياسة نامه / ص ٦٢- ٦٣ .

(٢) محمد بن داود جفرى بك أبو شجاع ، أمير سلجوقى كبير حكم من سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣م الى سنة ٤٦٥هـ / سنة ١٠٧٢م ولد سنة ٤٢٠هـ / سنة ١٠٢٩م . أنظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/ص٣٦٤، دائرة المعارف الاسلامية جـ ٢ ص ٢٠٥ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامه / ص ٦٣ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور / ص ١٩٧ .

(٥) مطبوع : ونشرته مجموعة من دور النشر .

(٦) مطبوع. تحقيق ودراسة الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ، والدكتور محمد سليمان داود ، الناشر : مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(٧) مطبوع. تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، القاهرة ، مكتبة الجندى .

الكتاب " يا على ، أمير المؤمنين حامد لسعيك ، شاكر لفضلك ، آنس بقربك ، زائد الشغف بك ، وقد ولاك ما ولاه الله تعالى من بلاده ، ورد اليك فيه مراعاة عباده ".[1] وعندما تأزمت علاقات طغرلبك بالخليفة أمر بحمل موارد العراق المالية الى خزائنه بدلا من خزانة الخليفة ، بل وبلغ من تطاوله على الخليفة أنه كان يأمر نوابه بالحجر على أموال الخليفة .[2] وفى عهد السلطان ملكشاه حدثت جفوة بينه وبين الخليفة المقتدى بأمر الله العباسي .[3] فبعث ملكشاه الى الخليفة يقول : " لابد أن تترك بغداد وتنصرف الى أى البلاد شئت، فانزعج الخليفة من هذا انزعاجا شديدا ".[4]

وبعد وفاة السلطان ملكشاه (سنة ٤٨٥هـ/سنة ١٠٩٢م)[5] واجهت مملكة السلاجقة مشكلات خطيرة ، وانشغل السلاطين والأمراء عن مصالح الرعية والدولة بالصراع حول الحكم ، والسعي وراء الملذات ، يقول الراوندى : " وكان ملوك العصر والوزراء العظام ، يشتغلون بالشراب فى مجالس الأنس والحفلات والولائم ، فكانوا مع تحققهم من آية التحريم يرتكبون اثما كبيرا يخسرون به أرواحهم وما ملكت أيديهم ".[6] وأصبحت الدولة نهبا مقسما بين الأمراء والأتابكة المعديين . وفى هذه الأثناء كان الصليبيون قد احتلوا أنطاكية التى كانت تحت حكم السلاجقة ، وذلك عام (٤٩١هـ/ ١٠٩٧م) ، كما استولوا على معرة النعمان[7] وأجزاء واسعة من بلاد الشام ، بحيث لم يبق فى أيدى المسلمين الا بعض المدن الداخلية كدمشق وحلب.[8]

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ١٨٢ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ / ص ٨٦ .
(٣) أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله ، تولى الخلافة سنة ٤٦٧ هـ / سنة ١٠٧٤م وتوفى سنة ٤٨٧هـ/سنة ١٠٩٤م. السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٢ .
(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٦٢ ، ابن الطقطقى : الفخرى / ص ٢١٧ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء / ص ٣٩٢ .
(٥) الراوندى : راحة الصدور/ ص ٢١٠ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ ص ٦٢ ، الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية / ص ٧١ .
(٦) الراوندى : راحة الصدور / ص ٥٨٥ .
(٧) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ /ص ص ١٨٥ - ١٨٧ .
(٨) ن.م.س جـ ٩ / ص ٢٣٠ ، الراوندى : راحة الصدور / ص ٥١٤ .

كل هذا حدث والسلاجقة ملتهون بصراعاتهم من أجل السلطة. أما الخليفة العباسي فلم يكن له في كثير من فترات حكم السلاجقة للعراق "من الأمر الا الاسم، لا يتعدى حكمه بابه ولا يتجاوز جنابه".[١] ويؤكد سيطرة السلاطين السلاجقة على الخليفة العباسي ما ذكره العماد الأصفهاني بقوله "وكان أهون ما عندهم سلاطين السلاجقة، خلاف الخليفة وعناده، وتمردهم عليه بأن يحصل مرادهم لمراده ..... ولهم مطالب من الديوان العزيز، لا يفي بها خواصه، ومفارم تلحقها منهم، يتعسر منها خلاصه، والحرم من جنايتهم خائف، والرعية ورعة، والسعاية مسموعة، فلا الدين يزعهم، ولا العقل يردعهم، ولا القليل يقنعهم، ولا الكثير يشبعهم".[٢]

ويمكن القول أن الكفاح من أجل استرداد هيبة الخلافة والعمل على التخلص من الحكم السلجوقي بدأ في عهد الخليفة المسترشد بالله" الذي كان ذا همة عالية، وشهامة زائدة، واقدام ورأي وهيبة شديدة"[٣] والذي ضبط أمور الخلافة ورتبها أحسن ترتيب".[٤]

لقد حاول الخليفة المسترشد بالله التخلص من السلاجقة. وهو وان كان قد فشل، الا أنه قد وضع بذلك البداية الأولى للخلاص منهم. ففي عام (٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) حدثت جفوة بين السلطان مسعود[٥] والخليفة المسترشد، انتهت

---

(١) ابن دحية: النبراس في تاريخ بني العباس/ ص ١٤٤.
(٢) الأصفهاني: نصرة الفترة وعصرة القطرة - الورقة ٢٥٩.
(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء/ ص ٣٩٨، تولى المسترشد الخلافة سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨م، وتوفي سنة ٥٢٩هـ/ سنة ١١٣٤م.
(٤) ن.م.س/ ص ٣٩٨.
(٥) ابو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه أصبح سلطانا عام (٥٢٨هـ/١١٣٣م)، وتوفي عام (٥٤٧هـ/١١٥٢م). أنظر: ابن الجوزي: المنتظم جـ ١٠/ ص ١٥١.

بمسير الخليفة على رأس جيش كبير لمحاربة مسعود ، فهزم المسترشد وأسر، وقتلته الباطنية في هذه السنة .[1] وفي عام (٥٣٠هـ/١١٣٥م) جمع السلطان مسعود العلماء والفقهاء والشهود والأعيان ، واتهم الخليفة الراشد بالله[2] بنهب الأموال وسفك الدماء وشرب الخمر ، فشهد الحاضرون على ذلك ، وأفتى أصحاب الفتيا بجواز خلع الخليفة واستبداله بغيره ، وهكذا خلع الراشد بالله ، وبويع المقتفي لأمر الله[3] .

كل ذلك عمله مسعود بسبب موقف الراشد العدائي للسلطان مسعود الذي قتل والده ، واستهتاره وتهجمه على دار الخلافة وتفتيشها[4] ، وفي عام (٥٥٥هـ/١١٦٠م) توفي الخليفة المقتفي لأمر الله بعد أن حكم أربعة وعشرين عاما قضاها في مناهضة السلاجقة ، والذي تمكن من الخلافة ، وزادت حرمته وعلت كلمته ، وكان ذلك بداية انتعاش واستعادة سلطات الخلافة العباسية .[5] قال ابن الجوزي : " من أيام المقتفي عادت بغداد والعراق الى يد الخليفة ، ولم يبق له منازع ، وقبل ذلك من دولة المقتدر الى وقته كان الحكم للمتغلبين من الملوك ، وليس للخليفة معهم الا اسم الخلافة ".[6] وهكذا نجح المقتفي لأمر الله بتأييد ومساعدة وزيره عون الدين يحي بن هبيرة[7] والتفاف العامة حوله بعيدا عن سلطان السلاجقة ، فحكم

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ٨/ص٣٤٨ ، الراوندي : راحة الصدور / ص ٢٣٠ .

(٢) أبو جعفر منصور بن المسترشد تولى الخلافة عام (٥٢٩هـ/١١٣٤م) وتوفي عام (٥٣٢هـ/١١٣٧م) . السيوطي : تاريخ الخلفاء/ص٤٠١ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ٢٢٧ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله ، تولى الخلافة عام (٥٣٠هـ/١١٣٥م) وتوفي عام (٥٥٥هـ/١١٦٠م) . ابن الأثير : الكامل جـ٩/ ٦٨ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٤٠٣ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ٨/ ص ٣٥٢ .

(٥) السيوطي : تاريخ الخلفاء/ ص ٤٠٤ .

(٦) ن.م.س / ص ٤٠٤ .

(٧) ابو المظفر عون الدين يحي بن هبيرة ، كان عالما باللغة والأدب والحديث ، ولد سنة (٥٢١هـ/١١٢٧م) وتوفي سنة (٥٧٠هـ/سنة ١١٧٤م) . ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠/ص٢١٤ ، الاصفهاني : الخريدة جـ١/ص ٩٦ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ٦ / ص٢٣٠ .

العراق ، ولأول مرة من أقصى الكوفة الى حلوان ، وحد تكريت الى عبادان.[١] وفي أواخر عام (٥٤٩هـ/١١٥٤م) انتصر جيش الخليفة ، ولأول مرة ، على جيش السلاجقة في موقعة "باخمرى" ولم تمض أيام حتى أجبر سليمان شاه السلجوقي[٢] على تقبيل عتبة النوبي[٣] بدار الخلافة.[٤]

وبعد وفاة المقتفي عام (٥٥٥هـ/١١٦٠م) بويع ابنه المستنجد[٤] بالخلافة ، وكان من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعية ، عادلا فيهم ، كثير الرفق بهم ، أزال كثيرا من المكوس ، ولم يترك بالعراق منها شيئا ، وكان شديدا على أهل العبث والفساد.[٥] وفي أيامه قضى على خطر طالما هدد بغداد ، ألا وهو خطر بني مزيد[٦] أصحاب الحلة[٧] الذين استفادوا من ضعف الخليفة العباسي خلال الفترة

---

(١) الأصفهاني : نصرة الفترة / الورقة ٢٦١ - ٢٦٥.

(٢) سليمان بن محمد بن ملكشاه السلجوقي توفي عام (٥٥٦هـ/١١٦١م). أنظر : الراوندي : راحة الصدور / ص ٣٩٢.

(٣) نسبة الى الحاجب سعيد النوبي المتوفى عام (٣١٤هـ/٩٢٦م). أنظر : ابن الجوزي : المنتظم جـ٦/ ص ٢٠٣.

(٤) الأصفهاني : نصرة الفترة ، الورقة / ٢٦٩.

(٥) تولى الخلافة عام (٥٥٥هـ/١١٦٠م) وتوفي عام (٥٦٦هـ/١١٧٠م). أنظر : ابن الطقطقي : الفخري / ص ٣١٦.

(٦) يقول الأصفهاني: بنو مزيد الأسديون النازلون بالحلة السيفية على الفرات ، كانوا ملجأ اللاجئين ، وكهف المستضعفين ، وملكهم للاجئ ظهير ، وأثرهم في الخيرات أثير..... وما برحت دولتهم وظلهم يقلص الى أن أضمحلت. أنظر : الأصفهاني : الخريدة جـ٤/م ١/ص ١٥٣.

(٧) ذكر ياقوت أن الحلة علم لعدة مواضع ، حلة بني قيلة بين واسط والبصرة ، وحلة بني عفيف الأسدي قرب الحويزة ، وحلة بني مزيد ، وهي أشهرها ، وهي المقصودة هنا ، وهي مدينة كبيرة بين بغداد والكوفة ، خططها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس عام (٤٩٥هـ/١١٠١م). أنظر : ياقوت : معجم البلدان جـ٢ / ص ٢٩٤.

السابقة ، وأمنوا لأنفسهم حرية الحركة والاستقلال وفرض النفوذ ، اذ توجه جيش الخلافة الى الحلة فى عام (٥٥٨هـ/١١٦٣م) وتمكن من القضاء على المزيديين واجلائهم عنها ، فلم تقم لهم بعدها قائمة .[١] وهكذا فان عودة سلطة الخلافة واستقرار الأوضاع ، واستقلال الخليفة فى اتخاذ القرار ، كان طابع العصر فى هذه الفترة ، بعد صراع مستمر بين الخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة ، وقد كان لجهود المسترشد ، والراشد ، والمقتفى ، والمستنجد الأثر الكبير فى تحقيق ذلك ، فقد كان كل واحد من هؤلاء الخلفاء عظيما فى [illegible]قفه ، جليلا فى كفاحه ، من أجل استرداد حقوق الخلافة ، وازاحة التحكم والاستبداد السلجوقى ، حتى جاء الخليفة الناصر لدين الله[٢] الذى أحيا سنن " الفتوة "[٣] ومعالمها ، وجمع ما تشتت من نظامها ، وشيد ما تعطل من أحكامها ، واقتدى به فى ذلك زعماء البلاد والخواص من العباد .[٤]

ان تجديد الخليفة الناصر لدين الله لنظم الفتوة ، ورعايته لها ، انما أراد بذلك نهضة الشباب الاسلامى ، وتدريبهم عسكريا ، وتنشئتهم على العادات الطيبة ، وغرس المثل السامية فى نفوسهم ، وتوحيد صفوفهم ، وبذلك يقوى الصف الداخلى فى مواجهة الأخطار ، حيث يمكن توجيه هؤلاء الفتيان الوجهة الصالحة لخدمة الدين والدولة . وقد نجح الناصر فى ذلك نجاحا كبيرا مما ساعده على تحقيق أهدافه فى التخلص من التسلط السلجوقى واستعادة هيبة الخلافة واستقلالها .

----

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ١١/ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٢) أبو العباس أحمد بن المستضىء بالله الحسن ولد عام (٥٥٤هـ/١١٥٩م) وبويع بالخلافة عام (٥٧٥هـ/١١٧٩م) وشهدت الخلافة فى أيامه قوة ومنعة . أنظر : ابن الطقطقى : الفخرى / ص ٣٢٢ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤١٣ .

(٣) سيأتى الحديث عنها .

(٤) ابن المعمار : الفتوة / ص ٢٠ .

الأوضاع الاقتصادية :

تتحدث المصادر التاريخية التي تناولت العصر السلجوقي في العراق[1] عن الكوارث والأزمات الاقتصادية التي كثيرا ما اجتاحت البلاد في هذا العصر، مما يدعو الى الدهشة والاستغراب ، وقد اتفق الكثير من هذه المصادر في وصف حالات الجدب والقحط والفيضانات والدمار التي كان من نتائجها حصول أزمات خانقة نجم عنها اضطرار الكثير من الناس الى أكل الجيف ، والقطط ، والكلاب وبالتالي حصول ضربات وبائية حادة كان من نتيجتها موت الآلاف من الناس ، وانتشار وتوطن الأمراض[2] .

ان طبيعة البحث لا تقتضي تتبع المعلومات عن تلك الكوارث ، واستقصاء الحديث عنها ، ومع ذلك فلعل من المناسب الاشارة الى نماذج من ذلك ، لما لها من تأثير سلبي في الحياة الاقتصادية للعراق خلال هذه الحقبة انعكس أثره على الحياة العلمية والنشاط الفكري بعامة. ففي عام (٤٤٩هـ/١٠٥٧م) حدث جوع شديد في معظم النواحي ، حتى أكل الناس الكلاب ، وانتشرت الأوبئة والأمراض ، وكانت الدنانير الكثيرة والدراهم والثياب قد تقدم الى الفقير المعدم فيعرض عنها ، ويقول : " أنا أريد كسرة ، أريد ما يسد جوعي "[3] ، وتصاحب فترات الجوع والقحط هذه عادة موجات من الغلاء الفاحش ، حيث ترتفع معدلات أسعار المواد الغذائية الى درجات عالية جدا ، لا يستطيعها أغلب الناس .

---

(١) أنظر الحوادث الخاصة بفترة السلاجقة في العراق في ابن الجوزي : المنتظم جـ ٨ ص ١٧٩ ، ٢٧٣ ، جـ ٩/ ص ١٤٦ ، جـ ١٠/ص ١٣٤ ، ابن الأثير: الكامل جـ ٨ ص ٤٤٨ ، ١٩٥ ، ٢٥٢ ، ٢٨٠ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ / ص ١٦٥ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٨/ ص ١٧٠ ، ٢٣٢ ، جـ ٩/ص١٤-ص٢٧ ، ص ١١٣ ، ص ٢٤٩ ، جـ ١٠/ص ١٢٠ ، ١٣٨ ، ابن الأثير: الكامل جـ ٩/ص ٢٧ ، ١٤٤ .

(٣) ابن الأثير: الكامل جـ ٨/ص ٧٩ .

وفى عام (٥١٥هـ/ ١١٢١م) نزلت بالعراق نازلة عنيفة ، فقد استمر هطـول الأمطار مدة طويلة ، زادت فيه عن أقصى الحدود المحتملة ، وكانت تلك الأمطار كثيفة وشاملة ، فأهلكت الزرع والضرع ، ونزل الثلج الذى دام خمسة عشر يوما ، مما تسبب فى اهلاك الأشجار [1] ، وغنى عن البيان ما يسببه مثل هذا الحال من أزمة اقتصادية خانقة ، استمرت حتى الموسم الزراعى الثانى ، وقد عبر أحد الشعراء عن مشاعر الأمة فى أعقاب هذه الكارثة التى دمرت اقتصاد العراق عام (٥١٥هـ/ ١١٢١م) حيث يقول [2] :

يا صدور الزمان ليس بوفر ما رأيناه فى نواحى العـراق

انما عم ظلمكم سائر الخلـق فشابت ذوائب الآفـاق [3]

وفى مقابل تلك الصورة الكالحة ، وما نجم عنها من أزمة حادة ، تقدم المصادر صورا جانبية عن البذخ والاسراف فى روايات متواترة ، فابن الجوزى يروى لنا أخبار حفل زفاف الأميرة خاتون ابنة السلطان ملكشاه الى الخليفة المقتدى بأمر اللـه ، فيقول : " أمر الناس بتعليق وتزيين البلد لأجل زفاف خاتون بنت ملكشاه الـى المقتدى .... ونقل الجهاز على مائة وثلاثين جملا ، وبين يديه البوقات والطبول والخدم فى نحو ثلاثة آلاف فارس ، ثم نقل بعد ذلك شىء آخر على أربعة وسبعين بغلا ، وكان على ستة منها الخزانة ، وهى اثنا عشر صندوقا من فضة ، وبين يديها ثلاثة وثلاثون فرسا ، والخدم والأمراء بين يدى ذلك .... " [4].

وابن كثير الحافظ المؤرخ يروى لنا فى تاريخه تكاليف زفاف الخليفة العباسـي القائم بأمر الله من بنت أخي السلطان طغرل فيقول : " .... الصداق مائـة ألف دينار، وأفاض عليها خلعا سنية ، وتاجا من جوهر ثمين ، وأعطاها سـن الغد مائة ثوب ديباجا ، وقصبات من الذهب ، وطاسة ذهب قد نبت فيها الجوهر

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٢٢٦ .
(٢) الوفر : الثلج .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ٢٢٦ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ٧/ص ٢٤٢ .
(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩/ ص ٣٦ .

والياقوت والفيروز ، وأقطعها في كل سنة من ضياعه ما يغل اثني عشر ألف دينار[(١)].

وجدير بالذكر أن اقتصاد العراق في هذا العصر وكل العصور كان يعتمد على الزراعة بالدرجة الأولى ، فصلاح الزراعة وفسادها له تأثير عظيم على اقتصاد الدولة وحياة الناس.[(٢)] وخلال فترة التسلط البويهي على العراق انتهج أمراء بني بويه سياسة غير مسئولة ، لم يعطوا خلالها أية أهمية لمصالح الرعية ولا حتى مصلحة حكومتهم ، حتى خربوا البلاد ، عن طريق تطبيقهم لنظام الاقطاع الذي يقوم "على أساس اقطاع لوارد الأرض ، في أراض لها زراعها وملاكها الى الجند والقادة"[(٣)] وقد أهمل الكثير من هؤلاء المقطعين ، عمارة ما أقطعوا ، وكان من السهل بعد أن تخرب اقطاعاتهم أن يردوها فيعوضوا عنها حيثما يختارون[(٤)] وازداد الأمر سوءا حين اعتمد المقطعون على وكلائهم في ادارة اقطاعاتهم ، فقام هؤلاء بأعمال الظلم والمصادرات.[(٥)] كما أن الأراضي التي كانت ملكا خاصا لم تسلم من هذا الوضع فقد يقطع الأمير البويهي واردها الى الجند والقادة.[(٦)] كما أن التجاوز والعسف

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/ ص ص ٦٧ - ٦٨.

(٢) تقدم المصادر التاريخية الكثير من المعلومات عن وصايا الخلفاء منذ عهد الراشدين وطوال العصر الأموي والعصر العباسي الأول ، والتي يؤكدون فيها على ضرورة رعاية أرض الخراج والاصلاح في أهلها" لأن في صلاحها وصلاحهم صلاحا للأمة .

(٣) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي / ص ٨٩.

(٤) طرخان : النظم الاقطاعية ص ٢٣ ، عن مسكويه : تجارب الأمم جـ٦/ص ٧٩.

(٥) طرخان : النظم الاقطاعية /ص ٢٣، عن مسكويه : تجارب الأمم جـ٦/ص ٩٨.

(٦) ويرى د. السامرائي أن ملاك الأراضي الزراعية حينما يجدون أنفسهم مثقلين بأعباء ضرائب ثقيلة تجبى بأساليب قسرية،اضافة الى ما كان عليهم أن يدفعوه لسد جشع الجباة، فانهم يضطرون الى التفتيش عمن يحميهم من ذلك من بين كبار رجال الدولة المتنفذين، وفي مثل هذه الحالة تنقل ملكية الأرض-صوريا- الى الرجل الذي يوفر الحماية ويتعهد المالك الحقيقي بدفع الضرائب الخفيفة ، مضافا اليها نسبة معينة من وارد الأرض ، أو مبلغ معلوم يتضمنه الاتفاق سنويا ، الى شخص الحامي في مقابل حمايته للأرض وبذلك يتخلص الملاك من دخول الجباة الى أراضيهم، حيث ان الحامي يدفع استحقاق بيت المال مباشرة في العاصمة ، أو مراكز الأقاليم. غير أن الخطورة تكمن في أن تطبيق الالجاء سيؤدي حتما الى نقل الملكية فعليا الي الحامي أو ورثته بمرور الوقت. El-Samrraie: Agriculture in Iraq p.188. الجهشياري: الوزراء ص ١١٨، ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٢٨٢، الاصطخري : المسالك والممالك ص ١٥٨.

فى الجباية قد أدى الى انتشار نظام " الالجاء "[1] احتماء من الظلم وتخلصا من ثقل الضرائب المفروضة ، فتحولت ملكية كثير من الأراضى عن هذا الطريق الى القادة " فملكوا البلاد واستعبدوا الناس ".[2] وهكذا فان نظام الاقطاع الذى اتبعه البويهيون قد أدى الى خراب البلاد ، والى قلة واردات بيت المال .

ان اتساع الدولة السلجوقية ، والحرص على ضمان وسلامة وحماية ثغورها وحدودها واصلاح أمر البلاد ، حدا بالوزير نظام الملك الى اتباع نظام الاقطاع . يقول المقريزى : " وأول من عرف أنه فرق الاقطاعات الملك أبو على الحسن بن على بن العباس وزير ألب أرسلان ...... ثم وزر أبو علي لابنه ملكشاه ، وذلك لأن مملكته اتسعت ، فرأى أن يسلم الى كل مقطع قرية أو أكثر أو أقل ، على قدر طاقته ".[3]

ولم يتبع نظام الملك النظام الاقطاعى الذى كان سائدا فى العصر البويهى نفسه بل أراد أن يطبق النظام الاقطاعى الذى يتمشى مع الأهداف المحددة ، والتى من أجلها أقامه ، يقول البندارى : رأى نظام الملك أن " الأموال لا تحصل من البلاد لاختلالها ، ولا يصح منها ارتفاع لاعتلالها ، ففرقها على الأجناد اقطاعات، وجعل لهم حاصلا وارتفاعا ، فتوفرت دواعيهم على عمارتها ".[4]

لقد أدرك نظام الملك خطورة مثل هذا النظام على السلطة المركزية ، وعلى الأمن ، فاتخذ اجراء وقائيا بأن فرق اقطاع القائد أو الجندى الواحد فى بلاد مختلفة ، ولم يجعله جملة واحدة فى موضع واحد ، حتى لا يقوى المقطع بما يكون له من عصبية وقوة ، قد تكون خطرا على كيان الدولة ، . يقول البندارى : " وربما قرر لواحد من الجند

---

(١) الالجاء : أن يلجىء الضعيف ضيعته الى قوى ، ليحامى عليها . أنظر الخوارزمى: مفاتيح العلوم /ص ٥٧ .

(٢) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢ / ص ١٧٢-ص ١٧٥ .

(٣) المقريزى : الخطط جـ ٣/ ص ١٥٣ .

(٤) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٥٥ .

ألف دينار فى السنة ، فوجه نصفه على بلد من الروم ، ونصفه على وجه فى أقصى خراسان وصاحب القرار راض ".[1]

ولقد حدد نظام الملك الالتزامات الرئيسية لهؤلاء المقطعين ، وذلك بأن قرر عليهم كما يقول البندارى " خدما عن عصمة ولاياتهم يوصلونها ، وقرر معهم الحضور الى الخدمة وموالاة الخدمات للحضرة ، والوصول بالعساكر الجمة ".[2]

هذا النوع من الاقطاعات هو الاقطاع الحربى ، ولم يكن تمليكا وانما كان استغلالا ، وهو الذى يؤخذ منه خراج الأرض ، وتبقى رقبتها للدولة . وهذا النمط من الاقطاع يجرى منحه عادة لأحد الأفراد لفترة محدودة ، وقد تسترد منه حتى قبل نهاية الفترة متى أراد ذلك الخليفة أو السلطان ، ولصاحب الاقطاع الحق فى استغلال الأرض المقطعة له طالما كانت فى حوزته ، لأن الاقطاع يتضمن معنى الحكم والولاية[3] ، والمقصود من مثل هذه المنح هو تعويض بعض الموظفين المدنيين أو العسكريين عن الراتب النقدى .

ولقد وضع نظام الملك ضمانات واضحة تحوطا من استغلال أصحاب الاقطاع للناس فقال : " ينبغى لأهل الاقطاع أن يعلموا أن ليس لهم على الرعية من أمر الا أن يجبوا منهم المال ، الحق الذى عهدت اليهم جبايته بالحسنى ، فاذا جبوه وجب أن يأمن الناس على أنفسهم ونسائهم وأموالهم وعيالهم ، ويطمئنوا على أسبابهم وضياعهم ، وما لأهل الاقطاع عليهم بعد ذلك من سبيل . . . . وكل من سار من المقطعين فى الناس بغير ذلك وجب أن تغل يداه ، وأن يسترد منه اقطاعه ، وأن يؤاخذ على ذلك حتى يعتبر به الآخرون ".[4]

---

(١) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٥٥ .
(٢) ن.م.س/ ص ٥٥ - ٥٦ .
(٣) طرخان : النظم الاقطاعية / ص ٢٢ .
(٤) نظام الملك : سياسة نامه / ص ٦١ .

ونبه نظام الملك الى التدابير التى ينبغى اتخاذها اذا ما سمع من الرعية عن استغلال وظلم صاحب اقطاع فقال : " اذا بدت على الرعية علائم التلف والتشعث فى ناحية من النواحى ، وهجست الريبة فى النفس بأن القائلين مغرضون وجب أن يندب على الفور من الخواص من لا يرقى الى ساحته الريب فيما يبعث فيه من أعمال ، وأن يرسل الى تلك الناحية متذرعا بذريعة ما ، فيجوس فيها شهرا يفحص عن حال المدينة والرستاق ، ويرى العمران والخراب ، ويستمع الى قول كل قائل فى حق صاحب الاقطاع والعامل ، ويعود بالخبر اليقين . ذلك لأن الوكلاء يلقون أعذارهم ، ويلتمسون الذرائع بقولهم : " انهم لنا خصماء ، فلا تلقوا لقولهم بالا ، لأنكم ان فعلتم جرأوا علينا وفعلوا ما يشتهون ".[1] أما المعتمدون والقائلون فيعجزون عن بذل النصح للسلطان أو لأصحاب الاقطاع المغرضين ما لم يتبينوا صورة الحال . فيخرب العالم لهذا السبب وتهتش الرعية . وتتأذى ، وتجبى الأموال بغير حق ".[2]

يتضح من كلام نظام الملك فى النصين السابقين أن المقطعين كانوا يقيمون فى المدن ، وينوب عنهم فى ادارة اقطاعاتهم وكلاء يختارونهم لهذه المهمة .

كما يفهم أيضا من كلامه أن حقوق المقطع على المزارعين كانت مالية فقط ، ولكن الواقع العملى كان خلاف ذلك ، فقد سيطر المقطعون عن طريق وكلائهم على الأرض ، فكانت حرية الزراع والفلاحين فى الغالب محدودة ، اضافة الى التزامهم بدفع رسوم اضافية ، وكثر التجاوز عليهم مما اضطر الكثيرين من أصحاب الأراضى الى " الجاء " أراضيهم للعسكريين طلبا للحماية[3] مما أدى الى التوسع فى الملكيات الكبيرة وتقليص الملكيات الصغيرة . ومع أن الوزير نظام الملك قد حاول أن يحمى

---

(١) نظام الملك : سياسة نامه / ص ١٧١ .

(٢) ن.م.ص / ص ١٧١ .

(٣) قدم د . السامرائى عرضا ضافيا عن الالجاء والحماية فى بحثه عن الزراعة فى العراق خلال القرن الثالث الهجرى عند حديثه عن " سياسة الاقطاع " (ص ص ١٢٨-١٤٥) كما تعرض لموضوع (الضرائب الاضافية الثقيلة) التى ألجأت أصحاب الأراضى الى طلب الحماية (ص ١٥٥-١٩١) .

الزراع والفلاحين من التجاوز والظلم بما نص عليه النصان السابقان الا أن ذلك لم يجد نفعا [(١)]" فقد تطور الاقطاع العسكري في أواخر الفترة السلجوقية ، فلم يعد ينصب على الضرائب ، بل صار اقطاعا وراثيا للأرض ، يمارس فيه المقطع صلاحيات واسعة مقابل الخدمة العسكرية واعداد الجند [(٢)]".

فالعراق في العصر السلجوقي قسم الى اقطاعات ، وزعت بين أفراد البيت السلجوقي والولاة والشحن [(٣)]. واستمر على هذه الصورة طوال العصر السلجوقي ، لوجود الطبقة العسكرية التي كانت تتمثل في الولاة والشحن وقادة الجيش اضافة الى الجند ، وقد امتد هذا النظام الى الزنكيين والأيوبيين [(٤)].

وهناك نوع آخر من الاقطاع في العصر السلجوقي ، وهو اقطاع التمليك ، وبموجبه تنتقل الى المقطع جميع حقوق التملك بما في ذلك حق التوارث ، ولا يتحمل المقطع في مثل هذه الحالة سوى العشر [(٥)].

ان منح مثل هذا الاقطاع يجرى عادة على الأرض الموات بقصد احيائها ، وربما على الأرض العشرية ، وهى الأرض العامرة التي توفي صاحبها دون وارث [(٦)].

---

(١) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي / ص ٩٦ .
(٢) ن.م.س/ ص ص ٩٦ - ٩٧ .
(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩/ ص ٤٧٧ - ص ١٠٣ - ص ١١١ .
الشحنة : وظيفة سلجوقية جديدة . استحدثها السلاجقة . ويعين صاحبها من قبل السلطان ، وهذه الوظيفة أشبه ما تكون بوظيفة المتصرف أو محافظ المدينة في عصرنا الحاضر يتمتع صاحبها بسلطات بوليسية وادارية . أنظر : حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف ج ٢ / ص ٦٢٣ .
(٤) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي / ص ٩٧ .
(٥) ن.م.س / ص ٢٨ .
(٦) الماوردي : الأحكام السلطانية / ص ١٩٠ .

ومن أمثلة ذلك أن الخليفة المقتفى لأمر الله منح أحد الأتابكة الزنكيين قريـــة الصريفين [١] ، ودرب هارون [٢] وحربى [٣] ملكا له [٤] . كما أقطع احدى القرى من بين أملاكه الخاصة الى وزيره ابن هبيرة [٥] وكانت مجاورة لأملاك الوزير [٦] .

ومن الاقطاع التمليك ما كان يمنحه السلاطين السلاجقة لخلفاء وأمراء البيــت العباسي أو أفراد عائلة الخليفة ، حيث يديرونها نيابة عنهم [٧] .

وكانت اقطاعيات الخلفاء كثيرة ، ومواردها متنوعة ، كان يقررها لهم السلاجقة [٨] . وقد زاد السلاطين السلاجقة فى اقطاعات الخلفاء ، فتحسنت أحوالهم المادية .

فطغرلبك حينما خطب ابنة الخليفة القائم بأمر الله زاد اقطاعاته احتفـــاء بالمناسبة السعيدة [٩] . على أن اقطاعات الخلفاء وأموالهم كثيرا ما تعرضـــت لمصادرة سلاطين السلاجقة عند تأزم علاقاتهم مع الخلفاء ، أو حينما يظهر الخليفة أى نوع من المعارضة للسلاجقة .

---

(١) صريفين : قرية كبيرة قرب عكبرا . أنظر: ياقوت : معجم البلدان ج٣/ص٣٨٤ .
(٢) قرية دباها ، وهى فى نواحى نهر الملك فى الجانب الغربى وكانت وقفا علـــى البيمارستان العضدى . أنظر: جواد : دليل خارطة بغداد /ص ١٤١ .
(٣) حربى : مدينة تقع على الضفة اليمنى لمجرى نهر دجلة القديم الى الجنـــوب الغربى من سر من رأى . أنظر : سوسة : رى سامراء ج ١ / ص ١٩١ .
(٤) ابن الطقطقي : الفخرى / ص ٥٠ .
(٥) سيأتى الحديث عنه .
(٦) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٢٦١ .
(٧) ابن الساعى : الجامع المختصر ج ٩ / ص ١٩ .
(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية / ص ٥١ . أبو شامة : الروضتين ج ١ / ص ٨١ .
(٩) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ / ص ٢٢٨ .

ولهذا السبب نجد أن السلطان طغرلبك قد أصدر أوامره الى نوابه في بغداد والبصرة وواسط بمصادرة اقطاعات الخليفة القائم بأمر الله حين اختلف معه.(١)

وكذلك الحال حينما استولى السلطان مسعود على أملاك وأموال الخليفة المسترشد بالله حين اختلفا واقتتلا - وقد قدرت بعض المصادر قيمة ما نهبه السلطان من الخليفة بعشرة آلاف ألف دينار.(٢)

وهكذا كانت موارد العراق المالية تذهب الى خزينة السلطان السلجوقي ، ليتصرف فيها بحرية تامة وكأنها خزانته الخاصة. ويذكر السيوطي أنه في عام (٥٣١ هـ / ١١٣٦م) أخذ السلطان مسعود جميع تعلق الخليفة ، ولم يترك له الا العقار الخاص ، وأرسل وزيره يطلب من الخليفة مائة ألف دينار ، فقال المقتفي : ما رأينا أعجب من أمرك ، أنت تعلم أن المسترشد صار اليك بأمواله ، فجرى ما جرى ، وأن الراشد ولي ففعل ما فعل ، ورحل وأخذ ماتبقى ، ولم يبق الا الأثاث ، فأخذته كله ، وتصرفت في دار الضرب ، وأخذت التركات والجوالي ، فمن أي وجه نقيم لك هذا المال ؟ وما بقي الا أن نخرج من الدار ونسلمها ؟ فاني عاهدت الله ألا آخذ من المسلمين حبّة ظلما ، فترك السلطان الأخذ من الخليفة ، وعاد الى جباية الأملاك من الناس ، وصادر التجار ، فلقي الناس من ذلك شدة".(٣)

وهكذا فانه في كثير من الفترات كانت موارد العراق المالية منهوبة ، وأراضيه اقطاعات حتى قال شاعرهم :(٤)

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٨/ ص ٢٢٣.
(٢) ابن الطقطقي: الفخري / ص ٢٦٨.
(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء / ص ٤٠٣.
(٤) الأصفهاني : الخريدة جـ ٤/ص ٥٣٥. وقائل هذه القصيدة هو مرجى بن بتاه البطائحي ، كان من الفضلاء وفحول الشعراء في هذا العصر بالعراق. أنظر: الخريدة جـ ٤/ ص ٥٣٢.

فقد كثر الاقطاع ، حتى أظنـه	سيقطع كلب بالجزيرة أوهـر
سلام على مال العراق ، فانـه	مضى حيث لا نفع لذاك ولا خسر
فشطر لأتراك ومن دونها النهـر	وشطر لأكراد ، ومن شأنها الغدر
وشطر لكتاب ، ومافيهم صـدر	وشطر لحجاب ، وما بهم فخـر

أما بالنسبة للزراعة في العراق في العصر السلجوقي فالمصادر التاريخية لا تسعفنا بمعلومات وافرة عنها ، ولكن يتضح من اشارات عابرة عرض لها بعض المؤرخين والرحالة أن الزراعة كانت منتعشة في هذه الفترة الى حد ما ، وانها لاقت شيئا من الاهتمام ، فقد جاء عن والي العراق السلجوقي مجاهد الدين أبو الخير بهروز الرومي أنه تولى العراق حوالي عشرين سنة من عام (٥٢١ هـ / ١١٢٧م) حتى وفاته عام (٥٤٠ هـ/ ١١٤٥م) (١) ، وانه قام بأعمال هامة ، مثل تعميره للمحولة المعروفة بالمجاهدية ، حيث جمع لها الرجال وعمرها ، وكذلك عمر مدينة الخالص وأعمالها ، وعمل سدا لمدينة بهرز (٢) .

وذكر لنا بنيامين (سنة ٥٦٩ هـ / سنة ١١٧٣م) عن بغداد أن استدارتها بلغت عشرين ميلا ، وأن الرياض والحقول تمتد حولها ، وكذلك بساتين النخيل مما لا مثيل له في العراق (٣) . وجاء في رحلة ابن جبير للعراق عام (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) وصف جيد أظهر فيه العمران الزراعي للمنطقة من جنوب العراق الى شماله ، مبتدئا بالكوفة التي قال عنها : " والجانب الشرقي كله حدائق نخيل ملتفة ، يتصل سوادها ويمتد امتداد البصر " (٤) ، وذكر مدينة الحلة فقال : " متصلة حدائق

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم جـ ١٠/ ص ١١٧ .
(٢) ن . م . ص جـ ١٠ / ص ١١٧ .
(٣) بنيامين : الرحلة / ص ١٣٩ .
(٤) ابن جبير : الرحلة / ص ١٨٩ .

النخيل داخلا وخارجا فد يارها بين حدائق النخيل "[١] ووصف قرية على الطريق اسمها القنطرة[٢] بأنها كثيرة الخصب " وأنها وارفة الظلال بشجرات الفاكهة وألفينا حصاد الشعير بهذه الجهات في هذا الوقت "[٣]. وقد وصف قرية زريران[٤] بأنها قرية " من أحسن قرى الأرض ، وأجملها منظرا ، وأكثرها بساتين ورياحين وحدائق ونخيلا ، . . . . وحسبك من شرف موضعها أن دجلة تسقي شرقيها ، والفرات يسقي غربيها وهي كالعروس بينهما ، والبسائط والقرى والمزارع متصلة بين هذين النهرين "[٥] ، وهكذا فهو يستمر في وصفه لشيوع الزراعة واتصال البساتين حتى يصل بغداد فيقول : " والمدخل اليها على بساتين وبسائط يقصر الوصف عنها "[٦] ثم يواصل ابن جبير رحلته الى الموصل واصفا المدن والقرى التي زارها ومر بها ، فذكر العمران الزراعي في هذه المنطقة من العراق فالقرى عامرة ، والقنوات تؤدي عطها . والمزارع متصلة[٧] حتى يصل الى نصيبين فيقول عنها : " جميلة المنظر ، يمتد أمامها وخلفها بساط أخضر مدّ البصر ، قد أجرى الله فيه مذانب من الماء تسقيه ، وتحف بها عن يمين وشمال بساتين ملتفة الأشجار يانعة الثمار ، ينساب بين يديها نهر قد انعطف عليها انعطاف السوار ، والحدائق تنتظم بحافتيه . . . . فخارجها رياض الشمائل ، أندلسي الخمائل ، يرف غضارة ونضارة "[٨].

---

(١) ابن جبير : الرحلة / ص ١٨٩ .
(٢) القنطرة : اسم لعدة مواضع قرب بغداد ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ / ص ٤٠٥ .
(٣) ابن جبير : الرحلة / ص ١٩١ .
(٤) زريران : قرية قرب بغداد . ياقوت : معجم البلدان جـ٣ / ص ١٤٠ .
(٥) ابن جبير : الرحلة / ص ١٩٢ .
(٦) ن.م.س / ص ١٩٣ .
(٧) ن.م.س / ص ٢٠٦ الى ص ٢١٤ .
(٨) ن.م.س / ص ٢١٤ .

وينعكس مما سبق ذكره أن النشاط الزراعي كان جيدا الى درجة كبيرة في العراق خلال فترة البحث ، على الرغم من الحوادث والكوارث الطبيعية التى كانت تجتاح البلاد بين فترة وأخرى .

الأوضاع الاجتماعية :

ان دراسة الجانب الاجتماعي لحياة الناس من الأمور ذات العلاقة الوثيقة بالظروف البيئية ، وما يحصل من تطور فى الحياة السياسية والأوضاع الاقتصادية .

ولهذا فدراسةالحياة الاجتماعية فى العصر السلجوقي ، كما هو الحال فى كل العصور الأخرى ، لابد أن تكون متأثرة الى حد بعيد بالظروف الاقتصادية والسياسية .

والواقع أن الحياة الاجتماعية للعراق فى هذا العصر لا تختلف كثيرا عما كانت عليه فى الحقبة السابقة . ذلك أنه لم تحدث تطورات كبيرة تستلزم ذلك . على أن غلبة العنصر السلجوقي ، اضافة الى مجريات الأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية ، أدت الى ايجاد ظواهر معينة ، كان لها آثار واضحة فى حياة الناس الاجتماعية فى هذا العصر.

فلقد كانت طبقة رجال الصوفية من أهم طبقات المجتمع فى العصر السلجوقى ، وكان لانتشار تعاليمها أثر كبير فى ميل الناس الى حب الوحدة ، والميل الى الاعتكاف والانزواء ، وساد حياة الناس القلق والشك ، وعدم الاخلاص ، والنفاق فى التعامل ، وانعدمت بينهم المثل الأخلاقية ، فابن جبير الذى زار بغداد عام (٥٨٠هـ/١١٨٤م) يقول عن أهلها : " وأما أهلها فلا تكاد تلقى منهم الا من يتصنع بالتواضع رياء ، ويذهب بنفسه عجبا وكبرياء ، يزدرون الغرباء ، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والاباء ، ..... فالغريب فيهم معدوم الارفاق ، متضاعف الانفاق ، لا يجد من أهلها الا من يعامله بنفاق ، أو يهش اليه هشاشة انتفاع واسترفاق ، كأنهم من التزام هذه الخلة القبيحة على شرط

اصطلاح بينهم واتفاق ......"[١].

هذه الأوضاع الاجتماعية ، التى ظهرت بسبب الظروف السياسية والاقتصادية والدينية المضطربة ، كانت سببا في محاولة بعض الفئات الاجتماعية ، والتى ظهرت قبل هذا العصر ، الى اصلاح المجتمع بالقوة كفرقة الأخية الفتيان الصوفية[٢] وطبقة العيارين[٣] اللتين اتخذتا من السلاح وسيلة لأخذ حقهما ، والضرب على أيدى الظلمة ، وتقديم المساعدة للمحتاجين ، وكانت تعاليم هذه الفرق أكثر تمشيا مع نفوس السكان ، فانضوى كثير منهم تحت لوائها[٤].

ولقد ظهر الرقيق فى هذا العصر كطبقة اجتماعية لها أهميتها ، وقد وصل الكثير منهم الى درجة الامارة ، ولعبوا دورا هاما فى الادارة فى عهد السلاجقة[٥].

وكان أهل الذمة من اليهود والنصارى يشكلون طبقة مهمة فى العراق فى هذا العصر ، هذا بالاضافة الى المجوس الذين أصبحوا يشكلون طبقة لها وزنها الاجتماعى والاقتصادى فى العراق منذ العصر السابق[٦].

وقد كان لمظاهر حياة السلاجقة الخاصة[٧] أثر كبير على مظاهر الحياة الاجتماعية للمجتمع ، لاسيما فى أواخر العصر السلجوقى ، عندما تأزمت العلاقات بين السلطان السلجوقى والخليفة العباسي . ففى عام (٥٣١هـ/١١٣٦م) أرسل السلطان مسعود " وزيره يطلب من الخليفة مائة ألف دينار - ورد الخليفة عليه بقوله : فانى عاهدت الله ألا آخذ من المسلمين حبة ظلما ، فترك السلطان

---

(١) ابن جبير : الرحلة / ص ١٩٤ . على أنه لا يعقل أن يسرى ذلك على كافة أهل بغداد .
(٢) عبدالنعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق / ص١٨١ نقلاعن : ابن بطوطة : الرحلة / ص ١٨١ .
(٣) سيأتى الحديث عنها .
(٤) عبد المنعم حسنين : سلاجقة ايران والعراق / ص ١٨١ .
(٥) ن.م.س / ص ١٨٢ .
(٦) المقدسى : أحسن التقاسيم / ص ١٢٦ .
(٧) أنظر ماكتبه الراوندى : راحة الصدور من ص ٤٠٥ الى ص ٤٣٧ الفصول الخاصة بالمنادمة ، ولعب الشطرنج ، والرماية والصيد . وأنظر أيضا : نظام الملك : سياسة نامة / ص ١٢٠ ، ص ١٢٢ ، ص ١٥٧ .

الأخذ من الخليفة ، وعاد الى جباية الأملاك من الناس ، وصادر التجار ، فلقى الناس من ذلك شدة ".[1]

وكان لمركز بغداد الخاص كعاصمة للخلافة الاسلامية ، ونظرا لوجود مقر الخلافة فيها أثره فى حرص السلطان وذويه على أن يقيموا الاحتفالات فى أفراحهم ومسراتهم فيها ، حيث تغلق الأسواق ، ويجبر الناس على اظهار معالم الزينة ، ويكثر فى هذه المناسبات العزف والقصف والزمر ، ويذكر ابن الجوزى فى حوادث عام (٥٣٢هـ/١١٣٧م) "بأن السلطان مسعود قد أنفذ "الى البقش[2] كأسا ليشربها ، فامتنع خمسة أشهر ثم عزم على شربها ، فتقدم الى الولاة بالمحال والأسواق أن يشعلوا الشموع والقناديل والسرج فى جميع المحال ليلا ونهارا ثلاثة أيام ، وظهرت القينات والمعازف والنساء ، عليهن الثياب الملونة والمخانيث الى شرب الكأس ".[3]

العيارون[4] :

وحركة العيارين التى نشطت فى هذا العصر ، واتبعت فى كثير من الأحيان أسلوبا شاذا فى التعامل مع الناس . لم يكن اتجاههم هذا ، وأسلوبهم الجديد ، الا وليد الظروف الاقتصادية آنذاك ، والمؤرخون يصمون العيارين بأنهم لصوص ، وأن حركتهم لم تقم الا لاكثار الفساد والفوضى .

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء / ص ٤٠٣ .

(٢) لعله البقش كون خر المتوفى عام (٥٤٩هـ/١١٥٤م) الذى كان من بين الذين حاربوا المقتفى فى موقعة "باخمرى" . أنظر : ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ١٥٩ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ٧٢ .

(٤) العيار لغة : الكثير المجيء والذهاب فى الأرض ، ابن منظور : لسان العرب جـ ٤ /ص ٦٢٠ . وقيل هو التركي الكثير التطواف . الزبيدى : تاج العروس جـ ٣ / ص ٤٣٤ .

والواقع أن حركة الشطار والعيارين الذين تعرضت لهم الكتب الاسلامية هم الفتيان ، قال الجنيد البغدادى " الفتوة كف الأذى وبذل الندى "[(١)] بل اعتبرت الفتوة " خصلة من خصال الدين ، وصفة مكملة للعارفين ، وهى عهد بين الكبير ورفيقه على التمسك بقانون الدين القويم ، والعمل بالقسطاس المستقيم "[(٢)] فالفتوة فى الاسلام مسلك أخلاقي يؤدى الى تهذيب الأخلاق ، وتوثيق المؤاخاة بين الناس ، والدعوة الى الفضائل والشجاعة والابتعاد عن الرذائل والجبن .[(٣)]

وظلت الفتوة طوال صدر الاسلام ، والعصر الأموى ، وشطرا من العصر العباسي ، مسلكا فرديا يسلكه بعض الأفراد ، ويتجلى فى أعمالهم ، ولم يعرف لأهل الفتوة نظام اجتماعي فى تلك الحقبة[(٤)] . والواقع أن حركة الشطار أو العيارين الذين تعرضت لهم الكتب الاسلامية هم الفتيان الذين برزوا فى العصر السلجوقى كطائفة اجتماعية هامة ، ونظمت صفوفها ، وأصبح لها نقابات خاصة ، يرى الدكتور عبد العزيز الدورى ، أنها كانت تنتظم " أسلاف حركة الفتوة المشهورة"[(٥)] ويضيف بأن هذه الجماعة كانت تستهدف اجراء" حركة اصلاحية اجتماعية للطبقة الفقيرة دون أن يكون لها وقتئذ ذلك القانون الأخلاقى السامى الذى تمثل فى خلافة الناصر"[(٦)] .

ويلاحظ أن لفظ " الفتى " كان شائعا بين العيارين ، فقد تغنى الشاعر الأعمى :

ويقول الفتى اذا طعن الطعـــــــنـة خذها من الفتى العيار

---

(١) القشيرى : الرسالة القشيرية / ص ١١٣ .
(٢) ابن المعمار : كتاب الفتوة /ص ١٣٩ ، تحقيق مصطفى جواد وآخرون ، بغداد ، ١٩٥٨م .
(٣) مصطفى جواد : الفتوة والفتيان قديما ، مجلة لغة العرب ، مجلد ٤ ، بغداد ، سنة ١٩٣٠م ، / ص ٢٤١ .
(٤) عمر الدسوقى : الفتوة عند العرب / ص ٢٢٠ .
(٥) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى / ص ٩٣ .
(٦) ن.م. ص / ص ٩٣ .

ويستنتج الدورى من ذلك " أن مدلول الكلمتين " فتى " و " عيار " فى الأصل واحد "[(١)].

ولكن الظروف التى تحكمت فى الفتوة ، والتى هى فى الأصل نوع من الفروسية الممتزجة بالمثل العليا والايثار ، قد تطورت فى بغداد ، وصبت فنونها فى قالب العصابات ، التى جعلت هدفها نهب الحوانيت والأسواق وبيوت الأغنياء[(٢)].

وبذلك تبدو هذه الحركة على حقيقتها فى هذا العصر اتجاها رمى معتنقوه الى التخفيف من الفرق بين الغنى الفاحش الذى كان يتمثل فى قلة من أمراء بغداد وموسريها وتجارها ، والفقر المدقع الذى يشمل السواد الأعظم. يقول التنوخى : " ان تاجرا وقع فى كمين عيار يدعى ابن حمدون ، فأخذ كل ماله ، وسهل على التاجر الموت فانبرى للفتى يحاول أن ينتزع منه شيئا وتطرق بهما الحديث الى الباعث للعيار على ما يفعل فكان جوابه : " يا هذا لعن اللهالسلطان . . . . . . فانه قد أسقط أرزاقنا فاجتمعنا الى هذا الفعل ، وليس فيما نفعل ارتكاب أمرا أعظم مما ارتكبه السلطان . أنت تعلم أن ابن شيرزاد ببغداد يصادر الناس ويفقرهم حتى يأخذ الموسر المكثر ، فلا يخرج من حبسه وهو يهتدى الى شىء غير الصدقة ، وقد علمت أنهم يأخذون أصول الضياع والدور والعقار ، ويتجاوز ذلك الى الحرم والأولاد فأحسبونا نحن هؤلاء . . . "[(٣)] وكان المشهور عن ابن حمدون هذا أنه اذا قطع لم يعرض لأصحاب البضائع القليلة ، وأنه لا يفتش امرأة ولا يسلبها ، على حد قول ابن الجوزى " الفتى لا يزنى ولا يكذب ، ويحفظ الحرم ، ولا يهتك ستر امرأة "[(٤)].

---

(١) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى / ص ٩٣ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧/ص ٢٢٠ ، ص ٢٥١ ، جـ٨/ص ٤٤ ، ص ٤٧ ، ص ٥٤ - ٥٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٩/ ص ١٠٥ .

(٣) التنوخى : الفرج بعد الشدة جـ ٤ / ص ٢٣٨ .

(٤) ابن الجوزى : تلبيس ابليس / ص ٣٩٤ .

ولا نريد أن نبسط القول في كل ما قيل في الفتوة ، لأن ذلك يخرج بنا عن نطاق البحث ، وانما يكفي أن نذكر أن الفتوة ، من حيث هي مذهب اجتماعي ، قد تطورت كسائر المذاهب الاجتماعية ، وجرى تنازع في ادعاء أصل نشأتها ، فالمتصوفون يعتقدون أن فتوتهم في ربطهم وخانقاهاتهم وتكياتهم هي أصل الفتوة الصحيحة[1] في حين يرى الشجعان والأسخياء أن قيمهم وتقاليدهم هم هي الأصل في نشأة الفتوة ، ومن جهة أخرى فقد انتشرت تنظيمات الفتوة بين عشاق اللهو والمتعة الحسية ، والشطارة والعيارة ، والسلب والنهب ، مما كان له أسوأ الأثر في تحديد قيمة حركة الفتوة ودورها، الى درجة أن الخلافة العباسية اعتبرت الفتوة خطرا على المجتمع خصوصا ، بعد ظهور التطورات والانحراف فيها ، وبعد أن توزع أتباعها الى مجموعات من الطوائف المتشاحنة .[2]

وعلى أية حال ، فان اتخاذ الفتوة هذا المسار في تطورها أدى الى تباين أوضاعها سلبا وايجابا ، حيث كان الفتيان يتحولون الى شطار وعيارين ، يخلّون بالآداب ، وينشرون الاضطراب ويخيفون السبل ، ويقلقون الأمة .[3] في حين أن المعروف عن الفتى أنه " لا يزني ولا يكذب ولا يهتك ستر امرأة " .[4]

وقد تدهورت الأوضاع ، ولم يستطع رجال الأمن أن يفعلوا شيئا بعد أن اكتشفوا انضمام بعض أفراد البيت السلجوقي في بغداد الى التنظيمات السرية هذه واحتلالهم مراتب سامية بين صفوف العيارين[5] ولعل ذلك هو السبب الذي جعل السلطان السلجوقي يصم أذنيه ، ولا يعبأ باستغاثة الناس من شرور العيارين .

---

(١) مصطفى جواد : الفتوة منذ القرن الأول للهجرة الى القرن الثالث عشر منها ، (مقدمة كتاب) ابن المعمار : الفتوة / ص ١٠ .
(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ / ص ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .
(٣) مصطفى جواد : الفتوة وأطوارها ، مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ٥ / ص ٥٢ .
(٤) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص / ٣٩٤ .
(٥) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ / ص ٣٩ .

ففى عام (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) " ضرب العيارون رجلا بالسيف ، وأخذوا دابة كان قد اشتراها بخمسة وعشرين دينارا ، وعلى أثر ذلك نفر الناس وأغلقوا دكاكينهم وأغلقوا باب الجامع ، وتلقوا السلطان فى الميدان فاستغاثوا اليه ، ولم يجبهم ، فعادوا مرارا وهو لا يلتفت "(١). ولعل هذا يعكس مدى ما أصاب المجتمع من عسف وقنوط .

وفى الفترة من عام (٥٣٦هـ/ ١١٤١م) الى عام (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) استفحل شر العيارين ، وشكلوا مجموعات حول عدد من الأمراء السلاجقة ، أو حول بعض كبار الشخصيات الفذة ، وتطورت الأوضاع الى حد أنهم باشروا عمليات اغتصاب الأموال جهارا ، اذ كانوا يكبسون الدور ليلا ، وبأيديهم الشموع ، ويستولون على مافيها من الأموال ، بل تطور الوضع حتى انهم تجرأوا على السلطة، فصاروا يقتلون من يقف فى طريقهم من الشرطة وغيرهم مما اضطرالرعية الى عدم الخروج من البيوت بعد الغروب .(٢)

والراجح أن أوضاع العيارين قد تغيرت ، وتنظيماتهم قد تعقدت ، حتى انهم رتبوا لأنفسهم جهاز رقابة دقيق ، يتولى رصد الناس وأموالهم ، ويتجسس عليهم بقصد الكشف عن أصحاب الأموال . وهذا أدى الى حصول هياج عام شمل العاصمة حيث أغلق الناس دكاكينهم وحاناتهم ، وكسروا منابر الجوامع احتجاجا على اختلال الأمن ، وشيوع المصادرات وتكرارها .(٣) ويبدو أن الأخطار التى نجمت عن اشاعة الرعب ، واتصال تنظيمات الفتوة هذه بالحركات الباطنية ، وبالسلطة الفاطمية الشيعية فى مصر(٤) كان من أقوى الأسباب التى دفعت السلطةالعباسية

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ١٠٦ .
(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٢٠٤ .
(٣) ن.م.ص جـ ٨ / ص ٥ - ٧ .
(٤) ن.م.ص جـ ٨ / ص ٢٢٠ .

الى تتبع حركات الفتوة بقصد استئصالها .

وعند ما جاء الخليفة الناصر لدين الله العباسي عام (٥٧٥هـ/ ١١٨٠م) الى عام (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) قام بحركة حكيمة ومهمة في سبيل القضاء على الانحرافات الواقعة في تنظيمات الفتوة ، كان لها أثر كبير في تدعيم قوة الخلافة وتهدئة الأوضاع العامة ذلك أنه في الوقت الذى أعلن فيه الغاء جميع التنظيمات الأخرى قرر تشكيل فتوة مرتبطة بالخلافة .

ان اهتمام الخليفة الناصر لدين الله العباسي بالفتوة ، وتصديه لاصلاحها (١) قد تم في عام (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) بعد أن طلب اليه الشيخ عبد الجبار بن صالح البغدادى الزاهد أن يلبس لباس الفتوة (٢) . ولقد ربط الخليفة الناصر لدين الله هذه المنظمات بالدولة ، وجعلها تحت اشرافه المباشر . كما أنه لم يكتف بذلك ، بل عزم على تعميمها في جميع الممالك الاسلامية ، فكاتب الأمراء والملوك طالبا منهم الانتماء الى الفتوة ، وتأمين دعمها وتنظيمها في مناطقهم . وهكذا قدر لهذا التنظيم أن ينتشر بشكل واسع بين أفراد الأمة في مختلف الأمصار الاسلامية (٣) ، وذلك رغبة من الخليفة الناصر لدين الله في أن يجدد شباب الأمة الاسلامية ، ويوحدها في داخل العراق ، وفي أقاليم الدولة الأخرى ، وأن يعيد لبغداد دورها وأهميتها .

لقد أدرك الخليفة الناصر لدين الله بثاقب بصيرته ما كان عليه العالم الاسلامي من التشتت والضعف والاختلاف ، والانحراف والتمادى ، والتمادى في التنازع ،

---

(١) ابن المعمار : الفتوة / ص ١٤٦ ، ابن الساعي : الجامع المختصر ج٩ /ص ٢٢١ .
(٢) ابن المعمار : الفتوة / ص ١٢٣ ، ابن الساعي : الجامع المختصر ج٩ /ص ٢٢١ .
(٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ /ص ٢٢١ ، ابن الفوطي : الحوادث الجامعة / ص ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .
(٤) مصطفى جواد : الفتوة منذ القرن الثالث / ص ٥٥ .

كما لاحظ اضافة الى ذلك اشتداد قوة الافرنج والصليبيين وخطورتهم ، وهكذا تحقق له أن العالم الاسلامي يحتاج الى تجديد قوته بزيادة الاهتمام بالشباب ، وتدعيم دورهم ، فعمد الى الفتوة التى وجد فيها أسلوبا مثاليا لتجمّع قوة شباب المسلمين ، وضمان الاستفادة من جهودهم لدعم الخلافة ، واصلاح الأوضاع. ولقد نجح الخليفة الناصر فى هدفه ، اذ سرعان ماتكون نتيجة سلامة الأسلوب ، ودقة العمل ، والاصرار عليه ، وعلى المتابعة ، جيل شجاع محارب مجاهد ، كامل الفضائل ، لقد تحقق ذلك بفضل ، التنظيم الجديد للفتوة ، الذى تضمن تدريبا خاصا على مختلف فنون بناء الجسم وأساليب القتال ، والدفاع عن النفس ، كالفروسية والرماية وفنون الحرب والقتال. ولقد "كان ابتداء هذا الأمر - أعنى الفتوة - فى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وذلك أن ندماء الخليفة الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن أحمد بن المستضىء بأمر الله حسّنوا له أن يكون فتى ، وأحضروا له رجلا يعرف بعبد الجبار بن يوسف بن صالح ، له أتباع كثيرون ، ومعه ولده شمس الدين على ، فقرر الاجتماع ببستان مقابل التاج ، ثم حضر عبد الجبار وابنه شمس الدين على ، وندماء الخليفة ، وألبس عبد الجبار الخليفة الناصر لدين الله سراويل الفتوة ، وأخبره أنه لبسها من شيخ الى شيخ ، وثّم ، ثّم على بن أبى طالب رضى الله عنه" .[1]

وتلافيا للنزاع بين أحزاب الفتيان أصدر الخليفة الناصر عام (٦٠٤هـ/١٢٠٧م) منشورا بابطال جميع تنظيمات الفتوة القديمة ، واثبات أفراد التنظيم الجديد الذى استحدثه ، والذى جعل من شخصه المرجع والمثل الأعلى للفتوة ، قال ابن الساعى فى حوادث عام (٦٠٤هـ/١٢٠٧م) : "فى هذه السنة أهدرت الفتوة القديمة ، وجعل

---

(١) مصطفى جواد : الفتوة وأطوارها وأثرها فى توحيد العرب والمسلمين - مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد الخامس ص ٩٥ . عن السخاوى : تحفة الأحباب وبغية الطلاب ص ١٧ ، طبعة مصر سنة ١٩٣٧م.

أمير المؤمنين الناصر لدين الله ـ رضى الله عنه ـ القبلة فى ذلك ، والمرجوع اليه فيه ، وكان قد شرّف عبد الجبار بالفتوة اليه ، فدخل فى ذلك الناس كافة من الخاصة والعامة ، وسأل ملوك الأطراف الفتوة ، فأنفذ اليهم الرسل ومن ألبسهم سراويلات الفتوة بطريق الوكالة الشريفة ، وانتشر ذلك ببغداد ، وتفتى الأصاغر والأكابر ".[1]

وفى اليوم التاسع من شهر صفر من السنة المذكورة أصدر الناصر لدين الله مرسوما بتقرير قواعد الفتوة جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم ، من المعلوم الذى لا يتمارى فى صحته ، ولا يرتاب فى براهينه وأدلته ، أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب هو أصل الفتوة ومنبعها ، ومنجم أوصافها الشريفة ومطلعها ، وعنه تروى محاسنها وآدابها ، ومنه تشعبت قبائلها وأحزابها ، واليه دون غيره تنتسب الفتيان ......".[2]

وهكذا فان تطور الأوضاع الاجتماعية ومظاهرها كان له أكبر الأثر على حياة الناس الى حد بعيد خلال فترة البحث ، فقد دب اليأس ، وسيطر التشاؤم على نفوس العامة ، نتيجة لعدم الاستقرار ، وكانت شكواهم تدور حول سيطرة الغلمان والعيارين ، وسيادة الأصاغر ، وبزوغ نجم الشاذين ، وأدعياء الدين ، ورواج الفساد والكذب والتزوير ، وتفشى القتل والسلب ، وانتشار العادات السيئة بين أفراد المجتمع، خصوصا بعد تأثرهم بالتعاليم الاسماعيلية المنحرفة.[3]

---

(١) ابن السباعى : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٢٢١ .

(٢) ن.م.ص : جـ ٩ / ص ٢٢٣ .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية مادة (اسماعيلية) جـ ٢ / ص ١٨٧ ، ومادة (المشاشون) جـ ٧ / ص ٤٣٤ .

ولم يكن غريبا أن يستغل الدين لخدمة الأهواء والأغراض والمصالح الخاصة على حساب مصلحة الأمة ، كما لم يكن غريبا أن تظهر مجموعات مختلفة من الناس ، يلبسون ثياب الورع والدعوة الى الصلاح ،ويرتزقون بمظهرهم هذا .

ولعل طبيعة التطورات التى عاشها المجتمع قد أسهمت فى تشجيع ظهور ذلك ، فقد أخذ الأمراء والسلاطين يقربون هؤلاء ويرعونهم فى محاولة تحسين علاقتهم بالعامة .

وقد أدى هذا النزوع وردود الفعل المشجعة الى حصول تطور له أثره الخطير فى العقيدة ، فقد شاع فى أعقاب هذه المرحلة اتخاذ التكايا ورباطات الصوفية مراكز لأنشطة اجتماعية لها خطرها ، وهذه كانت تضم أشتاتا من الخلق من مختلف البلاد ، يأكلون ويشربون ويدعون للسلاطين والخلفاء بالخير والبركة ما استمر المدد .

ومع أن هذه الأربطة والتكايا قد أثرت ايجابا فى بعض نواحى الاعداد النفس ، وفى تهيئة بعض أسباب الدراسة الشرعية ، من حفظ للقرآن ، ودراسة للحديث والوعظ ، فقد أثرت سلبيا لدرجة خطيرة ، بما أشاعت فى المجتمع من روح التواكل والقنوط ، اذ لم يحصل تفاعل حقيقى مع روح العقيدة الاسلامية السمحاء ، كما تبلدت مشاعر العامة ، فلم تظهر ردة فعل ايجابية أو غيرة على أوطان المسلمين التى استبيحت ، كما لم تظهر استجابة واعية لداعى الجهاد ضد عدوان الصليبيين ، واستهتارهم بالقيم والمواثيق . أما الجيش السلجوقى فقد كان قوامه فى الأعم الأغلب ، من المرتزقة الذين لم يلتحقوا به بدوافع عقيدية ، بتأثير روح الجهاد ولرفع راية الاسلام ، والدفاع عن المقدسات ، بقدر ما كان يقاتل من أجل أغراض دنيوية زائلة .

ولقد لعب الأكراد والأتراك دورا فعالا فى الحياة الاجتماعية فى العراق فى العصر السلجوقى ، وكثر الأتراك غلمانا يجلبون من أسواق النخاسة آنذاك ،

وتزايدت أعدادهم في العراق تزايدا كبيرا ، مما سبب الكثير من المتاعب ، بسبب حداثة عهدهم بالدين ، وصعوبة ادراكهم للأنظمة والتقاليد ، وميلهم الى السلب والنهب ، وكثرت النساء التركيات في بيوت بعض الموسرين الذين اتخذوا منهن زوجات وحظايا ، وبلغ بعضهن مكانة مرموقة في الدولة ، واشتهر بعضهن في الفن والعلم والأدب .

. . . . . .

الفصل الثاني

- الفرق الدينية والمذاهب .
- أثر تطور الأوضاع العامة على الحياة العلمية .

الأوضاع الدينية والفرق والمذاهب ١١٦ - الصراعات المذهبية ١٢٠ - صراع أهل السنة والشيعة ١٢٤ - المعتزلة ١٢٧ - الاسماعيلية (الباطنية) ١٢٨ - الصوفية ١٣٧ - أثر الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية على الناحية العلمية ١٤٣ .

الفصل الثانى

الأوضاع الدينية والفرق والمذاهب :

خلق الله الانسان ، وجعل له عقلا وظيفته التفكير ، والنظرة الأولى فى القرآن الكريم تورث يقينا جازما بأن الاسلام دين تفكير وتأمل واقتناع ، قال الله تعالى : " قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا "(١) وقال تعالى : " وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون "(٢). فالاسلام يدعو الى التفكير وحرية العقل والفكر ، بل يلوم الغفلة والانقياد الأعمى . وتبدأ حرية التفكير من خلال علاقة المسلم بربه ، ثم بنفسه ، ثم بما حوله من أشياء تدعوه الى التفكير والتأمل ، قال تعالى : " ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار"(٣).

والايمان بحرية الفكر شىء هام فى حياة الانسان ، قال تعالى : " انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا "(٤) ، ولكن المهم ضمان الأصالة والدقة والسلامة فى هذا الفكر ، لأن الله تعالى يقول : " ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا "(٥).

---

(١) سورة سبأ ، آية ٤٦ .
(٢) سورة الجاثية ، آية ١٢ .
(٣) سورة آل عمران ، آية ١٩٠ .
(٤) سورة الانسان ، آية ٣ .
(٥) سورة الاسراء ، آية ٣٦ .

ولقد حصل الانحراف في أساليب التفكير ، وبالتالي في النتائج المترتبة على ذلك ، حين حصل النزوع الى الحرية المطلقة في محاولة الوصول الى تلمس وادراك معاني " الصفات " أعني صفات الله عز وجل . وخاض في مباحث الذات البعيدة عن مداركه ، وخلطها بفلسفات عقيمة ، أقحمت قصدا أو جهلا ، فلم تصل به الى نتيجة ، بل جلبت الهلاك والوبال والشقاق والمحن على المجتمع الاسلامي . فبعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، واجه المسلمون مسئوليات جسيمة ، وهنا حدثت أمور دارت حولها مناقشات ومنازعات ، اختلفت فيها وجهات نظر المسلمين ، ولكنها في جملتها أمور شكلية ، لا تمس صميم عقيدتهم ، فكانوا في هذه الناحية كما قال البغدادي : " كان المسلمون عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه ... ".(١)

واذا نحن بحثنا بصورة أشمل وأوسع عن الأسس التي قامت عليها الفرق الاسلامية ، ودققنا في أسباب نشوئها لوجدنا ذلك يعود الى جملة أسباب(٢) لعل أبرزها وأهمها موضوع الامامة والخلافة ، أو شئون الحكم والسياسة ، التي كانت من أهم وأبرز القضايا التي واجهت الأمة الاسلامية. وتكونت حولها أهم الفرق الاسلامية التي ظهرت في القرن الأول الهجري ، وهي الخوارج ، والشيعة ، والمرجئة ، ثم المعتزلة فيما بعد ، يقول الشهرستاني : " وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الامامة ، اذ ماسل سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الامامة في كل زمان ".(٣)

ولقد تناول موضوع الامامة هذا عدد كبير من مفكري الأمة ، بالدراسة وابداء الآراء التي تبلورت حولها المواقف المتباينة ، فتشعبت وجهات النظر التي أدت الى تشعب الفرق الاسلامية .

---

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق / ص ١٤ .
(٢) ن.م.ص : من ص ١٤ الى ص ٢٩ .
(٣) الشهرستاني: الملل والنحل جـ ١ / ص ٢١ .

ومن أسهم في دراسة هذا الموضوع الخطير خلال العصور الاسلامية المتعاقبة عدد من علماء الأمة وأفذاذ علمائها ، حيث أدلوا بدلوهم في هذه المسألة الخلافية ، يمكن أن نشير من بينهم الى : الفارابى ، واخوان الصفا ، والماوردى ، والغزالي ، ونظام الملك ، والطرطوشى ، وابن تيمية ، وابن خلدون ، وغيرهم .(١)

على أن هناك أسبابا أخرى سياسية واجتماعية ساعدت على نشأة الفرق الاسلامية ، التى افترقت فى الوسيلة والمذهب للوصول الى أهدافها ، ثم كانت تلك الحروب الطاحنة بين هذه الفرق بعضها مع بعض ، وبينها وبين الدولتين الأموية والعباسية ، اضافة الى مانجم عن ذلك من صراع فكرى أحدث آثارا عميقة وبعيدة المدى ، تضمنت عند عدد كبير من الفرق شذوذا فكريا ونزوعا الى استخدام المنطق ، واعتماد الأسلوب الفلسفى فى التفكير ، مما عصف بالمسلمين ، وشتت أفكارهم ، وفرق عقيدتهم ، وأفقدهم الثقة فى أنفسهم .

وجاء العصر السلجوقى وقد غصت العراق بالفرق الاسلامية المختلفة ، والمذاهب الدينية المتعددة ، واحتدم الصراع بينها خصوصا بين أتباع مذهب السلف ، وبين الشيعة العلوية ، والذى عكس صراعا دينيا وسياسيا(٢) ، قال ابن حزم : " والأصل فى أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الاسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الامم .... حتى انهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب ، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرا - تعاظمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الاسلام بالمحاربة فى أوقات شتى ، ففى كل ذلك

---

(١) الريس : الاسلام والخلافة فى العصر الحديث / ص ٣١٩ - ص ٣٢٢ .
(٢) أنظر الخصومات بين أهل السنة والشيعة فى هذا العصر فى : ابن الجوزى : المنتظم : جـ٨/ص ٧٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٧٧ - جـ٩/ ص ٢٦ ، ٣٨ و٤٧ ، ٧٧ ، جـ١٠/ ص ٢٤٩ . ابن الأثير : الكامل جـ٨ / ص ١٢٨ ، ١٤٤ ، ١٨٦ ، ٢٥٧ ، ٣١٤ ، جـ٩/ ص ١٢١ .

يظهر الله سبحانه وتعالى الحق ..... وأظهر قوم منهم الاسلام ، واستمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استشناع ظلم على رضى الله عنه ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى ، حتى أخرجوهم عن الاسلام".[١]

وقد توصل الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدورى الى الآثار المدمرة الناجمة عن هذه الفرق ، حيث ذهب الى أن برنامجها ينطوى على اتجاهات "سياسية فى دعوتها الى ازالة السلطان العربى ، واحياء مجد الفرس ، دينية فى دعوتها الى المجوسية ومحاربتها الاسلام ، اقتصادية فى دعوتها لأوضاع أفضل".[٢]

وفى الوقت الذى احتدم فيه الصراع بين أهل السنة والشيعة " كان هناك خلاف مستمر كذلك طوال العصر ساد علاقات أتباع المذاهب السلفية السنية ، الشافعية والحنفية والحنابلة".[٣]

وأيا ما كان الأمر فقد انتشرت الفرق والمذاهب الاسلامية فى هذا العصر ، وكانت المنازعات والمناقشات مستمرة بينهم ، ولعل من محاسن هذه الفترة أن أصبحت بغداد بخاصة ، والعراق بعامة ميدانا رحبا للصراع الفكرى ، والنشاط العلمى المتجدد . غير أن هذا الصراع كان من الناحية الأخرى عامل تمزق وضعف ، قاست منه الأمة الاسلامية كثيرا . فقد حدث من جراء ذلك شيوع حالة الدعة والخمول ، وانكسار الشوكة واللامبالاة ، وتركز الصراع على وجهات النظر الضيقة ، فأهمل الجهاد ، بل كانت أخبار الغزوات الصليبية على الوطن الاسلامى تقابل

---

(١) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ٢ ص ١١٥ .
(٢) الدورى : الجذور التاريخية للشعوبية / ص ٣٤ .
ولمعلومات أوسع عن حركات الشيعة . أنظر أيضا : فاروق عمر : التاريخ الاسلامى وفكر القرن العشرين من ص ٨٧ الى ص ٢٨٤ .
(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم / ص ٣٢٣ . ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ٦٣ ، ص ٣٠٥ ، جـ ٩ / ص ٤٠٣ . ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٧٣ ، ١٢٥ ، ١٣٢ .

بحالة (لا مبالاة) وعدم اكتراث . وعلى الرغم من وجود المذاهب الاسلامية في العراق قبل تدخل البويهيين والسلاجقة ، فان استيلاء هذه القوى على مقاليد الحكم في العراق كان سببا مباشرا في اذكاء العصبيات المذهبية ، وتحولها من خلافات فكرية نافعة الى معارك دموية مدمرة ، خصوصا في العصر البويهي الشيعي الاسماعيلي .

أما في العصر السلجوقي فالمصادر توافينا بخلافات بين أصحاب المذاهب السنية بعضهم مع بعض ، اضافة الى حالة الصراع الحاصل بينهم وبين الشيعة العلوية . فالسلاجقة كانوا متعصبين لمذهبهم الحنفي الى حد كبير ، ففي عهد السلطان طغرلبك السلجوقي وقعت فتنة بنيسابور كان سببها مقالة في العقيدة لأبي الحسن الاشعري(1) اطلع عليها السلطان فما ارتضاها ، فأمر بلعن الأشعري وعز ذلك على أبي القاسم القشيري(2) فصنف رسالة سماها " شكاية أهل السنة لما نالهم من المحنة " كانت سببا في طرده وطرد امام الحرمين الجويني(3) من نيسابور(4)

---

(1) علي بن اسماعيل الأشعري ، صاحب الأصول ، والقائم بنصرة مذهب السنة ، واليه تنتسب الأشعرية ، توفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م ، كان معتزليا ثم انقلب على المعتزلة وقارعهم بسلاحهم لصالح أهل السنة . السمعاني : الأنساب جـ ١/ص ٢٦٦ ، الخطيب : تاريخ بغداد جـ١١/ص ٣٤٦ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٢/ص ٢٤٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣/ص ٢٨٤ .

(2) أبو نصر ، عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوزان القشيري ، المناظر المفسر الأديب ، من بني قشير القبيلة العدنانية المشهورة ، درس على امام الحرمين الجويني وورد بغداد وناظر بها سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م أهم كتبه الرسالة القشيرية ، وتعد أهم وأعظم الكتب التي ظهرت عن الصوفية . ابن الجوزي : المنتظم جـ ٩/ص ٢٢٠ . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ٢٠٥ .

(3) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، الفقيه الشافعي امام الحرمين ، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، له مصنفات كثيرة في كل فن . كان الغزالي من تلامذته ، توفي سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م ، ابن الجوزي : المنتظم جـ ٩/ص ١٨ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٣/ص ٢٤٩ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٣/ص٣٥٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣/ص ١٦٧ .

(4) اليافعي : مرآة الجنان جـ٣/ص٢١٠ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٤/ص٢٤٩ .

والظاهر أن أبا نصر الكندري [١] ، وزير السلطان طغرلبك ، هو الذي حسن للسلطان لعن الأشعري وطرد القشيري وجماعته [٢] في الوقت الذي كان نظام الملك الشافعي يتدرج في معارج المعالي الى أن صار وزيرا لألب أرسلان .

وتتحدث بعض المصادر عن دور نظام الملك في اقناع ألب آرسلان بقتل الوزير الكندري بقصد ازاحته عن طريقه في تولي الوزارة وربما كان هناك أكثر من دافع خلف هذه الخطوة غير أن المؤكد هو أن الكندري قد تم اعتقاله وسجنه حيث انتهت حياته في السجن عام (٤٥٧هـ/١٠٦٤م) [٣] . وقد حاول البعض تصور الحادثة على أية حال بأنها انتقام دبره نظام الملك لما سبق أن أصاب الشافعية والأشاعرة .

لقد بدأ نظام الملك حياته شافعيا ملتزما ، ولعل ذلك من أسباب اقدامه على انشاء المدارس النظامية ، التي قصد منها تخريج أعداد كبيرة من الدعاة من أتباع المذهب الشافعي ، اضافة الى جملة أسباب أخرى سنتحدث عنها في موضعها المناسب من هذا البحث ان شاء الله تعالى . على أن خطوة الوزير نظام الملك في انشاء المدارس النظامية لم تقع موقع الرضى والقبول أو الاستحسان من عموم رجالات الدولة السلجوقية الذين كانوا من أتباع المذهب الحنفي ، الذي كان في نفس الوقت المذهب الرسمي للدولة العباسية . وقد كان رد الفعل لانشاء النظاميات ما أقدم عليه أحد أعيان الدولة السلجوقية وهو العميد شرف الملك

---

(١) أبو نصر محمد بن منصور بن محمد الملقب بعميد الملك الكندري أول وزير للسلاجقة توفي سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م ، ابن الجوزي : المنتظم جـ٨/ص٢٣٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ /ص ١٣٨ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٣ / ص ٣٠١ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ / ص ١٣٨ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٨ / ص ٢٣٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ / ص ١٣٨ .

أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي[1] مستوفي[2] مملكة السلطان ألب آرسلان . الذى ما كاد أن يعلم عن خطط نظام الملك فى انشائه المدارس النظامية ، ومباشرته العمل على تأسيس المدرسة النظامية الأولى فى بغداد ، حتى قدم الى بغداد بنفسه عام (٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م) وأمر بانشاء مدرسة للحنفية على نفقته الخاصة ، عند مشهد أبى حنيفة النعمان فى شمال غربى بغداد عند مقابر قريش ، لكي تختص بتدريس العلوم الشرعية وفق المذهب الحنفى . وقد تعجل مستوفى المملكة فى بنائها ، وعين لها مدرسا ورتب فيها الطلاب حتى انه تمكن من افتتاحها وتمكينها من استقبال الطلاب وبدء الدراسة قبل النظامية بأربعة أشهر[3].

ولابد من الاشارة الى أن الصراع المذهبى الذى عانى منه الناس مدة طويلة هو الذى حمل أتباع المذهب الواحد الى التجمع والسكنى فى مناطق معينة خاصة بهم ، كي يواجهوا أصحاب المذاهب الأخرى متجمعين ، فنجد أن الحنابلة كانوا يتجمعون فى أرباع خاصة بهم من خطط الرصافة التى تشكل الجانب الغربى من بغداد[4] على حين تركز الشيعة العلوية فى أغلب أرباع الكرخ ، الى درجة كبيرة دفعت البعض الى القول بأن أهل الكرخ كلهم شيعة امامية ، لا تجد فيهم

---

(١) أنظر عنه ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ٢٤٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ١٠٥.

(٢) المستوفى : ظهرت هذه الوظيفة فى العصر العباسى ، وعرف المستوفى فى الدولة الغزنوية ، وكان يرأس ديوانا يسمى بديوان الاستيفاء ، وكانت مهمته الاشراف على تنظيم ايرادات الدولة ومصروفاتها ، ومراقبة حسابات الدولة ، واستمرت وظيفة المستوفى فى عهد السلاجقة ، وكان شاغلها يسمى مستوفى المملكة ، وكان يتولاها الوزراء ونواب السلطان . حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف جـ ٣ / ص ١٠٨٥.

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ٨/ص ١٠٠ ، البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق/ص ٣٤.

(٤) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ / ص ٢٠٨ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ١٤٥.

سنيا البتة .[1]

وعلى الرغم من اشارة بعض المؤرخين الى أن الخلاف بين أتباع مذاهب السلف من أهل السنة يعد شكليا اذا قورن بخلاف أهل السلف السنة مع الشيعة ، الا أن النصوص تشير الى أن ماكان يحصل بين أتباع مذاهب أهل السنة كان خلافا حادا يتسم بالعنف وعدم التسامح ، وتتحدث المصادر التاريخية عن كثير من الوقائع بين أتباع هذه المذاهب في بغداد نورد منها على سبيل المثال لا الحصر ما حصل في شوال عام (٤٦٩هـ/١٠٧٦م) حين وقعت فتنة بين الشافعية والحنابلة، وسببها أنه ورد الى بغداد العالم أبو نصر عبد الكريم القشيري ، الواعظ المتكلم على مذهب الأشعري ، فجلس في المدرسة النظامية ، وخلط وعظه بالكلام ، وذم الحنابلة ، فأنكرت الحنابلة ذلك ...... وكان في يوم مجلس ابن القشيري يحضر قوم من اليهود والنصارى ، ويرغبون بما يعطون فيسلمون ويخلع عليهم ، وكتب أبو اسحاق الشيرازي الى نظام الملك يشكو من الحنابلة ، وجلس ابن القشيري على عادته بالنظامية ، وخرج هو ومن معه من التلامذة فقصدوا باب النوبي ، وعزموا الهجوم

---

(١) ياقوت : معجم البلدان جـ٤/ ص٤٤٨ . ولعل هذه الصراعات المذهبية قد أوحت بهذه الصورة الجدية ، ولكن الواقع الثابت خلاف ذلك ، فقد كان الأصل في الكرخ مدينة المنصور (أو الزوراء ، أو بغداد ، أو دار السلام) المدينة التي لم يسكنها معه الا أنصار العباسيين ، وهؤلاء لم يكونوا شيعة امامية، بل شيعة عباسية كما أنه قد تم انشاء عدد كبير من المساجد الجامعة في الكرخ قبل وخلال فترة البحث ، وهي بالتأكيد مساجد أهل السنة ، ذلك ان الشيعة الامامية لا يعتقدون بمشروعية اقامة الجمعة الا بعد ظهور الامام الثاني عشر الذي يسمونه بالغائب المنتظر صاحب الزمان. وعليه فان انشاء العدد الأكبر من المساجد ، واقامة الجمعة فيها يخالف ماذهب اليه ياقوت . والمرجح أن يكون تركز الشيعة قد حصل خارج أسوار مدينة بغداد في مناطق الأسواق التي تقع الى الشرق من بغداد ، وهي مناطق تتية الشوك ، ونهر عيسى ، وبراثا ، وكذلك المنطقة الواقعة الى الغرب حيث تربة الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد .

على ابن أبى موسى ، متقدم الحنابلة فى مسجده فرتب ابن أبى موسى أصحابه على سطح المسجد ، فلما وصلوا رماهم الحنابلة بالآجر ، فقتل واحد من الشافعية ، وجرح آخرون وانهزم الشافعية "(١).

ولعل من المناسب أن نشير الى تعليق أحد الوزراء على الأوضاع لندرك مدى ماوصل اليه الحال فى الانقسام المذهبى ، فقد قال ابن هبيرة الوزير :"ان اختصاص المساجد ببعض أرباب المذاهب بدعة محدثة ، فلا يقال هذه مساجد أصحاب الامام أحمد فيمنع منها أصحاب الشافعي ، ولا بالعكس ، فان هذا من البدع ، وقد قال الله تعالى : " سواء العاكف فيه والباد "(٢) (٣).

والملاحظ أن اتباع الشيعة العلوية بشتى فرقها كانوا منذ بداية ظهورهم وباستمرار يناصبون أتباع مذاهب السلف العداء. ولقد قويت شوكة الشيعة ، وخصوصا الاسماعيلية أيام البويهيين حيث نظموا أنفسهم ، وطوروا من أساليبهم فى محاربة أهل السنة وقد ساعدهم وقوى عزائمهم أن أمراء بني بويه كانوا من المتشيعين لهم. وخلال العصر السلجوقى نظمت فرقة الاسماعيلية الحشيشية نفسها ، كما سنلاحظ عند افراد الحديث عنها فى خط باطنى سرى ، واعتمدت الجدل وأسلوب المتكلمين والفلاسفة ، فى محاولة نشر أفكارها ، غير أن قسما منهم وهم الحشيشية ، اعتمدوا القتل أسلوبا فى تصفية كل من يشكل حجر عثرة فى طريق دعوتهم ، ولنتذكر الحسن الصباح وقلعة الموت ، والتعاون الوثيق بينهم وبين الصليبيين ضد المخلصين من أبناء الأمة الاسلامية .

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨/ص ١٨٦ ، وأنظر أمثال ذلك فى : ابن الأثير : الكامل جـ ٨/ ص ٧٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨/ ص ٣٠٥ جـ ٩/ص ٢٢٠ جـ ١٠/ ص ٣ ، ١١٠ ، ١٩٤ ، العماد الحنبلى : الشذرات جـ ٣/ ص ٣٢١ ، جـ ٤/ ص ٢٢٤ ، اليافعى : مرآة الجنان جـ ٣ / ص ٢١٠ ، السبكى : طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ٢٤٩.

(٢) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ٢٨٠

(٣) سورة الحج ، آية (٢٥).

كل هذه الهجمة الشرسة دعت نظام الملك الى الوقوف فى وجه هذا الخطر الذى أصبح يهدد الاسلام والأمة الاسلامية ، فبادر الى محاربتهم عن طريق نشر العلم والثقافة الاسلامية الصحيحة ، واعتماد أساليب الجدل وعلم الكلام والمنطق للرد عليهم ، وذلك عن طريق انشاء المدارس النظامية التى بثها فى أرجاء العالم الاسلامى .

ومن الغريب أن جهود السلاجقة لاضعاف الفكر الشيعى وتفتيت قوة الشيعة فى العراق لم تؤد الى النتائج المرجوة ، وذلك يعود الى نشاط هؤلاء وتماسكهم ، وكثرة أنصارهم ، وتعدد مشاهدهم وأضرحتهم فى العراق [1] . وبالاضافة الى ذلك فقد تمكن بعضهم من الحصول على مناصب عالية فى الدولة العباسية مثل مجد الدين هبة الله بن على المعروف بابن الصاحب المتوفى عام (٥٨٣هـ/١١٨٧م) الذى كان أستاذا للدار [2] أيام المستضىء [3] ، ونصير الدين ناصر بن مهدى العلوى

---

(١) من المعلوم أنه قد دفن فى مدن العراق عدد كبير من العلويين ، من بينهم عدد كبير ممن يعتقد الشيعة العلوية امامتهم ، كعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، الذى أقاموا له ضريحا فى النجف ، والحسين بن على رضى الله عنه ، الذى أقاموا له مشهدا كبيرا فى كربلاء ، ومحمد الجواد وموسى بن جعفر الكاظم ، وضريحاهما فى الكاظمين فى الضاحية الجنوبية الغربية من بغداد . أما سر من رأى فان فيها كلا من على الهادى بن محمد الجواد ، والحسن العسكرى بن على الهادى ، وفيها أيضا سرداب الغيبة الذى يعتقد الشيعة الامامية أن محمد المهدى بن الحسن العسكرى ، الذى يطلقون عليه لقب امام الزمان أو صاحب الزمان أو الغائب المنتظر ، قد غاب فيه . اضافة الى عدد كبير من المشاهد والأضرحة التى ينسبونها لأفراد من الأسرة العلوية رجالا ونساء ، وهى تشكل فى الأعم الأغلب مراكز تجمع أتباع الفرق الشيعية العلوية .

(٢) أستاذ الدار : عرفت هذه الوظيفة فى عهد العباسيين ، وكانت مهمة صاحبها الاشراف على دار الخليفة أو السلطان والعمل على مراعاة الآداب فيه ، وربما أسند اليه الحجابة ، وربما كلف بالقيام ببعض الأعمال الكتابية ، وقد انتقلت هذه الوظيفة الى الفاطميين ثم الأيوبيين . القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ / ص ٤٥٧ والصابى : رسوم دار الخلافة / ص ٧٧ ، البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٢٥ ، حسن الباشا : الفنون الاسلامية جـ ١ / ص ٣٩ .

(٣) العماد الحنبلى : الشذرات جـ ٤ / ص ٢٧٩ .

الرازى المتوفى عام (٦١٧هـ/١٢٢٠م) الذى كان وزيرا للخليفة الناصر لدين الله العباسى[1]. ومع ذلك فالراجح أنهم قد شددوا عليهم الخناق وجرى التضييق عليهم فى جميع أنحاء البلاد وقد حصلت بينهم وبين السلطة من جهة، وبينهم وبين أتباع المذاهب الاسلامية السلفية من جهة أخرى الكثيرمن الفتن والمصادمات فى هذا العصر.

وتفصل أغلب المصادر التاريخية ذلك، قال ابن الجوزى فى حوادث سنة (٤٨٢هـ/١٠٨٩م): " ونقلت من خط أبى الوفاء بن عقيل[2] عظمت الفتنة الجارية بين أهل السنة وأهل الكرخ - يعنى الشيعة من أهل الكرخ - فقتل فيها نحو مائتى قتيل، ودامت شهورا، وانقهر الشحنة، وانحش السلطان، وصار العوام يتبع بعضهم بعضا فى الطرقات، فيقتل القوى منهم الضعيف، ويأخذ ماله، وكان الشباب قد أحدثوا الشعور والجمم، وحملوا السلاح، وعملوا الدروع، ورموا عن القسي بالنشاب والنبل، وسب أهل الكرخ الصحابة وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم على السطوح، وارتفعوا الى سب النبى صلى الله عليه وسلم، ولم أجد من سكان الكرخ من الفقهاء والصلحاء من غضب ولا انزعج عن مساكنتهم، فنفر المقتدى امام العصر نفرة قبض فيها على العوام، وحلق الجمم، وضرب بالسياط، وحبسهم فى البيوت، وكان شهر آب فكثر الكلام على السلطان، وقال العوام: هلك الدين، وماتت السنة، ونصبت البدعة، وترى أن الله ما ينصر الا الرافضة فنرتد عن الاسلام ..... - ويعلق أبو الوفاء على ذلك فيقول: ......" فلما نهض السلطان بعصبية دينية أو سياسية، وقد استحقوا قطع الرؤوس، وتخليد الحبوس، فقعد

---

(١) ابن الأثير: الكامل جـ ٩ / ص ٢٩٠، ابن الطقطقى: الفخرى / ص ٣٢٥، أبو شامة: ذيل الروضتين ص ٥٨ - ص ٦٠.

(٢) أبو الوفاء على بن عقيل بن محمد البغدادى، عالم العراق وشيخ الحنابلة، له مصنفات أعظمها كتاب الفنون قال الذهبى فى تاريخه: لم يصنف فى الدنيا أكبر منه توفى عام ٥١٣هـ/١١١٩م، العماد الحنبلى: شذرات الذهب جـ ٤ / ص ٣٥، سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٨٣. ابن رجب: الذيل جـ ١ / ص ١٧١.

الحقى فى مأتم النياحة ، يقولون : هل رأيتم فى الزمن الماضى ما جرى على أهل السنة فى هذه الدولة ، طاب والله الانتقال عن الاسلام ، لو كان ما نحن فيه حقا لنصره الله ، وحملوا الصلبان فى حلوقهم ودعوا بشعار الرفض ، وقالوا : لا دين الا دين أهل الكرخ ....."[1].

أما المعتزلة [2] فى هذا العصر فكان أهل السنة ينظرون اليهم بعين الكراهية والاحتقار وهو استمرار لنفس النظرة التى حازوا عليها بعد توقف المحنة والقول بخلق القرآن ، على أن شوكة المعتزلة قد ضعفت الى حد كبير بعد ما كسر شوكتهم فى القرن الثالث الهجرى أبو الحسن الأشعرى ، وحاربهم حربا شعواء بنفس سلاحهم ، بالمنطق والفلسفة . ووافق الأشعرى أهل السنة فى كثير مما ذهبوا اليه . فلقد كان أهل السنة ، وبخاصة الحنابلة ، شديدى الوطأة على المعتزلة وأصحابها فى هذا العصر ، فابن الجوزى يحدثنا عن عدد من الحوادث التى وقعت ضدهم ، وعن تكرار حرق كتب المعتزلة [3]. يقول أحمد أمين " وكان بجانب هؤلاء جماعة من الشكاك، رأوا هذه المذاهب المختلفة والآراء المتناقضة ، والأدلة المتعارضة فشكوا فيها جميعا وكفروا بالجدل - الى أن يقول - ونرى الجماعة الكثيرة قد طلبوا علم الفلسفة وتبحروا فيها ، ووسموا أنفسهم بالوقوف على الحقائق ، وبالخروج على جملة العامة ، ونجد آخرين قد تمهروا فى علم الكلام ، وأفنوا فيه دهرهم ، وفخروا بأنه قد لاح لهم الفرق بين الحق والباطل بالحجج ثم نجدهم كلهم - فلسفيهم

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢) المعتزلة : نشأت هذه الفرقة بسبب الخلاف الذى حدث بين الحسن البصرى المتوفى سنة ١١٠هـ/٧٢٨م وبين واصل بن عطاء المتوفى سنة ١٣١هـ/٧٤٨م ، فى القدر ، وفى المنزلة بين المنزلتين ، فطردهم الحسن عن مجلسه ، فاعتزل واصل الى سارية من سوارى مسجد البصرة فقيل له ولأتباعه " معتزلة " . أنظر : البغدادى : الفرق بين الفرق / ص ص ٢٠ - ٢١ ، ابن حزم : الفصل فى الملل والنحل جـ ٤ / ص ١٩٢ ، الشهرستانى : الملل والنحل جـ ١ / ص ص ٥٣ - ٥٧ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ص ٢٣٥ - ٢٥٤ - ٢٧٥ ، جـ ٩ / ص ١٧ .

وكلاميهم - مختلفين كاختلاف العامة وأهل الجهل بل أشد اختلافا ".[١]

الاسماعيلية (الباطنية) :

أما الاسماعيلية فتعد من الفرق الشيعية المهمة التى نشطت فى العصر السلجوقى.[٢] وكان للباطنية فى هذا العصر خط سياسي غير عادى ، فهي فى الوقت الذى تتكتم فيه على تعاليمها (باطنية) ، وتعمد الى اتباع أسلوب سرى باطنى فى نشر الدعوة ، يضمن عدم الافصاح عن مبادئها ، فانها اتخذت من رعاية العلوم وتنظيمات العمال والتقاليد الخاصة بها غطاء تتستر فيه على حقيقة دعوتها ومبادئها و " فى الوقت الذى كان فيه بعض دعاة الاسماعيلية يحصلون على مراكز قوة لهم فى المناطق النائية ، ويدعون أنفسهم فيها كان هناك آخرون يبثون دعايتهم الدينية فى المراكز الرئيسية داخل العالم السني والسلجوقى ، وهؤلاء هم الذين تسببوا فى سفك أول الدماء بين العملاء الاسماعيليين والسلطات السلجوقية ".[٣]

ولقد تعرضت أقلام الكتاب المسلمين لهذه الفرقة بالنقاش والمعارضة ، وكشف الحقائق . نشير الى بعض من كتب خلال فترة بحثنا هذا ، منهم حجة الاسلام الامام أبو حامد الغزالي المتوفى عام (٥٠٥هـ/١١١١م) فى كتابه فضائح الباطنية ، والامام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى المتوفى عام (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) الذى

---

(١) أحمد أمين : ضحى الاسلام جـ٣/ ص ص ٣٤٨-٣٤٩-٣٥٠.

(٢) وهم الذين قالوا بأن الامام بعد جعفر الصادق ولده اسماعيل وليس موسى " نصا عليه باتفاق بين أولاده الا أنهم اختلفوا فى موته فى حال حياة أبيه فمنهم من قال : لم يمت ، الا أنه أظهر موته تقية من خلفاء بنى العباس ، وعقد محضرا وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة ، ومنهم من قال : الموت صحيح . . والامام بعد اسماعيل محمد بن اسماعيل . . والاسماعيلية المشهورة فى الفرق هم الباطنية التعليمية الذين لهم مقالة مفردة " الشهرستانى : الملل والنحل جـ٢/ ص ٥ - ٩.

(٣) برنارد لويس : الحشاشون / ص ٩١.

وصفهم بأنهم " قوم تستروا بالاسلام ، ومالوا الى الرفض ، وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام بالمرة ، فمحصول قولهم تعطيل الصانع ، وابطال النبوة والعبادات وانكار البعث ، ولكنهم لا يظهرون هذا فى أول أمرهم ".[١] ويملل الامام الغزالى الباعث على ظهورهم ، ونصب دعوتهم ، وافاضة بدعتهم الناس بقوله : " مما تطابق عليه نقلة المقالات قاطبة أن هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب الى ملة ولا معتقد لنحلة معتضد بنبوة ، فان مساقها ينقاد الى الانسلال من الدين ، كانسلال الشعرة من العجين . ولكن تشاور جماعة من المجوس والمزدكية ، وشرذمة من الثنوية الملحدين ، وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين ، وضربوا سهام الرأى فى استنباط تدبير يخفف عنهم مانابهم من استيلاء أهل الدين ، وينفس عنهم كربة مادهاهم من أمر المسلمين ، حتى أخرسوا ألسنتهم عن النطق بما هو معتقدهم ، من انكار الصانع ، وتكذيب الرسل ، وجحد الحشر والنشر والمعاد الى الله ".[٢] وكانت دعوتهم هذه أخطر ماتكون على الاسلام والمسلمين بما كان لمبادئها من خطر عظيم ، وما للقائمين عليها من خبث ودهاء. يقول البغدادى : " اعلموا - أسعدكم الله - أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم ، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم ".[٣] أما وسيلتهم فى الوصول الى المسلمين فقد أفصح عنها الغزالى فى أثناء عرضه لأساليبهم حين نقل قولهم : " فسبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم ، هم أركّهم عقولا ، وأسخفهم رأيا ، وألينهم عريكة لقبول المحالات ، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات ، وهم الروافض. ونتحصن بالانتساب اليهم والاعتزاء الى أهل البيت عن شرهم .... ونتباكى لهم على

---

(١) ابن الجوزى : تلبيس ابليس / ص ١٠٢.
(٢) الغزالى : فضائح الباطنية / ص ١٨.
(٣) البغدادى : الفرق بين الفرق / ص ٢٨٢.

ما حل بآل محمد صلى الله عليه وسلم ".[١]

وهكذا يتضح مما سبق تساؤل الغزالي وابن الجوزي عن سبب انتشار هذه الحركة بهذه السرعة ، وقد توصلوا الى تفسيرات مؤداها أن الباطنية تمثل خلاصة جهود العقائد التي غلب عليها الاسلام ، لتندس فيه فتقضي عليه ، أو تحل محله اما بشكلها القديم ، أو بشكل يتصف بالالحاد الخالص . وقد نبه الغزالي وابن الجوزي الى أن الباطنية والمزدكية والخرمية والقرامطة حركة واحدة[٢]. ولهذا فقد وقف فقهاء المسلمين من أهل السنة موقف التصدي لهذه الفرقة الباطنية ، وغيرها ، وكانوا يهاجمون هذه الفرق ويكفرونها ، ويقدحون في مؤلفاتها ، وأفكارها ومبادئها[٣]، كما أنهم يذهبون الى أن الباطنية حركة اباحية ، تعمل على تحليل ما حرم الله ، وتهدف الى تقويض دعائم وأركان الدين الاسلامي ، لأنها تنادي برفع التكاليف الدينية ، وتدين بالتناسخ والحلول والتلاشي وشيوعية المرأة[٤].

وقد أدرك الغزالي جيدا أن عقيدة الباطنية تصادف هوى في نفوس العامة وبين السبب في رواج حيلتهم وانتشار دعوتهم ، مع ركاكة حجتهم وفساد طريقتهم[٥] ووافق رأى ابن الجوزي رأى الغزالي في أن السبب في سهولة انقياد العامة لتعاليمهم الالحادية يعود الى أن الباطنية كانت تركز دعوتها على المزارعين وأصحاب الحرف ، ممن كانت ثقافتهم محدودة ، وكانوا يعانون من أوضاعهم

---

(١) الغزالي : فضائح الباطنية / ص ١٩ .
(٢) الغزالي : فضائح الباطنية من ص ١١ - ص ١٧ ، الديلمي : بيان مذهب الباطنية وبطلانه / ص ص ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ .
(٣) ابن الجوزي : تلبيس ابليس / ص ص ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ .
(٤) الغزالي : فضائح الباطنية / ص ١٨ ، ابن الجوزي : تلبيس ابليس / ص ص ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ . الديلمي : بيان مذهب الباطنية / ص ٢٤ .
(٥) الغزالي : فضائح الباطنية / ص ٣٣ .

الاقتصادية السيئة خلال هذه الفترة. ولقد صنفهم الغزالي الى ثمانية أصناف بقوله: " فان قيل : هذا أيضا مع الكتمان ظاهر البطلان ، فكيف ينخدع بمثله عاقل؟ : قلنا لا ينخدع به الا المائلون عن اعتدال الحال واستقامة الرأى ، فللعقلاء عوارض تعمي عليهم طرق الصواب ، وتقضى عليهم بالانخداع بلامع السراب ، وهم ثمانية أصناف : الصنف الأول طائفة ضعفت عقولهم ، وقلت بصائرهم ، وسخفت فى أمور الدين آراؤهم ، لما جبلوا عليه من البله والبلادة ، مثل السواد وأفجاج العرب والأكراد وجفاة الأعاجم وسفهاء الأحداث ، ولعل هذا الصنف هم أكثر الناس عددا ....".[1] وعدد الغزالي بقية الطوائف " مابين طائفة انقطعت الدولة عن أسلافهم بدولة الاسلام ، كأبناء الأكاسرة والدهاقين ، وأولاد المجوس المستطيلين، وطائفة لهم هم طامحة الى العلياء ، متطلعة الى التسلط والاستيلاء[2] وطائفة جبلوا على حب التميز عن العامة والتخصص عنهم ، ترفعا عن مشابهتهم، وتشرفا بالتحيز الى طائفة خاصة ، تزعم أنها مطلعة على الحقائق ، وطائفة سلكوا طريق النظر ولم يستكملوا فيه رتبة الاستقلال[3] ، وطائفة من ملحدة الفلاسفة والثنوية والمتحيرة فى الدين ، اعتقدوا أن الشرائع نواميس مؤلفة ، وطائفة استولت عليهم الشهوات فاستدرجتهم متابعة اللذات واشتد عليهم وعيد الشرع وثقلت عليهم تكاليفه ".[4]

قال الديلمى : " واتفق أهل المقالات أن أول من أسس هذا المذهب المشئوم قوم من أولاد المجوس وبقايا الخرمية والفلاسفة واليهود ، فجمعهم ناد واشتوروا وقالوا : ان محمدا غلب علينا ، وأبطل ديننا ، واتفق له أعوان ، نصروا مذهبه ،

---

(١) الغزالى : فضائح الباطنية / ص ٣٣ - ٣٤.
(٢) الغزالى : فضائح الباطنية / ص ٣٤ ، الديلمى : بيان مذهب الباطنية/ ص ص ١٩ - ٢٠.
(٣) الغزالي : فضائح الباطنية/ص ٣٥ ، الديلمي : بيان مذهب الباطنية/ص ص ١٩ - ٢٠ .
(٤) الغزالي : فضائح الباطنية/ص ٣٦ ، الديلمي : بيان مذهب الباطنية/ ص ص ١٩ - ٢٠.

ولم يكن نبيا ، ولا مطمع لنا فى نزع ما في أيديهم من المملكة بالسيف والمحاربة ، لقوة شوكتهم ، وكذلك لا مطمع لنا فى طريق المناظرة لما فيهم من العلماء والفضلاء والمتكلمين المحققين ، واتفقوا على وضع حيلة يتوصلون بها الى فساد دينهم من حيث لا يشعرون ، وبنوا أمورهم على التلبيس والتدليس" .(١)

أما فيما يختص بالدراسات المعاصرة حول فرقة الاسماعيلية " الباطنية " فقد تناولها الكثير من الكتاب المستشرقين والعرب بالدراسة والنقد والتحليل ، ومحاولة الوصول الى حقيقة هذه الفرقة . وقد اعتمد أغلب المستشرقين فى دراساتهم لهذه الفرقة على مصادر متباينة الاتجاهات والآراء والعقائد ، منها مصادر تاريخية عامة ومنها ما يمثل نظرة أصحاب السلف ، ومنها شيعية اسماعيلية . والغريب أن أكثر هذه الدراسات قام بها بعض القساوسة والكتاب الغربيين فى العصور الوسطى ، منهم القس الألماني بروكاردوس الذى يرى أن الحشاشين كانوا قتلة مأجورين .(٢) ويفسر فرانشسكو دابوتي فى القرن الرابع عشر كلمة حشاش بقوله : " الحشاش هو الذى يقتل الآخرين مقابل أجر ".(٣) كما وجدت دراسات ونصوص عن هذه الفرقة فى سجلات الصليبيين ، ويذكر برنارد لويس أنه وجد " وصفا مبكرا لهذه الجماعة فى تقرير كتبه مبعوث أرسله الامبراطور فريدريك بربروسه الى مصر وسوريا عام (٥٧١ هـ/ ١١٧٥م)(٤) وبعد ذلك بسنوات قليلة كتب وليم أسقف صور وصفا مختصرا لهذه الفرقة فى تاريخه عن الدويلات الصليبية .(٥) أما الرحالة الشهير ماركو بولو الذى عبر بلاد فارس فى عام (٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣م) فقد وصف " قلعة الموت" التى ظلت طويلا قصرا لهذه الفرقة ،(٦) ويرى برنارد لويس أن

---

(١) الديلمى : بيان مذهب الباطنية / ص ١٩ .
(٢) برنارد لويس : الحشاشون / ص ١٢ .
(٣) ن.م.س / ص ١٣ .
(٤) ن.م.س / ص ١٤ .
(٥) ن.م.س / ص ١٥ .
(٦) ن.م.س / ص ٢٨ .

دراسة سيلفستر دى ساسي بمثابة علامة هامة فى تاريخ الدراسات الخاصة بالحشاشين [١] حيث يقول " فتحت دراسة سيلفستر دى ساسي الباب أمام سلسلة من الدراسات الأخرى حول الموضوع، كان أكثرها انتشارا بالتأكيد " تاريخ الحشاشين " الذى وضعه المستشرق النمسوى جوزيف فون هامر ، ونشر بالألمانية فى شتوت جارت عام (١٢٢٤هـ/١٨١٨م) ، وترجم الى الفرنسية والانجليزية فى عام (١٢٤٩هـ/١٨٣٣م) .... وهو ينظر الى الحشاشين باعتبارهم اتحادا من الدجالين والمفغلين، استطاع تحت قناع من التشدد الدينى والأخلاقى الاساءة الى كل الأديان والأخلاقيات....." [٢]

ويذكر الأستاذ الدورى فى معرض حديثه عن الاسماعيلية عند تقديمه كتاب " أصول الاسماعيلية " لبرنارد لويس ، أن دى ساسي قد اعتمد فى حديثه عن الدعوة الاسماعيلية بالدرجة الأولى على نهاية الأرب للنويرى (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) وعلى المقريزى (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)" . [٣]

ويضيف بأن دوزى كان ممن تعرضوا فى كتابه عن الاسلام ، وفى كتابه " تاريخ العرب فى الأندلس " لموضوع الحشاشين بشكل يوافق النتائج التى توصل اليها دى ساسي . [٤]

ويذكر الدورى بأن المستشرق دى خويه فى كتابه تاريخ علاقة قرامطة البحرين بالفاطميين [٥] قدم خطوات حسنة فى الموضوع ، لاعتماده فى بحثه على عدد كبير من المصادر السنية ، اضافة الى اهتمامه بالنقد والتحليل [٦] ، وأشاد الأستاذ الدورى بدراسة الدكتور برنارد لويس فى كتابه " أصول الاسماعيلية " الذى اعتمد فيه على مجموعة كبيرة من المصادر السنية والاسماعيلية [٧] وأخذ عليه الدورى فى بحثه هذا عدم

---

(١) برنارد لويس : الحشاشون / ص ٢٨ .
(٢) ن.م.س / ص ٣١ .
(٣) ن.م.س / ص ١٠ .
(٤) ن.م.س / ص ١٢ .
(5) Memoire sut les carmathes du Bahrain et les fatimidis. Leide 1886.
(٦) برنارد لويس : أصول الاسماعيلية / ص ١٣ .
(٧) ن.م.س / ص ٢٧ .

اهتمامه بالناحية الاقتصادية وأثرها ، ولعل هذا ما يوضح أسباب تركيز الدكتور الدوري على هذه الجوانب في كتابه تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري [١] وفي كتابه الآخر دراسات في العصور العباسية المتأخرة [٢] .

وعلى أي حال ، فقد كان القرنان الخامس والسادس الهجريان عصر نشاط الاسماعيلية ، خصوصا بعد بروز دور أحمد بن عبد الملك بن عطاش [٣] وتلميذه الحسن الصباح [٤] في تنظيم الدعوة الاسماعيلية حيث تضاعف نشاطها في تبليغ معتقداتها ، وايجاد المراكز المناهضة لآراء أهل السلف والخلافة العباسية ، اذ كانت اتجاهاتها مناهضة سواء ضد الفرق الأخرى ، أو ضد سلطة الخلفاء والسلاطين . وقد اتخذت هذه الدعوة مركزها الرئيسي قرب بحر قزوين لبعدها عن مركز الخلافة ، ولوجود عدد من المناوئين هناك [٥] .

وقد استفاد أحمد بن عبد الملك بن عطاش من اختلاف السلاجقة فيما بينهم ، فاستولى على قلعة أصفهان (شاه دز) [٦] ، وهي من قلاع أصفهان الحصينة ،

---

(١) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي من ص ٧٥ - ص ٧٩ . وصدر من الكتاب طبعتين ، بيروت ، لبنان - دار المشرق .

(٢) الدوري : دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ٢٢ ، ١٧٨ - ١٨٦ .

(٣) زعيم باطني من أهل أصبهان ، اجتمع عليه عدد من باطنيتها المعروفين بالاسماعيلية (توفي بأصبهان عام ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م) . ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٢٠٠ .

(٤) الحسن الصباح بن علي الاسماعيلي (توفي عام ٥١٨هـ/ ١١٢٤م) داهية شهم شجاع عالم بالهندسة والحساب والنجوم ، كان من أعيان الباطنية في عهد ملكشاه . ابن الأثير: الكامل جـ ٨ / ص ٢٠١ . الذهبي : ميزان الاعتدال جـ ١ / ص ٢٣٢ ، دائرة المعارف الاسلامية جـ ٢/ ص ١٨٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٢٠٠ .

(٦) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٢٠١ ، ياقوت : معجم البلدان جـ٣/ ص ٣١٦ .

وملأها بالأسلحة والعتاد ، واتخذها مركزا لدعوته ، فتبعه خلق كثير من أصفهان[١]، وبعد رجوع الحسن الصباح من مصر عام (٤٨٣هـ/١٠٩٠م) استولى على "قلعة الموت"[٢] والتى كانت بداية لسقوط الكثير من القلاع فى هذه المنطقة كقلعة (وسنكوه) قرب أبهر[٣] التى استولوا عليها عام (٤٨٤هـ/١٠٩١م)[٤] ، وقلعة (خالنجان) ، قرب أصفهان ، وقلعة (استوناوند) بين الرى وآمل ، وقلعة (خلادخان)[٥].

استولى الباطنية على هذه القلاع جميعها ، فى نفس الوقت الذى انتشر فيه دعاتهم فى بلاد فارس والعراق ، وكان آخر ما لجأوا اليه هو التصفية الدموية لكل من يعارضهم ، وذلك بانطلاق الانتحاريين من "قلعة الموت" التى اشتهرت فى عهد الحسن الصباح ، وأصبحت مصدر رعب للأمراء والوزراء والسلاطين والخلفاء[٦]. فلقد انطلقت منها فرق الحشيشية التى اغتالت الخليفة المسترشد بالله العباسي[٧] عام (٥٢٩هـ/١١٣٤م) ، والوزير السلجوقي نظام الملك عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م)[٨] والوزير أبو الفرج محمد بن عبد الله رئيس الرؤساء عام (٥٧٣هـ/١١٧٧م)[٩] ، يقول البندارى

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨/ص ٢١٠.
(٢) الموت : قلعة بنواحي قزوين واسمها بلغة الديلم "آله موت" ومعناها "تعليم العقاب . ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٢٠١.
(٣) أبهر : مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبل . ياقوت : معجم البلدان جـ ١ / ص ٨٢.
(٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٢٠٢.
(٥) ن.م.س جـ ٨ / ص ٢٠٢.
(٦) ن.م.س جـ ٨ / ص ٢٠٣.
(٧) العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٤ / ص ٨٦.
(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ / ص ١٢٨، أبو شامة : الروضتين جـ١ص ٢٥ ، السبكى : طبقات الشافعية جـ ٣ / ص ١٣٥.
(٩) العماد الحنبلى : الشذرات جـ ٤ / ص ٢٤٤.

" فنابت النوائب ، وظهرت العجائب ، وفارق الجمهور من بيننا جماعة نشأوا على طباعنا وكالوا بصاعنا ، وكانوا معنا في المكتب ، وأخذوا حظا وافرا من الفقه والأدب ، وكان منهم رجل أقام الفتنة كل قيامه ، واستولى في مدة قريبة على قلاع وحصون منيعة ، وبدأ من القتل والفتك بأمور شنيعة ...".[1] فكان الوزير نظام الملك أول ضحاياهم من الكبراء ، خلال فترة البحث ، وذلك عندما وقف في وجوههم فكريا بانشائه المدارس النظامية التي كانت تستهدف تخريج أكبر عدد من المثقفين من أهل السنة ، للدفاع عن العقيدة السلفية ، والوقوف في وجه أباطيل الشيعة وفرقها المتنوعة ، وبخاصة الاسماعيلية الباطنية والذى خطط وبدأ خطوات مواجهتهم بالقوة والوقوف في وجوههم حربيا ، وذلك بارساله الجيوش لمحاصرة " قلعة الموت " بعد استيلائهم عليها.[2]

وعلى العموم فقد حرص السلاجقة على تعقب دعوتهم في هذا العصر ، وبشكل خاص ، على أيام ملكشاه ووزيره نظام الملك[3] والسلطان بركيارق[4] الذى أمر بقتلهم حيثما ثقفوا عام (٤٩٤هـ/ ١١٠٠م)[5] بعد أن سارت الحوادث على شكل ينبيء بنجاح دعوتهم ، وأصبحوا خطرا يهدد الخلافة العباسية بالزوال . وهكذا فقد اتسعت جهود الخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة في ملاحقة الاسماعيلية وبدها القادرة الممثلة في الحشيشية بكل حزم وشدة ، بقصد القضاء عليها ، بعد أن تبين لهم خطرها الذى كان يهدد الاسلام والمسلمين[6] . ويبدو أن تلك الجهود قد

---

(١) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٦٨ ، وأنظر المزيد من أخبارهم في : ابن الجوزي : المنتظم جـ ٩ / ص ص ١٢٠ - ١٢٢ - ١٢٣ .
(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٢٠٢ .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ١٢١ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ / ص ٢٠٠ ، ص ٢٠٥ .
(٤) بركيارق بن ملكشاه السلجوقي ركن الدين تولى الملك عام (٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م) ، وتوفى عام (٤٩٨هـ/ ١١٠٤م) . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/ ص ٢٦٨ ، الراوندى : راحة الصدور / ص ٢١٤ وأخباره متفرقة في عدد من الكتب التاريخية .
(٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ٩/ص ١٢١ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨/ص ٢٠٠-٢٠٥ .
(٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨/ص ٢٠٣ ، جـ٩/ص ١٢١ ، تلبيس ابليس / ص ١٠٩ .

أتت بنتائج طيبة ، فقد اضطر أتباع هذه الفرقة الضالة للهروب الى الجبال البعيدة فى أقصى شمال شرق الدولة الاسلامية . وهذا يعنى أن خطر هذه الفرقة قد كمن وانزوى ، وأنه لم يكن من المستطاع القضاء عليهم بشكل تام ونهائى ، وهذا أمر متوقع ، فالفكرة لا تقاوم الا بالفكرة المضادة التى تفضحها وتقضى عليها ، وان استعمال القوة بازائها وان كان قد أبعد أخطارهم ، وقلص من قوتها وقدراتها ، فانه لم يقض عليها ، فقد ظلت هذه الدعوة تضعف وتنشط بحسب الظروف والأحوال المتاحة لها ، الى أن ظهرت قوة المغول حيث تم القضاء على فلولهم عند استيلاء المغول على " قلعة الموت " عام (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) ، وبذلك تم القضاء على مركز التنظيم الأساسى لهم اذ لم يعد للحشيشية بعد ذلك أثر كبير فى هذه المنطقة .[١]

الصوفية :

التصوف نزعة من النزعات ، وليس فرقة مستقلة ثابتة الآراء والأهداف والتعليمات وان كان هناك بعض التماثل فى الأساليب واعتماد التسلسل فى الطريقة ، ولذلك يصح أن يكون الرجل سنيا متصوفا ، أو شيعيا متصوفا ، أو معتزليا متصوفا .

وليس من السهولة بمكان تعريف التصوف ، ذلك لأن التصوف لم يكن له فى يوم من الأيام طريقة منتظمة محدودة أو معينة من الناحية النظرية أو العملية ، بل كان له فى كل عصر مفهوم خاص[٢] على أنه تعرض لتعريف التصوف العشرات من علماء الصوفية أو ممن كتب عنهم . فالجنيد البغدادى (المتوفى عام ٢٩٧هـ/٩٠٩م) من معتدلى صوفية بغداد عرف التصوف بتعاريف كثيرة ، منها قوله : " التصوف هو تصفية

---

(١) برنارد لويس : الحشاشون / ص ١٦٦ ، دائرة المعارف الاسلامية جـ ٢/ ص ١٨٨ ، جـ ٧ / ص ٤٣٤ .

(٢) قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الاسلام / ص ٢٦٩ .

القلب من مراجعة الخلقة والمفارقة من أخلاق الطبيعة ، واماتة الصفات البشرية ، والابتعاد عن الدواعي النفسانية ، والنزول على الصفات الروحانية ، والسمو الى العلوم الحقيقية ، ونصيحة الأمة كلها ، والوفاء في العمل بالحقيقة ، ومتابعة النبي في الشريعة ".(١) أما الشيخ معروف الكرخي (المتوفى عام ٢٠٠هـ/ ٨١٥ م) فانه يرى بأن " التصوف الأخذ بالحقائق ، واليأس مما في أيدي الخلائق ، فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف ".(٢)

وقد فرق الشيخ عمر السهروردي (المتوفى عام ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) بين الزهد والفقر والتصوف قائلا " التصوف غير الفقر ، والزهد غير الفقر ، والتصوف غير الزهد . فالتصوف اسم جامع لمعاني الفقر ومعاني الزهد ، مع مزيد أوصاف واضافات لا يكون بدونها الرجل صوفيا ، وان كان زاهدا وفقيرا ".(٣)

أما في العصر الحديث ، فقد عرف ماسينيون التصوف بأنه " مصدر الفعل الخماسي المصوغ من (تصوف) للدلالة على لبس الصوف ، ومن ثم كان المتجرد لحياة الصوفية يسمى في الاسلام صوفيا ، وينبغي رفض ماعدا ذلك من الأقوال التي قال بها القدماء والمحدثون في أصل الكلمة ".(٤)

أما نشأة كلمة " صوفي " أو " متصوف " ففي صدر الاسلام كان الاقبال على الدين والزهد في الدنيا غالبا على المسلمين ، فلم يكونوا في حاجة الى وصف يمتاز به أهل التقى ، قال ابن الجوزي : " كانت النسبة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان والاسلام ، فيقال : مسلم ، ومؤمن . ثم حدث اسم : زاهد وعابد . ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد ، فتخلوا عن الدنيا ، وانقطعوا

---

(١) العطار : تذكرة الأولياء جـ ٢ / ص ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) السهروردي : عوارف المعارف / ص ٥٤ .

(٣) ن.م.ص / ص ٥٥ .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية جـ ٥ / ص ٢٦٥ . مادة " تصوف " .

الى العبادة ، واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها ....".[١] ولكن بعد الاقبال على الدنيا ، وجنوح الناس الى مخالطة المتاع الدنيوى ، قيل للخواص ممن لهم شدة عناية بأمر الدين : الزهاد ، والعباد ، ثم ظهرت الفرق الاسلامية ، فادعى كل فريق أن فيهم زهادا وعبادا[٢] واشتهر هذا الاسم قبل المائتين ، ولم يكن موجودا على عهد الصحابة رضوان الله عليهم[٣] ، قال القشيرى : " انفرد خواص أهل السنة ، المراعون أنفاسهم مع الله تعالى ، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف ، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة ".[٤]

ولقد تناول الخوض فى موضوع الصوفية ، عدد كبير من العلماء والباحثين قديما وحديثا . وكان لكل وجهة نظره الخاصة ، حسب اتجاهاته وفكره وعقيدته . وكان الجميع يتفقون حول نشأتها ، وتطورها التاريخى ، غير أنهم يختلفون حول ماهيتها ، وأسباب ظهورها ، وأهدافها ، ومدى ارتباطها بواقع الحياة بشتى جوانبها .

على أن الذى دعا الى دراسة هذه الفئة فى العراق خلال العصر السلجوقى هو ما ينعكس فى الكتابات المعبرة عن الفكر الصوفى فى هذا العصر من عمق وخصوصية ، وما يلاحظ عليه من التزام بالمفاهيم العلمية .

وعليه فقد كان الصوفيون بأربطتهم وزواياهم ومصنفاتهم وفكرهم وعلومهم ، فى هذا العصر يمثلون مدرسة علمية خاصة ، كان لها آثارها على بعض جوانب الحياة العلمية والفكرية ، اضافة الى آثارها الاجتماعية . بجانب ما كان لهذا الفكر من علاقة بأوضاع العصر المختلفة. ففى العصر السلجوقى راجت سوق الصوفية ، ثم ان الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى العراق فى هذه الفترة ، شكلت

---

(١) ابن الجوزى : تلبيس ابليس / ص ١٦١ .
(٢) ن.م.س / ص ١٦١ .
(٣) ن.م.س / ص ١٦٣ .
(٤) القشيرى : الرسالة القشيرية / ص ٧ - ٨ .

عاملا مشجعا لانخراط أعداد كبيرة من المجتمع فى سلك الصوفية ، هذا بالاضافة الى ميل عامة المسلمين الى احترام الزهاد وتوقيرهم والنظر اليهم باكبار واجلال[١]. ولقد اتسعت موجة الزهد والعزوف عن الدنيا ، حيث انها أصبحت ظاهرة اجتماعية ضمت مجموعات لم يكن من المتوقع انخراطهم فى سلكها ، فالأمير سليمان بن نظام الملك متولي المدرسة النظامية حضر أحد مجالس أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، " فتواجد وفرق ثيابه ، وكشف رأسه ، وقام وأشهد الواعظ والجماعة أنه قد أعتق ما يملك من الرقيق ووقف أملاكه "[٢]. وذكر ابن الدبيثى " أن الحسن بن عبد الله بن أبي الغوارس الحاجب كان خصيصا بخدمة الوزير أبي الفرج رئيس الرؤساء[٣] ملازما له ، وانقطع فى آخر عمره الى الصوفية وأقام برباط الزوزني "[٤].

على أن انصراف المتصوفة عن الدنيا ، وانشغالهم بالدين والعلم فى هذا العصر واحترام الناس لهم ، وكثرة أربطتهم ، والتفاف الكثير من الناس حولها ، قد لفت أنظار الحكام اليهم فبذلوا كل ما يستطيعون لتقريبهم والسيطرة عليهم ، واستمالة زعمائهم. فأصبح الصوفية فئة مميزة فى المجتمع ، فأصبحت لرؤسائهم مكانة مرموقة عند الخلفاء والوزراء ، فكانوا يحضرون مجالس وولائم الخلفاء والوزراء أسوة بكبار رجال الدولة .[٥]

---

(١) ابن الجوزى : تلبيس ابليس / ص ١٦١ .

(٢) بدرى محمد فهد : تاريخ العراق فى العصر العباسى الأخير/ص ٣٩٧ .

(٣) أنظر عنه : ابن الطقطقى : الفخرى / ص ٣١٩ .

(٤) ابن الدبيثى : ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد / ورقة ٣٤٥-٣٤٦ .

(٥) ابن الجوزى : تلبيس ابليس / ص ٢٢١ . بدرى محمد فهد : تاريخ العراق فى العصر العباسى الأخير / ص ٣٩٧ .

وكان من أشهر رجال الصوفية في العراق في هذا العصر الشيخ عبد القـــادر الجيلاني (المتوفى عام ٥٦١ هـ/ ١١٦٥م)[١] الذي قال عنه سبط ابن الجوزي " وكـان سكوته أكثر من كلامه ، فظهر له صيت عظيم وقبول تام ، وتاب على يده معظم أهـل بغداد ، وأسلم معظم اليهود والنصارى "[٢].

أما الثاني فهو أحمد الرفاعي (المتوفى عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) وكان لأتبـــاع طريقته في التصوف أعمال عجيبة ، كابتلاع الجمر والأفاعي الحيّـة والزجاج[٣].

ولقد تعددت مشارب وأهداف الصوفية في هذا العصر ، فقد ظهر متصوفـة لا يلتزمون بآداب الصوفية[٤] . فقد أنكر ابن الجوزي ذلك على متصوفة زمانـــه فهاجم وقدح فيهم ،[٥] وأنكر عليهم حبهم لسماع الأغاني والرقص[٦] ، وتشير المصادر الى أنه في عام (٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) " اجتمع جماعة من الصوفية برباط شيخ الشيوخ ببغداد[٧] وكان معهم مغن يغني فيحرك الجماعة على عادة الصوفية "[٨].

---

(١) عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية ، من كبار الزهاد والمتصوفين ، له مجموعة مصنفات. ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥/ ص ٣٧١ ، الكتبي : فوات الوفيات جـ٢/ ص ٣٧٣ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٤/ ص ١٩٨ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٢٦٤ .

(٣) ابن العماد : الشذرات جـ ٤ / ص ٢٥٩ ، دائرة المعارف الاسلامية جـ١٠/ص١٤٧ .

(٤) أنظر آداب الصوفية في : السهروردي : عوارف المعارف من ص ٢٥٠ الى ص ٢٦٨ .

(٥) ابن الجوزي : تلبيس ابليس من ص ٢١٧ الى ص ٤٠٢ .

(٦) ن.م.س / ص ٢٢٢ - ص ٢٥٨ .

(٧) هو رباط الزاهد أبو العباس السيد أحمد بن علي الرفاعي المتوفى عام (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) شيخ الطريقة الرفاعية ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ /ص٢٥٩ .

(٨) الأشرف الغساني : العسجد المسبوك جـ ٢ / ص ٢٨٧ .

على أن هناك من رجال الصوفية من كانوا من الأتقياء المنصرفين عن الدنيـــا ، والذين لا يخافون قول الحق ، قال سبط ابن الجوزى فى الجيلانى " .... وكان يصدع بالحق على المنبر ، وينكر على الظلمة ولما ولّى (الخليفة) المقتفى (لأمــر الله) القاضى ابن المرخم[1] الظالم قال على المنبر (مخاطبا الخليفة) " وليت على المسلمين أظلم الظالمين ، فما جوابك غدا عند رب العالمين ... "[2]

وحين ننظر الى الجماعات التى انتشرت فيها مبادئ الصوفية فى هذا العصـر نجدها فى الغالب فئات اجتماعية فقيرة . ولم تبرز هذه الظاهرة فى بغداد عاصمة الخلافة العباسية فقط بل انتشرت كذلك فى بلاد فارس ومصر والشام وغيرها . مـع ملاحظة صورة الفقر المنتشرة بين جماعات الصوفية. ولم يكن فقرهم غالبا بسبـب تصوفهم ، بل ان تواكلهم وسوء مسلك الكثير منهم هو الذى كان سببا لفقرهـم ، قال ابن الجوزى : " قال ابن عقيل : نقلته من خطه وأنا أذم الصوفية لوجـوه يوجب الشرع ذم فعلها ، منها أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهى الأربطـة ، فانقطعوا اليها عن الجماعات فى المساجد ، وصدوا فيها للبطالة عن أعمـال المعاش ، وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب والرقص والغناء".[3] فلقد وجدت هذه الجماعات المختلفة الفقيرة متنفسا فى الأربطة والزوايا ، قال ابـن الجوزى : " والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ، ثم ترخص المنتسبـون اليها بالسماع والرقص ، فمال اليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد ومال اليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب ".[4] فهؤلاء المتصوفـة

---

(١) أبو الوفاء شديد الدين يحى بن سعيد بن يحى بن المظفر ، صار أقضى القضاة ببغداد فى أيام المقتفى العباسي ، وقد وصمه المؤرخون بالظلم والجـور والارتشاء قتل عام (٥٥٥هـ/١١٦٠م) . ابن الجوزى : المنتظم جـ١٠/ ص ١٩٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ ١٠ / ص ١٧٠ .

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٢٦٥ .

(٣) ابن الجوزى : تلبيس ابليس / ص ٣٧٢ .

(٤) ن.م.س / ص ١٦١ .

فى هذا العصر وجدوا فى الأربطة ملاذا للفرار من صروف الحياة بحثا عن حياة أفضل ، وطمعا فى الحصول على ما تجود به أيدى الأغنياء والخلفاء ، قال ابن الجوزى : " وهذا الذى نهينا عنه من التقلل الزائد فى الحد ، قد انعكس فى صوفية زماننا ، فصارت همتهم فى المأكل ، لهم الغذاء والعشاء والحلوى ، وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة ، وقد تركوا كسب الدنيا ، وأعرضوا عن التعبد ، وافترشوا فراش البطالة ، فلا همة لأكثرهم الا الأكل واللعب ".[1]

أثر الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية على الناحية العلمية :

يقول ابن خلدون " ان اختلاف الأجيال فى أحوالهم ، انما هو باختلاف نحلتهم من المعاش "[2] ، فهذه الملاحظة الأساسية تعد تحليلا دقيقا يكشف أن اختلاف أحوال الناس السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقائدية تؤثر على ثقافتهم وتفكيرهم وانتاجهم العلمي .

والراجح أن الأوضاع السابقة الذكر تكوّن ، مجتمعة ، عاملا كبيرا له أثره البارز على الحياة الفكرية والعلمية فى العصر السلجوقى فى العراق ، كما أن له أثره المشابه فى جميع العصور والأقاليم .

ومما يؤسف له أن الغالبية العظمى من مؤرخى هذه الفترة والفترة التالية كان اهتمامهم فى دراساتهم التاريخية منصبا على تسجيل الحوادث كالحرب والسلام ، وتداول الخلافة وأخبارها ، دون أن يولوا اهتماما كبيرا للأوضاع الاجتماعية ، وخصائص الحياة العامة والاقتصاد ، وفى محاولة الباحث اليوم لتقصى أحوال الناس فى تلك الفترة ، ومحاولة ربطها بالنواحي العلمية والفكرية ، ينبغى له أن يسعى ، فى

----

(١) ابن الجوزى : تلبيس ابليس / ص ٢٢١ .
(٢) ابن خلدون : المقدمة / ص ١٢٠ .

منهج دقيق ، الى تتبع العلل وكشف الأسباب ، ولا يتحقق ذلك دون الاطلاع على عشرات المصادر المختلفة التخصصات ، المتباعدة الاتجاهات فى محاولة للوصول الى نتائج قريبة من الواقع ، لأننا فى دراستنا لفترة العصر السلجوقى فى العراق انما ندرس وضع أمة ، ذلك أن ما يصح قوله عن العراق يصح أن ينسحب على أقاليم الدولة العباسية المختلفة مثل بلاد فارس وبلاد الشام وسائر بلدان الخلافة الخاضعة للحكم السلجوقى .

يقول أحد الباحثين : " والحاصل أن هذه الأوضاع أدت الى خروج العلم عن محوره الحقيقى ، وهو البحث فى حقائق الأشياء ، كما آلت الى انحطاط مستوى تفكير العلماء وضياع أوقاتهم فى الخصومات بينهم ، وشيوع العصبية وضيق الأفق ، وأصبحت الحكمة والفلسفة أداة للمناظرة والجدل بين أصحاب المذاهب "[(1)].

ويتفق عبد النعيم حسنين مع هذا الرأى بقوله : " منذ استيلاء العناصر التركية على البلاد الاسلامية ، وشيوع الأوهام والخرافات وضيق الفكر ، وظهور روح اليأس التى كانت تجرى كالسم الزعاف فى أجسام المفكرين قد قوت جذور الضعف الأخلاقى والمعنوى والانحطاط العلمي والاجتماعى "[(2)].

ويفهم من كلامه أيضا أن اهتمام حكام العصر والعلماء خلال هذا العصر بالعلم ، لم يكن بسبب مدى أهميته فى الحياة العامة ، بقدر ما يحقق من هدف أساسي يتمثل فى خدمة العقيدة . ويذكر أن العلوم فى هذا العصر كانت تروج بحسب مساعدة الأوضاع أو عدم مساعدتها ، ويرى أن العلوم الدينية كالحديث والفقه والعلوم الشرعية كانت أكثر رواجا وشيوعا ، وكانت موردا لحاجات العامة ، فى حين أن بقية العلوم ، ولاسيما الفلسفة ، كانت تعتبر من العلوم المستظرفة[(3)].

---

(1) قاسم غنى : تاريخ التصوف في الاسلام / ص ٦٥٧ .

(2) ن . م . س / ص ٦٧٦ ، عبد النعيم حسنين : دولة السلاجقة / ص ٦٣ ، سلاجقة ايران والعراق / ص ١٧٧ ، ص ١٧٨ ، ص ١٨١ .

(3) قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الاسلام / ص ٦٧٨ .

ويعلل قاسم غنى السبب فى نهضة العلوم الدينية فى هذا العصر بقوله : " ذلك لأن العلوم الدينية كانت فى ذلك القرن - القرن السادس - أكبر العوامل لتهيئة المعاش للأفراد ، أى ان الانسان كان بامكانه أن يصل بمعرفة العلوم القرآنية والفقه والحديث الى منصب القضاء ، والوعظ ، والامامة ، ورواية الحديث ، والتذكير ، والتدريس فى المدارس ، وأن يتقرب الى الأمراء والملوك ، ويكون موضعا لاحترام الخلق والاعجاب ، والحصول على رفاهية العيش ، بينما المشتغلون بالعلوم الفلسفية والعقلية يعيشون فى الفقر والبؤس ، وكانت علومهم وحكمتهم سببا لتعاستهم ونكبتهم ".(١)

هذا ما ذهب اليه قاسم غنى ، واتفق معه عبد النعيم حسنين فى تناولهما لنهضة العلوم فى هذا العصر ، وتأثرها بالظروف المختلفة . وهى نظرة وان كانت تتسم بالواقعية فى بعض جوانبها الا أنه لا يمكن الاتفاق على الكثير منها .

فمنذ سيطرة السلاجقة على مناطق العالم الاسلامى فى المشرق كان هذا ايذانا بنهضة علمية واسعة ، ربطت المدن الاسلامية من أقصى المشرق الاسلامى حتى سواحل بلاد الشام ، وامتد ذلك الى مصر وافريقية وبلاد الأندلس ، وذلك عن طريق المدارس النظامية التى انتشرت فى هذا العصر، والتى أنفقت عليها أموال طائلة من حاصلات الأملاك والأوقاف ، وأسست المكتبات لهذه المدارس ، وانتظم فيها الآلاف من الطلاب وعين للتدريس فيها مشاهير العلماء ، وكان قد عهد بادارة كل مدرسة الى رئيس يتولاها ، وعدد من النظار والمشرفين ، يقومون بالاشراف عليها ، وصرف مرتبات المدرسين والطلاب والعمل على ترفيه حالهم . وذلك لتخريج دفعات من الشباب المتسلح بسلاح العلم والمعرفة الحقة، للدفاع عن الاسلام والعقيدة السلفية الصالحة ، والوقوف فى وجه الحركات المغرضة المضادة للاسلام ، كالحركة الاسماعيلية " الباطنية " التى نشرت سمومها ومبادئها الهدامة

---

(١) قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الاسلام / ص ٦٧٨ .

بين أفراد المجتمع الاسلامى فى العراق وفارس ، وكادت أن تعصف بحياة الاسلام والمسلمين .

والذى لا شك فيه أن العلم فى هذا العصر قد تأثر بالتغيرات والتطورات السياسية والدينية تأثرا كبيرا ، فالدولة السلجوقية كانت سنية حنفية المذهب ، وكان خلفاء بنى العباس سنيين ، وفى الجانب الآخر كان هناك الشيعة الذين وقفوا من أهل السنة والسلف موقف المعارضين ، والذين كانوا يرون أن الخلفاء العباسيين اغتصبوا الخلافة وأن أصحاب الحق فيها هم أبناء على من فاطمة الزهراء .

كما ينبغى ألا ننسى الفرق الاسلامية الأخرى ، كالمعتزلة والمرجئة والجهمية وغيرها ، وهى فرق كثيرا ماكانت تتعرض لمناقشة الكثير من الأمور السياسية والدينية وهذا بدون شك أدى الى صراع فى الآراء ، ومناقشات احتدمت فترة طويلة من الزمن ، وخاصة عند مناقشة المسائل الخلافية . وهنا كان يبرز دور علماء السنة وخاصة شيوخ وخريجو المدارس النظامية بشكل واضح ، لمناهضة أفكار هذه الفرق ، فالامام الماوردى (المتوفى عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ، والامام الغزالى (المتوفى عام ٥٠٥هـ/ ١١١١م) والامام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (المتوفى عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) وغيرهم من علماء أهل السنة قد ألّفوا العشرات من الكتب التى تعرضوا فيها لمناقشة الكثير من الأمور السياسية والفقهية والمتعلقة بالخلافة وسياسة الحكم .

وبناء عليه فالعلوم الاسلامية ، من الفقه والأصول والحديث وعلم الكلام والتفسير والأدب العربى وعلوم اللغة والطب ، نهضت فى هذا العصر نهضة لا حدود لها . أما فيما يتعلق بالدراسات الفلسفية وعلوم الأوائل والعلوم الصرفة فلم يكن لها ذلك النصيب الوافر من الدراسة والاهتمام.(1)

---

(1) نلاحظ فى هذا العصر موقف أهل السنة المتشدد ازاء هذه العلوم لاسيما الحنابلة وموقفهم من الفلسفة وعلم الكلام ودراسات المعتزلة . فابن الأثير فى كتابه الكامل ، وابن الجوزى فى كتبه : المنتظم ، وصيد الخاطر ، وتلبيس ابليس وغيرها من المصادر ، تحدثنا عن حوادث غريبة تعرض لها العلماء المهتمون بمثل هذه الدراسات ، كما تعرضت كتبهم للحرق . وسوف نتعرض لذلك فى الباب الثانى " الكتب والمكتبات" والباب الثالث من هذا البحث .

والواقع أن تطور المجتمع ، وتطور الحركة الثقافية ، وواقع الظروف الاقتصادية في هذا العصر، بالاضافة الى ظهور الكثير من الحركات الهدامة " كالباطنية " وانتشارها في الأوساط الاجتماعية المختلفة أدى الى ظهور الكثير من القضايا الفكرية التي أثرت على الكثير من الناس ، وأدت الى بلبلة أفكارهم ، وانتشار الفوضى وانحطاط الأخلاق ، وانعدام الفضائل[1] ولذلك يقول الشاعر أبو الحسن محمد بن على بن أبي الصقر الواسطي[2] :

يانظام الملك قد حـــل ببغداد النظـــام

وابنك القاطن فيهـــا مستهان مستضـــام[3]

وكان العراق في هذا العصر يموج بالفرق المختلفة ، مما أدى الى شمول حالة صراع فكرى عنيف استتبع ايجاد نهضة علمية ، ذلك أن هذه الفرق اتخذت العلم وسيلة لتحقيق أهدافها ، فكان للجدل الذى قام بين هذه الفرق أثر بعيد في احداث تلك النهضة العلمية التى تمثلت في الآثار التى خلفها علماء العصر على اختلاف مشاربهم وآرائهم[4] كما أن الكبراء المنتمين الى المذاهب الأربعة لأهل السلف كان لهم دور عظيم في تنشيط الحركة العلمية في هذا العصر، تمثل في انشاء المدارس الشافعية ، والحنفية ، والحنبلية ، والزوايا والأربطة ، فكان لكل مذهب مدارسه المعروفة ، فكان رجال الأمة الحريصون على مصالح الاسلام جادين في العمل على دعم النشاط العلمي والثقافي واشاعة العلوم الشرعية ، وتبني استخدام المنطق والجدل وعلم الكلام للدفاع عن عقيدة أهل السلف . وقد

---

(١) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق / ص ١٧٣ .

(٢) من شعراء الدولة القائمة والمقتدرية والمستظهرية توفي عام (٤٩٨هـ/١١٠٤م) ، الأصفهاني : خريدة القصر جـ ٤ / ص ٣١٥ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٨/ ص ٢٥٧ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ١٠ .

(٣) الأصفهاني : خريدة القصر جـ ٤ / ص ٣١٦ .

(٤) عبد النعيم حسنين : دولة السلاجقة / ص ١٧٠ .

أدى هذا الى انتعاش علمي هائل تمثل فيما ظهر من المؤلفات المختلفة للدفاع عن العقيدة وشرح أصولها ، وابراز وجهات النظر الفقهية المذهبية ، واخراج تراجم لرجاله ، والكتابة عن مناقب شيخ المذهب .

ولقد أسهمت الصوفية في هذا الازدهار العلمي والنهضة الثقافية ، فيقول الشيخ شهاب الدين عمر السهروردى (المتوفى عام ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) " فالصوفية أخذوا حظا وافرا من علم الدراسة ، فأفادهم على الدراسة العمل بالعلم ، فلما عملوا بما علموا أفادهم العمل على الوراثة ، فهم مع سائر العلماء في علومهم ، وتميزوا عنهم بعلوم زائدة ، هي علوم الوراثة ، وعلم الوراثة هو الفقه في الدين ".(١) كما أن مصادر تراجم رجال الصوفية كان لها أهميتها ، ذلك أن مشاهير علمائهم كانت لهم احاطة واسعة بالعلوم ، وقد خلّف بعضهم آثارا قيمة ومهمة في الزهد والتصوف وأحوال المتصوفة وآدابهم ومثال ذلك أبو القاسم القشيرى (المتوفى عام ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢م) صاحب الرسالة القشيرية ،(٢) وعبد الله بن محمد الأنصارى الهروى (المتوفى عام ٤٨١هـ/١٠٨٨م) مؤلف كتاب طبقات الصوفية ، والامام أبو حامد الغزالى (المتوفى عام ٥٠٥هـ/ ١١١١م) ، وشقيقه أحمد بن محمد الغزالى (المتوفى عام ٥٢٠هـ/١١٢٦م) ، والشيخ شهاب الدين السهروردى (المتوفى عام ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) المشهور بكتابه عوارف المعارف . على أن أبا الفرج عبد الرحمن بن الجوزى قد قدح في مصنفاتهم ، ووصفها بالتلفيق والكذب وعلم الباطن ، حيث يقول : " وصنف لهم عبد الكريم القشيرى كتاب الرسالة ، فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء ، والبقاء والقبض ، والبسط والوقت ، والحال ، والصحو ،

---

(١) السهروردى : عوارف المعارف / ص ١٦ .
(٢) ابن الجوزى : تلبيس ابليس / ص ١٦٥ .

والسكر ، والذوق ، والشرب ، والاثبات ، والتجلى ، والمكاشفة ، الى غير ذلك من التخليط الذى ليس بشىء وتفسيره أعجب منه "[(١)] . ويقول فى موضع آخر : " وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب الاحياء على طريقة القوم ، وملأه بالأحاديث الباطلة ، وهو لا يعلم بطلانها ، وتكلم فى علم المكاشفة ، وخرج عن قانون الفقه . . . . وجمهور هذه التصانيف التى صنفت لهم لا تستند الى أصل ، وانما هى واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ، ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن "[(٢)] .

أما أربطة وخانقاهات الصوفية وزواياهم ومدى تأثيرها فى الحياة العلمية فى هذا العصر بالعراق ، فسنتحدث عنها فى الفصل الثانى من الباب الثانى ان شاء الله .

. . . . . .

---

(١) ابن الجوزى : تلبيس ابليس / ص ١٦٥ .

(٢) ن . م . س / ص ١٦٦ .

الباب الثاني

مظاهر النشاط العلمي في العراق في العصر السلجوقي

الباب الثانى

مظاهر النشاط العلمى فى العـــــراق فى العصر السلجوقـــى

لاحظنا مما سبق مدى تميز فترة الادارة السلجوقية للعراق عن فترة الاستيلاء البويهى ، مما كان له أثر كبير انعكس فى أوضاعه السياسية والاقتصادية والدينية والتى كان لها أثر واضح فى الحياة العلمية والفكرية فيه .

ان الخلاف الواقع بين المذاهب الاسلامية والفرق لعب دورا كبيرا فى تطور وانتعاش الحركة العلمية والثقافية على الرغم من كل ما يقال عن استخدام العـــلم والمعرفة لخدمة المجادلات الدينية ، وتحديد المسائل العلمية بالأحاسيـــــس المذهبية .

والواقع أن الجدل قد أثر فى الحركة العلمية ، وكثيرا ما أدى الى خـــروج بعض الأبحاث والدراسات العلمية عن محورها الحقيقى . ومما يلاحظ فى هذه المرحلة أحيانا وجود حدود معلومة فى البحوث ، حتى ليبدو للباحث أحيـــانا أن جهود الكثير من العلماء قد أهدرت فى محاولة التركيز على مسائل أشبعـــت بحثا وتمحيصا ، أو فى تقديم ملخصات موجزة ، أو تعليقات وحواش ، أو شروح على انجازات من سبق من العلماء ، ويشذ عن ذلك عدد من الانجازات التى تمت فى اطار الدراسات الشرعية واللغوية والطبية ، وجوانب محدودة من الدراسات الانسانية الأخرى ، ومما يلفت النظر فى التيار الثقافى خلال هذه المرحلــــة التحوط الشديد من الانسياق خلف ما يسمى بعلوم الأوائل ، كالفلسفة والمنطق ، ذلك التحوط الذى قد تحول الى تهمة قد تلحق الفرد ان هو اقتنى المؤلفـــات فى هذه العلوم ، وقد يؤدى ذلك بالبعض الى أن يقدح فى عقيدتهم ، ومـــن

أمثلة ذلك ما حصل لأحد رجال الفترة ، وهو صدقة بن الحداد الناسخ الحنبلي (ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)[١].

كما أن هناك أمثلة أخرى لهذا الموقف ، ففي عام (٦٠٣هـ/١٢٠٦م) كبست دار عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر[٢] وأخرج منها كتب منها الشفاء لابن سينا ، والنجاة ، ورسائل اخوان الصفا ، وكتب الفلسفة والمنطق ، فأحرقت أمام الناس ، ولعن عبد السلام[٣]. وحين قبض على ابن المرخم القاضي أخذت كتبه فأحرق منها ماكان من علوم الفلاسفة ، فكان منها كتاب الشفاء لابن سينا ، ورسائل اخوان الصفا وما يشاكلهما[٤].

ومن الغريب أن يتهم الأديب الضرير كامل بن الفتح (توفى عام ٥٩٦هـ/١١٩٩م) الذى كان يدخل على الخليفة الناصر لدين الله ، ويخلو معه ، بأنه "قد علمه علوم الأوائل وهون عليه علم الشرائع"[٥]. وقد يصاب الباحث بالدهشة حين يجد خليفة كالمستنجد بالله حكم بين سنتى (٥٥٥هـ/٥٦٦هـ) ، الذى ازدهرت سوق المعرفة فى أيامه ، وهو يأمر بقتل أديب لامع كابن حمدون[٦] لأنه وجد فى كتاب له حكايات توهم غضاضة الدولة[٧]. وكاد الشيخ عبد القادر الجيلاني

---

(١) فقد قيل : انه قد حفظ القرآن ، وتفقه وأفتى ، وناظر ، لكنه قرأ الشفاء لابن سينا ، وكتب الفلاسفة فاتهم بتغيير عقيدته . أبو شامة : ذيل الروضتين / ص ١٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦ / ص ٨١ .

(٢) فقيه حنبلي من علماء بغداد ، ولي عدة ولايات ، وتوفى عام (٦١١هـ/ ١٢١٤م) . ابن الأثير : الكامل جـ ٩ / ص ٣٠٨ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٥٧١ .

(٣) أبو شامة : ذيل الروضتين/ص ٥٦ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ / ص ١٠٤ .

(٥) الكتبى : فوات الوفيات جـ ٢ / ص ٢٨٢ .

(٦) أبو المعالي محمد بن أبي سعد بن الحسن بن حمدون الكاتب البغدادي ، كان فاضلا ذا معرفة تامة بالأدب والكتابة له كتاب التذكرة مات محبوسا عام (٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) . ابن الجوزى : المنتظم جـ١٠/ص ٢٢١ ، الأصفهاني : خريدة القصر ، جـ ١/ص ١٨٤ .

(٧) الأصفهاني : خريدة القصر جـ ١ / ص ١٨٤ .

أن يلاقي حتفه ، لولا شعبيته ، ولذلك اكتفى بلفت النظر.[(١)] وكان الحنابلة قد نقموا على أبي الوفاء علي بن عقيل صاحب كتاب الفنون حين قرأ شيئا من كلام على أبي علي بن الوليد المعتزلي ، ولهذا فقد كان عليه الحضور الى الديوان واعلان توبته.[(٢)]

على أن منع جمهور المثقفين في هذا العصر من الاطلاع على دراسات الفلسفة والمنطق بشكل قسري وشامل ، قد أضر بالوعي الفكري والثقافي للعقلية الاسلامية ، اذ انه قد حرم الفكر الاسلامي من امكانية استخدام الفلسفة والمنطق خلال فترة البحث للتصدي لخصومه ، وبشكل خاص الفرق الباطنية التي استخدمتها كسلاح مشرع ضد عقيدة السلف . وبالاضافة الى الشك والنزوع الى الزيغ فقد اتهم رواد الفلسفة والمنطق : " بأنهم رجال لا يعرفون العلوم العقلية ، ولا معاني الحديث الحقيقية ، بل هم مع اللفظ الظاهر"[(٣)] في الوقت الذي أكد آخرون : " أن قسما من علوم الأوائل هذه ، والتي يبغضها رجال الدين ، تساعد على الايمان وتخدم الدين ".[(٤)]

ومع كل ما تقدم ذكره فان المصادر التاريخية المختلفة تتحدث عن كثرة المدارس في العراق في هذا العصر كما تتحدث عن انشاء أول وأكبر جامعة في أرض الخلافة الاسلامية في تلك الفترة الا وهي المدرسة النظامية ، بالاضافة الى المراكز العلمية الأخرى المختلفة . وهي معلومات تعكس مدى انتعاش الحركة العلمية في هذا العصر ، مما يؤكد أن اضطراب الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية في هذا

---

(١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١/ص ٢٩٢.
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ٢٥٤ - ٢٧٥. وأنظر أمثال ذلك في المنتظم جـ ٨ / ص ٢٣٥- جـ ٩ / ص ١٧، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ٢٤٦.
(٣) العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ٥ / ص ٤٠.
(٤) ابن الأثير: الكامل جـ ١١ / ص ١٠٤.

العصر بالاضافة الى الصراع الفكرى العقيدى ، لا يمكن أن يكون أثره سلبيا على الدوام ، بل ان ذلك يدلل ، دون أدنى شك ، على توفر نتائج ايجابية لصالح الحركة العلمية والفكرية . وهذا يبرر ما عناه البعض بقوله " ولئن ضعفت الدولة الاسلامية فى هذه الفترة من الناحية السياسية ، فانها لم تضعف فى النواحى العلمية ، فالمملكة الاسلامية فى القرون ، الرابع والخامس والسادس ، كانت أعلى شأنا في العلم من القرون التى سبقتها ، ولئن كانت الثمار السياسية قد تساقطت فى هذه القرون فالثمار العلمية قد آتت أكلها فيها ..... ولهذا فالعلم والسياسة لا يمشيان دائما جنبا الى جنب ، بل قد يكون الأمر على العكس ..... فلقد كانت الحياة العلمية فى هذه القرون الثلاثة في غاية من الانتاج والنشاط والعطاء".(١)

وهكذا فقد كان العراق خلال هذه الفترة مع كل الأوضاع السلبية يموج بحركة ثقافية رائعة ، شغلت الجميع ، على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم ونحلهم ، فلقد كانت المدارس والجوامع والمكتبات تغص بطلاب العلم وعشاق المعرفة من الأقطار المجاورة والبعيدة ، حتى ليندر أن نجد عالما فى ذلك الوقت اشتهر وذاع صيته في العراق أو المشرق دون أن تكون بغداد صاحبة فضل عليه ، فلقد كانت المدرسة النظامية ببغداد ذلك المنار العالي الذى يطمح كل عالم فى أن يدرس فيه . وحسبها أن يكون من أساتذتها حجة الاسلام أبو حامد الغزالي وغيره من فطاحل العلماء المسلمين .

ويقول بشار معروف عند حديثه عن كتاب " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادى : " وبقيت العصور التالية له - أى كتاب تاريخ بغداد - مطموسة لا أحد يدرى ما بها ، برغم أن هذه العصور المتأخرة هى فترة مظلمة ليس فيها من أصالة تميزها أو فكر يقومها ، أو مؤلفات تثير انتباه الباحثين "(٢) ويضيف " وعندى أن هذا الحيف الذى لحق هذه الفترة يأتى من جهل الدارسين بها ، وعدم معرفتهم

---

(١) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ٢ / ص ٢ .
(٢) بشار معروف: ذيل تاريخ مدينة السلام جـ ١ / ص ٨ .

بتراثها الثمين ، ولعل مرد ذلك الى أن جل هذا التراث لا زال مطويا لم يطلع عليه جمهور كبير من الباحثين "[١] - الى أن يقول - " وهذا الذى أقوله ما أقوله هجرا ولا عبثا ، فقد كان هذا العصر هو العصر الذى آتت فيه الحضارة العربية الاسلامية أكلها ضعفين ، فيه نضج التعليم وقامت أول جامعة فى العالم الاسلامى ".[٢] فلقد رغب العلماء والمصنفون فى الافادة والاستفادة ، لوجود التشجيع من الخلفاء والوزراء والأمراء الذين أغدقوا عليهم ، فألفوا الكتب بأسمائهم ، واستنبطوا دقائق العلوم لفائدتهم ، فكثرت الكتب والمصنفات ، حواشي وشروحا واختصارات حول المصنفات التى وضعت فى العصر الماضى . كما ظهرت مصنفات وأبحاث جادة فى علوم الشريعة واللغة والأدب والأخلاق وآداب الملوك وسياسة الملك ، وقيادة الحرب وتعبئة الجيوش وتدبير المال ، فلقد " تميز العصر بالتوسع فى المعاجم التاريخية والأدبية ، لكثرة المعارف ، وتنوع الفنون ، ووفرة الكتب ، واتصال العلماء بعضهم ببعض ".[٣] ويشير العلامة بهجة الأثرى فى مقدمة لكتاب " خريدة القصر " الى " عدد ضخم من الشعراء الكبار ، والى حركة أدبية شاملة ، ازدهرت فى العراق فى أثناء القرن الخامس والقرن السادس ، واتصلت شعلتها بأضواء النهضة العظيمة التى بلغت الذروة فى القرن الرابع ، عمت مدنه الكبار كبغداد ، وواسط ، والبصرة ، وشملت النواحى ، وتغلغلت فى أحشاء القرى من سواد بغداد وأعمالها شرقيها وغربيها ، وأعمال الفرات أعلاه وأسفله ، واتصلت من الشمال الى الجنوب من الحديثة[٤] وهيت[٥] والأنبار[٦]

---

(١) بشار معروف : ذيل تاريخ مدينة السلام جـ ١ / ص ٨ .
(٢) ن . م . س جـ ١ / ص ٨ .
(٣) القفطى : انباه الرواة جـ ١ / ص ٢٤ .
(٤) الحديثة ، وتعرف بحديثة النورة . على فراسخ من الأنبار . ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ / ص ٢٣٠ ، وهى مدينة معروفة فى العصر الحديث .
(٥) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد ، فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات . ن . م . س جـ ٥ / ص (٤٢١) ، وهى مدينة عامرة فى العصر الحديث .
(٦) الأنبار : مدينة على الفرات في غربى بغداد بينهما عشرة فراسخ . ن . م . س جـ ١ ص ٢٥٧ ، وهى من محافظات العراق الحديث وقد تسمى قصبتها بمدينة الرمادى .

الى الحلة والكوفة ، وقرى واسط ...... ، وشارك فيها الخلفاء والأمراء والـــوزراء وأعيان البلاد " الى أن يقول " وقد جاء هذا الكتاب دليلا على ما تمتع به العـراق من نعمة فى الفكر والفن طوال تاريخه المجيد ، وعنوانا من عناوين حياته الثقافيـــة"[1]
وهكذا ازدهرت الحركة الفكرية فى العراق فى هذا العصر، وتبدو مظاهر النشـاط العلمي والحركة الثقافية واضحة فى كثير من الميادين والمجالات ، متمثلة فى عـدد كبير من المدارس والمعاهد والمراكز العلمية المنتشرة فى طول العـراق وعرضه .

.. .. ..

---

(١) الأصفهانى : خريدة القصر جـ ١ / ص ١٠٣ - ١٠٤ .

الفصل الأول

مظاهر الإهتمام بالحركة العلمية

اهتمام الخلفاء ووزرائهم بالحركة العلمية ص ١٥٩ - عناية السلاطين والـــوزراء السلاجقة بالحركة العلمية ص ١٦٢ - الوزير السلجوقي نظام الملك واهتمامـــه بالعلم ص ١٦٤ - حركة التأليف ودور الكتب في العراق في هذا العصر ص ١٧١. الوراقون في العراق في العصر السلجوقي ص ١٧٣ - خزائن الكتب في العـــراق في العصر السلجوقي ص ١٧٩ :

أولا : خزائن الخلفاء ص ١٨٥ - ثانيا : خزائن كتب الوزراء والأمراء ص ١٨٦. ثالثا : خزائن الكتب العامة ص ١٨٧ - رابعا : خزائن الكتب الخاصة ص ١٩١. مراكز العلم في العراق في هذا العصر ص ١٩٥ - الموصل ص ١٩٦ - اربـــل ص ١٤٨ - سنجار ص ٦٩٨ - واسط ص ١٩٩ - البصرة ص ٢٠١ - حلـــة بني مزيد ص ٢٠١.

الفصل الأول

مظاهر الاهتمام بالحركة العلميـــة

اهتمام الخلفاء ووزرائهم بالحركة العلمية :

كان الخلفاء العباسيون يحتفون بأهل العلم فى هذا العصر ، بل كانوا هـــم أنفسهم من محبى العلم ومريديه ، فاذا كان الخليفة عالما ، ومن عشاق العـــلم ومحبى العلماء ، زها العلم وسعد فى أيامه ، يقول ابن الفوطي عن الخليفة القائم بأمر الله " وكانت أيامه منيرة بالعدل ، مزهرة بالعلم والفضل ليلا ونهارا ، يستأنس بالعلماء ومحاضرتهم ، والأدباء ومحاورتهم ".[(١)] وكان هؤلاء الخلفاء يعقدون مجالس العلم والمناظرة بحضور جمع عظيم من رجال العلم والفقهاء ، ففى عام (٥٤١ هـ / ١١٤٦م) استقبل الخليفة المقتفى لأمر الله العالم قطب الدين أبا منصور المظفـر بن أردشير العبادى حيث " أقبل عليه الامام المقتفى وقبله ، ورفعه وجله ، وأمره بالجلوس فى جامع القصر ".[(٢)] وكان الامام الخليفة الناصر لدين الله (المتوفى عام ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) يفاوض العلماء مفاوضة خبير.[(٣)] ولقد كان للمجالس العلميـة والأدبية تقاليد معينة ، ينبغى على الحاضرين مراعاتها ، وقد سجلها الصابـــى (المتوفى عام ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) فى كتابه رسوم دار الخلافة.[(٤)]

والملاحظ أن كثيرا من علماء العصر قد ألفوا كتبا قدموها للخلفاء ، فالطبيـــب سعيد بن هبة الله (المتوفى عام ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م) صنف للخليفة المقتدى بأمـــر

---

(١) ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ٣ / ص ٣٥١.
(٢) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ١٩٨.
(٣) ابن الطقطقى: الفخرى / ص ٢٨٥.
(٤) الصابى : رسوم دار الخلافة / ص ٤٥ - ٤٦ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣.

الله كتاب المغني في الطب ، قال فيه " ولما رأى العبد الخادم هذه الأيام الزاهرة، والمناقب الباهرة ، آثر أن يصنف لمولاه كتابا طبيا ، مختصرا مغنيا ، فى معرفة الأمراض وأسبابها وعلاتها ومداواتها لأضطرار الناس الى وجود الصحة واعتمادهم طلبها ".[(١)] وفى عصر الخليفة المسترشد بالله صنف الشاشي كتاب العمدة وقدمه للخليفة[(٢)] ، كما صنف الامام الغزالي كتاب فضائح الباطنية ، وقدمه للخليفة المستظهر بالله ، وسماه المستظهرى.[(٣)]

وقد تولى الوزارة لدى الخلفاء العباسيين ببغداد فى هذا العصر عدد من الوزراء كان للكثير منهم نشاط علمي ملموس ، ولعل الوزير ابن هبيرة[(٤)] كان من أعظم وزراء فترة البحث ، اهتماما بالعلم ، وتشجيعا للعلماء ، ولقد كانت مجالس الوزراء تعقد بكثرة فى شهر رمضان حيث يقدم طعام الافطار ، ثم تنعقد الندوات بعد الصلاة ، وتطرح الأسئلة المختلفة ، ويتبارى الحاضرون فى عرض وجهات نظرهم ، ولقد اشتهر الوزير ابن هبيرة من بين وزراء هذه الفترة بمجالسه العلمية . كيف لا وقد كان من علماء العصر المعدودين ، فلقد قدم بغداد فى صباه ، واشتغل بالعلم ، وجالس الفقهاء والأدباء ، وحصل من كل فن طرفا ، وقرأ القرآن وختمه بالقراءات والروايات ، وقرأ النحو ، واطلع على أيام العرب وأحوال الناس ، ولازم الكتابة ، وحفظ ألفاظ البلغاء ، وألف مجموعة من الكتب أهمها

---

(١) سعيد بن هبة الله : مختصر المغني في معرفة الأمراض والأبيات والعلاقات والمداواة ، مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامى بجامعة ام القرى رقم ١٠٨ طب ورقة ١ أ .

(٢) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٧ / ص ٢٥٧.

(٣) الغزالى : فضائح الباطنية / ص ٢.

(٤) عون الدين أبو المظفر يحي بن محمد بن هبيرة الشيباني المتوفى عام (٥٦٠ هـ/ ١١٦٥م وزر للمقتفى وبعده للمستنجد . ابن الأثير: الكامل جـ٩/ص ٩٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦/ ص ٢٣٠، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٢٥٥.

كتاب الافصاح عن شرح معاني الصحاح الذى ظل العلماء بعده يتدارسونه زمنا طويلا .[١] وعندما تولى الوزارة بالغ فى تقريب خيار العلماء والفقهاء والمحدثين ، واجتهد في اكرامهم. وكانوا يحضرون مجالسه العلمية ليلا ونهارا . وكان يقرأ عنده الحديث عليه وعلى الشيوخ بحضوره ، ويجرى من البحث والفوائد ما يكثر ذكره ،[٢] وكان أبو محمد الأشترى من علماء المالكية ، وقد استقدمه الوزير ابن هبيرة من بلاط نور الدين محمود زنكي الذى وجهه اليه ، فأكرمه الوزير غاية الاكرام ، فكان يحضر مجلس علمه . وقد " وقعت بينهما مشادّة ندّت فيها كلمة من الوزير للأشترى ، بسبب أن الوزير ذكر فى مجلسه حديثا انفرد به أحمد بن حنبل ، فادعى الأشترى أن مالكا رواه أيضا ، فرد عليه الحاضرون وأحضر الوزير كتب المفردات لأحمد ، فوجد فيها الحديث ، فبقي الأشترى على انكاره ".[٣] وبالاضافة الى الوزير ابن هبيرة ، فقد كان هناك عدد من الوزراء لهم اهتمامات علمية ، وعناية بالعلماء ، فالوزير عبد الله بن يونس بن أحمد البغدادى (المتوفى عام ٥٩٣ هـ / ١١٩٦م) كان فقيها أصوليا متكلما ، وزر للخليفة الناصر لدين الله وقد رزقه الله حفظ القرآن ، والفرائض ، والحساب ، والعلم بالنحو والسنة والأخبار ، وكان عالما بالجبر والمقابلة والهندسة.[٤] وممن اهتم بالعلم والعلماء من الوزراء الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد ، الملقب ظهيرالدين الروذراورى الذى ولي الوزارة للخليفة المقتدى بأمر الله عام (٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م) وتذكر المصادر أنه تعلم ودرس ، وقرأ الفقه والأدب ، قال الأصفهانى : " وكان عصره أحسن العصور ، وزمانه أنضر الأزمان ، ولم يكن فى الوزارة من يحفظ أمر الدين وقانون الشريعة مثله ،

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١/ص ٢١٤ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ٢ص٩٨٨ ، البغدادى : هدية العارفين جـ ٢ / ص ٥٢١ .

(٢) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ٢٥١ ، الذهبى : المختصر المحتاج اليه جـ ٣ / ص ٢٤٨ .

(٣) ابن رجب : الذيل جـ ١ / ص ٢٥١ ، محمد سليمان : من أخلاق العلماء/ص١١٩ .

(٤) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ٣٩٢ ، العماد الحنبلى : الشذرات جـ ٤ / ص ٣١٣ .

وعمل ذيلا على كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه[١].

عناية السلاطين والوزراء السلاجقة بالحركة العلمية

تؤكد المصادر التاريخية على أن السلاطين السلاجقة الأول كانوا جفاة وغير مثقفين ، ولذلك فقد اضطروا الى الاستعانة برجال أكفاء لخدمة الدولة فى مختلف الشئون الادارية والسياسية ، من وزراء وحجاب وكتاب ممن كان لهم خبرات سابقة فى هذه المجالات لدى الدويلات الاسلامية الأخرى فى المشرق[٢] كالغزنويين وغيرهم ، ولهذا فقد استعان السلاجقة بأعداد من كتاب الفرس وغيرهم لادارة شئون البلاد . وقد استطاع هؤلاء أن يلعبوا دورا مهما فى ادارة شئون البلاد السياسية والادارية والعلمية[٣].

ان اعتماد سلاطين السلاجقة على أصحاب الخبرات فى ادارة شئون الدولة ، اعترافا منهم بواقع حالهم ، قد هيأ لهم الفرصة للتفرغ لهواياتهم الخاصة من جهة ، وترك المجال واسعا أمام وزرائهم الأوائل للتصرف بحرية كبيرة فى توجيه أمور السلطنة من جهة أخرى ، وخصوصا خلال فترة وزارة نظام الملك الذى تمتع بسلطات واسعة فى ادارة شئون البلاد وحكمها وفق اجتهاده[٤] ، ومن هنا فقد أتيحت لسلاطين السلاجقة فترات كبيرة من الوقت للاهتمام بالعلم والعلماء.

على أنه مع مرور الزمن ، واختلاط السلاطين برجال السياسة والفكر ، من وزراء وجلساء وعلماء ، قد عرفوا معنى العلم ، وقدروا العلماء ، وحظوا لديهم بالتشجيع ومنحوهم كل اهتمام. وقد زاد السلطان ملكشاه بن ألب آرسلان من اهتمامه بالعلم

---

(١) الأصفهانى : خريدة القصر، قسم العراق جـ١/ص٧٧، ابن الجوزى : المنتظم جـ٩ ص ٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/ص ١٣٤، ابن الطقطقى : الفخرى ص ٢١٤.

(٢) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص ١٧٩-١٨٠ عن برتلس : نظامي شاعر أذربيجان ص ٥١٣.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية جـ٢/ص ٥٠٣ مادة " ألب آرسلان".

(٤) ن.م. س جـ ٢/ ص ٥٠٣ مادة " ألب آرسلان"

والعلماء حتى نقل عنه أنه صنف رسالة فى وصف مملكته وأخباره[(١)] ، وبالاضافة الى ذلك فقد كان يهتم بالمراكز العلمية كانشاء المدارس والربط . وينبغى ألا ننسى أنه هو الذى أسس عام (٤٦٧هـ/١٠٢٦م) المرصد المشهور فى بلدة المراغة[(٢)] ، وعين فيه جماعة من أعيان المنجمين ، من بينهم عمر الخيام ، وأبو المظفر الاسفزارى ، وميمون بن النجيب الواسطي[(٣)] ، وينبغى ألا يغيب عن البال ما تعرض له أبو القاسم القشيرى من مضايقات ومحن . غاب بسببها عن نيسابور سنوات طويلة ، امتدت الى أن تولى السلطان ألب آرسلان السلطنة ، حيث أعاده الى بلاده معززا مكرما .

وينقل الشيخ البندارى أخبار تأزم علاقة الامام الماوردى مع السلطان طغرلبك واساءته له ، غير أنه ينقل عنه بعدذلك قوله : " ولم يتغير عن عادة اكرامى وشيمة احترامي "[(٤)] . وكان السلطان أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه[(٥)] واحدا ممن تخصصوا في علوم متنوعة ، فقد عرف باضطلاعه بعلوم العربية ، وبأنه كان حافظا للأشعار ، عارفا بالتواريخ والسير ، شديد الميل الى أهل العلم والخير[(٦)] .

وهكذا أدرك سلاطين السلاجقة أن العلم هو سياج الدولة وعمادها ، وأن العلماء هم مشاعل الحضارة ورواد الأمة ، فعملوا على تشجيع العلوم ، وبنوا المدارس والخوانق والربط لطلاب العلم ، وأكرموا العلماء ، وأحسنوا وفادتهم ، فأجزلوا لهم العطاء ، كما أدركوا أن خير ما يضمن لهم بقاء دولتهم ورقيها أن يشحنوا

---

(١) البغدادى : هدية العارفين جـ ٢ / ص ٤٧١ .
(٢) المراغة : بلدة عظيمة مشهورة ، أعظم وأشهر بلاد أذربيجان . أنظر : ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ / ص ٩٣ .
(٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ١٢١ ، العماد الحنبلى : الشذرات جـ٣ / ص ٣٢٥ .
(٤) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٢٨ .
(٥) كانت وفاته عام (٥٢٥هـ/١١٣٠م) . ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٣٣٣ ، الراوندى : راحة الصدور / ص ٢٩٩ .
(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ / ص ١٨٢ ، العماد الحنبلى : الشذرات جـ٤ / ص ٧٦ .

مراكزها المختلفة بالعلماء ورجال الدين ، للدفاع عن بيضة الاسلام ، وحراسة أمور الأمة .

ولهذا فقد كانت قصور السلاطين ومجالسهم عامرة بعلماء الدين والشعراء والأدباء ورواد العلم والمعرفة [1] ابتداء من عهد ألب آرسلان ومن جاء بعده ، حيث كان للأدب والعلم ازدهار واسع ، حتى انه عرف عن ألب آرسلان ميله الى صحبة المثقفين وسماع الأخبار منهم. [2]

ولقد حرص سلاطين السلاجقة على ارتباط الحكماء والأطباء بهم ، وانقطاعهم الى قصورهم ، حيث ان الغالبية منهم كانوا يشاركون مشاركة حسنة في التقدم العلمي ، لاسيما أولئك العلماء الذين كانوا يعرفون لغات متعددة [3].

الوزير نظام الملك واهتمامه بالعلم :

الوزير أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي الشافعي ، ولد عام (٤٠٨ هـ/ ١٠١٧م) في مدينة طوس [4] وفيها نشأ وتعلم ، وحفظ القرآن ، ولقن مبادئ العربية . ثم رحل الى نيسابور حيث درس علوم العصر ، وأخذ عن كبار علمائها . قال ابن العديم " سمع الكثير ، وحدّث وأملى بخراسان جمعا وغيرها من البلاد ، وكان ثقة ثبتا متحريا فهما علما " [5] والتقى خلال ذلك بكل من الشاعر المنجم عمر الخيام ، والداعية الباطني حسن الصباح منظم حركة الحشاشين [6] ، ثم عاد الى طوس ، وواصل

----

(١) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٨ / ص ٥٤ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية جـ ٢ /ص ٥٠٣ ، جـ ١٢/ ص ٢٧ .
(٣) البيهقي : تاريخ الحكماء /ص ٧ .
(٤) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ . أنظر : ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ / ص ٤٩ .
(٥) ابن العديم : بغية الطلب / ص ٦٤ .
(٦) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ١٩٣ .

رحلته العلمية الى بخارى[(١)] حيث أقام بها ثلاث سنوات ، عكف خلالها على البحث وتلقي العلوم ، ثم رحل الى مرو[(٢)] ثم الى كابل[(٣)] وأخيرا الى غزنة[(٤)] التي تدرب فيها لتولي بعض الأعمال الادارية والحسابية والانشاء ، ثم رحل الى بلخ[(٥)] حيث استكتبه حاكمها أبو علي أحمد بن شاذان الذى كان يليها من قبل جغرى بك داود والد الأمير ألب آرسلان .

تلقى نظام الملك خلال رحلته العلمية الطويلة هذه علوما شتى منها علوم اللغة العربية ، والفقه ، والتفسير والحديث ، وعلم الكلام ، والتاريخ والحساب . وكان نظام الملك يتقن اللغتين الفارسية والتركية الى جانب العربية . ومن بلخ رحل الى ديوان جغرى بك داود الذى قدمه الى ابنه ألب آرسلان ، وهنا بدأت مرحلة جديدة من مراحل حياة نظام الملك تحولت فيها شخصيته وحياته تحولا كبيرا ، فلقد ارتقى أول مدارج حياته السياسية لدى سلاطين السلاجقة خاصة ألب آرسلان وملكشاه كما ارتبط من جهة أخرى بخلفاء بنى العباس ، ولاسيما القائم بأمر الله ، ولم يجد الأمير ألب آرسلان بعد توليه السلطنة ، من معاصريه من يقوم مقام نظام الملك ، سياسة وثقافة وعلما وحكمة ودراية واخلاصا ، ولذلك اختاره وزيرا له عام (٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م)[(٦)] .

----

(١) بخارى : أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها ، كانت قاعدة ملك السامانية . ياقوت: معجم البلدان جـ ١ / ص ٣٥٣ .

(٢) مرو : الشاهنجان أشهر مدن خراسان وقصبتها . ن.م.س جـ ٥/ص ١١٢ .

(٣) كابل : مدينة بالاقليم الثالث كانت تعد من مدن الهند . ن.م.س جـ ١ / ص ٤٧٩ .

(٤) غزنة : مدينة عظيمة يقال لها غزنين تقع فى أطراف خراسان كانت تعد من مدن الهند . ن.م.س جـ ٤ / ص ٢٠١ .

(٥) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان ومن أجل مدنها . ن.م.س جـ ١ / ص ٤٧٩ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٦٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ / ص ١٢٨ .

وكان نظام الملك خلال فترة وزارته التى امتدت ثلاثين عاما يدير أمور السلطنة فى بلاد السلاجقة جميعا بفضل دهائه وخبرته ، حتى أصبح الملك غير المتوج الذى يحكم بأمر الخليفة والسلطان معا فى تلك الدولة الواسعة الأطراف ، التى امتدت من تخوم الصين شرقا حتى بيت المقدس غربا [١]. ولقد كان نظام الملك - كما تدل سيرته - وزيرا هادفا ، وليس محترفا يتخذ من السياسة مأربا للوصول الى منصب أو جاه ، فلقد شهد فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى انهيار دولة الغزنويين ، وأفول السلطة البويهية ، ومدى الانهيار الذى أصاب الخلافة العباسية ومؤسساتها ، مما أكسبه وضوحا فى الرؤية ، وخبرة فى معالجة المشاكل التى تطرأ بحنكة وبعد نظر ، وقد تركت تلك الأحداث لديه انطباعا نفسيا عميقا كان له أبعد الأثر فى حنكته ودهائه فى ادارة شئون الدولة .

ولاحظ نظام الملك ما يواجه الأمة من أخطار تمثلت فى حالة الانقسام فى جسم الدولة ، وشيوع الفرق الاسلامية التى مزقت البلاد ، اضافة الى التيارات الفكرية الخطيرة التى كانت تعصف بالعالم الاسلامى . لذلك فقد حدد لنفسه هدفين رئيسيين يتمثلان فى :

ضمان مصلحة الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية على السواء ، عن طريق احلال الاتساق والانسجام بين مؤسسات الدولة والسلطنة وازالة أسباب الخلاف .

أما هدفه الثانى والأهم فهو الدفاع عن الفكر والعقيدة الاسلامية ضد أعدائها ، سواء فى الداخل ممن كانوا متسترين تحت ستار الاسلام ، أو فى الخارج متمثلا فى مطامع الصليبيين ، وذلك عن طريق نشر العلم وتشجيع العلماء وافتتاح المراكز

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ / ص ١٣٣ .

التعليمية من جهة ، وتقوية الجيش وتعزيز قواته واستعداداته من جهة أخرى .[1] والذى يعنينا هنا هو اهتمامه بالعلم والعلماء والتعليم وانشاء المدارس ، وتركيزه على تخريج أجيال من العلماء المدافعين عن العقيدة الاسلامية وفق منظور أهل السنة وعقيدة أهل السلف . فكان نظام الملك كما تقدم ذكره من العلماء الذين بذلوا جهدا عظيما فى تحصيل العلم ، فلقد غمرته موجة الاقبال على الحديث والشغف بدراسته وحفظه ، فكان ولوعا به سماعا ورواية . قال عبد الله بن على بن اسحاق أخو نظام الملك : " كان أخي نظام الملك يملي بالرى ، فلما فرغ قال : اني لأعلم أني لست أهلا لما أتولاه من هذا الاملاء ، لكنى أريد أربط نفسي على قطار نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "[2] ، ويتفق الذين ترجموا لنظام الملك على أنه أملى مجالس عدة فى مدن مختلفة ، ومناسبات عديدة فحدث فى أصبهان والرى ومرو ونيسابور وبغداد[3] وكان يحضر مجالس أهل الحديث ويستمع اليهم ويناقشهم .

ولقد أكسبته أعماله الادارية وتنقله فى الدول المشرقية المختلفة وادارته السلطنة السلجوقية حنكة سياسية واسعة ، وخبرات صاغها فى كتابه سياسة نامه الذى يعرض فيه آراءه في الحكم من خلال بعض النوادر النموذجية ، وهو يعد أسلوبا

---

(١) أغلب المصادر التاريخية تتحدث عن نظام الملك سيرته وحياته وعدله ونهوضه بالدولة الاسلامية فى عهده سياسيا وعلميا مما يطول به الحديث ، وللمزيد من المعلومات أنظر البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٦٠ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨/ ص ١٩٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢/ص١٢٨ ، الحسينى : المراضة في الحكاية السلجوقية ص ٥٧ ، ابن العديم : بغية الطلب من ص ٦١ الى ص ٩١ ، السبكى : طبقات الشافعية جـ ٤/ص ٣١١جـ ٧/ص ١٣٧ ، العماد الحنبلى : الشذرات جـ ٣ / ص ٣٧٣ وأنظر كذلك : هيفاء البسام : الوزير السلجوقي نظام الملك (رسالة ماجستير ، بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، بجامعة ام القرى).

(٢) ابن الأثير : الكامل جـ٨/ص١٩٣ ، ابن العديم : بغية الطلب /ص ٧٠ .

(٣) عبد الهادى رضا : أمالي نظام الملك ، مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد ٥ جـ ٢ / ص ٥٣- ٥٤ - ٥٥ .

فريدا فى الادارة انفرد به السلاجقة[١].

امتدت أيام وزارة نظام الملك ثلاثين عاما ، لم يغفل فى ليل أو نهار ، وسفر أو حضر ، عن الانعام على العلماء وارفاد الأفاضل ، وخدمة رجال المعرفة. وكان ينفق الكثير من ماله على أهل العلم والأدب فكان " أهل الدين والعلم والفضائل راتعون فى انعامه ، وفي أيامه نشأ للناس أولاد نجباء ، وتوفر على تهذيب الأبناء والآباء ، وفى عصره نشأت طبقات الكتاب الجياد ، وفرعوا المناصب وولوا المراتب ، ولم يزل بابه مجمع الفضلاء ، وملجأ العلماء ..... ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه ورتب له ما يكفيه من جدواه ، حتى ينقطع الى افادة العلم ونشره...[٢]".

ويقول ابن العديم : انه " كان يكرم العلماء على اختلاف مذاهبهم ...... وكان يرعى لأهل البيوتات بيوتاتهم ، وللعلماء علمهم ، وللشعراء شعرهم ، وللأدباء أدبهم[٣]".

" وكان مجلسه عامرا بالفقهاء وأئمة المسلمين وأهل الدين ، حتى كانوا يشغلونه عن مهمات الدولة ، فقال له بعض كتابة هذه الطائفة من العلماء قد بسطتهم فى مجلسك حتى شغلوك عن مصالح الرعية ليلا نهارا ، فان تقدمت ألا يوصل أحد الا باذن ...... فقال : هذه الطائفة أركان الاسلام ، وهم جمال الدنيا والآخرة ، ولو أجلست كلا منهم على رأسي لاستقللت لهم ذلك. وكان اذا دخل عليه أبو القاسم القشيرى وأبو المعالي الجوينى يقوم لهما ، ويجلسهما فى مسند ويجلس فى المسند على حالته "[٤].

---

(١) حتى : تاريخ العرب جـ٢ /ص ٥٧٣ ، كما أن له مجموعة رسائل فى الادارة والحكم نشرت منها مجلة معهد المخطوطات العربية ست رسائل الى أبى اسحاق الشيرازى ، وابنه فخر الملك ، ومؤيد الملك ، والي ابن جهير وزير الخليفة المقتدى والي السلطان ملكشاه . المجلد السابع جـ ٢ / ص ١٥ .

(٢) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٥٩ كما قال" ثم انه لما وفر الأموال على الخزانة جعل فيها لأرباب العلوم وأصحاب الحقوق حقوقا لا تؤخر ورسوما لا تغير وصير احسان السلطان بين أهل العلم ميراثا يأخذونه بقدر الفرائض"/ص ٦٠ .

(٣) ابن العديم : بغية الطلب / ص ٩١ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٦٤ .

وقد جعل داره ندوة للعلماء والأدباء دون تقيد بسن أو مذهب ، لأن الجامع بين هؤلاء العلماء هو العلم والوصول الى الحقيقة ، وقد وصف الشيخ السبكى داره بقوله " انها كانت معمورة بالعلماء ، مأهولة بالأئمة والزهاد ، ولم يتفق لغيره ما اتفق له من ازدحام العلماء عليه وترددهم على بابه ، وتصنيفهم الكتب باسمه ".(١)

وكان قد اعتاد على السماع والمناقشة ، فكان اذا وفد عليه أحد رجال العلم اغتنم فرصة وجوده ، فعقد مجلسا للمناظرة بين هذا العالم الوافد وبين أحزابه من علماء عصره ، وربما رأس الجلسة بنفسه وأسهم فى المناظرة ، ومثل هذا حصل في المناظرة التى جرت بين الامام أبى حامد الغزالي وبين عدد من العلماء فى مجلس الوزير نظام الملك.(٢) ولطالما جرت مناقشات بين أبي اسحاق الشيرازى وبين أبي المعالي الجوينى عندما كان ببغداد بحضرة نظام الملك.(٣)

وفى عهد وزارة نظام الملك أنشئت المدارس النظامية ، وكان أعظمها وأهمها نظامية بغداد التى بدئ فى بنائها عام (٤٥٧هـ/١٠٦٤م) وافتتحت للدراسة عام (٤٥٩هـ/١٠٦٦م) يقول السبكي : " وبنى مدرسة ببغداد ، ومدرسة ببلخ ، ومدرسة بنيسابور ، ومدرسة بهراه ، ومدرسة بأصبهان ، ومدرسة بالبصرة ، ومدرسة بمرو ، ومدرسة بآمل طبرستان ، ومدرسة بالموصل ، ويقال : ان له فى كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة ..... قلت وشيخنا الذهبى زعم أنه أول من بنى المدارس ، وليس كذلك ، فلقد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك ، والمدرسة السعدية بنيسابور أيضا ..... وقد أدرت فكرى ،

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٣ / ص ١٥٣ .
(٢) الغزالى : احياء علوم الدين جـ ١ / ص ٣ .
(٣) ابن الأثير: الكامل جـ ١٠ / ص ٨١ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٢ / ص ٢٠٤ .

وغلب على ظنى أن نظام الملك أول من قدر المعاليم[١] للطلبة ".[٢] وتوفى نظام الملك رحمه الله عام (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) وقال عنه أبو الوفاء على بن عقيل فى كتابه الفنون " أيامه التى شهدناها تربى على كل أيام سمعنا بها ..... فأبهرت العقول سيرته جودا وكرما وعدلا ، بنى المدارس ، ووقف الوقوف ، ونعش من العلم وأهله ما كان خاملا مهملا فى أيام من قبله ، وكانت سوق العلم فى أيامه قائمة ، والنعم على أهله دارّة ....".[٣]

على أنه كان هناك عدد من الوزراء السلاجقة ، غير نظام الملك ممن أظهر اهتماما بالعلم والعلماء ، فالوزير عبد الرزاق بن عبد الله بن علي بن اسحاق الطوسي (المتوفى عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م) وزير السلطان سنجر بن ملكشاه ، كان من مشاهير العلماء ، ولي التدريس بمدرسة عمه نظام الملك مدة ، حتى أصبح وزيرا للسلطان سنجر.[٤] ولا ننسى مستوفي مملكة السلطان ملكشاه ، العالم شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي (المتوفى عام ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م) الذى بذل المال الكثير لأهل العلم ، وقد بنى بمرو مدرسة للأحناف ، وأخرى فى بغداد وهي مدرسة مشهد الامام أبى حنيفة التى بدىء بانشائها بعد النظامية غير أنها افتتحت قبلها بشهور.[٥]

----

(١) المعاليم : أى الرواتب والنفقات . ناجي معروف : التوقيعات التدريسية/ص٢٧.
(٢) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٤ /ص ٣١٣ - ٣١٤ وسنتحدث فى الفصل الثانى من الباب الثانى عن المدرسة النظامية وعن المدارس المنتشرة فى العراق فى هذه الفترة .
(٣) ن.م.س جـ ٤ / ص ٣١٨.
(٤) ن.م.س جـ ٧ / ص ١٦٨.
(٥) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٢٠٥.

حركة التأليف(*) ودور الكتب فى العراق فى هذا العصر :

وكان من أبرز مظاهر النشاط العلمي فى العراق فى هذا العصر، الاقبال على التأليف والتصنيف بشكل يلفت نظر القارئ خصوصا في العلوم الشرعية وعلوم اللغة والدراسات الانسانية الأخرى فقد تنوعت المصنفات فيها من مبسوطات ومختصرات وشروح .

ولعل مما يثير الاعجاب طاقات هؤلاء العلماء ، وما أوتوه من قدرة فى صياغة مؤلفاتهم بلغة بليغة سهلة . ومما يثير الانتباه ما يلاحظ من ظهور عشرات التصانيف للمؤلف الواحد ، وفى مختلف الفنون . وهكذا جرى تأليف تلك الموسوعات العلمية فى اللغة والأدب والتاريخ وعلوم الشريعة الاسلامية .

لقد تهيأ لأولئك العلماء بجانب القابلية وبذل الجهد المطلوب ، القدرة على المثابرة والصبر ، والرغبة فى خدمة العلم بعيدا عن الأغراض الزائلة دون استهداف لرئاسة ، ولا سعي وراء زعامة فقد كانوا متعبدين فى محراب العلم ، بعد أن نظروا اليه على اعتبار أنه عبادة وصناعة .

لقد تهيأ للسلاجقة أن يحكموا العراق في أعقاب نشاط فكرى متصل ، عاشه العراق منذ بداية القرن الثاني وحتى القرن الرابع ، قد هيأ لهم أن يعايشوا نهضة علمية شاملة ، حيث ان العلوم الاسلامية قد آتت أكلها فيه ضعفين نتيجة نضوج الثقافة والفكر الاسلامي ، مما هيأ الظروف لظهور تلك الموسوعات العلمية المتعددة فى مختلف العلوم والفنون .

على أن مما يؤخذ على العلماء والمؤلفين فى هذه المرحلة غياب ظاهرة الابتكار والتجديد من جهة ، ونظرة الشك والحذر من علوم الأوائل من جهة أخرى . فلقد تأثر

(*) فى الباب الثالث ستتضح لنا الرؤية حول هذا الموضوع عند تقديم الدراسة للانتاج العلمى والأدبى خلال فترة البحث .

العلماء والمثقفون من مؤرخين ولغويين ومتأدبين بأسلافهم من مفكري القرون السابقة الى درجة ألزمتهم السير على آثارهم والاقتصار على مؤلفاتهم ومصنفاتهم يشرحونها ويذيلونها ويختصرونها ، وربما نقدوها . ومن جهة أخرى فان النشاط العلمي في هذا العصر قد اقتصر في الغالب على علوم الشريعة والعربية وما اليها . أما تلك العلوم المسماة بعلوم الأوائل فقد كانت من العلوم التي توقفوا عندها ، حتى أن من يطلع عليها أو يقتني بعض كتبها قد يتعرض لمضايقات كبيرة قد تصل الى الطعن في العقيدة .[1]

ان مؤلفات هذا العصر كثيرة جدا ، شملت جميع الفروع والفنون حتى أنه ليس بالامكان حصر ما ظهر من الكتب في فنون المعرفة بسبب ذلك الحشد الهائل من الكتب . على أنه يكفي للدلالة على نشاط حركة التأليف والتصنيف أن الامام الغزالي (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م) كان من رجال العصر[2] ، وكذلك الامام أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) الذي قال عنه ابن خلكان :" ان كتبه أكثر من أن تعد ".[3]

ولا شك في أن الكتب وتأليفها وخزائن الكتب وتعددها ، وأسواق الوراقين المنتشرة في بغداد وسائر المراكز العلمية في العراق في العصر السلجوقي - تعد مظهرا هاما من مظاهر النهضة العلمية والفكرية .

ومن خلال المصادر التاريخية والمراجع التي اهتمت بهذا الموضوع ، ومن خلال كتب التراجم التي ترجمت للكثير من الشخصيات العلمية في هذا العصر ، يتضح وجود عدد كبير من خزائن دور الكتب الخاصة والعامة في العراق خلال فترة البحث ، والتي كانت مجمعا لطلاب العلم والمعرفة ، بالاضافة الى ما تعكسه من شغف الناس

---

(١) أبو شامة : ذيل الروضتين / ص ص ١٢-٥٦ . ابن رجب : الذيل جـ٢/ ص ٦٧ .
(٢) حصر الدكتور عبد الرحمن بدوي مصنفاته فبلغت أربعمائة كتاب ورسالة . أنظر : عبد الرحمن بدوي : مؤلفات الغزالي .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ١٤٠ .

واهتمامهم بجمع الكتب في هذا العصر ، فقد عنوا بجمعها وتصنيفها وتجليدها وايداعها خزائنهم الخاصة[(١)] رغم ماكانت تكلفهم الكتب في ذلك العصر من نفقات ولاسيما بعد أن ندخل في الاعتبار أثمان الورق الصالح للنسخ أو الرق أو البردى ، وأجور النساخين الباهظة ، وكلفة التجليد ، مما لا يدع مجالا للمقارنة مع تكاليف الكتاب المعاصر، ومع ذلك فلم يكن هناك عالم من العلماء أو طالب علم الا وكان يحرص على جمع الكتب واقتنائها .

الوراقون[(٢)] في العراق في العصر السلجوقي :

ولعل من أهم العوامل المساعدة على انتشار الكتب وتعدد المكتبات ،أن صناعة

---

(١) يذكر ياقوت الحموى ترجمة للحسن بن محمد بن حمدون الكاتب المتوفى عام (٦٠٨هـ / ١٢١١م) أنه كان من الأدباء والعلماء . . . . . وكان من المحبين للكتب واقتنائها وبالغ في تحصيلها وشرائها ، وحصل له من أصولها المتقنة وأمهاتها المعينة ما لم يحصل لأحد ، ثم تقاعد به الدهر وبطل عن العمل ، فرأيته يخرجها ويبيعها وعيناه تذرفان بالدموع. كالمفارق لأهله الأعزاء ، فقلت: هون عليك أدام الله أيامك ، فان الدهر ذو دول ، فقال :حسبك يابني ، هذه نتيجة خمسين سنة من العمر أنفقتها في تحصيلها . . . . . . الى أن يقول : . . . . . وكتب بخطه الرائق طرائف الكتب الكثيرة الكبار والصغار والمروية، وقابلها، وصححها وسمعها المشايخ. أنظر: ياقوت : معجم الأدباء جـ٩ / ص ١٨٤ ، وابن الجوزى يذكر لنا أن عبد السلام بن محمد بن بندار القزويني المتوفى عام (٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) رحل الى مصر ، وأقام بها أربعين سنة ، وحصل أحمالا من الكتب ، وحملها الى بغداد .أنظر: ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٨٩ .

(٢) عرف السمعاني لفظ الوراقة بقوله : " الوراق بفتح الواو وتشديد الراء في آخرها القاف : هذا اسم لمن يكتب المصاحف والكتب وكتب الحديث وغيرها ، وقد يقال لمن يبيع الورق ، وهو الكاغد ببغداد الوراق أيضا .أنظر: السمعاني: الأنساب /ص ٥٨٠ نشره د . س مرجليوت ، ليدن. أما ابن خلدون فعرفها بقوله : " المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد ، وسائر الأمور الكتبية. أنظر : ابن خلدون : المقدمة / ص ٣٢٤ . ولكن يفهم من بعض أقوال المؤرخين كابن النديم، وابن الجوزى ، وياقوت الحموى أن للوراقة معنى أوسع ، فهى تعنى أيضا من يجلد الكتب ومن يبيعها ، فسوق الوراقين ببغداد هي السوق التى تباع فيها الكتب. ابن النديم : الفهرست/ص ٣١ ، ابن الجوزى : مناقب بغداد / ص ٢٦ ، كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق / ص ٨ - ٩ .

الورق وشيوعه كانت عاملا حاسما فى نشر العلوم والمعارف وفي توفير الكتب وتعدد المكتبات وعليه فان انتشار صناعة الورق في العالم الاسلامي وخاصة فى العراق كان من عوامل شيوع المكتبات وكثرتها من جهة ، وظهور الوراقين على نطاق واسع نظرا للحاجة اليهم من جهة أخرى .

ان أجود أنواع الورق قد ظهر فى القرن الخامس الهجرى " الحادى عشر الميلادى" ، حيث حل الورق ابتداء من هذا التاريخ محل الرقوق فى جميع أنحاء العالم الاسلامى ، ولقد كانت بغداد فى هذه الفترة تتباهى بأن فيها أكثر من مائة حانوت للوراقين فى سوق واحدة [١] وكان بعضها من السعة بحيث تعرض فيها الكتب ، ويلتقى فيها العلماء . يذكر ياقوت الحموى " أن وراقا عراقيا كانت له خزانة اكتنز فيها القديم من المخطوطات من الجلود والصكاك ، وقرطاس مصر ، والورق الصينى ، والورق الخراسانى ، وعلى كل مدرج توقيع الكاتب وتتمة شهادات خمسة أو ستة أجيال من العلماء". [٢]

أما فى مجال النسخ فلقد ظهر فى العراق ، كما تشير المصادر ، أعداد كبيرة من الناسخين ، رجالا ونساء ، لا يتسع المجال لسرد أسمائهم وانما سنقتصر على ذكر المشاهير منهم . ويبدو أن هذا العمل كان يدر مردودا اقتصاديا طيبا ، وأنه ساعد على انتعاش الحركة الفكرية والاقتصادية معا [٣] ، ومما ساعد على ارتفاع شأن الناسخين

---

(١) حتى : تاريخ العرب ج ٢ / ص ٥٠٢ .
(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ١ / ص ٤٥٦ .
(٣) كان لأبى الدر ياقوت بن عبد الله الموصلي المتوفي بالموصل عام (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) خط فى نهاية الحسن ، ولم يكن فى آخر زمانه من يقاربه فى حسن الخط ، ولا يؤدى طريقه ابن البواب مثله ، وقصده الناس من البلاد . . . . . وكان مغرما بنقل الصحاح للجوهرى ، فكتب منه نسخا كثيرة ، كل نسخة فى مجلد واحد ، وكل نسخة تباع بمائة دينار . أنظر : ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ١١٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ١١٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ٢٨٣ .

في هذه الفترة نشاط حركة التأليف ، بالاضافة الى اقبال العلماء وهواة جمع الكتب على اقتناء ما يظهر من المؤلفات ، وقيام الوراقين باستنساخها . وقد كان الحسن بن شهاب العكبراوي المتوفى عام (٤٢٨هـ/١٠٧٤م) يقول : " كسبت في الوراقة خمسة وعشرين ألف درهم ، وكنت أشترى الكاغد بخمسة دراهم ، فأكتب فيه ديوان المتنبي في ثلاث ليال وأبيعه بمائتي درهم ، وأقله بمائة وخمسين درهما ".[(١)]

ولا شك في أن نسخ الكتب كان يستنفد من النساخين جهدا عظيما ، فابن جماعة يقول : " كان الحميدي[(٢)] من اجتهاده ينسخ بالليل في الحر ، مكان يجلس في اجانة[(٣)] ماء يتبرد به ".[(٤)] وكان محمد بن أحمد بن عبد الباقي المعروف بابن الخاضبة المتوفى عام (٤٨٩هـ/١٠٩٦م) " من أشهر نساخي زمانه ، معروفا بالافادة وجودة القراءة وحسن الخط وجودة النقل . . . . . قال ابن الخاضبة :" لما كانت سنة الغرق وقعت داري على قماشي وكتبي ، ولم يبق لي منها شيء ، وكانت لي عائلة ، وكنت أورق للناس فكتبت صحيح مسلم تلك السنة سبع مرات ".[(٥)] وقد مر بنا ياقوت بن عبدالله الرومي نزيل الموصل ، وكان أوحد عصره في جودة الخط واتقانه على طريقة ابن البواب ، قصده الناس من البلاد وكتب عليه خلق لا يحصون كثرة ، يقول ياقوت :" ورأيت كتبا كثيرة بخطه يتداولها الناس ويتغالون بأثمانها ، بينها عدة نسخ من الصحاح للجوهري ، والمقامات الحريرية "[(٦)] ، وكان من هؤلاء النساخ من له قدرة عجيبة

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٨ / ص ٩٨ .

(٢) الحميدي : المؤرخ المحدث المشهور صاحب جذوة المقتبس توفي عام (٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م) ببغداد . ابن الأثير: الكامل جـ٨/ص ١٧٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٥٨٢ .

(٣) الاجانة : عرفها ابن منظور بأنها المركن جـ١٣/ص ٣٨ . وفسر المركن :بالاجابة التي تغسل فيها الثياب ونحوها . ابن منظور: لسان العرب جـ٣/ص ١٨٦ .

(٤) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم / ص ١٦٦ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٩ /ص ١٠١ ، ياقوت: معجم الأدباء جـ ١٧/ص ٢٢٦ .

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦/ص ١١٩ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ١٩/ص ٣١٢ وابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ ٥/ص ٢٨٣ .

على سرعة النسخ وسرعة انجاز الكتب فقد ذكرت المصادر أن يحي بن محمد أبو محمد الأرزني " كان يخرج في وقت العصر الى سوق الكتب ببغداد فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب الفصيح لثعلب ، ويبيعه بنصف دينار ، ويشتري لحما وفاكهة "،[1] أما ابن الأخوة العطار المتوفى عام (٥٤٨هـ/١١٥٣م) " فقد نسخ مالا يدخل تحت الحصر ، وكان يكتب خطا مليحا ، وكان سريع القراءة والكتابة ، قال ابن النجار : " رأيت بخطه كتاب التنبيه في الفقه لأبي اسحاق الشيرازي ، وقد ذكر في آخره أنه كتبه في يوم واحد ، وكان يقول : كتبت بخطي ألف مجلد ".[2]

وظهر في هذا العصر نساء عرفن بجودة الخط ، أشهرهن أم الفضل فاطمة بنت الحسن بن علي العطار المعروفة ببنت الأقرع (ت ٤٨٠ هـ/١٠٨٧م) وكانت من أحسن الناس خطا ، واشتهرت بجودته على طريقة ابن البواب . قال الذهبي : " وكتابتها يضرب المثل وهي التي ندبت للكتابة كتاب الهدنة الى طاغية الروم من جهة الخلافة ، وكانت تقول : كتبت ورقة لعميد الملك الكندري فأعطاني ألف دينار ".[3]

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء جـ٢٠/ص ٣٤ .

(٢) ن.م.ص جـ٧/ص٢٩١ ، الكتبي : فوات الوفيات جـ٢/ص ٣٠٩ ، وهناك عدد ضخم من النساخين المشاهير في هذا العصر لا يسمح المجال للحديث عنهم . أنظر: ابن الجوزي : المنتظم جـ٩/ص ٢٠٤ ، جـ١٠/ص ص ١٤٦-١٥٢- ١٦٢ ، ياقوت: معجم الأدباء جـ١٦/ ص ص ٩- ٤٣-٥٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/ص ١٤٩ ، جـ٤/ص ص ٩٣ - ٣٨٩ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ٨/ص ٢٢٥ ، القفطي : انباه الرواة جـ٣/ص ١٨٨ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ١ / ص ٥٤٧ ، جـ٣/ ص ١١٠-١٧٢ ، الذهبي : معرفة القراء الكبار جـ٢/ص ٤٣١ ، تذكرة الحفاظ ترجمة رقم ١٢٨٩ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٤/ص ص ٥٧ - ١٥٥ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ١/ ص ص ٢١٦- ٢١٩ .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء جـ١٦/ص ١٦٩ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٣/ص٣٦٥ ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ / ص ٤٠ .

أما السيدة نسيم التى عاشت فى بغداد فى خلافة الناصر لدين الله العباسي ، فقد كانت من الناسخات المجيدات ، وكان الناصر قد عجز عن النظر فى الكتب لما ضعف بصره ، فاستحضر هذه السيدة ، فكانت تكتب خطا قريبا من خطه ، وقد جعلها بين يديه تكتب الأجوبة [(١)] . كما ينبغى ألا ننسى العالمة المشهورة شهده بنت الابرى البغدادية التى عرفت بأنها تنسخ بخط حسن [(٢)] .

وكان من عمل الوراقين فى هذا العصر بيع الورق وأدوات الكتابة والتجليد [(٣)] ذلك أن عمل النساخ يحتاج الى أدوات الكتابة المتعددة ، وقد ذكر القلقشندى فى كتابه أنواع الأقلام وأوصافها وصناعتها ، وأحسن فى وصف مواد الكتابة الأخرى ، كالمداد حيث ذكر أصنافه ومزايا كل صنف [(٤)] ، ولقد ذكر ياقوت فى ترجمة لعمر بن الحسين الخطاط ابن خرنقا (المتوفى عام ٥٥٢هـ/١١٢٨م) بأنه قد " كان له من آلة الكتابة مالم يكن لأحد من قبله " [(٥)] ونص ياقوت هذا يدل على أن مهنة النساخين فى هذا العصر كانت فنا قائما بذاته ، لا يتقنه الا من مارس المهنة ، وعرف أنواع الأقلام وخاماتها ، والمداد وأفضل أنواعه ، أما الورق فلقد كان من أدوات الكتابة المهمة ، اذ كان البضاعة الأساسية المعروضة فى أسواق الوراقين فى بغداد ، وكانت أنواعه متعددة ، وكمياته متوفرة ، وكان ثمن الكاغد فى المتوسط خمسة دراهم [(٦)] .

---

(١) ناجي معروف : عالمات بغداديات ص ص ٨ - ٩ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢/ص ٤٧٧ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨/ ص ٣٥٣ ، العماد الحنبلى : الشذرات جـ٤/ص ٢٤٨ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٢ /ص ص ٤٣٠ - ٤٧٧ .

(٤) ن.م.س / ص ص ٤٣٠ - ٤٧٧ .

(٥) ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٦/ ص ٥٩ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ٩٢ .

أما تجارة الكتب فقد كانت سوقها رائجة في بغداد ، وكانت سوق الكتب تقع في الجانب الشرقي من بغداد (الرصافة)[1] وكان يجلس فيها باعة الكتب والوراقين وأكثرهم من الخطاطين والنساخين بالاضافة الى الدلالين " المنادين " ، ولم تكن هذه الدكاكين مقصورة على تجارة الكتب والوراقة ، فلقد كانت كذلك مجمعا للعلماء وأهل الأدب ، ذلك أن هؤلاء الوراقين كانوا في الغالب من رجال العلم والأدب ، وكثيرا ما كانت تدور بينهم وبين زائريهم من العلماء مناقشات جادّة .[2]

وقد كان الشيخ أبو المعالي سعد بن علي الوراق الكتبي الحضري (المتوفى عام ٥٦٨هـ/١١٧٢م) دلالا للكتب في سوق الكتب ببغداد ، وكان أديبا له فنون حسان منها لمح الملح وكتاب الاعجاز في الأحاجي والألغاز ، ولعل أهم مصنفاته كتابه زينة الدهر وعصرة العصر ، قال عنه الأصفهاني " ولا يكون اعتناؤه أكثر زمانه ، الا بالجمع والتأليف ، وتصريف القول في التصنيف ، ولم يزل مجمع الفضل دكانه ، ومنبع الفضل مكانه ، وكنت أحضر عنده وأقدح زنده ".[3]

----

(١) الأصفهاني : خريدة القصر جـ٢/ص ٣٤٤ ، ولقد وصف ابن الجوزي سوق الوراقين في بغداد في زمنه بقوله : " انها سوق كبيرة وهي مجالس العلماء والشعراء " . ابن الجوزي : مناقب بغداد ص ٢٦ . وقال الأصفهاني في ترجمة محمد بن حيان التميمي المتوفى عام (٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) " ونقلت ما أثبت من شعره من كراريس وجدتها تباع في السوق ، وكانت أحضرتها امرأة تبيعها بعد موته عند دكان الشيخ أبو المعالي الحضيري " الأصفهاني : خريدة القصر جـ٣/ ص ٢٧٤ .

(٢) فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي الغنائم حبشي بن محمد الواسطي الضرير المتوفى عام (٥٦٥هـ/١١٦٩م) أنه كان يأتي سوق الكتب ببغداد كل ليلة عشرين سنة . ياقوت : معجم الأدباء جـ٣ / ص ٣ .

(٣) الأصفهاني : الخريدة جـ٤ / ص ٢٨ ، ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠/ ص ٢٤١ .

أما أبو القاسم اسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندى المتوفى ببغداد عام (٥٣٦هـ/ ١١٤١م) فانه احترف بيع الكتب ، وكان دلال بيعها محظوظا فى ذلك ، فقد اشترى صحيح البخاري وكتابا آخر بدينار وقيراط[1] فباع الكتاب الآخر بدينار وصحيح البخارى بعشرين دينارا[2] على أن المصادر التاريخية تذكر الكثير من العلماء فى هذا العصر ممن كانوا يمتهنون الوراقة وبيع الكتب في بغداد وغيرها من مدن العراق بجانب اشتهارهم بفن من الفنون المختلفة .

خزائن الكتب في العراق فى العصر السلجوقى :

وقبل الحديث عن خزائن الكتب فى هذا العصر لابد لنا أن نتحدث عن بعض المسائل المهمة التى لها علاقة بالكتب والمكتبات تعرض لها علماء المسلمين فى كتاباتهم .

ومن هذه المسائل كيفية التعامل مع الكتاب ، ذلك أن للتعامل مع الكتب آدابا يذكرها ابن جماعة فيقول : " ولا يجعل الكتاب خزانة للكراريس أو غيرها ، أو مخدة أو مروحة ، ولا مكبسا ولا مسندا ولا متكأ ، ولا مقتلة للبق وغيره ، ولاسيما فى الورق فهو على الورق أشد "[3].

ومن هذه المسائل اعارة الكتب فيقول " واعارة الكتب للطلبة والمشيخة أمر قد استحسنه الأولون والآخرون لما فيه من نشر العلم خاصة ، وافادة الناس عامة ، حتى عد من صفات العلماء المحمودة "[4]، وقد ذكر ياقوت أن الحسن بن محمد بن حمدون (المتوفى عام ٦٠٨هـ/ ١٢١١م) مع " ماكان من اغتباطه بالكتب جواد باعارتها ،

---

(١) القيراط : كلمة يونانية Keration يختلف وزنه حسب البلاد وهو بالعراق نصف عشر دينار. الأب انستاس الكرملي : النقود العربية وعلم النميات/ ص ٢٨ .

(٢) ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ١/ ص ٥٣٥ .

(٣) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم / ص ١٧٢ .

(٤) ن.م.ص / ص ١٦٨ .

للطلبة : ما بخلت باعارة كتاب قط ولا أخذت عليه رهنا ، ولا أعلم مع ذلك أنه فقد كتابا في عارية قط"[(١)] وينقل ابن جماعة " أن ابن الخاضبة الحافظ مفيد بغداد محببا الى الناس فاضلا حسن الذكر ما رأيت مثله على طريقته ، وكان لا يأتيه مستعير كتابا الا أعطاه أو دله عليه "[(٢)].

ومن آداب التعامل مع الكتب عند شرائها أو استعارتها أو اعادتها أن يتفقدها المشترى أو المستعير أو مالكها بأن يتعهد أوله وآخره ووسطه وترتيب أبوابه وكراريسه ويصفح أوراقه[(٣)].

ولعل من الأعمال الحسنة التى كان يقوم بها بعض العلماء والخلفاء فى هذه الفترة وقف الكتب رجاء الأجر ، وللمحافظة عليها من التلف ، أو انتقال الملكية بعد الموت ، فكانوا يفضلون وقفها ليستفيد منها طلبة العلم[(٤)].

ومن الآفات التى كان لها ضرر عظيم على المكتبات فى هذا العصر اتلاف الكتب لأى سبب كان . وهذا العمل بلاريب يعد خسارة كبيرة فى اطار جمع التراث وحفظه .

وقد مر بنا ما نقله ابن الجوزى من قيام البعض بكبس دور عدد من العلماء ، وكيف أنهم أخرجوا كتبهم فأحرقوا منها مالم يكن منسجما مع آرائهم وأفكارهم[(٥)].

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٩ / ص ١٨٤ .
(٢) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم / ص ١٦٨ .
(٣) ن.م.س / ص ١٦٨ .
(٤) فنجد أن محمد بن ناصر بن على البغدادى محدث العراق (المتوفى عام ٥٥٠هـ/١١٥٥م) أوقف كتبه قبل وفاته . ابن العماد : الشذرات جـ٤/ص١٥٥ ، وعبد الله بن المبارك باع ملكا له واشترى بثمنه كتاب الفنون لابن عقيل وكتاب الفصول ووقفهما على المسلمين . ن.م.س جـ ٤/ص ٨٥ ، وأنظر فى هذا أيضا ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩/ص ١٨٣ ، جـ ١٠/ص ٢٦٧ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥ / ص ١٢١ .
(٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨/ص٢٣ ، أبو شامة : ذيل الروضتين/ص٥٦ ، العماد الحنبلى : الشذرات جـ ٤ / ص ٢٤٦ .

وذكر ابن الجوزى أيضا فى حوادث عام (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) عن احتراق مدينة البصرة التى كان من نتائجها احتراق مكتبة عامرة كانت قد أنشئت خلال القرن الرابع الهجرى [1] ويعلق ابن الأثير على هذه الحادثة فيقول " وفى جملة ما أحرقوا داران للكتب ، احداهما وقفت قبل أيام عضد الدولة بن بويه ..... والأخرى وقفها الوزير أبو منصور شاه بن مرادن ، كان بها نفائس الكتب وأعيانها " [2]. وتتحدث المصادر المعتمدة عن المكتبة التى أنشأها سابور بن أردشير [3] فى الكرخ ببغداد عام (٣٨١هـ/ ٩٩١م) والتى كانت موئلا للعلماء والباحثين الذين كانوا يترددون عليها حتى احترقت فى عام (٤٥١هـ/ ١٠٥٩م) وقد ذكر ابن الجوزى فى حوادث هذه السنة أنه قد : " احترقت بغداد ، الكرخ وغيره وبين السورين واحترقت فيه خزانة الكتب التى أوقفها الوزير ونهبت بعض كتبها وجاء عميد الملك فاختار من الكتب خيرها ، وكان بها عشرة آلاف وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم منها مائتا مصحف بخط ابن مقلة ، وكان العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق " [4].

وبدو أن احتراق المكتبات العارض والمتعمد ، وعطية اتلاف الكتب عن قصد وتصميم مسبق ، وسرقات الكتب قد دفعت البعض الى اللجوء الى دفن الكتب ، ويظهر أن هذا العمل كان مثار استهجان البعض ، فيذكر ابن الجوزى " ولقد ذاكرت بعض مشايخنا ما يروى عن جماعة من السادات ، أنهم دفنوا كتبهم فقلت له : ما وجه هذا ؟ فقال : أحسن ما نقول أن نسكت ، يشير الى أن هذا جهل

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٥٣.

(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ١٥٣.

(٣) أبو نصر سابور بن اردشير ، الملقب بهاء الدولة وزير بهاء الدولة أبى نصر ابن عضد الدولة (المتوفى عام ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م) الثعالبى : يتيمة الدهر جـ٣/ ص١٢٩، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢/ ص ٣٥٤.

(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨/ ص٢٣٨ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ٥/ ص ص ١٢٤ - ١٢٦ ، وحوادث أخرى أدهى وأمر تتحدث عنها المصادر التاريخية يذكر ابن الأثير حادثة حريق المدرسة النظامية عام (٥١٠هـ/ ١١١٦م) حيث احترقت خزانة كتب النظامية ، ولولا وجود طلبة العلم الذين نقلوا الكتب لضاع تراث علمي ضخم . ابن الأثير : الكامل جـ٨ / ص ٢٧٦.

من فاطه ".[١] ويقول ياقوت في ترجمته للمبارك بن المبارك أبي طالب الكرخي (المتوفي عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م) أنه "كان أوحد زمانه في حسن الخط على طريقة ابن البواب علي بن هلال ..... وكان ضنينا بخطه جدا ، فلذلك قل وجوده ، وكان اذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طستا ويغسله".[٢]

ثم كانت الطامة الكبرى والمصيبة الكالحة عندما دخل المغول بغداد عام (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) واستباحوها وقضوا على الكثير من المعالم الحضارية والمآثر الاسلامية والتراث ، ومن ذلك عشرات الآلاف من كتب خزائن المكتبات العامة والخاصة . يقول ابن الساعي المتوفي عام (٦٧٤هـ/١٢٧٥م) "ويقال انهم بنوا اصطبلات الخيول وطوالات المعالف بكتب العلماء عوضا عن اللبن".[٣] فلقد منيت آلاف المجلدات والكتب من تراث الاسلام بالضياع طوال العصور بمثل هذه الأحداث التي كان نتيجتها ضياع الكثير من جهود العلماء والباحثين في مختلف العصور، وينعكس مدى اعتزاز الاسلام والمسلمين بالعلم والعلماء فيما خلدته المصادر من معلومات مفصلة عن خزانات الكتب التي أولاها المسئولون عن الادارة الاسلامية وكذلك مختلف أبناء الأمة من اهتمام ورعاية في سبيل تيسير المعرفة ، عن طريق انشاء دور للكتب التي أصبحت شائعة حتى أنه ليندر أن تخلو مدرسة أو مسجد جامع أو مستشفى أو غير ذلك من معاهد العلم دون أن تجد مكتبة عامرة ملحقة بها ، هذا بجانب الخزائن الخاصة التي يؤسسها الخلفاء والأمراء والوزراء وكبار المسئولين والعلماء ، والتي يكون

---

(١) ابن الجوزي : صيد الخاطر/ ص ٧٤ . وأنظر أيضا : المنتظم ج٩/ ص ٢٤ .
(٢) ياقوت : معجم الأدباء ج ٦ / ص ٢٣٠ ، وأنظر حوادث مائة ن.م.س.ج ٥ /ص ١٢٢ ، ج ٦ / ص ٢٣٥ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٩/ ص ١٧٦ .
(٣) ابن الساعي : مختصر أخبار الخلفاء / ص ١٢٧ ، طبع بولاق سنة ١٣٠٩ هـ ، وأنظر في ذلك أيضا ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج٣/ ص ٥٣٧ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٧/ ص ٥١ ، النهروالي : الاعلام ببيت الله الحرام ص ١٨١ ، ص ١٨٢ طبعة وستنفلد ليبسك سنة ١٨٥٧م .

الانفاق عليها على حسابهم الخاص . وكان يقوم على هذه المكتبات مشرفون وخزنة وخدم للقيام بمختلف الأعمال اللازمة لادارتها والاشراف عليها والافادة من خدماتها المختلفة . وكان الكثير منها مزودا بالورق والحبر في قاعات رتبت لتصبح مواضع للمطالعة ، وفي أحيان أخرى للنسخ والتعليم ، ولم تخل مكتبة من هذه المكتبات من فهارس يرجع اليها لتسهيل طلب واستخراج أو استعمال مجموعاتها من الكتب المخزونة فيها ، وكانت الفهارس عادة غاية في التنظيم ، يشرف على اعدادها وتطويرها خزنة المكتبة ومديروها . ومما يحسن ذكره هنا انه كان لخزانة المدرسة النظامية فهرس شامل دقيق ، فقد قال ابن الجوزي " ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية فاذا به يحتوى على نحو ستة آلاف مجلد[1].

وكان لهذه الخزانة النفيسة خزنة ومشرفون يتولون أمرها والنظر في شئونها ولهم ادرارات خصصت لهم من وقوف المدرسة[2] وتقدم المصادر المعتمدة معلومات طيبة عن خزنة مكتبة المدرسة النظامية فتذكر منهم القاضي يعقوب بن سليمان الاسفراييني (المتوفى عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٤م)[3] ، ويحي بن على بن محمد أبو زكريا الخطيب التبريزى (المتوفى عام ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)[4] ، ومحمد بن أحمد الأبيوردى (المتوفى عام ٥٠٧هـ/ ١١١٣م)[5] ، وعلى بن أحمد بن عبد الباقي بن بكرى (المتوفى عام ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)[6] ، وأبا جعفر عمرو بن أبي عبد الله الدباس (المتوفى عام ٦١٠هـ/ ١٢٠٤م) الذى قال عنه ابن الساعي " أقام مشرفا بدار الكتب العتيقة بالمدرسة النظامية الى أن توفى "[7]. أما خزانة مدرسة مشهد الامام أبي حنيفة

---

(١) ابن الجوزى : صيد الخاطر / ص ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٦٦ .
(٣) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٦ / ص ٣٤٣ .
(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ١٦١ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ٢٠/ص ٢٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦/ص ١٩١ ، القفطى : انباه الرواه جـ٤/ص ٢٢ ، العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٤ / ص ٥ .
(٥) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٦ / ص ٣٤٣ .
(٦) ن.م.ص جـ ٥/ ص ١٠٤ .
(٧) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ١٦٠ .

فقد تولى الاشراف عليها ابن الأهوازى (المتوفى عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) [(١)] . وعند تأسيس خزانة الرباط الخاتوني ببغداد ، التى أوقفها الخليفة الناصر لدين الله العباسي لتربة زوجته سلجوقة خاتون (المتوفية عام ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) [(٢)] عهد بأمر خزانتها والاشراف عليها الى أبي محمد عبد العزيز بن أبى دلف المعروف بالخازن (المتوفى عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) [(٣)] ثم وليها عز الدين (المتوفى عام ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م) [(٤)].

أما دار العلم التى أنشأها سابور بن أرد شير ، والتى سبقت الاشارة اليها فقد تولى خزانتها أبو منصور محمد بن أحمد بن طاهر الخازن (المتوفى عام ٥١٠هـ/ ١١١٦م) [(٥)] ، وقد تعرض أبو العلاء المعرى الى ذكر الجارية التى تولت الخدمة فى هذه الخزانة خلال هذه الفترة ، فلقد صوّر محادثة جرت بينهما قال فيها على لسانها " أتدرى من أنا يا أبا علي بن منصور ؟ أنا توفيق السوداء التى كانت تخدم في دار العلم ببغداد على زمان أبي منصور محمد بن علي الخازن ، وكنت أخرج الكتب الى النساخ " [(٦)].

وهكذا انتشرت المكتبات فى هذا العصر ، وطئت بنفائس الكتب فى المدارس والمساجد والأربطة والمستشفيات ، اضافة الى خزائن الخلفاء والوزراء والعلماء .

ولعل من المفيد في هذه الدراسة أن نتعرض لذكر أهم خزائن الكتب فى هذا العصر :

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ١/ ٢٤٨ ، صيد الخاطر / ص ٣٦٧ .
(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ / ص ١٩٨ .
(٣) الذهبى : المختصر المحتاج اليه جـ ٣ / ص ٥ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ١ / ص ٤٩١ .
(٤) هكذا ذكره ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ١ / ص ٢٩٤ .
(٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ١٨٩ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ١٧ / ص٢٦٧ .
(٦) المعرى : رسالة الغفران / ص ٧٣ .

أولا : خزائن الخلفاء :

من هذه الخزائن خزانة الخليفة القائم بأمر الله الذى تولى الخلافة بين سنتى (٤٢٢ هـ / ١٠٣١م - ٤٦٧هـ / ١٠٧٥م) . والواقع أن الخليفة القائم بأمر الله قد ورث هذه الخزانة عمن سبقه من الخلفاء ، وقد وردت هذه المعلومة في كتاب رسوم دار الخلافة الذى ألفه الوزير الهلال بن المحسن الصابي (المتوفى عام ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦م) وأهداه الى الخليفة القائم[١].

أما الخليفة المقتدى بأمر الله ، تولى الخلافة بين سنتى (٤٦٧ هـ/ ١٠٧٥م - ٤٧٧ هـ/ ١٠٩٤م) فقد كانت له خزانة كتب حوت الكثير من النفائس، فقد ذكر أبو علي يحي بن عيسي بن جزلة الطبيب البغدادى (المتوفى عام ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م) أنه ألف للخليفة المقتدى كتابين أولهما كتاب تقويم الأبدان ، وثانيهما كتاب الانسان ، وأن النسخ الأولى من هذين المؤلفين أودعت في خزانة المقتدى . يقول ابن جزلة " ستقصر في ذلك خدمة خزائن سيدنا ومولانا الامام العادل المقتدى بأمر الله ".[٢] ثم يشير الى الكتاب السابق الذى أهداه الى الخليفة المقتدى بقوله : " ولما أنعم بقبول الكتاب الذى سميته تقويم الأبدان ، بادرت بتركيب كتاب ثان سميته منهاج البيان فيما يستعمله الانسان ".[٣]

أما الخليفة الناصر لدين الله العباسي والذى امتدت خلافته بين سنتى (٥٧٥هـ / ١١٨٠م - ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) والذى عادت الخلافة في عهده الى سابق قوتها وعزها ، بعد أن تمكن من طرد السلاجقة نهائيا من العراق ، فقد كان له خزانة

---

(١) هلال الصابي : رسوم دار الخلافة / ص ٣ ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء/ص٦ .
(٢) ابن جزلة : منهاج البيان فيما يستعمله الانسان - الورقة /١أ ب ، مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى برقم (١٢٨ طب) .
(٣) ن.م.س - الورقة / ١ أ ب .

كتب جليلة ، ذكر القفطي في كتابه " اخبار العلماء " أنه أوقف جزءا منها على خزانة دار المسناة التي استحدثها الخليفة الناصر، وخزانة الرباط الخاتوني ، وخزانة المدرسة النظامية ، وأنه كلف هذه المهمة المبشر بن أحمد بن على الرازى (المتوفى عام ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) [١].

ثانيا : خزائن كتب الوزراء والأمراء :

اقتدى الأمراء والوزراء بسير الخلفاء وخططهم فى تأسيس دور الكتب ورعايتها ودوام استمرار الوقف لها وامدادها ، فساروا على خطاهم ، مما أدى الى ازدهار الحركة الفكرية وكثرة المكتبات الموقوفة من الأمراء والوزراء لهذا الغرض النبيل ، ومن ذلك دار كتب الوزير ابن شاه مرادن بالبصرة ، التى أوقفها على طلبة العلم، وقد ذكر ابن الجوزى أن الأعراب أحرقوها حين دخلوا البصرة عام (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) .. وهكذا ، واحترقت دار الكتب هذه والتى كان بها الكثير من نفائس الكتب [٢].

وهناك خزانة الوزير سابور بن أردشير ، التى أنشأها ببغداد ، وكانت من أكبر الخزائن ، وقد سبق أن ورد في البحث ما نقله ابن الأثير أنه " في سنة ٤٥٢هـ /سنة ١٠٦٠م احترقت ببغداد الكرخ وغيره وبين السورين ، واحترقت فيه خزانة الكتب التى أوقفها أردشير الوزير ، ونهبت بعض كتبها ، وجاء عميد الملك الكندرى فاختار من الكتب خيرها ، وكان بها عشرة آلاف مجلد وأربعمائة من أصناف العلوم ، وكان العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق " [٣]. أما الوزير ابن هبيرة (المتوفى عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) والذى وزر للخليفة المقتضى (المتوفى عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) وابنه المستنجد (المتوفى عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) فكان واحدا من أعظم وزراء العصر علما وسياسة ، ولقد عاش قبل أن يلي الوزارة فترة طويلة من حياته طالبا فى سوق الأدب واللغة والنحو حتى أصبح عالما مجيدا ، وقد وضع تآليف حسانا ، ويذكر

---

(١) القفطى : اخبار العلماء/ ص ١٧٧.

(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩/ ص ٥٣ ، ابن الأثير: الكامل جـ ٨ / ص ١٥٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل جـ٨/ ص ٨٨ ، البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق/ ص ٢٠.

حاجي خليفة أنه كانت له خزانة كتب جيدة .[(١)] أما الوزير مؤيد الدين بن القصاب (المتوفى عام ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م) الذى وزر للخليفة العباسي الناصر لدين الله فقد " نشأ مشتغلا بالعلوم والآداب ، وبرع في علوم المتصرفين ، كالحساب ومعرفة المساحات والمقاسمات ، ثم تبصر بأسباب الوزارة"[(٢)] وقد أنشأ خزانة كتب في درب الخياطين ببغداد[(٣)].

ثالثا : خزائن الكتب العامة :

وتشمل خزائن الكتب العامة الخزائن الموقوفة ، وخزائن كتب المدارس والمساجد والأربطة المنتشرة فى العراق في هذا العصر.

فمن هذه الخزائن خزانة الوقف بالبصرة التى أنشأها أبو علي بن سوار الكاتب على عهد عضد الدولة ، أشار اليها المقدسي[(٤)] عند حديثه عن مدينة رام هرمز حين قال " وبها دار كتب كالتى بالبصرة ، والداران جميعا اتخذهما ابن سوار ..... الا أن خزانة البصرة أكبر وأعمر وأكثر كتبا "،[(٥)] وقد ذكرها الحريرى[(٦)] فى مقاماته حين قال على لسان الحارث بن همام " ..... فلما أبت عن غربتى ، الى منبت شعبتي ، حضرت دار كتبها ، التى هي منتدى المتأدبين ، وملتقى القاطنين منهم والمغتربين ".[(٧)] والمفروض أن تكون هذه الخزانة قد توسعت وأثرت خلال العصر السلجوقى .

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون جـ٢/ص ١١٢٧-١١٢٨ ، كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق / ص ١٨٢ .

(٢) ابن الطقطقى : الفخرى / ص ٣٢٤ .

(٣) ن.م.س /ص ٣٢٣ ، كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق/ ص ١٨٣ ، عن هندوشاه : تجارب السلف / ص ٣٣١ .

(٤) رام هرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان . ياقوت: معجم البلدان جـ٣/ص١٧ .

(٥) المقدسى : أحسن التقاسيم / ص ٤١٣ .

(٦) أبومحمد القاسم بن علي الحريرى (ت ٥١٦هـ/ ١١٢٢م) القفطى : انباه الرواة جـ ٣/ص٢٧٦ ، ياقوت: معجم الأدباء جـ١٦/ص٢٦٧ ، العماد الحنبلي: الشذرات جـ ٤/ص ٥٠ .

(٧) الحريرى : مقامات الحريرى / ص ٢٤ .

ويمكن أن نشير الى خزانة القاضي أبي الفرج بن أبي البقاء التى أنشأها أبوالفتح محمد بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين البصرى (المتوفى عام٤٩٩هـ/١١٠٥م) والتى نهبت بعد وفاته.[١]

ولا شك فى أن خزائن المدارس هي خزائن عامة فقد كان الطلاب والعلماء والأساتذة، يرتادونها ويستفيدون من خدماتها. ومن المعروف أن خزانة المدرسة النظامية قد حوت كل نادر وكل نفيس فى كل فن من المؤلفات، لا سيما وأن هذه الخزانة قد أوقف عليها، اضافة الى محتوياتها الأصلية، الكثير من الكتب والمكتبات، فالخليفة الناصر لدين الله العباسي أوقف عليها من خزانته الخاصة، قال ابن الأثير فى حوادث عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م "وفيها أمر الخليفة الناصر لدين الله بعمارة خزانة الكتب بالنظامية ببغداد، ونقل اليها من الكتب النفيسة ألوفا لا يوجد مثلها"،[٢] ويذكر السبكي فى ترجمته لعبد السلام بن بندار القزوينى (المتوفى عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) أنه "أهدى الى نظام الملك أربعة أشياء لم يكن لأحد مثلها، غريب الحديث لابراهيم الحربى، فى عشر مجلدات، فوقفه نظام الملك بدار الكتب ببغداد"،[٣] كما أوقف المؤرخ محب الدين بن النجار (المتوفى عام ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) "خزانتين من الكتب بالنظامية تساوى ألف دينار، فأمضى ذلك الخليفة المستعصم"،[٤] وذكر ابن الجوزى أن هذه الخزانة كانت تحتوى على ستة آلاف مجلد فى مختلف الفنون حينما كان يرتادها.[٥]

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم جـ٩/ ص١٤٧، ابن الأثير: الكامل جـ١٠/ص٢٨٤.
(٢) ابن الأثير: الكامل جـ٩/ ص٢٢٩، القفطى: أخبار العلماء/ ص١٧٧.
(٣) السبكى: طبقات الشافعية جـ٣/ ص٢٣٠.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٢/ص١٦٦، الكتبى: فوات الوفيات جـ٢/ص٢٦٤، العماد الحنبلى: الشذرات جـ٥/ص٢٢٧.
(٥) ابن الجوزى: صيد الخاطر/ ص٣٦٦ - ٣٦٧.

أما خزانة كتب مدرسة أبي حنيفة التى أنشأها المستوفي شرف الملك أبو منصور العميد الخوارزمي ، والتى افتتحت عام (٤٥٩ هـ/١٠٦٦م)[(١)] فقد احتوت على نفائس الكتب والمصنفات التى وقفت على طلبة العلم.[(٢)] وأورد المؤرخ ابن الساعي البغدادي نصا يشير الى تولي ضياء الدين أبي الفضل أحمد بن مسعود التركستاني أمر الخزانة قال فيه " وليثبت ما بخزانة الكتب من المجلدات وغيرها ، معارضا ذلك بفهرسته ، متطلبا ما عساه قد شذ منها ، وليأمر خازنها بعد استصلاحه بمراعاتها ونفضها في كل وقت ، وأن لا يخرج منها شيئا الا الى ذى أمانة ، مستظهرا بالرهن على ذلك ".[(٣)] ويظهر أنه قد أوقف على هذه الخزانة الكثير من الكتب خلال فترات مختلفة ، اذ تذكر المصادر أنه فى احدى المناسبات أوقف عليها مجموعة كبيرة من الكتب منها تفسير كبير يقع فى ثلاثمائة مجلد ، لأبي يوسف عبد السلام بن محمد بن بندار القزويني (المتوفى عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) أوقفه مؤلفه على طلبة العلم بهذه الخزانة،[(٤)] كما أن ابن جزلة الطبيب البغدادى (المتوفى عام ٤٩٣هـ/١١٠٠م) لما مرض مرض الموت أوقف جميع محتويات مكتبته على خزانة مدرسة مشهد الامام أبى حنيفة.[(٥)]

أما خزانة كتب الوقف بمسجد الزيدى ببغداد، والتى وقفها الشريف أبو الحسن على بن أحمد بن محمد الزيدى (المتوفى عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م) وكان أحد الأعلام العلماء فى هذا العصر. ويذكر سبط الجوزى أنه اشترى دارا بدرب دينار الصغير ببغداد ، وبناها مسجدا ، واشترى كتبا ووقفها على المسجد لينتفع الناس بها.[(٦)]

---

(١) مصطفى جواد : أول مدرسة فى العراق مدرسة الامام أبى حنيفة ، مجلة المعلم الجديد - مجلد ٦/ ص٣٨.
(٢) ابن الجوزى : صيد الخاطر / ص ٣٦٧.
(٣) ابن الساعى : الجامع المختصر جـ٩ / ص ٢٣٦.
(٤) العماد الحنبلى : الشذرات جـ٣/ص٣٨٥، القرشي : الجواهر المضية جـ١/ص٣١٦.
(٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ٩/ص١١٩.

(٦) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨/ص ٢٢٧.

كما أوقف أبو الخير صبيح بن عبد الله الحبشي (المتوفى عام ٥٨٤هـ/١١٨٨م) كتباً كثيرة بمسجد الزيدى. وكذلك أبو الخطاب العلمي عمر بن محمد بن عبد الله الدمشقي الذى قدم بغداد (عام ٥٥٩هـ/١١٦٣م) فقد عاهد الشريف الزيدى على وقف كتبه بمسجد الزيدى، فأرسلها بعد وفاته بدمشق (عام ٥٧٤هـ/١١٧٨م)[١] أما ياقوت الحموى فقد كان يملك مكتبة ثمينة احتوت على العديد من النفائس، أوقفها كذلك على مسجد الزيدى بدرب دينار.[٢]

ومن خزائن الكتب العامة (خزانة كتب الرباط بالحريم الطاهرى) الذى أنشأه الخليفة الناصر لدين الله العباسي بتربة زوجه سلجوقة خاتون (عام ٥٨٤هـ/١١٨٨) والذى سبقت الاشارة اليه، ويذكر ابن الأثير فى حوادث (عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م أنه "في هذه السنة فرغ من عمارة الرباط الذى أمر بانشائه الخليفة الناصر لدين الله"،[٣] ويظهر أنه قد نقل الى الرباط الكثير من الكتب من خزانته الخاصة، وأوكل الأمر في ذلك الى المبشر أحمد الرازى البغدادى.[٤] وكان برباط المأمونية خزانة كتب أشار اليها ياقوت الحموى فى ترجمته لابن الدهان الضرير الواسطي (المتوفى عام ٦١٢هـ/١٢١٥م) قال "وحدثني محب الدين أحمد بن النجار قال: حضر الوجيه النحوى بدار الكتب التى برباط المأمونية ......"،[٥] ويذكر سبط ابن الجوزى أنه وجد برباط المأمونية نحوا من سبعين مجلدا من "كتاب الفنون" لعلي بن عقيل، وفيه حكايات ومناظرات وغرائب وعجائب وأشعار".[٦]

---

(١) مصطفى جواد: الاخاء في الثقافة ووقف الكتب. مجلة الحضارة - العدد ٣٣ / ص ٧ - ٨ والعدد ٣٤ / ص ٧ - ٩.
(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٦ / ص ١٢٧.
(٣) ابن الأثير: الكامل جـ ٩ / ص ٢٢٩.
(٤) القفطى: أخبار العلماء / ص ١٧٧.
(٥) ياقوت: معجم الأدباء جـ ٦ / ص ٢٣٥.
(٦) سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٥١.

رابعا : خزائن الكتب الخاصة :

يندر أن نجد أحدا من العلماء في بغداد خلال فترة البحث الا وله خزانة كتب خاصة ، وقد أشارت المصادر الى بعض تلك الخزائن المشهورة ، والتي كان لأصحابها فضل في ايقافها على طلبة العلم ، بالاضافة الى أن هناك عددا من مشاهير العلماء كانت لهم خزائن ضخمة أوردت مصادر تاريخ الفترة طائفة من أخبارها .

فالخطيب البغدادي الحافظ أحمد بن علي (المتوفى عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) كان يمتلك مكتبة ضخمة أوقفها على المسلمين .[(١)] أما أبو الحسن محمد بن هلال الصابي الملقب بغرس النعمة (المتوفى عام ٤٨٠ هـ/ ١٠٧٨م) فقد ذكر ابن الجوزي أنه " قد ابتنى بشارع ابن أبي عوف دار كتب ، وأوقف فيها نحوا من أربعمائة مجلد في فنون العلوم ، ورتب بها خازنا يقال له ابن الاقساسي العلوي وتكرر اليها العلماء سنين كثيرة " .[(٢)] أما ابن كثير فقد ذكر أن عدد الكتب التي أوقفها غرس النعمة هو أربعة آلاف مجلد .[(٣)]

وكان لعبد السلام بن بندار القزويني خزانة كتب ضخمة ذكر القرشي نقلا عن ابن النجار " وحدثني بعض أهل العلم أن أبا يوسف ورد بغداد ومعه عشرة جمال تحمل دفاتر ، وأكثرها بالخطوط المنسوبة ، ومن الأصول المخبورة في أنواع العلوم".[(٤)] ويؤكد الصفدي ذلك فيقول : " ...... وبعت كتبه في سنين وكانت تزيد على أربعة الاف مجلدة ".[(٥)]

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم جـ٨/ص٢٦٩ ، ياقوت : معجم البلدان جـ١/ص٢٥٩ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩/ص٤٢ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ٢/ص١١٦٣ .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ / ص٣١٦ .
(٤) القرشي : الجواهر المضية جـ١ / ص٣١٦ .
(٥) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق . عن مجلة المعلم الجديد ، العدد ٦ / ص٤٢ .

أما الشيخ السبكي فيذكر أنه " قد اجتمع له من الكتب شيء كثير ، وأنه سكن بغداد ثم سافر الى الشام ثم الى مصر وأقام بها مدة ، ثم عاد الى بغداد وهو يحصل في ذلك الكتب ، وقيل : انه حصل غالبها في مصر في عام الغلاء المفرط..."[١] والمؤرخ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي المغربي الأندلسي (المتوفى عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) كانت له خزانة كتب أوقفها على طلبة العلم.[٢] أما ابن جزلة الطبيب أبو علي يحي بن عيسى (المتوفى عام ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م) فقد كان له خزانة كتب أوقفها على خزانة مدرسة مشهد أبي حنيفة كما مر بنا،[٣] فقد ذكر ابن الجوزي " أنه حصل كتبا نفيسة "[٤] أثناء رحلته العلمية .

أما خزانة كتب القاضي أبي الوفاء سديد الدين يحي بن سعيد بن يحي بن المظفر (قتل عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) فقد كانت خزانة جليلة ، ويذكر ابن الجوزي أنه عندما كبست داره أخرجت كتبه وأحرقت ، وكان فيها كتاب الشفاء ، وكتب اخوان الصفا .[٥]

أما العالم الجليل أمين الدولة أبو الحسن هبة الله ابن التلميذ الطبيب فيذكر ابن أبي أصيبعة أنه " خلف نعما كثيرة ، وأموالا جزيلة ، وكتبا لا نظير لها في الجودة "[٦] ويظهر أن هذه المجموعة تحوي من نفائس الأشعار بالعربية والفارسية والسريانية واليونانية .[٧]

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٣ / ص ٢٣ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٩/ص ٩٦ ، صيد الخاطر / ص ٣٦٧ .
(٣) القفطي : أخبار العلماء/ ص ٢٣٩ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/ص ٣٣٩ .
(٤) ابن الجوزي : المنتظم جـ ١ /ص ١٠٨ .
(٥) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠/ص ١٩٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠/ص ١٧٠ .
(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٥٥ .
(٧) ن.م.س / ص ٣٦٥ .

أما خزانة أبي محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب النحوي العالم (المتوفى عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م) فقد اطلع عليها ابن الجوزي وقال : انها " كانت أحمالا ".(١)

وكان لابن الدهان النحوي الأديب أبي محمد سعيد بن المبارك (المتوفى عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) خزانة كتب أفنى عمره في تحصيلها ، وعندما غرقت أشار عليه بعضهم أن يبخرها باللادن(٢) فبخرها وصعد البخور الى رأسه فأصيب بالعمى(٣) وذلك مما يدل على ضخامتها .

أما علامة العصر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) فقد كان من أشهر علماء عصره ، ونبغ في عدد من الفنون ، وألف ما يناهز المائتين من المصنفات ، وكان جماعا للكتب ، كثير القراءة والاطلاع، وكانت لديه خزانة كتب ضخمة تبعثرت بعد وفاته ، ويبدو أن بعض كتبها قد أحرق .(٤)

ويمكن أن نشير الى المؤرخ الطبيب المشهور بابن المارستانية أبي بكر مجدالدين عبيد الله بن علي بن حمزة البغدادي (المتوفى عام ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢م) الذي كان قد " قوى جاهه وبنى دارا بدرب الشاكرية وسماها " دار العلم " وجعل فيها خزانة كتب أوقفها على طلاب العلم " .(٥) وقد مر بنا ذكر العالم الأديب أبو سعد تاج الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حمدون (المتوفى عام ٦٠٨هـ/ ١٢١١م) الذي قال عنه ياقوت : انه " كان من المحبين للكتب واقتنائها والمبالغين في تحصيلها وشرائها ".(٦) وذكر القفطي أنه كان لأبي الخير مسيحي بن أبي البقاء

---

(١) ابن الجوزي : صيد الخاطر / ص ٣٦٧ .
(٢) اللادن : ضرب من العلوك . ابن منظور : لسان العرب جـ١٣/ص ٣٨٥ .
(٣) الصفدي : نكت الهميان/ص ١٥٩، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣/ص ١٠٢ .
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣/ص ٤٥ .
(٥) الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ ٢ / ص ١٨٧ .
(٦) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٣ / ص ٢١٥ .

الطبيب (المتوفى عام ٦٠٨هـ/ ١٢١١م) خزانة ضمت كتبا كثيرة فى الحكمة وما يتعلق بها ، حيث انها خرجت في الكثرة عن الحصر ، وقيل : انه كان اذا وقعت فى يده نسخة من كتاب وخشي المزايدة فيه ، يخرمه لينقص من ثمنه ويبتاعه ، واشتهر هذا عنه [(١)].

وكان لعبد السلام بن عبد القادر بن جنكي (المتوفى عام ٦١١هـ/ ١٢١٤م) مكتبة ضخمة احتوت كتبا كثيرة في علوم الأوائل ، واتهم بالتعطيل ، وأنه يرجع الى أقوال الفلاسفة ، فكبست داره وأخرجت كتبه وأحرقت [(٢)].

---

(١) القفطى : أخبار العلماء / ص ٢١٨.
(٢) ن.م.س/ ص ١٥٤. سبط الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٢٤٤ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ١٣٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ /ص ٤٥ ، ابن حجر : لسان الميزان جـ ٤ / ص ١٥.

مراكز العلم في العراق في هذا العصر :

ولم تنفرد بغداد في هذه الفترة بكونها مركزا فريدا للعلم والأدب ، بل نافستها في بلاد الرافدين مراكز أخرى امتازت بنشاط الحركة العلمية والأدبية والفكريــة . يقول المقدسي " ان اقليم العراق اقليم الظرفاء ، ومنبع العلماء . . . . . أخرج كل فقيه ومقرئ وأديب وسري وحكيم وزاهد ونجيب "[1] ، ويقول في موضع آخر " والعراق كثيرة الفقهاء والقراء والأدباء والأئمة والملوك . . . . . وقد حصل به عدة من المذاهب، والغلبة ببغداد للحنابلة والشيعة ، وبه مالكية وأشعرية ومعتزلة . . . "[2].

صحيح أن بغداد كانت مركز العلم والعلماء في جميع العصور ، يقول عنهــا المقدسي " وبغداد لأهلها الخصائص والظرافة ، والقرائح واللطافة ، هواء رقيق ، وعلم دقيق ، وكل حسن فيها ، وكل حاذق منها ، وكل قلب اليها "[3].

ان نطاق البحث قد يقصر بالباحث عن أن يوفي الموضوع حقه ، ذلك أن بعض المدن التي ازدهرت فيها الحركة العلمية ، وأثرت وتأثرت بالأوضاع العلميــة والثقافية للعراق هي من مدن أقاليم أخرى مجاورة للعراق ، فمدينة الموصل مثلا هي احدى مدن اقليم الجزيرة ، وكذلك الحال بالنسبة لمدينة سنجار ، أما أربل فهي عاصمة اقليم الجبال ، ومع ذلك فان طبيعة البحث تقتضي المتابعة الدقيقة للمؤثرات والتداخل فيها ، وهذا يستلزم ضرورة الاشارة الى أهمية الأنشطة العلميــة والثقافية في هذه المدن الثلاث على الرغم من أنها لا تخضع اداريا لاقليم العــراق بحدوده التي أشرنا اليها في صدر هذا البحث ، ذلك أن الحركة العلمية قـــد

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم / ص ١١٣.
(٢) ن.م.س / ص ١١٩.
(٣) ن.م.س / ص ١١٩.

ازدهرت ، اضافة الى ازدهارها فى بغداد ، بالموصل خصوصا بعد أن اتخذها الأتابكيون عاصمة لملكهم ابتداء من سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م . فقد امتاز ملوكها بحبهم للعلم ونشر العلوم والمعارف ، ولم يأل كل منهم جهدا فى تشجيع الحركة الثقافية ، فأنشأوا المدارس والمعاهد المختلفة ، ودور الحديث والقرآن والأربطة ، واستقدموا العلماء ، ورغبوهم بما أغدقوا عليهم من الهبات والعطايا الوافرة ، وجعلوا من الموصل مدينة علم وأدب وفن ، يشد اليها الرحال ، ويؤخذ من علمائها وأدبائها . وكانت المدرسة النظامية أول مدرسة أنشئت بالموصل ثم أقبل الملوك الأتابكيون على انشاء المدارس والمعاهد العلمية .(١)

ونبغ فى الموصل فى هذا العصر عدد من الشيوخ والعلماء الأعلام والشعراء ، منهم أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان المعروف بابن فضل الزمان (المتوفى عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م) ، كان عالما فى مجالات شتى ، متبحرا فى علوم كثيرة خلاف مذهبه والأصولين والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق .(٢)

ومن علماء الموصل المعدودين بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد (المتوفى عام ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤م) ولد بالموصل ودرس بها الدين واللغة والتاريخ والأدب ، ثم ارتحل الى بغداد حيث درس فى المدرسة النظامية وعمل معيدا بها ، وبعد عودته الى مسقط رأسه الموصل انتفع بعلمه الكثير من الطلاب ، حيث اشتغل بالتدريس ، وله مصنفات حسان أهمها <u>النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية</u> .(٣)

---

(١) سيتعرض البحث للحديث عن مدارس الموصل فى الباب الثانى ضمن الحديث عن مدارس العراق فى هذا العصر.

(٢) ابن الأثير: <u>الكامل</u> جـ٩ / ص ٢٠٥ .

(٣) ابن خلكان : <u>وفيات الأعيان</u> جـ ٧ / ص ٨٤ ، السبكى : <u>طبقات الشافعية</u> جـ ٥ / ص ١١٥ . وقد تعرض البحث للحديث عن العلماء والأدباء فى الموصل . فى الباب الثالث من هذه الرسالة .

ومن اشتهر من علمائها الشيخ أبو الحرم مكي بن ريان بن شبه النحوى المقرى" (المتوفى عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م) الذى كان عالما بالنحو واللغة والقراءات والفقه والحساب ، والذى لم يكن في زمانه مثله ، وقد رحل اليه الطلاب من كل مكان ، وكانت حلقات درسه تبدأ من الصباح الباكر وتستمر حتى الليل.[1]

وكما نشطت الحركة العلمية فى الموصل ، فانها نشطت أيضا فى مدينة أربل[2] في هذا العصر ، وقد تجلى ذلك فى المدارس العديدة التى أسسها الحكام الأتابكة . وقد تخرج من هذه المدارس رجال شغلوا وظائف رئيسية فى البلاد الاسلامية ، ومن شيوخ أربل ومدرسيها ابن خلكان المؤرخ المشهور (المتوفى عام ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢م)[3] ، ومن أشهر أدباء أربل أبو البركات بن أبي الفتح أحمد المعروف بابن المستوفي (المتوفى عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) الذى نبغ فى مجالات الأدب والشعر والحديث والنحو واللغة ، والذى كان يعقد المجالس العلمية التى تضم الأدباء والشعراء والفقهاء. قال عنه ابن خلكان : " وكان ماهرا فى فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان وأشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها ، وكان بارعا فى علم الديوان وحسابه وضبط قوانينه على الأوضاع المعتبرة عندهم"[4]، ومن أهم مصنفاته تاريخ أربل يقع فى أربع مجلدات ، ويتضمن

---

(١) ابن الأثير: الكامل جـ ٩ / ص ٢٩٠.

(٢) اربل : وهي أربيل الحالية. قلعة حصينة ، ومدينة كبيرة ، تعد من أعمال الموصل وبينهما مسيرة يومين ، قام بعمارتها الأمير مظفر الدين كوكبرى. أنظر : ياقوت : معجم البلدان جـ ١/ ص ١٣٨.

(٣) أحمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان الأربلي المؤرخ الحجة والأديب الماهر صاحب " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " أحسن كتب التراجم الاسلامية وأكثرها ضبطا واحكاما. الكتبى :فوات الوفيات جـ١/ص ١١٠ ،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٧ / ص ٣٥٣.

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ١٤٧ . العماد الحنبلى : الشذرات جـ ٥ / ص ١٨٦.

تراجم الأعيان هذه البلاد[١] ، وقد ساهم ابن المستوفى في نشاط الحركة العلمية في أربل من خلال الندوات الأدبية التي كان يعقدها في منزله . وكان يحب الشعراء ويشجعهم ، ويحب أن يخاطبوه ويخاطبهم بالشعر[٢] . أما مظفر الدين كوكبرى أمير أربل (المتوفى عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) فقد حرص ، رغم ما اشتهر به من قسوة وظلم ومساوىء[٣] على اقامة الندوات العلمية الدينية اذ كان يحب أهل السنةوالجماعة فكان يجتمع عنده أرباب العلوم والفقهاء والمحدثون في ندواته ، ويبدو أنه كان جوادا مع العلماء ، ذلك أنهم نالوا منه الكثير من الصلات والهبات[٤] .

وقد اشتهرت سنجار[٥] احدى مدن الجزيرة كمركز نشطت فيه العلوم والآداب في هذه الفترة ، وقد نسب اليها جماعة كبيرة من أهل العلم[٦] . أما جزيرة ابن عمر[٧] فقد نبغ فيها عدد من العلماء ، منهم أبو طاهر ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران الفقيه الذى جمع بين العلم والعمل ، وقدم بغداد وتعلم بها ، ثم رجع الى الجزيرة ودرّس بها وأفتى ، الى أن توفى عام (٥٧٧هـ/١١٨١م)[٨] .

---

(١) نشره د . سامي الصقار ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ١٤٨ .
(٣) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ / ص ١٣٨ .
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ١١٣ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٥/ ص ١٣٨ ، دائرة المعارف الاسلامية جـ ١ / ص ٥٧٠ .
(٥) سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . أنظر: ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ / ص ١٣٨ .
(٦) منهم أسعد بن يحي بن منصور الشاعر أحد المجيدين المشهورين . ن . م . س ، جـ ٣ /ص ٢٦٣ .
(٧) جزيرة ابن عمر : بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام . ن . م . س جـ ٢ / ص ١٣٨ .
(٨) ن . م . س جـ ٢ / ص ١٣٨ .

ومنهم أبو القاسم عمر بن محمد بن عكرمة الجزري الامام الفقيه الذى وصف بأنه أحفظ من بقي في الدنيا (1) (توفى عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) .

ومن علماء الجزيرة بنو الأثير الثلاثة العلماء الأدباء " (2) .

والخلاصة أن بلاد الجزيرة - وخصوصا المدن المرتبطة بالعراق - كانت مركزا مهما من مراكز الحياة الثقافية فى العصر السلجوقي ، ولقد شمل النشاط جميع المجالات العلمية ، ولا سيما ما يتصل بالعلوم الدينية والأدبية .

أما مدينة واسط (3) فقد كانت مركزا من مراكز الحياة الفكرية فى العراق فى هذا العصر ، وتفيض كتب المحدثين والمفسرين والقراء والتراجم والمؤرخين كالخطيب البغدادى ، وابن الجوزى ، وابن الدبيثي ، وابن النجار بأخبار العلماء الواسطيين . وقد ذكر ابن بطوطة " أن أهل واسط من خيار أهل العراق بل خيرهم على الاطلاق ، أكثرهم يحفظون القرآن الكريم ، ويجيدون تجويده بالقراءة الصحيحة ، واليهم يفد الغرباء لتعلم القرآن " (4) ، ويذكر القرشي أنه " كان بواسط محلة باسم محلة الوراقين " (5) مما يدل على مقدار ما يستعمله العلماء فيها من الورق .

---

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣/ص ٤٤٤ ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢/ص١٣٨ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٤/ص ٢٨٨ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٣ / ص ١٨٩ .

(2) ياقوت : معجم البلدان جـ٢/ص١٣٨ . وسنتحدث فى هذه الرسالة عند الحديث عن نشاط العلوم والآداب " الباب الثالث " عن أبناء الأثير الثلاثة .

(3) واسط : بلدة كبيرة تقع فى الوسط بين الكوفة والبصرة . أنظر ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ / ص ٣٤٧ .

(4) ابن بطوطة : الرحلة / ص ١٧٩ .

(5) القرشي : الجواهر المضية جـ ٢ / ص ١٥٤ .

وكانت واسط تشتهر دون سائر مدن العراق بحفظ القرآن وتجويده ودراسته بالقراءات المختلفة ، مع اهتمام بالحديث وسماعه ، اذ يرد عن جملة من أبنائها من رجال العلم أنهم حفظوا القرآن وقرأوه بالقراءات [(١)] ، وكان جامع واسط من المراكز الرئيسية لتدريس علوم القرآن وحفظه ودراسة الحديث . وكان من علماء العصر الذين كانت لهم مجالس علم بهذا الجامع ، عبد الله بن منصور الباقلاني الواسطي (المتوفى عام ٥٩٣ هـ/ ١١٩٦م) الذى كان عالما بالقراءات ووجوهها [(٢)] .
وكانت بواسط مجالس علم وسماع ، فقد أشار ابن الفوطي الى مجالس السماع التى كانت تعقد بواسط لسماع مقامات الحريرى ، فقال : ان الشيخ كان يمليها " بحق روايته عن جده بحق روايته عن منشئها ، فى مجالس آخرها يوم الثلاثاء جمادى الآخرة سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م بواسط " [(٣)] .

ومن علماء واسط أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار المعروف بابن المنداثى الواسطي (المتوفى عام ٦٠٥هـ/١٢٠٨م) " كان أسند أهل زمانه ، وكان يفتى ويشغل الناس بواسط حتى وافته منيته " [(٤)] .

وقد خرّجت واسط أعدادا كبيرة من طلاب العلم جذبت بغداد أعدادا منهم الوجيه النحوى المبارك ابن الدهان الواسطي (المتوفى عام ٦١٢هـ/١٢١٥م) [(٥)] ،

---

(١) أنظر عنهم : ابن الدبيثى : ذيل تاريخ بغداد جـ١/ص ١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٩ - ابن رافع السلامي : منتخب المختار / ص ص ٥٥ - ١٦٠ - ٢٠٧ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ص ٥٠٩ - ٥١٢ - ٥٣٢ ، ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ص ٧٧ ، ١٨٤ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ - السبكي : طبقات الشافعية جـ١ص ص ٣٨ - ٦١ - ٦٢ - ١٥٢ .

(٢) الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء جـ١/ص ٤٦٠ .

(٣) ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ٥ / ص ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٤) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ١٩١ .

(٥) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨/ص ٥٧٣ ، السبكى : طبقات الشافعية جـ٨/ ص ٣٥٤ .

ومنهم أبو الحسن علي بن أحمد بن داوس القنا الواسطي (المتوفى عام ٦١٢ هـ / ١٢١٥م) المشهور بعلم الأوائل والمتفرد بمعرفة علم النجوم.[١]

أما مدينة البصرة ثغر العراق ، وعاصمة الجنوب ، فقد ازدهرت فيها الحياة العلمية ، وكانت في هذا العصر تزخر بعدد كبير من العلماء البارزين في علوم اللغة والأدب ، فلقد ظهر فيها الأديب المشهور الحريرى صاحب المقامات (المتوفى عام ٥١٦هـ/ ١١٢٣م) وغيره من العلماء الذين نبغوا في العلوم العربية والشرعية ، وكانت المساجد والمكتبات العامة الملحقة بها أسمى ما يتوق اليه العلماء وطلاب العلم ، لذلك فقد كانت هذه الأماكن محل اجتماع العلماء ورواد المعرفة.[٢]

أما مدينة حلة بني مزيد[٣] فقد كانت من مدن العراق المهمة ، ظهرت فيها النهضة الفكرية منذ تأسيسها على يد الأمير صدقة بن مزيد الأسدى (المتوفى عام ٥٠١ هـ/ ١١٠٧م)[٤] ، وكانت مركز كبار علماء الشيعة العلوية وأدبائهم الذين اشتغلوا بالدرس والتدريس . منهم شمس الدين يحي بن الحسن بن الحسين ابن البطريق الأسدى الحلي (المتوفى عام ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣ م) وهو من كبار شيوخ الحديث عندهم ومن أعلام الفقهاء والمتكلمين ، وله آثار عديدة.[٥] ومن علمائها عميد الرؤساء هبة الله بن حامد أبو أيوب الحلي (المتوفى عام ٦١٠هـ/١٢١٣م) اللغوى النحوى الشاعر وصفه ياقوت بقوله" عنه أخذ أهل تلك البلاد الأدب".[٦]

---

(١) القفطى : أخبار العلماء / ص ٢٤٠.
(٢) الحريرى : مقامات الحريرى / ص ٢٤. وفضلا على ذلك فقد كان بالبصرة عدد من المدارس والربط كان لها آثارها في تنشيط الحركة الفكرية في هذا العصر .
(٣) حلة بني مزيد : مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد ، أفخر بلاد العراق وأحسنها. أنظر: ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ / ص ٢٩٤.
(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ١٥٩.
(٥) مؤلف مجهول : انسان العيون في مشاهير سادس القرون - ورقة ١٤٦ ب .
(٦) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٧ / ص ٢٣٦.

لقد انتعشت الحياة الأدبية والشعر في عهد بني مزيد . فكان أمراؤهم يحبون الأدب والشعر ، ولهذا فانهم أغدقوا على الشعراء الذين ماكادوا يسمعون عن كرمهم وحبهم للشعر حتى توافدوا اليهم في الحلة ، فالشاعر محمد بن صالح ابن الهبارية (المتوفى عام ٥٠٩هـ/ ١١١٥م) ألف كتاب الصادح الباغم على طريقة " كليلة ودمنة " في ألفي بيت ، ألفه لصدقة بن منصور [١] . والشاعر أفضل الدولة الأبيوردي (المتوفى عام ٥٠٧ هـ/ ١١١٣م) مدح الأمير صدقة بقصائد عدة ، كما شارك في المسابقات الأدبية التي كانت تعقد تحت رعايته [٢] . ومن شعراء الحلة الشاعر شميم الحلي (المتوفى عام ٦٠١ هـ/ ١٢٠٤م) الذي قال عنه ابن خلكان : انه " كان أديبا فاضلا خبيرا بالنحو واللغة وأشعار العرب " [٣] .

ولعل خير ما يعكس ازدهار الحركة الأدبية والعلمية في الحلة خلال هذه الفترة ما أورده ابن الفوطي حين ذكر الغزو المغولي ببغداد ، وما جلب من اضطرابات اقتصادية ببغداد ندرت بسببها المواد الغذائية وقال : " ان أهل الحلة في هذا الوقت كانوا يأتون بالمواد الغذائية الى بغداد يبيعونها ويشترون بأثمانها الكتب النفيسة " [٤] . وهذا يشير أيضا الى استمرار المكانة العلمية والثقافية للحلة حتى ذلك الوقت .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤/ ص ٤٥٣ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤/ ص ٢٤ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢١٠ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٩ / ص ١٧٦ - ١٧٧ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ٢ / ص ٦١ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ٦٢ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ٣٣٩ .
(٤) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة / ص ٣٣١ .

أما سر من رأى فالمعروف أنه قد نشأ فيها مدرسة منذ عهد السلاجقة ، ولقد كانت مركز طلاب أهل السلف ، وكانت تجرى فيها مناظرات علمية ظهر فيها في هذا العصر عدد من الفضلاء العلماء منهم صدقة بن منجابن صدقة السامري (المتوفى عام ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣م) [١] حكيم متكلم صنف شرح كتاب الفصول لأبقراط ، كتاب الاعتقاد ، كتاب النفس ، كناش في أسامي الأدوية المفردة ، وغيره من العلماء .

.. .. ..

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٧١٧ ، حاجي خليفة : كشف الظنون جـ١ / ص ٥٠٦ ، جـ ٢ / ص ص ١٢٦٩ ، ١٤٦٧ ، ١٥١٩ .

الفصل الثاني

الحركة التعليمية ومراكز التعليم ووسائله

الفصل الثاني

الحركة التعليمية ومراكز التعليم ووسائله

أولا : التعليم العام :

من الواضح أنه لم يكن هناك مراحل معينة للتعليم ، بل كان التعليم يشتمل على مرحلة واحدة تبتدئ بالكتاب ، أو بالمؤدبين ، ثم الانتقال الى الحلقات في المساجد ، أو الالتحاق باحدى المدارس المنتشرة بالعراق في هذا العصر ، هذا بالاضافة الى وجود أماكن متعددة كانت ملتقى لطلاب العلم كالمكتبات ، ومنازل العلماء ، وحوانيت الوراقين ، والأربطة والبيمارستانات حيث كانت تعتبر من جملة مراكز التعليم في هذا العصر. ولقد كان الموسرون من الآباء شديدى الحرص على تعليم أبنائهم ، فلقد كان من ديدنهم أن يصطحبوا أولادهم الى مجالس العلماء ، ويعودوهم على السماع والاستفادة ، فزرعوا في نفوسهم حب العلم[1] .

على أنه لم تكن الظروف مهيئة لجميع طلاب العلم لاكمال دراساتهم بحيث يصبح الطالب شيخا له حلقة أو مدرسا في مدرسة ، فلقد كان الكثير منهم يضطر الى التوقف في منتصف الطريق ، ومنهم من يتعلم القراءة والكتابة فقط ومنهم من يكتفي بحضور حلقات الشيوخ والاستماع الى محاضراتهم في حين كان منهم من يلزم العلم والشيوخ ، وينتقل في البلدان الى أن يصبح علماً من الأعلام .

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد جـ ٦ / ص ٣٢٠ ، جـ ٩ / ص ٢٧٥ ، جـ ١٠ / ١٦٦.

ومن الجدير بالذكر أن التعلم في هذه الفترة ، وان كان خاصا بالذكور ، فانه قد يشمل أحيانا الاناث ، فقد كان الكثير من الفقهاء والعلماء يحرصون على تعليم الفتاة ، حتى نبغ في ديار الاسلام عدد كبير من العالمات . ويرى القابسي (المتوفى عام ٤٠٣ هـ/ ١٠١٢م) أن " تعليم الأنثى القرآن والعلم حسن ومن صالحها "[(١)] ، فقد كان بوسع البنات التعلم في كتاتيب خاصة منفصلة عن كتاتيب الصبيان خشية الفتنة[(٢)] .

وبالاضافة الى ذلك فقد كان بامكان المرأة التعلم والسماع على الشيوخ فى بيوت خاصة كانت تستخدم لهذا الغرض . وأغلب المتعلمات كنّ من بنات العلماء اللائى كن يستفدن من الدروس التى كانت تعقد فى بيوتهن لتعليم الطلاب ، كما هو الحال بالنسبة لابنة القاضي المحاملي العلامة الشافعي الذى كان يلقي دروسه فى بيته[(٣)] ، وقد بلغت هذه الطالبة من العلم مبلغا عظيما حتى صارت تفتى الى جانب أحد كبار العلماء[(٤)] . كما كانت هناك حلقات نسائية خاصة بهن يلقيها بعض الشيوخ ، أو بعض الواعظات كالشيخة شهدة بنت الابرى (المتوفية عام ٥٧٤هـ/ ١١٨٨م)[(٥)] ،

---

(١) القابسي : الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين / ص ٢٩٢ .
(٢) ن.م.ص / ص ٢٩٢ .
(٣) وكان تعرف بأمة الواحد .
(٤) الخطيب : تاريخ بغداد جـ١٤/ ص ص ٤٤٢ ، ٤٤٣ .
(٥) الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ٣ /ص ٢٦٣ ، ناجي معروف : عالمات بغداديات ص ص ١٥ - ١٦ - ١٧ . ولقد أشار الكثير من المصادر التاريخية كالخطيب فى كتابه تاريخ بغداد ، والسمعاني (ت ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م) فى الأنساب ، وابن الدبيثي (ت ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) وابن النجار (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) وابن رافع السلامي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) ورد فى كتبهم عن تراجم علماء مدينة السلام أسماء العالمات والصوفيات والمحدثات والمعلمات والشاعرات والواعظات والفقيهات عن هذه الفترة في بغداد والعراق . منحن الكثير من الاجازات العلمية وحصلن عليها من رواد علماء عصرهن ، وكان الطلبة يتزاحمون عليهن كما كن ينسخن الكتب المختلفة ، وعرف بعضهن بتأليف المؤلفات فى الفقه والحديث واقامة حلقات التدريس المنذرى : التكملة لوفيات النقلة جـ١ /ص ص ١٥٧ - ١٧٦ - ٢٥٩ - ٣٠٤ - ٣٣٤ - ٤٣٥ ، جـ٢ /ص ٣٤ ، جـ٣ / ص ص ٤٠٥ ، ٤١٤ ، ٤١٧ ، كما وأنظر : ناجى معروف : عالمات بغداديات / ص ٧ .

والتي كانت تدرّس مختلف العلوم بعد أن تلقت العلم عن عدد كبير من الشيوخ . وكان والدها قد أحضرها مجالس السماع حتى صارت أسند أهل زمانها ، وما ان أتمت علومها واستوعبت فنونها حتى أخذت تنشر علمها بين الناس. وكانت دارها برحبة جامع القصر خير مقر لتدريسها ، وأصبح مركزا للعلماء والعالمات ، فقد قصدها طلبة العلم من كل صوب ، ودرس عليها أناس أصبحوا من فطاحل العلماء وأئمة الحديث كعبد الكريم السمعاني (المتوفى عام ٥٦٣هـ/١١٦٧م) والمؤرخ المحدث المشهور عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفى عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) وغيرهما من العلماء .

ولقد تحرج وامتنع الكثير من العلماء من أخذ الأجر في التعليم ، خاصة تعليم القرآن. على أن الامام الغزالي كان متشددا في ذلك حين يقول في وظائف المعلم " أن يقتدى بصاحب الشرع ، فلا يطلب على افادة العلم أجرا ، ولا يقصد به جزاء ولا شكورا ، بل يعلّم لوجه الله تعالى "[1] على أن الكثير من العلماء قد أباحوا للمعلم أن يأخذ أجرة عن تعليمه للتلاميذ ، فالقابسي يقول " ولقد ذكر الحارث بن مسكين في تاريخ سنة ثلاث وسبعين أخبرنا ابن وهب قال : " سمعت مالكا يقول : كل من أدركت من أهل العلم لا يرى بأجر المعلمين بأسا ".[2]

وكانت هناك آداب يجب أن يتحلّى بها المعلمون بحيث يكون أمينا عارفا بسياسة الأطفال وبنفسياتهم ، دينا ورعا . هذا ولقد تحدث عن هذه الآداب

---

(١) الغزالي : احياء علوم الدين جـ ١ / ص ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد جـ ٢ / ص ٨١ ، جـ ١٠/ص ٩٠ ، جـ ١١/ص ٣١٦ ، بحشل : تاريخ واسط / ص ص ١١٣ ، ١١٤ ، القابسي : الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين / ص ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

الكثير من المؤدبين العلماء[١] كما كان هناك آداب يجب أن يتحلى بها المتعلمون[٢].

ولقد كانت الكتاتيب[٣] من أهم مراكز تعليم الصغار في هذا العصر، وكان الذين يتولون تعليم الأطفال فيها يسمون المعلمين أو المكتبين ، وكانت هذه المكاتب اما أن تكون في بيوت المعلمين ، أو تكون في أماكن خاصة يتخذها المعلمون لهذا الغرض[٤] وقد يكون الكتاب ملحقا بالمسجد دون أن يكون داخلا فيه ، يقول الامام الشافعي " كنت يتيما في حجر أمي فدفعتني في الكتاب . . . . . فلما ختمت القرآن دخلت المسجد "[٥].

ولقد كان الآباء يدفعون بأبنائهم الى المكتب منذ الصغر في الخامسة أوالسادسة وبعضهم في السابعة أو الثامنة[٦] على أن العام السادس من عمر الطفل يعد المرحلة الملائمة لدخوله المكتب ، ذكر ابن سينا " واذا أتى عليه من أحواله ست سنين فيجب أن يقدم الى المؤدب والمعلم "[٧]، وفي ترجمة ابن أبي أصيبعة لعلي بن رضوان

---

(١) الغزالي : احياء علوم الدين ج١ /ص ٤٨ الى ص ٥٥ في آداب المتعلم والمعلم ، ابن جماعة : تذكرة السامع / ص ص ٤٧ - ٦٧ ، الامام مالك : المدونة ج ٤ / ص ٢٦ ، النواوي : تدريب الراوي / ص ١٢٨ ، ابن عبدون : الوثيقة ص ٢١٤ ، كما قد أشار الى آداب المعلمين الكثيرون غيرهم كابن سينا ، وابن مسكويه ، واخوان الصفا ، وابن عبد البر ، والقابسي . أنظر باب ٣ فصل ٣ من هذا البحث.

(٢) الغزالي : احياء علوم الدين ج ١ / ص ٤٨ الى ص ٥٥ ، ابن جماعة : تذكرة السامع ص ٧٧ ، الزرنوجي : تعليم المتعلم ص ٢٨ .

(٣) الكتّاب : موضع تعليم الكتابة والجمع الكتاتيب ، والمكاتب . والمكتب موضع التعليم . أنظر : ابن منظور : لسان العرب ج ١ / ص ٦٩٩ .

(٤) ياقوت : معجم الأدباء ج ٤ / ص ٢٧٢ .

(٥) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله / ص ٩٨ .

(٦) الغزالي : احياء علوم الدين ج ٣ / ص ٦٢ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ٦ / ص ٤٣٠ .

(٧) ابن سيناء : القانون ج ١ / ص ١٥٧ .

الطبيب (المتوفى عام ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م) نقل عنه قوله " فلما بلغت السنة السادسة أسلمت نفسي في التعلم ".[١] والظاهر أنه كانت هناك كتاتيب لتعليم الخط والقراءة وأخرى لتعليم القرآن ، اذ ترد الاشارة الى أن سعيد بن عطاف الهمذاني (المتوفى عام ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م) كان يعلم الصبيان الخط ، وله مكتب بقراح أبي الشحم ،[٢] وأن يحيي بن المبارك الزبيدي البغدادي (المتوفى عام ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) كان له مكتب بشارع دار الرقيق يعلم فيه الصبيان الخط ،[٣] كما كان محمد بن أحمد بن داود المؤدب (المتوفى عام ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م) يسكن بالقريّة[٤] من دار الخلافة وله هناك مكتب يعلم فيه الصبيان الخط والحساب.[٥] يقول ابن جبير " وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلاد المشرقية كلها انما هو تلقين ، ويعلمون الخط والأشعار وغيرها تنزيها لكتاب الله عز وجل عن ابتذال الصبيان له بالاثبات والمحو ، وقد يكون في أكثر البلاد الملقّن على حده ، والمكتب على حده ، فينفصل من التلقين الى التكتيب ".[٦]

وعليه فهناك نوعان من الكتاتيب ، أحدهما للقراءة والكتابة ، والآخر لتلقين القرآن وتعلم أصول الدين ، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن خلدون " ولتعليم الخط عند أهل المشرق قانون خاص ، ومعلمون له على انفراد ".[٧] أما ما يتعلمه الطفل في

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٥٦١.

(٢) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٢١٠. وقراح أبي الشحم : محلة من أربع محلات معروفة ببغداد باسم قراح. ياقوت : معجم البلدان جـ٤ /ص٣١٥-٣١٦.

(٣) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٢١٠.

(٤) القرية : محلة كبيرة ببغداد وهي حريم دار الخلافة. ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ / ص ٣٤٠.

(٥) ابن الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة السلام جـ ١ / ص ١٢٢.

(٦) ابن جبير : الرحلة / ص ٢٧٢.

(٧) ابن خلدون : المقدمة / ص ٣٩٨.

المكتب فكان القراءة والكتابة والقرآن[1] والاعراب والهجاء والنحو والعربية[2] والحساب[3] .

ولقد ظهر الامام أبو حامد الغزالي (المتوفى عام ٥٠٥هـ/ ١١١١م) فى هذا العصر كواحد من رواد العلم ورجال التربية المعدودين ، فالغزالي كان معلما لجميع أفراد المجتمع في عصره ، بما كان يكتب ويصنف من مصنفات تتناول شتى الموضوعات ، فلقد كتب الغزالي في شئون التربية والتعليم والتهذيب فى عدد من مؤلفاته ، على أن أهم آرائه التربوية والتعليمية ظهرت في كتبه احياء علوم الدين ، فاتحة العلوم ، أيها الولد ، الرسالة اللدنية ، ميزان العمل . والدارس لهذه الكتب من بين مؤلفاته يدرك أن الغزالي قد ناقش الكثير من الأمور التربوية والتعليمية المهمة ، بل وضع نظاما تربويا شاملا ، فتعرض لأهمية العلم والعلماء ، ومكانتهم عند الله وعند الناس ، وكيف أن الاشتغال بالعلم أشرف الأعمال ، بل هو عبادة وتقرب الى الله[4] . وتعرض الغزالي الى تقسيم العلوم فقسمها الى المحمود والمذموم[5] ثم وضع للمعلم صفات مهمة اذا اتصف بها فانه يعد معلما لائقا ناجحا[6] . ولقد اهتم الغزالي أيضا بتربية النشء وتهذيب العقل بالمعرفة ، وتهذيب النفس بالعبادة ، فيقول : ان التربية الدينية يجب أن تبدأ فى سن مبكرة ، ذلك لأن الصبي في هذه السن يكون مستعدا لقبول العقائد الدينية والايمان بها دون أن يطلب عليها دليلا[7] ، كما أوصى بأن يتعلم الطفل في المكتب القرآن ، وأحاديث الأخبار ، وحكايات الأبرار وأحوالهم ، وبعض الأحكام الدينية، والشعر[8] ، كما تكلم

---

(١) القابسي : الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين / ص ٢٩٣ ، ابن سحنون: آداب المعلمين ص ص ٥٠ - ٥٦ .
(٢) القابسي : الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين / ص ٣٠٦ .
(٣) ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق / ص ٢٠ ، ابن الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة السلام ج ١ / ص ١٢٢ .
(٤) الغزالي : احياء علوم الدين ج١ /ص ١٣ ، فاتحة العلوم / ص ١٥ .
(٥) الغزالي : احياء علوم الدين ج ١ / ص ٢٧ .
(٦) ن . م . س ، ج ١ / ص ص ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ .
(٧) ن . م . س ، ج ١ / ص ٨٣ .
(٨) ن . م . س ، ج ٣ / ص ٦٣ .

عن الوسائل والطرق الحكيمة في كيفية التعامل مع الأطفال ، وتعرض للثواب والعقاب ، وكيفية تعويد الأطفال على مكافحة هوى النفس والصبر والخشونة .[(١)]

ولقد جرى العرف في القرون الاسلامية ، أن ينتدب الخلفاء وميسورو الحال لأبنائهم معلمين خاصين للتدريس لهم في قصورهم بدلا من ارسالهم الى الكتاب وقد يطلق على هؤلاء المعلمون اسم المؤدبين ، وكان المؤدب من هؤلاء يقوم بمثل العمل الذى يقوم به المعلم مع الاختلاف في المنهج والمكانة الاجتماعية ، حيث حظى المؤدبون بمكانة طيبة ورعاية خاصة ولم يكن يتولى هذه المهمة الا كبار العلماء وأفاضل الأدباء ، ممن يوثق بدينهم وعلمهم وقدراتهم التربوية . وقد تولى أحمد بن عبد الوهاب بن هبة الله (المتوفى عام ٥١٤ هـ/ ١١٢٠م) ، المعروف بمؤدب الخلفاء ، تعليم أولاد الخليفة المستظهر بالله ،[(٢)] وكان هؤلاء المؤدبون يعلمون تلاميذهم أصول الدين وحسن الأدب وفن النظم[(٣)] ، ولقد حفظ ابن خلدون نصا يمثل منهجا تربويا وتعليميا جيدا وهو وصية الخليفة هارون الرشيد للأحمر[(٤)] معلم ولده الأمين حيث قال له " يا أحمر ، ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصيّر يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعرّفه الأخبار ، وروّه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وأمنعه من الضحك الا فى أوقاته ، ولا تمرنّ بك ساعة الا وأنت مغتنم فائدة تفيده اياها ، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه . . . . "[(٥)] ، وهذا

---

(١) الغزالي : احياء علوم الدين جـ ١/ ص ٨٣ .
(٢) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٣ / ص ٢٢٧ .
(٣) الخطيب: تاريخ بغداد جـ ٣ / ص ١٨٣ .
(٤) هو على بن الحسن المعروف بالأحمر مؤدب المأمون العباسي وشيخ النحاة فى عصره صنف من الكتب تفنن البلغاء ، التصريف . ياقوت :معجم الأدباء جـ٥/ص١٠٨، ابن الانبارى : نزهة الألباء ص ١٢٥ ، السيوطى : بغية الوعاة ص ٣٣٤ ، القفطى : انباه الرواة جـ ٢ / ص ٣١٢ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ١٢/ص١٠٤ .
(٥) ابن خلدون : المقدمة / ص ٣٩٩ .

النص وان لم يكن يتعلق بفترة البحث الا أنه يقرب الصورة ، ويكشف ما يؤمله الخلفاء من مربي أبنائهم. لقد كان باب التعليم مفتوحا لكل من شاء ، بعد أن يكمل الطالب الكتاب ، ومتى استطاع الطالب أو من يعوله أن يوفر ما يلزم للتفرغ للدراسة ومقتضياتها ، اذ كان عليه أن يتحمل أساسا نفقات لباسه ومعيشته وسكناه وأقلامه وأوراقه وكتبه ، وما الى ذلك . على أن بعض الطلبة الفقراء قد تمكنوا من فتح طريقهم الى مراقي العلم بالصبر والجلد ، وما توفر لهم من فرص من تبرعات الموسرين ،أوما خصص على سبيل الوقف أو الصدقات . ولقد كان بوسع بعض الطلاب أحيانا السكن في المساجد أو دور الضيافة الملحقة بها أو المدارس مع احتراف حرفة أو عمل تدر عليهم ما يسد تكاليف معيشتهم مع استمرار دراستهم. على أن هناك عددا من الأغنياء ممن ألمحنا اليهم والشيوخ الميسوري الحال أو التلامذة الأغنياء الذين كانوا يقدمون المساعدة في أحيان كثيرة للمحتاجين من الطلاب النابهين المعسرين (1) .

وبالامكان أن نقسم الطلاب الى فئتين : طلبة عارضين ، وآخرين منتظمين ، وتشمل الفئة الأولى أعدادا كبيرة من رجال الأعمال والعمال المتسببين ، وغيرهم ممن يحضر الدروس بين حين وآخر ، ولاسيما مجالس الوعظ والاملاء وحلقات العلم ، غير أنهم لا يواصلون دراستهم ولا يواظبون تحصيلهم العلمي .

أما الطلبة المنتظمون فقد كانوا يقضون شطرا كبيرا من حياتهم في مواصلة التعليم، وغالبيتهم يقومون برحلة أو رحلات في سبيل الحصول على قدر أكبر من المعرفة ، أو للدراسة على عدد أكبر من مشاهير المشايخ في التخصصات التي يرغبون فيها .

وللطالب حرية في الاختيار للحلقة التي يريد الجلوس فيها والتخصصات التي يميل اليها ، وهكذا فانه يختار الشيوخ الذين يريد الدراسة على أيديهم ، وذلك

---

(1) الخطيب : تاريخ بغداد جـ ٨ / ص ١٩٤ - ٤٢٨ ، جـ ٩ / ص ٢٧٥ - ٤٥٦ .

حسب الهدف الذى حدده كل منهم لحياته العلمية . وكانت مواعيد الدراسة والحلقات والوعظ تحدد من قبل الشيوخ والمعلمين في الفترة الممتدة من بعد صلاة الفجر وحتى منتصف الليل مابين محاضرات ومناظرات واستملاء ومناقشات وسماع ووعظ .[1]

والمسجد مدرسة المسلمين الأولى حافظ طوال العصور السابقة لفترة البحث على مكانته التعليمية ، واستمر يؤدى نفس الدور خلال العصر السلجوقي ، وهكذا فقد ظل للمسجد دوره الرائد ، ومهمته الكبرى في التعليم رغم المدارس التى انتشرت فى مدن العراق في هذا العصر فلقد ظلت المساجد الجامعة والمساجد الأخرى[2] الأماكن الأساسية للدراسة والسماع والاملاء والوعظ والمناظرات العلمية، فقد كانت ملتقى العلماء وطلاب المعرفة . وتفيض المصادر التاريخية في الحديث عن مساجد بغداد ومساجد مدن العراق الأخرى ، وتسهب فى وصف حلقات العلم المنتشرة فيها ، وحشود الطلاب المنصرفين الى التعليم ، أو سماع الوعظ والاملاء .

وقد اشتهر بعض العلماء بملازمتهم للتدريس والوعظ بالمساجد ، منهم الخطيب البغدادى (المتوفى عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) الذى كان يعقد مجلسا علميا للاملاء[3] بجامع المنصور ببغداد[4] ، الذى كان مجمعا لآلاف التلاميذ يتلقون علومهم على يد

----

(١) الخطيب : تاريخ بغداد جـ ٥ / ص ٤٦٩ ، جـ ٦ ص ص ٤٢ - ٢٧٤ - ٣١٤ ، جـ ٨ / ص ص ٢١٤ - ٢١٥ - ٣٢٣ ، جـ ٩ / ص ١١ ، جـ ١١ ص ص ١٧٨ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٤٥٦ - ٤٥٧ .

(٢) لقد كان هناك عدد كبير من المساجد في بغداد أحصي منها أحد الباحثين مالا يقل عن ٥٧ مسجدا كانت جميعها مراكز للتعليم فى هذا العصر. أنظر : منيرالدين أحمد : تاريخ التعليم عند المسلمين / ص ص ١٢٠ - ١٣٤ .

(٣) الاملاء : الاملاء والاملال على الكاتب واحد ، وأمليت الكتاب أملي واستمليته سألته أن يمليه علي . ابن منظور: لسان العرب جـ ١٥ / ص ٢٩١ .

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد جـ ٦ / ص ١٧٤ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ١ /ص٢٤٦ .

أكابر العلماء"[1] . وكان منهم علي بن عبيد الله المعروف بابن الزاغوني (المتوفى عام ٥٢٧ هـ/ ١١٣٢م) الذى كان يناظر يوم الجمعة قبل الصلاة فى جامع المنصور المذكور ثم يعظ بعد الصلاة ، ويجلس فيه يوم السبت يملي في حلقته الخاصة[2] .

وبعد وفاة الزاغوني تولى حلقته أبو علي الحسن بن حمد الفقيه الواعظ (المتوفى عام ٥٤٦ هـ/ ١١٥١م) . ويظهر أن ابن الجوزى عبد الرحمن قد حاول أن يليهما عنه ، غير أنه لم يمكن من ذلك لصغر سنه[3] . ولقد كان جامع المنصور هذا مجمعا للأدباء وأفاضل العلماء والشعراء ، فقد كانت تعقد فيه مجالس أدبية عصر كل يوم جمعة[4] . ومن فطاحل النحاة الذين كانوا يدرسون فيه : هبة الله بن علي الشجري (المتوفى عام ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧م) الذى "كان يجلس يوم الجمعة بجامع المنصور ، مكان ثعلب[5] ناحية الرباط "[6] . وفي بغداد الشرقية - أى الرصافة - حيث جامع القصر[7] الذى يعرف بجامع الخليفة حيث كانت تقرأ العهود ، وفيه يصلي الخليفة وكبار رجال الدولة ، وفيه تؤخذ البيعة العامة . وكان هذا الجامع مركزا لعلماء

---

(١) ويعد جامع المنصور ببغداد الذى شيده سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م من أشهر المراكز التعليمية في الاسلام ، فقد ظل طوال العصور العباسية مركزا للعلماء وطلاب العلم الذين كانوا يحضرون حلقات الحديث والفقه والتفسير والأدب . وقد كان التحديث بجامع المنصور يتطلب الحصول على اجازة خاصة من نقيب الأشراف أو غيره. الخطيب : تاريخ بغداد جـ١ /ص ١٠٧ - ٣٥٤، جـ٣/ص ص ٢١٢ -٢٣٨-٤٠١ .. آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع جـ ١ / ص ٣٣٢ .

(٢) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ٣٣٩ .

(٣) ن.م. ص جـ١ / ص ٢٢٠ .

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد جـ٨ / ص ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، جـ ١١ ص ٣٥١ ، جـ١٢ / ص ص ٩٥ - ٩٦ .

(٥) أبو العباس أحمد بن يحي بن زيد بن يسار النحوى المعروف بثعلب (ت٢٩١هـ/٩٠٣م) أنظر : ابن النديم : الفهرست / ص ٧٤، ياقوت : معجم الأدباء جـ٢/ص ١٣٣ ، الخطيب : تاريخ بغداد جـ٥ / ص ٢٠٤ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ١٣٠ .

(٧) بناة الخليفة العباسي المهدى (١٥٩هـ-٧٧٥هـ) شرقي بغداد ، ياقوت : معجم البلدان جـ٣ /ص ٤٦، العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ١/ص ٢٤٥ .

الحديث ورجال اللغة والأدب[١]. فقد حدث فيه العالم المحدث محمد بن عبد الباقي المعروف بقاضي المارستان (المتوفى عام ٥٣٥ هـ/ ١١٤٠م)[٢] وقد قال عنه تلميذه ابن الجوزي : انه " كان ثقة فهما ثبتا حجة متفننا في علوم كثيرة متفردا فى علم الفرائض "[٣].

ومن أئمة اللغة الذين درّسوا بهذا الجامع أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي البغدادى (المتوفي عام ٥٤٠هـ/١١٤٥م)[٤] صاحب المعرب[٥]. وقد تولى حلقته بعده ابنه اسماعيل (المتوفى عام ٥٧٥ هـ/ ١١٧٩م)[٦] ، الذى كان يدرّس الأدب كل جمعة فى نفس الجامع[٧].

وكان لفخر الدين أبى محمد اسماعيل بن عبد الله البغدادى الحنبلى (المتوفى عام ٦١٠ هـ/ ١٢١٣م) حلقة خاصة للمناظرة في جامع القصر[٨] ، كما كان لمحمد بن أحمد بن يحي أبى عبد الله الديباجي (المتوفى عام ٥٢٧هـ/ ١١٣٢م)[٩] مجلس خاص في هذا الجامع أيضا ، حيث كان ينظر في مسائل الخلاف ويفتى على مذهب الامام الشافعي[١٠].

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد جـ١ /ص ١٠٩ ، جـ٣/ص ١٠٤ ، جـ١٠/ص ص ٦٨-٣٦٦ - ٤٣٣ ، جـ ١١ /ص ص ١٩٧-١٩٨ ، جـ١٢/ص ص ٢٤٧- ٢٤٨- ٣٠٨ ، جـ١٤ص ص ١٩٤ - ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٢) عنه أنظر ابن الجوزى : المنتظم جـ١٠/ص ٩٤ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ١٩٤.

(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ١٠/ ص ٩٤.

(٤) عنه أنظر ابن الأنبارى : نزهة الألباء / ص ٤٧٣ ، السيوطى : بغية الواعاة/ص ٤٠١.

(٥) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ٢٤٧.

(٦) اسماعيل بن موهوب بن أحمد الجواليقي ، كان عالما باللغة والعربية والأدب . ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ٢٥٠.

(٧) ن٠م٠ص / جـ ١٠/ ص ٢٥٠.

(٨) ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ٣ / ص ١١٥.

(٩) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٦ / ص ٨٨.

(١٠) ن٠م٠ص جـ ٦ / ص ٨٨.

وتذكر المصادر أن عبد الله بن علي المعروف بسبط الخياط (المتوفى عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م) شيخ العراق ، ورأس أصحاب الامام أحمد ، كان طول عمره منفردا فـي مسجد أبي عبد الله بن جرده بنهر المعلى[1] ببغداد الشرقية ، وكان مقصدا لأكابـر العلماء ولطلاب العلوم الشرعية[2] .

ومن بين مشاهير العلماء صدقة بن الحسين الذى انقطع بمسجده بالبدرية شرقي بغداد يؤم الناس فيه ، ويفتي ويقصده الطلبة ليتعلمون عليه ، وقد استمر على ذلـك نحوا من سبعين سنة حتى توفى عام (٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)[3] .

ويقدم لنا عبد الرحمن ابن الجوزى وصفا شيقا لتلك المجالس العلمية ومجالـس الوعظ والتى كان يعقدها هو لعامة الناس في الجوامع ، والتى كان يحضرها أعداد هائلة من المستمعين تفوق حدود التصور[4] ، فقد نقل تفصيلات عن المجالس العلميـة فى بغداد ، وما كان يدور فيها من فتاوى ومحاورات ، وما يعكس ذلك من نشـاط ثقافي كان له أبعد الأثر في تنشيط الحركة الفكرية والعلمية للخاصة والعامة مـن طلاب العلم فى هذا العصر .

ولقد أسهمت المجالس العلمية التى كانت تعقد فى الجوامع ، وقصور الخلفـاء والوزراء ، ومنازل العلماء ، وحوانيت الوراقين ، ومجالس الوعظ والتذكير والأربطة بالعراق في احياء نهضة علمية شاملة في هذا العصر ، وهي وان لم تكن وسائل منظمة للتعليم الا أنها أسهمت اسهاما كبيرا فى التطور الثقافي والفكرى والتعليمى خـلال فترة البحث .

---

(١) نهر المعلى : محلة من محلات الرصافة ببغداد ، وفيها دار الخلافة تنسب الى المعلى بن طريف مولى المهدى ، وكان من كبار قواد الرشيد . ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ / ص ٣٢٤ .

(٢) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ٢٠٩ .

(٣) ن.م.س جـ ١ / ص ٣٣٩ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ص ٢٤٣ - ٢٥٢ .

ولقد مر بنا تشجيع الخلفاء والسلاطين ووزرائهم لمثل تلك المجالس العلمية حيث كان يحظى رجال العلم والشعراء فيها بالهبات والصلات الجزيلة. وقد حكت لنا كتب الفقه ، وكتب التراجم والطبقات ، مناظرات كثيرة جرت بين أصحاب المدارس الفقهية من أتباع الأئمة أحمد والشافعي ومالك وأبي حنيفة في بغداد . كما نقلت لنا صورا أخرى عن مناقشات ومعارضات حصلت بين الفقهاء والمحدثين . كما تضمنت كتب الأدب والنحو التى ألفت في هذه الحقبة معلومات موسعة عن مناظرات جرت بين علماء النحو واللغة والأدب في هذا العصر ، ونشير هنا الى الفصل الممتع الذى عقده السيوطي في أحد مؤلفاته القيمة [(١)] .

ولقد كانت دور الوزراء في هذا العصر مجمعا لأهل العلم والفضل والأدب ، حيث كانت تعقد بها المجالس العلمية المختلفة ، فهناك مجالس المذاكرة ، التى لم يكن لها عادة مكان ثابت ، أو وقت محدد لعقدها ، وكانت هذه المجالس خاصة بتبادل الآراء والمعلومات بين طلبة الحديث خاصة ، [(٢)] لكنها تطورت عندما صار العلماء يتباحثون في الحديث سوية في مجالس مفتوحة يحضرها الطلبة ، ثم تحولت هذه المجالس الى مؤسسة تعليمية ذات قواعد محددة حيث تتناول هذه المجالس فنون الأحاديث وأسانيدها ورجالها جرحا وتعديلا [(٣)] .

ولقد مرّ بنا كيف كانت مجالس المذاكرة تعقد في دار الوزير ابن هبيرة (المتوفى عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) والتى كانت مجمعا للعلماء والفقهاء والمحدثين ليلا ونهارا ، وكيف كانت تعقد بحضرته مجالس المذاكرة في الحديث حيث كان يقرأ عنده الحديث عليه وعلى الشيوخ بحضوره ، حيث يحصل من البحث والفوائد الشيء الكثير [(٤)] . فقد ذكر

---

(١) السيوطي : الأشباه والنظائر في المناظرات والمجالس والفتاوى والمكاتبات والمراسلات جـ ٣ / ص ٥ ١٠
(٢) منير الدين أحمد : تاريخ التعليم عند المسلمين / ص ٥٨ .
(٣) الخطيب : تاريخ بغداد جـ١ / ص ص ٢٣١ - ٣٣٠ - ٣٣١ ، جـ٢/ص ص ٧٦ - ٧٩ ، جـ ٤ / ص ص ١٩٧ - ١٩٨ - ٣٤٣ .
(٤) الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ ٣ / ص ٢٤٨ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ٢٥١ .

ابن الجوزى ، مثلا فى حوادث عام ٥٧١ هـ/ ١١٧٥م بأنه " فى يوم الجمعة تاسع رجب استدعانا صاحب المخزن للمناظرة ،فحضر فقهاء بغداد ولم يتخلف الا النادر"[1].

أما مجالس الفتوى والنظر فكان الغرض منها اصدار الفتوى ، وربما تم عقدها مرة فى الأسبوع[2] وتكون عادة مفتوحة للجميع ، وكان الطلبة يحرصون على حضورها وتدوين الفتاوى التى تصدر فيها ، كما تتاح لهم الفرصة لمشاهدة الجانب العملى لتطبيق الأحكام الفقهية التى درسوها على شيوخهم. واضافة الى ذلك فلقد كانت تعقد أحيانا مجالس أدبية خاصة فى بيوت الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة[3].

أما الأساتذة والمعلمون والشيوخ فكان لهم امتياز لا يعلوه امتياز آخر ، اذ لم يكن هناك أكثر تشريفا من العمل الذى يتولونه، وخاصة الشيوخ فى المدارس الكبرى كالنظامية ، ومدرسة مشهد الامام أبي حنيفة . وقد لعب العلماء والأساتذة دورا خطيرا فى المجتمع فى هذا العصر ، خصوصا أولئك الذين كانوا يتمتعون بمكانة علمية واجتماعية كبيرة فى قلوب عامة الناس كالماوردى ، وأبى اسحاق الشيرازى ، والامام الغزالي ، وأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى . وغيرهم كثيرون ممن كان لهم كلمة مسموعة فى الدولة ، وقد قربهم الخلفاء والوزراء بما أهلهم أن يلعبوا دور الوسيط بين الحاكم والمحكوم ، بل أصبحوا لسانا للعامة ، وممثلين لهم أمام الخلفاء والوزراء الذين كانوا يقدمون لهم المساعدة ، ويلبون طلباتهم، ويدعونهم الى مجالسهم ، ويستمعون الى مناظراتهم. ولعل الدافع الأكبر من وراء هذا هو كسب العامة بالنظر الى ما يتمتع به العلماء من مكانة عالية لدى الخلفاء والوزراء ، واضافة الى ذلك فان هذه المكانة العالية تعكس تقدير الخلفاء للعلم وأهله .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ٢٥٧ .
(٢) منيرالدين أحمد : تاريخ التعليم عند المسلمين / ص ٦٠ .
(٣) ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ٣ / ص ٣٥١، العماد الحنبلى : الشذرات جـ٤/ ص ٣١٣، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ٣٩٢ .

كان الخلفاء العباسيون يدعون العلماء لالقاء دروسهم في مدارس وجوامع بغداد ، وكان السلاطين ووزراؤهم يوفدون العلماء الى بغداد للتدريس بالنظامية[١] كما كان الخلفاء يقلدون العلماء مناصب مهمة في الدولة كالوزارة وامارة الحج والقضاء والامامة والكتابة والحسبة[٢] .

ومما هو جدير بالذكر أن هناك عددا قليلا من العلماء كانوا ينادمون الخلفاء ، ويجالسونهم ويحادثونهم ، ويشيرون عليهم ، غير أن هذا الصنف يمثلون أقلية محدودة من العلماء ، ذلك أن الخلفاء غالبا ينصب تذوقهم على الأدب والشعر[٣] . كما أن غالبية العلماء كانوا يتصفون بالورع والزهد ويتحفظون من التقرب من الحكام ، لكنهم على الرغم من ذلك لم يعطوا ضد السلطة ، بل كانوا أميل الى النصح والارشاد والتذكير ، ومع أن حجة الاسلام أبا حامد الغزالي قد أوصى العلماء بأن يتحرزوا من شرور السلطة فانه أوصاهم أن ينتهزوا كل الفرص لحث المسئولين على الالتزام بالشريعة وتطبيق العدل والاستقامة[٤] . ولقد اعتبرت منازل الكثير من العلماء أماكن طيبة للتعليم ، وقد أسهمت في نشر العلم ، فقد كان يجتمع فيها العلماء والمتعلمون[٥] وكانت تدور فيها المناقشات العلمية والمحاورات والمناظرات التي كانت تتناول فروع العلم المختلفة كالحديث والفقه وعلم الكلام واللغة والأدب .

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد جـ ١/ص ٦٧ .

(٢) ن.م.ص جـ ٤ / ص ٢٣٢ ، جـ٥ / ص ٤١١ ، جـ٧/ص ٥١ ، جـ٩/ص ٤٦٧ . جـ ١١/ص ٤٤١ ، جـ ١٢/ص ١٤ ، وكان أبو المظفر عون الدين يحي بن هبيرة من كبار علماء بغداد ، قلده الخليفة المقتفي الوزارة زمنا طويلا . ابن الطقطقي : الفخري / ص ٣١٢ .

(٣) الخطيب : تاريخ بغداد جـ٩/ص ٢٧٥ ، جـ ١١/ص ١٥١ .

(٤) الغزالي : احياء علوم الدين جـ١ / ص ١٤٠ .

(٥) فقد كانت دار أبي القاسم عبيد الله بن علي بن محمد بن الحسين (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٢م) مجمعا للعلماء تدور فيها مناقشات علمية وأدبية. العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ٢٦٤ .

وكان لهذه المجالس العلمية ، والتي كانت تعقد في منازل العلماء ، بالغ التأثير في التعليم ، والوعي الثقافي ، والحركة الفكرية في هذه الفترة ، ذلك أنها استلزمت أن يكون المتناظرون على معرفة جيدة بشتى العلوم مع الالتزام بقواعد وآداب المناظرة .

وقد حاول الامام الغزالي جاهدا توضيح شروط المناظرات العلمية وآدابها وحذر من أن يساء استعمالها فخصص لها فصلا في كتابه " احياء علوم الدين "[1] وهو يشير الى فوائدها ، شريطة أن يتولاها من هو أهل لها ، وأن يلتزم بقواعدها وآدابها[2] وربما يجتمع لدى الشيخ من طلبته ومريديه في منزله يسألونه في كثير من الأحيان عن قضايا علمية غامضة ، وربما يجيئونه في بيته من أجل أن يلقى عليهم الدروس . فلقد مر بنا فخر الدين أبو محمد اسماعيل بن عبد الله البغدادى الحنبلى (المتوفى عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م)[3] الذى كان يدرّس في منزله، ويحضر عنده الفقهاء[4] ، كما تذكر المصادر في هذا المجال أن محمد بن أحمد بن هبة الله الغزارى الضرير (المتوفى عام ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م)[5] كان عالما بالنحو والقراءات ، وأنه قد انقطع في بيته فقصده الناس للقراءة عليه[6] .

وعندما اتهم على بن محمد الفصيحي (المتوفى عام ٥١٦هـ/ ١١٢٢م)[7] بالتشيع، وعزل عن المدرسة النظامية بعد أن كان من مشاهير مدرسيها ، وجلس في داره

---

(١) الغزالى : احياء علوم الدين جـ ١ / ص ٤١ .
(٢) ن.م.ص جـ ١ / ص ٤١ .
(٣) ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ٣/ص ١١٥ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ٢ / ص ٦٧ .
(٤) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ٢ / ص ٦٧ .
(٥) الصفدى : نكت الهميان / ص ٢٣٧ .
(٦) ن.م.ص / ص ٢٣٧ .
(٧) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٥ / ص ٤١٥ . ابن الأنبارى : نزهة الألباء /ص ٢٧٤ ، القفطى : انباه الرواة جـ ٢ / ص ٣٠٦ .

فقصده الكثيرون لمواصلة القراءة عليه.[١]

ولم تكن المجالس العلمية مقتصرة على العلماء ، فقد برز في بغداد والعراق عدد من العالمات في تخصصات متنوعة كعلوم الشريعة ، والأدب ، والشعر . ولعل أشهرهن العالمة شهدة بنت الابرى البغدادية ،[٢] التى استطاعت بثقافتها وفصاحتها وعلمها أن تأخذ مكانها بين مشاهير العلماء وفطاحل المدرسين حتى حضرتها الوفاة عام (٥٧٤هـ/١١٧٨م).

ومن الأماكن التى أسهمت في حركة التعليم والتثقيف في العراق فى هذا العصر حوانيت الوراقين ، ذلك أنها لم تكن مجرد أماكن لبيع الكتب ، حيث كان الكثيرون من أصحابها يتمتعون بمعرفة واسعة وعلم غزير وثقافة عالية ، هذا بالاضافة الى معرفتهم الجيدة بالكتب أنواعها وقيمتها العلمية . فقد كانت حوانيتهم مجمعا للعلماء والأدباء ومحبى الكتب الذين ما يكاد ينتظم عقدهم حتى تتعالى أصواتهم بالنقاش والمحاورة .[٣] ولقد وصف ابن الجوزى سوق الوراقين ببغداد في عصره فقال " انها مجالس للعلماء والشعراء" ،[٤] ويذكر الخطيب البغدادى أنه سمع من أحد العلماء فى دكان أحمد بن العباس بن اسحاق الوراق[٥] ويقول حِتي عن حوانيت الوراقين" أما باعة الكتب فكان أكثرهم من الخطاطين أو النساخين أو المتأدبين الذين لم يجعلوا حوانيتهم مخازن للكتب فحسب بل مراكز للأبحاث الراقية ".[٦]

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٥/ص ٤١٥ ، ابن الأنبارى : نزهة الألباء /ص ٢٧٤ .
(٢) سبق الحديث عنها في هذا المبحث .
(٣) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق / ص ص ٨ - ٢٥.
(٤) ابن الجوزى : مناقب بغداد / ص ص ٢٦ - ٢٨.
(٥) الخطيب : تاريخ بغداد جـ ٢ / ص ٧٨.
(٦) حتى : تاريخ العرب جـ ٢ / ص ٥٠٢.

أما مجالس القصاص[1] والمذكرين[2] فقد كانت من الظواهر المميزة للنشاط العلمي في العراق في العصر السلجوقي ، ذلك أن مجالسهم قد انتشرت في هذا العصر، خصوصا في القرن السادس الهجري ، الى درجة كبيرة ، ويظهر أن الذين تصدوا

---

(١) القاص : هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها . وهذا في الغالب عبارة عمن يروي أخبار الماضين . ابن الجوزي : كتاب القصاص والمذكرين / ص ١٥٧ .

(٢) وجدير بالذكر هنا أن نؤكد أن القصص في أول الاسلام كان يعتبر وسيلة من وسائل خدمة الدين ، وأن مفهومه عند أكثر المسلمين لم يختلف عن مفهوم الوعظ الديني ، وأنه كان يروى ليتعظ به الناس بمن سلف من الأمم ، وأنه في ذلك يشترك اشتراكا واضحا مع القصص القرآني الذي كانت غاية الوعظ والارشاد هي الموجه الأول له قال تعالى :"فاقصص القصص لعلهم يتفكرون" (الأعراف ١٧٦) ، وقال عز من قائل :" لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب" (يوسف ١١١) ولذلك نجد عامة المصادر الاسلامية لا تكاد تتحدث عن القصص الا وهو مرتبط بالوعظ والتذكير . وكتاب ابن الجوزي " كتاب القصاص والمذكرين" خير دليل لذلك ، كما أن الخطيب البغدادي في كتابه : تاريخ بغداد جـ١٢/ص ٧٦ ، يصف مواعظ علي بن محمد المصري بلفظ (قصص) . ويذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين جـ١ / ص ٣٦٨ أن عمرو بن قائد أبا علي الأسواري قصّ ستا وثلاثين سنة ، وكان حافظا للسّير ولوجوه التأويلات ، وكان يقص في فنون من القصص ويجعل للقرآن نصيبا من ذلك ، وذكر أبو طالب المكي في " قوت القلوب " جـ ٢/ص ٢٥ ، أن زيادا النميري أتى زاوية أنس بن مالك فطلب منه هذا أن يقص ، لكنه امتنع قائلا : ان الناس يزعمون أنها بدعة ، فقال له أنس : ليس شيء من ذكر الله بدعة . كما وذكر المقدسي (المتوفى عام ٣٨٨هـ/٩٩٨م) مجالس المذكرين في بيت المقدس ، فذكر أنه رأى لأصحاب الامام أبي حنيفة بالمسجد الأقصى مجلس ذكر يقرأ فيه المذكر على الحاضرين من دفتر ثم أردف ذلك بقوله موضحا حقيقة هذه المجالس فقال : " وأن المذكرين به قصاص ، المقدسي : أحسن التقاسيم / ص ١٨٢ . وتشير المصادر الى قدوم الواعظ أبي القاسم القشيري (المتوفى عام ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢م) الى بغداد فقال الخطيب :"انه حدث بها وقص في مسجدها وكان في ذلك كله ثقة حسن الموعظة" أنظر :

الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد جـ١ / ص ٢٧٤ .

العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٣ / ص ٣٢٠ .

لهذه الصناعة لم يكونوا من المستويات المطلوبة ، فلقد قال ابن الجوزى " ثم خسئت هذه الصناعة فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور عندهم المميزون من الناس ، وتعلق بهم العوام والنساء ، فلم يتشاغلوا بالعلم ، وأقبلوا على القصص وما يعجب الجهلة ، وتنوعت البدع في هذا الفن ".(١)

والظاهر من كلام ابن الجوزى هذا أن الوعظ والتذكير في هذا العصر أصبح نوعا من القصص الديني ، الذى هو عبارة عن ايراد أخبار وسيرة السلف الصالح من الأنبياء والأولياء والصحابة والتابعين ، حيث يقول " وكم منهم من يزوق عبارة لا معنى تحتها ، وأكثر كلامهم اليوم في موسى والجبل وزليخا ويوسف ".(٢)

أما الوعظ والتذكير فقد اشتهر به جماعة كبيرة في العراق في هذا العصر وكان على رأس هؤلاء جميعا أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (المتوفى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) والذى وفق في تقديم دراسة مفيدة عنهم ،(٣) ذلك ان ابن الجوزى عاش حتى نهاية القرن السادس ، وبذلك أدرك من شأن القصص والقصاص مالم يدركه غيره ، حيث كان شديد الوطأة عليهم لمعرفته بجهلهم ، وتفاهة ما يقدمونه ، وخطرهم على العلم والثقافة . فسماهم أهل البدع كما مر ذكره .(٤)

ولقد تطور فن القصص وتشعب الى أشكال مختلفة ، طبقا لمضامينها وأغراضها كالقصص السياسي ، والقصص العسكرى ، وكان لها جميعا آثار متفاوتة في الأوضاع الاجتماعية والفكرية والسياسية في ذلك العصر ، من حيث توجيه الناس نحو مجالات سياسية أو اجتماعية أو أدبية أو مذهبية ، لاسيما بعد أن أصبح للقصاصين مكانة واضحة في المجتمع ، مما رفع شأن القاص ومكانته الاجتماعية . وقد برز بعض هؤلاء

---

(١) ابن الجوزى : تلبيس ابليس / ص ١٢٣ .
(٢) ن . م . س / ص ١٢٥ .
(٣) أنظر كتابيه : كتاب القصاص والمذكرين ، وكتاب تلبيس ابليس / ص ١٢٣ .
(٤) ابن الجوزى : تلبيس ابليس / ص ١٢٣ .

القصاص فى قدرتهم فى السيطرة بيسر وسهولة على العامة من أصحاب النفوس الضعيفة، والعقول البسيطة ، بالكذب والحيل وحلو الكلام ، مما دفع الفقيه ابن الجوزى الى أن يذم القصص بصورة عامة ، ويرى فيها بدعة . وبذلك فرق بين المشتغلين به وبين الوعاظ والمذكرين ، الذين يغلب على مجالسهم القصص القرآني وحديث الايمان بقوله " ان هذا الفن ثلاثة أسماء ، قصص ، وتذكير ، ووعظ "[(١)] . ويحاول ابن الجوزى هنا أن يفرق بين القصص والوعظ والتذكير تفريقا يرفع من شأن الوعظ والتذكير ويحط من شأن القصص . فيقول : ان التذكير " تعريف الخلق نعم الله عز وجل عليه ، وحثهم على شكره وتحذيرهم من مخالفته "[(٢)] ، ويقول فى تعريف الوعظ بأنه" تخويف يرق له القلب "[(٣)] . ثم يقرر ابن الجوزى أن الوعظ والتذكير والقصص بمعنى واحد فى قوله " واذ قد صار اسم القاص عاما للأحوال الثلاثة "[(٤)] ، ثم قال بعد تعريفه للقصص " وهذا لا يذم لنفسه لأن فى ايراد أخبار السالفين عبرة لمعتبر ، وعظة لمزدجر . . . "[(٥)] ، ويقول : " ان القصص مذموم ، والتذكير والوعظ محمود ان بقوله " وانما كره بعض السلف القصص لأحد ستة أشياء"[(٦)] .

ونجد لابن الجوزى شروطا تذكرنا بالشروط التى نص كتاب كتب الحسبة على لزوم توفرها فى المحتسب ، قال بضرورة توفرها فى القصاص والمذكرين حيث يقول " ولا يمكن لأحد ممن يتصدى لهذا الفن الا من اشتهر بين الناس بالدين ، والخير والفضيلة ،

---

(١) ابن الجوزى : كتاب القصاص والمذكرين / ص ١٥٤ ، وهكذا نجد أن القصص فى القرن السادس الهجرى وهو العصر الذى عاشه ابن الجوزى ، قد اختلف لونه وتشعبت مذاهبه فابن الجوزى يقول " كان الوعاظ في قديم الزمان فقهاء وقد حضر مجلس عبيد بن عمير عبد الله بن عمر وكان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القاص ، ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال" ابن الجوزى : تلبيس ابليس / ص ١٢٣ .

(٢) ن.م.س / ص ١٥٩ .

(٣) ن.م.س / ص ١٦٠ .

(٤) ن.م.س / ص ١٦٠ .

(٥) ن.م.س / ص ١٥٧ .

(٦) ن.م.س / ص ص ١٥٨ - ١٥٩ .

وأن يكون عالما بالعلوم الشرعية وعلم الأدب ، حافظا للكتاب العزيز ولأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخبار الصالحين وحكايات المتقدمين ، ويمتحن بمسائل يسأل عنها من هذه الفنون ، فان أجاب والا منع ".[1]

ولقد كان للقصاصين آثارهم على النواحي الأدبية ، فقد أسهموا في تطوير عناصر القصة الأدبية. أما في الاطار التاريخي فقد كانت السيرة النبوية وأخبار الصحابة والتابعين والقصص الشعبي تمثل المادة الأساسية التي وجدت طريقها منذ أمد بعيد الى مؤلفات الأخباريين والمؤرخين. وهو ما أمكن استمرار ملاحظته في فترة البحث. أضف الى ذلك أنه عند البحث في أحوال البلدان وعادات المجتمعات وأعرافها وتقاليدها نجد أن القصص الشعبي يشكل مادة دسمة للكتابة ، تسهم في التعرف على أحوال البلدان والشعوب ومعرفة تفصيلات شئون حياتهم ومعاشهم .

ولم يتوقف أثر القصص عند هذا الحد في هذا العصر ، بل اتخذ مسارا جديدا متميزا قرب فيه من الخيال بقدر ما ابتعد عن التأثر والتأثير في الحياة الجادة ، ذلك أنه سار في مجال آخر اختلطت فيه الخرافة بالمتعة والتسلية ، وكان الدافع لذلك الرغبة في الحصول على المال والجاه ، وكان لابد أن يصاحب هذا التطور تبديل للمكان التقليدي الذي كانت تعقد فيه مجالس القصص الديني ليتناسب مع الوضع الجديد ، وهكذا خرج القصاصون من المساجد الى الأماكن العامة ، كالطرقات والأسواق ، واتخذ بعضهم منبرا يجلس عليه ، وربما تيسر لبعضهم توفير الحصر والبسط والتزين بالثياب ، والتبخر بالزيت والكمون ليصفر وجهه ليجلب لنفسه قدرا أكبر من الاحترام والمكانة.[2] ولقد استنكر ابن الجوزي على هؤلاء ما يجري في مجالس قصصهم من التطريب والغناء في القراءة ، والسجع في الدعاء ، أو استعانتهم ببعض الأبيات من شعر العشق وغيرها ، فيقول " تأملت أشياء تجري في مجلس

---

(١) ابن الجوزي : كتاب القصاص والمذكرين / ص ص ٣٥٩-١٨٠ .

(٢) ن.م.س / ص ٣٦٠ .

الوعظ يعتقدها العوام وجهال العلماء قربة وهي منكر ، وذلك أن المقرئ يطرب ، ويخرج الألحان الى الغناء ، والواعظ ينشد بتطريب أشعار المجنون وليلى ، فيصفق هذا ، ويخرق ثوبه هذا يعتقدون أن ذلك قربة "[1] الى أن يقول : ان " الواعظ مأمور بأن لا يتعدى الصواب ، ولا يتعرض لما يفسد العوام ، بل يجذبهم الى ما يصلح بألطف وجه - الى أن يقول - .... ولقد رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب ، الا أن يمزج بالرقائق والنظر فى سيرة السلف الصالحين ......"[2].

وقد ظهر فى العصر السلجوقي بالعراق عدد عظيم من الوعاظ والمذكرين لاسبيل الى حصرهم ، كان أشهرهم أبو القاسم القشيرى (المتوفى عام ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) الذى سبق أن أشرنا الى خبر قدومه الى بغداد ، ووعظه فى النظامية والمسجد الجامع .

أما ابن الجوزى فان أغلب المصادر التاريخية تشير الى أنه كان من رؤوس المذكرين في زمانه بل ان ابن الجوزى نفسه قد أشار الى ذلك حينما أرخ سيرته الذاتية فى كتابه " المنتظم " وقدم معلومات مفصلة عن مجالس الوعظ التى كان يقيمها ، والأعداد الغفيرة من مختلف طبقات الناس الذين كانوا يحضرون مجالس وعظه ، والتى كان يحضرها بعض الخلفاء أحيانا ، والتى كانت تعقد فى المساجد والساحات العامة حيث يشتد الزحام فيها حتى تقفل الطرقات ، وتسد الأزقة بالمستمعين الذين يتركون أعمالهم وأسواقهم ، وقد يشتد الزحام الى درجة كبيرة حتى ان المنازل المطلة على ساحة الوعظ كانت تمتلئ أسطحها ونوافذها بالمستمعين[3]

---

(١) ابن الجوزى : صيد الخاطر / ص ٧٥ .
(٢) ن . م . س / ص ١٧٤ .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١/ص ص ٥٣- ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ . ولقد تحدث ابن الجوزى عن مجالس وعظه فقال " لقد تاب على يدى فى مجالس الذكر أكثر من مائتى ألف ، وأسلم على يدى أكثر من مائتى نفس ، وكم سالت عين متجبر بوعظى لم تكن تسيل ... ولقد جلست يوما فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف مافيهم الا قد رق قلبه أو دمعت عينه " . ابن الجوزى : صيد الخاطر / ص ١٩٢ .

وهذا ان دل على شئ فانما يدل على ماكان عليه المجتمع من الوعي وحب العلم وتقدير العلماء الأفاضل والاعتزاز بهم. ولقد حضر الرحالة المشهور ابن جبير (المتوفى عام ٦١٤هـ/١٢١٧م) مجلسين من مجالس الوعظ التى كان يقيمها ابن الجوزى فبين ماكان عليه هذا الواعظ الفذ من قوة فى البيان، وروعة فى التأثير فى قلوب الناس. كما أنه حفظ لنا وصفا معبرا لمشاعر الناس نحوه وما فعلوه من شدة الوجد، وعظيم التأثر، ومدى انعكاس ذلك عليه، فأشار فى معرض تقويمه لمجالس الوعظ هذه الى أن أهوال الرحلة ومتاعبها تهون كلها مقابل الاستمتاع بحضور مجلس وعظ هذا الشيخ الجليل. يقول ابن جبير: "أتى ابن الجوزى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ، وآيات بينات من الذكر طارت لها القلوب اشتياقا، وذابت بها الأنفس احتراقا. الى أن علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يلقي ناصيته بيده فيجزها، ويمسح على رأسه داعيا له، ومنهم من يغشى عليه ....، فشاهدناه هولا يملأ النفوس انابة وندامة، ويذكّرها هول يوم القيامة. فلو لم نركب البحر، ونعتسف مفازات القفر الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابحة، والوجهة المفلحة الناجحة".[1] ثم يذكر ابن جبير أبيات ذكرها ابن الجوزى لم يزل يرددها مرات عديدة حتى تأثر الواعظ نفسه، وبدا عليه الانفعال الشديد، كما انفعل الحاضرون، فأجهشوا بالبكاء، حتى ارتفع صوت نحيبهم وسقط بعضهم على الأرض يقول: "ولم يزل يرددها والانفعال قد أثر فيه، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه ....، ونزل عن المنبر دهشا عجلا، وقد أطار القلوب وجلا، وترك الناس على أحر من الجمر، يشيعونه بالمدامع الحمر. فمن معلن بالانتحاب، ومن متعفر في التراب. فياله من مشهد ما أهول مرآه".[2]

---

(١) ابن جبير: الرحلة / ص ١٩٧ - ١٩٨.
(٢) ن.م.س / ص ١٩٩.

يتضح من هذه النصوص مدى تأثير الوعظ والتذكير في هذا العصر في نفوس الناس وما كان له من الأثر في توجيه الناس الى مذاهب دينية محددة أو انقيادهم الى تنظيمات معينة بكل يسر وسهولة .

ووصف ابن جبير بعد ذلك كيف أرسل المستمعون أسئلتهم الى ابن الجوزى وكيف أجاب الشيخ عليها ليبين لنا أسلوبا تعليميا وثقافيا ، له منهجه وطريقته في ذلك العصر ، وكانت الأسئلة تدور حول أمور تتصل بأحكام الشرع ، أو ببعض القضايا الخاصة ، وربما شملت ما يدور في الأذهان ، ويشغل التفكير من أمور الحكم والسياسة ، لاسيما فيما يتعلق منها بالخلافة ، تلك المشكلة الحساسة والخطيرة ، التى كانت الشغل الشاغل لأذهان الناس خاصة بعد ظهور تلك التيارات الدينية والسياسية ، والتى كان لكل منها وجهة نظرها الخاصة فيها . وما هو جدير بالملاحظة أن مجالس الذكر في هذه المرحلة كان لها منهج خاص وأسلوب محدد من حيث بداية الذكر ، والموضوعات التى يدور حولها الذكر ، ثم المناقشة والأسئلة .

ويبين ابن الجوزى في هذا الصدد خطوات المنهج المندوب بقوله : " ان من واجب الواعظ بعد أن يصعد المنبر ويسلم على المستمعين أن " يقرأ القرآن على وجه الترتيل ، فاذا فرغ حمد الواعظ الله ، وأثنى على رسوله عليه السلام ، ودعا للامام والرعية ، فاذا كانت له صناعة في انشاء خطبة أو كان يحفظ خطبة ذكرها ثم ذكر تفسير الآيات التى قرئت ، فاذا أنهى الكلام في التفسير أجاب عن سائل ان سئل ، ثم أمر القرّاء بالقراءة وبعدها يعظهم "[1] ثم يستطرد ليوضح طبيعة هذه المواعظ ، وما يجب أن تتناوله من أمور الدين كالفرائض والمعاملات وغيرها، بالاضافة الى ما يفيدهم في أمور دنياهم .

---

(١) ابن الجوزى : كتاب القصاص والمذكرين / ص ٢٦١ .

ويبدو أن بعض الوعاظ فى هذا العصر قد تعرضوا لمواقف محرجة بسبب التزامهم بقول الحق والدفاع عن الحدود الشرعية ، فعندما قدم الفقيه المروزى أبو الحسن اردشير بن منصور بغداد (سنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٢م) [١] أعجب فقهاؤها بعلمه، وفتنوا بحديثه ، وعقدت له مجالس للوعظ بالمدرسة النظامية ، كان يحضرها المشايخ والأئمة كالغزالى أبى حامد وغيره ، وأقبل الناس على مجالسه ، وازدحمت حلقاته بشكل منقطع النظير ، ولكن سرعان ما انقلب عليه من كان يحضر مجالسه ، ولعلهم كانوا من أصحاب التجارة والنفوذ والمال ، عندما تحدث عن الحرام والحلال فى البيع والشراء والمعاملات والقروض . بل ان ذلك قد أدى الى تبلور موقف معارض تجاه هذا الفقيه الجليل بلغ حدا منع فيه من الوعظ ، بل تعدى ذلك الى اخراجه من بغداد [٢] .

ومن الأماكن المهمة التى كان لها أثر كبير فى اثراء الثقافة ونهضة التعليم فى العراق خلال هذا العصر الربط ، وقد أطلق الرباط فى صدر الاسلام على رباط الخيل ، مستمدا من قوله تعالى : " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " [٣] ، ومنه أخذت المرابطة ، أى ملازمة ثغر العدو. يقول مارسيه " غير أننا نجد أن صفة هذه الرباطات قد تغيرت فى الشرق ، أى فى البلاد التى أصبحت بنجوة من تهديد الكفار ، وعزف أهله عزوفا تاما عن التدريب

---

(١) الواعظ العبادى ، أكثر من الوعظ بالمدرسة النظامية . ابن الأثير: الكامل جـ ٨/ ص ١٦٨ .

(٢) ن.م. ن جـ٨/ ص ١٦٨ ، ولقد عقد ابن جبير في كتابه " الرحلة " عنوانا هاما عن الوعاظ ببغداد في هذا العصر حيث استمع الى وعظ ابن الجوزى وغيره من الوعاظ المبرزين الموجودين في بغداد فى هذه الفترة فيقول " وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواه من وعاظ بغداد " / ص ٢٠٠ .

(٣) الأنفال آية (٦٠) .

العسكرى واستبدلوا به حياة قوامها الزهد ، والتقشف وترديد الصلوات التى كانت سنة الرباطات القديمة ، وقد كان تطور التصوف وتشعب المتصوفة فرقا وطرائق منذ القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) هو العلة التى بررت استمرار هذه التكنات باتخاذها زوايا وتكايا"[1] ، وهكذا صارت الربط في هذا العصر تطلق على الأماكن التى يرتادها الصوفية للعبادة والانقطاع الى الله ، والتوبة ومجاهدة النفس ، والحد من شهواتها كما أصبحت تؤدى خدمات اجتماعية ودينية اضافة الى دورها الثقافي في الوعظ والاقراء والتحديث[2] والسماع والافتاء ومنح الاجازات العلمية وتصنيف الكتب . ومما ساعد على ذلك أن الواقفين لهذه الرباطات قد أنشأوا فيها الخزائن ، وأوقفوا فيها الكتب ، وعينوا لها القوّام والخزائن ، فكان الزهاد والمتصوفة يترددون على مكتباتها ، وكذلك كان يفعل الطلاب الذين يرحلون فى طلب العلم . وكان العلماء يتخذون من الربط أماكن للقراءة والمطالعة والاستنساخ والتأليف يساعدهم على ذلك مكتبات الربط العامرة وامكانية مكوثهم فيها أوقاتا طويلة ، وما يتهيأ لهم فيها من معونة بشرية تتمثل في الطلاب والمتصوفة الذين كانوا على استعداد تام للتعاون طلبا للثواب ولعل ذلك ما يفسر أن أغلب كتب التصوف ألفت في الربط .[3]

ولقد كثرت الربط في بغداد وسائر مدن العراق ولعل أقدمها في بغداد الرباط المعروف برباط الزوزني[4] والذى كان في الأصل رباطا لأبي الحسن علي بن ابراهيم

---

(١) مارسيه : دائرة المعارف الاسلامية جـ ١ / ص ٢٢ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١ / ص ١٠٠ . وتجدر الاشارة الى أنه كان هناك أربطة خاصة بالنساء الزاهدات ، يجتمعن فيها للعبادة والحديث والوعظ ، ونشير هنا الى رباط المحدثة فاطمة بنت الحسين ابن الحسن بن فضلوية الرازى (ت ٥٢١هـ/ ١١٢٧م) الذى كان يجتمع فيه الزاهدات. ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ٧ .

(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٤) أبو الحسن علي بن محمود بن ابراهيم الصوفي (ت ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م) . الخطيب: تاريخ بغداد جـ ١٢ / ص ١٥، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ٢١٤ ، العماد الحنبلي: الشذرات جـ ٣ / ص ٢٨٨ .

البصرى (المتوفى عام ٣٧١هـ/ ٩٨١م) والذى ذكره ابن الجوزى فقال " انه كبرت سنه فصعب عليه المجيء الى الجامع فبنى له الرباط المقابل لجامع المنصور ، ثم عرف بصاحبه الزوزني "[١] ولقد تمكن أحد الباحثين[٢] من احصاء الربط البغدادية فتوصل الى خمسة وثلاثين رباطا منها على سبيل المثال لا الحصر " رباط الأخلاطية " أو الخلاطية نسبة الى السيدة سلجوقة خاتون بنت السلطان قلج أرسلان ملك بلاد الروم والذى افتتح عام ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م وقد بناه الخليفة الناصر لدين الله العباسي[٣] . و " رباط البديع " أبو المظفر عبد الصمد بن الحسين بن عبد الغفار الزنجاني الواعظ الملقب بالبديع (المتوفى عام ٥٨١هـ/ ١١٨٥م)[٤] . و " رباط البسطامي " أبو الحسن البسطامي الصوفي الزاهد (المتوفى عام ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م)[٥] . و " رباط أرجوان " الرومية والدة المقتدى بأمر الله (المتوفية عام ٥١٢ هـ/ ١١١٨م)[٦] . و " رباط بهروز " مجاهد الدين أبو الحسن بهروز بن عبد الله الرومي (المتوفى عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م)[٧] و " رباط شهدة " بنت الابرى العالمة المشهورة (المتوفية عام ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م)[٨] . و " رباط بنفشه " حظية الخليفة المستضىء والذى بنته سنة ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م بسوق المدرسة[٩] ، و " رباط زمرد خاتون " (المتوفية عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) وهى زوجة

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ / ص ١١٠ .
(٢) مصطفى جواد : الربط البغدادية (مجلة سومر ـ المجلد العاشر ـ من ص ٢١٨ حتى ص ٢٤٩ ـ سنة ١٩٥٤م .
(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨ / ص ٤٢٢ ، الأشرف الغساني : العسجد المسبوك جـ ١ / ص ٢٠٥ .
(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ١٠ / ص ١٤٧ .
(٥) ابن الأثير : الكامل جـ٨ / ص ١٩٦ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ٩ / ص ١١٦ ، صيد الخاطر / ص ٢٣٩ ، ابن الفوطي : الحوادث الجامعة / ص ٤ .
(٦) الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ٣ / ص ٢٥٧ .
(٧) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ١٥٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ / ص ٢٧٧ .
(٨) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ٢٨٨ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٩ / ص ١٤٧ .
(٩) ابن الجوزى : المنتظم جـ١٠ /ص ٧ - ٨ - ١٢٥ ، ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٦٥ .

الخليفة المستضئ بالله وقد شيدت هذا الرباط سنة ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣م[١].

ان هذه الربط وأمثالها ببغداد ومدن العراق الأخرى كان لها دور بارز في حياة الناس الثقافية في العصر السلجوقي ، ففيها كان يلتقى العلماء والمفكرون للدراسة والبحث والمناظرة ، وفي مكتباتها يجد عشاق الكتب وهواة المعرفة نفائس الآثار وروائع المصنفات ، وفي الربط كان يقيم طلبة العلم المغتربون الذين كانوا يقصدون بغداد للدراسة ، كما يقيم فيها بعض الشيوخ المتصوفة ، كما كان ينزل فيها كثير من العلماء والفقهاء عند مرورهم أو حين عودهم من الحج فيلتقون مع شيوخها للمناقشة والدراسة . فرباط السيدة خاتون أم الخليفة الناصر لدين الله بالمحلة المأمونية في الرصافة ، ألحقت به خزانة كتب جليلة كان من بينها مثلا كتاب الفنون لأبي الوفاء بن عقيل الذى قرأه سبط ابن الجوزى ، وذكر أنه نحو من سبعين مجلدا[٢].

وأشار ياقوت الحموى الى أنه قد " حضر الوجيه النحوى بدار الكتب التى برباط المأمونية ، وخازنها يومئذ أبو المعالي أحمد بن هبة الله ، فجرى حديث عن أبي العلاء المعرى ، فذمه الخازن المذكور ، وقال : كان عندى فى الخزانة كتاب من تصانيفه فغسلته ، فقال له الوجيه : وأى شئ كان هذا الكتاب ؟ قال : كان كتاب نقض القرآن فقال له : أخطأت فى غسله ، فعجب الجماعة منه وتغامزوا عليه ، فقال له الخازن : مثلك ينهى عن مثل هذا ، يعنى أنه رجل مسلم ، قال : ودارت مناقشة ومحاورة بينه وبينهم حتى أقتنع الحاضرون بقول الوجيه "[٣] ، ولعل فى هذا ما يعكس نموذجا للنشاط الفكرى والثقافي مما كان يجرى في هذه الربط. وتشير المصادر الى أنه كان برباط الخلاطية خزانة كتب جليلة أنشأها الخليفة الناصر

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ٩/ ص٢٦١، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨/ص ٣٦٥ ، الأربلى : خلاصة الذهب المسبوك / ص ٢٠٧ .

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٨٤ .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٩ / ص ٢٣٥ .

لدين الله ، وقد ذكر سبط ابن الجوزى فى ترجمته للناصر لدين الله أنه نقل الكتب السنية بالخطوط المنسوبة ، والمصاحف الشريفة الى المدرسة النظامية ، ورباط الأخلاطية ، والى رباط الحريم الطاهرى.(١)

وكان من شيوخ الأربطة من يقوم باقراء القرآن وتدريس الحديث ، ومن هؤلاء أبو الأزهر محمد بن محمد الصوفي الواسطي المقرىء ، فانه نزل بغداد ، وأقام برباط أرجوان والدة المقتدى حتى توفي عام ٥٧١ هـ/ ١١٧٥م . وكان قد أقرأ القرآن بالرباط مدة ، وحدث به.(٢) وقد ذكر ابن الجوزى أنه سمع الحديث برباط بهروز على شيخ الرباط أبي نصر أحمد بن منصور الهمذاني الصوفي (المتوفى عام ٥٣٦ هـ/ ١١٤١م).(٣)

وقد تقوم بعض الأربطة بمهمة المدرسة ، فمثلا كان رباط ابن النحال البغدادى (المتوفي عام ٦٥٩ هـ/ ١٢٦٠م)(٤) بباب الأزج مجمعا للفقراء وأهل الدين والغرباء الذين كانوا ينزلون به ، ويذكر ابن العماد أن الاشتغال والدراسة فيه كانت أفضل من سائر المدارس(٥) ، وقد سكنه أكابر العلماء والرحالين في طلب العلم ، كالشيخ موفق الدين المقدسي ، والعماد الأصبهاني.(٦)

ولقد جرى تصنيف عدد كبير من الكتب فى الأربطة ، مثل ذلك ماقام به أبو بكر محمد بن موسي الحازمي (المتوفى عام ٥٨٤ هـ/ ١١٨٨م) الذى كان يسكن رباط " البديع الزنجاني " شرقي بغداد . فقد كان يدخل حجرته بالليل فيظل يقرأ ويكتب

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨ / ص ٦٢٧ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ٥ / ص ٢٩٠ .

(٢) الذهبى : المختصر المحتاج اليه جـ ٣ / ص ٢٥٧ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ٩٩ .

(٤) اليونينى : ذيل مرآة الزمان جـ ١ / ص ٤٧١ .

(٥) العماد الحنبلى : الشذرات جـ ٥ / ص ٣٨ .

(٦) ن.م.ص جـ ٥ / ص ٣٨ .

حتى الفجر . وقد صنف الحازمي في هذا الرباط كتاب الناسخ والمنسوخ في الحديث ، وكتاب عجالة المبتدىء في الأنساب [١] . كما صنف وجيه الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عمويه السهروردي (المتوفى عام ٥٣٢ هـ/ ١١٣٧م) كتاب التاريخ المجاهدي حيث صنفه على السنين ، وجمع فيه ما وقع من الأحداث حتى سنة ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦م وقد أهداه الى والي العراق مجاهد الدين بهروز . والشيخ شهاب الدين عمر بن محمد البكري السهروردي (المتوفى عام ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) ، يعد كتابه المشهور عوارف المعارف من الكتب التي ألفت في الربط [٢] .

ثانياً : الرحلة في طلب العلم :

والرحلة في طلب العلم تعتبر من أهم مميزات جهود المسلمين في هذا المجال ، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال دراسة تراجم الآلاف من العلماء في هذا العصر ، فقد ارتحل هؤلاء الى مناطق نائية سعيا وراء العلم والمعرفة غير مبالين بما يعترضهم من مشقة وعناء ، وجهد ونفقة ، بجانب متاعب السفر وصعوبته ومخاطره في ذلك الوقت وما يكتنفه من عراقيل وبطء في وسائل المواصلات ، وما يتطلبه ذلك من استعدادات وتجهيز القوت ، ويبدو أن الطلبة كانوا يعتمدون على أنفسهم أثناء رحلاتهم العلمية الى الأقطار البعيدة ، قال الخطيب : " ولو كان حكم المتصل والمرسل واحدا لما ارتحل كتبة الحديث ، وتكلفوا مشاق الأسفار الى ما بعد من الأقطار، للقاء العلماء والسماع منهم في سائر الآفاق " [٣] .

---

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ١٥٣ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ٤٤٦ ، ابن الفوطي : الحوادث الجامعة / ص ٧٤ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٥ / ص ١٥٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ / ص ١٣٨ .
(٣) الخطيب : الكفاية في علم الرواية / ص ٤٠٢ .

وكان طلبة العلم أثناء رحلاتهم يعملون من أجل توفير النفقة ، ويدرسون ويتلقون عن الشيوخ ، ويجتمعون بالعلماء في المساجد والمدارس المنتشرة في العالم الاسلامي آنذاك ، فكانت رحلاتهم العلمية بجانب المتعة في تحقيق الهدف ، هي عناء ومشقة يواجهها الطالب بعيدا عن أهله . وهكذا كان علماء الفقه يرحلون الى البادية ويختلطون بقبائل العرب يقيدون اللغة وقواعدها وينقلون الشعر والأدب . ورحل علماء الحديث الى الأمصار المختلفة يروون الحديث ويقيدونه ويتابعون سماع مالم يتيسر لهم سماعه في بلدانهم ، يقول ابن الصلاح " واذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فليرحل الى غيره ".[1]

أما الأدباء فانهم يديمون ترحالهم في نواحي العراق وأقطار الدول الاسلامية الأخرى ، يأخذون عن أدبائها ويفيدون من شرّاحها ونقادها . وقد رحل الجغرافيون المسلمون الى مختلف أصقاع العالم الاسلامي ، يسجلون مشاهداتهم ويقيدون أحوال الناس والبلدان ، وعاداتهم وتقاليدهم ، ويصفون حضارتهم ويقدمون تفصيلات موسعة عن بلادهم ، طرقها ومسالكها وأوديتها وجبالها ومدنها وقراها .

وكان أصحاب الحديث أنشط الطلاب على الرحيل في طلب العلم وأصبرهم على عنائه ، وكان أساتذتهم وشيوخهم يحثونهم عليه ، فقد استشار الخطيب البغدادي أستاذه أبا الطيب الطبري (المتوفى عام ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م) فأشار عليه بالتوجه الى الشرق[2] ذلك أن الصحابة تفرقوا في الأمصار أثناء الفتوح ، فمنهم من استقر ببلاد العراق ، وآخرون بالشام ، ومنهم من سكن بلاد فارس وخراسان ، ومنهم من استوطن

---

(١) ابن الصلاح : علوم الحديث / ص ٢٢٢.
(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٨ / ص ٢٦٦، الذهبي : تاريخ الاسلام ، مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة جـ ١٢ حوادث سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م.

مصر وبلاد المغرب ، وكان هؤلاء يحملون الأحاديث عن الرسول وقد تلقاها عنهم التابعون ، ثم تابعوهم من بعدهم ، فكان في كل مصر طائفة من الأحاديث انفردت بها عن الأمصار الأخرى ، فجد علماء الحديث في الرحلة يأخذون الأحاديث عن أهلها بعد أن يتحروا عنهم ، ويتأكدوا من درجة عدالتهم ، وهكذا فانهم كانوا يجمعون ما تفرق منها [1] وكان لادراكهم أهمية ذلك ومكانته في الشريعة ما ذلل لهم جميع الصعاب التي واجهتهم ، وما كابدوه من مشاق السفر وأخطاره التي يعجز المرء عن وصفها .

وهكذا فان المشاق والأخطار لم تقف حائلا دون تنفيذ الرحلات التي ملأت نتائجها وأخبارها بطون الكتب ، فقد حملهم دافع العقيدة وحب العلم الى آفاق بعيدة ، وقلما وجد في هذا العصر من أصحاب الحديث والقراءات من لم يرحل في طلب العلم ، بل ان منهم من قطع آلاف الأميال ، والتقى بمئات الشيوخ من الشرق الى الغرب ، ومن الغرب الى الشرق ، مرورا ببغداد مرتع العلم وملتقى العلماء .

ولعل خير مثال على ذلك : يوسف بن علي بن جبارة المغربي أبو القاسم الهذلي (المتوفى عام ٤٦٥هـ/١٠٧٢م) [2] المقرئ الجوال الذى أجهد نفسه كثيرا في طلب العلم والقراءات والذى رحل من أقصى المغرب الى بلاد الترك، ودرس خلال رحلته على مائة واثنين وعشرين شيخا موزعين في مراكز العلم المختلفة في كل من القيروان وفاس وطرابلس ودمياط واللاذقية والرملة وبيت المقدس وعسقلان وصيدا وصور وبيروت والمعرة وحران وآمد والجزيرة والموصل وبغداد والأنبار وواسط والأهواز وشيراز وكرمان وأصفهان ونيسابور [3] .

---

(١) الخطيب : الرحلة في طلب الحديث / ص٨١ ، ص ١١٨ . أحمد أمين: ضحى الاسلام جـ ٢ / ص ٦٩ - ٧٠ .

(٢) الذهبي : معرفة القراء الكبار جـ ١ / ص ٣٤٦ .

(٣) ن.م. ص جـ ١ / ص ٣٤٦ .

أما الحافظ محمد بن طاهر بن أحمد المقدسي (المتوفى عام ٥٠٨هـ/١١١٤م) فقد كان أحد الرحالين في طلب الحديث ، سمع بمصر والشام والجزيرة والثغور والعراق وفارس والجبال وخوزستان وخراسان والحجاز.[1]

أما طاهر بن عبد الله بن طاهر أبو الطيب الطبرى (المتوفى عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٥م) فقد سمع بجرجان ونيسابور وقدم بغداد وسمع على عدد من علمائها.[2]

ومن هؤلاء هبة الله بن المبارك بن موسى السقطى (المتوفى عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥م) المحدث الرحال الذى سمع ببغداد وواسط والبصرة والكوفة والجبال والموصل وأصفهان.[3] والحافظ المحدث أبو الفرج يوسف بن أحمد بن يحيي الشيرازى (المتوفى ببغداد عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م) الذى طلب الحديث بالحجاز والشام وفلسطين وديار بكر والجزيرة وأذربيجان وبلاد الروم والعراق والأهواز وفارس وكرمان وخراسان وبلاد ما وراء النهر.[4]

والحافظ المحدث أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادى (المتوفى عام ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) الذى رحل فى طلب العلم الى البصرة ونيسابور وأصبهان وهمذان والجبال والشام ودمشق وصور ومكة المكرمة ، وكان من رواد الحديث فى الاسلام.

---

(١) الكتبى : عيون التواريخ جـ ١٢ / ص ٢٥.
(٢) الخطيب : تاريخ بغداد جـ ٩ / ص ٣٥٨.
(٣) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ١١٤.
(٤) ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ١ / ص ٤٦٠.

وقد صنف الكثير من كتب الحديث.[1]

هذا وقد قطع بعضهم آلاف الأميال ، وتردد على العديد من المدن والأصقاع وكانوا يقضون السنين وهم دائبون على لقاء الشيوخ والأخذ عنهم[2] ، ويمكن القول بأن مما كان يساعدهم في رحلاتهم هذه مساعدة الشيوخ لهم ، اضافة الى وجود المدارس النظامية وغيرها من المدارس المنتشرة في البلاد خلال هذه الفترة ، حيث كان طلاب العلم يقيمون فيها بالاضافة الى اقامتهم في الخانات والفنادق .[3]

ولم تقتصر الرحلات على طلاب الحديث ، انما شملت طلاب العلوم الأخرى ، فالعلامة والرحالة والمحدث موفق الدين عبد اللطيف البغدادي (المتوفى عام٦٢٩هـ/ ١٢٣١م) خرج من بغداد في رحلة علمية برع من نتيجة ما تحصل منها في شتى أصناف العلوم والمعارف ، وكان نتائجها ذلك الانتاج العلمي الضخم الذي صنفه والذي بلغ أكثر من ١٧٣ مؤلفا بين كتاب ومقالة صغيرة ، تناول فيها صنوفا شتى من المعارف والعلوم .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٨ / ص ٢٦٥ وهناك المئات غيرهم ممن رحلوا في طلب العلم . أنظر عنهم : ابن الجوزي : المنتظم جـ ٨ / ص ٢٦٦ جـ ٩ / ص ٥ ، ١٥١ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، الأصفهاني : خريدة القصر جـ ٣ / ص ٢٨٣ ، ٣٠٦ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ٧ / ص ١٥٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٢٩٤ ، ٣٩٢ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ١ / ص ٤٠٥ - الذهبي : تذكرة الحفاظ تراجم رقم ١٣٦٣ ، ١٤١٢ ، معرفة القراء الكبار جـ١ / ص ٤٤٢ ، جـ ٢ / ص ٤٥١ ، ٤٥٩ ، ٤٧٥ - السبكي : طبقات الشافعية جـ٤ / ص ١٨٩ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ ٥ / ص ١٩٢ ، جـ ٦ / ص ١٠٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ / ص ١٦٨ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ١ / ص ٤٦٠ ، جـ ٢ / ص ٢٠٥ ، ص ١٩٣ ، جـ ٣ / ص ٤٠٣ ، جـ ٤ / ص ٢٦ ، ص ٢٧٦ ، ص ٢٨٢ ، جـ ٥ / ص ٣ ، ص ١٣٢ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ / ١ ص ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٤٠ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد جـ ٩ / ص ١١ ، جـ ١٠ / ص ٣٧٢ ، جـ١٢ / ص ٣١٣ .

(٣) ن.م.ص جـ ١٠ / ص ١٥٩ ، ج ١٣ / ص ٤١ ، ابن الجوزي : المنتظم جـ ١٠ / ص ٣٧ .

وقد دامت رحلته أكثر من ٤٥ عاما رجع بعدها الى مسقط رأسه بغداد حيث توفي فيها[1].

ونظرا لأهمية الرحلات العلمية في تاريخ المسلمين التعليمي ، فلقد صنف فيها عدد من العلماء كالخطيب البغدادي (المتوفى عام ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م)[2] وأبوالعباس أحمد بن محمد بن مفرج النباتي الأندلسي (المتوفى عام ٦٢٧هـ/ ١٢٣٩م).وهكذا فقد اعتبرت " الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في العلم. والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون من المذاهب والآراء والفضائل تارة علما وتعليما والقاء ، وتارة محاكاة ، وتلقينا بالمباشرة ، الا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها".

والملاحظ أنه منذ نشأة المدارس في العالم الاسلامي وانتشارها منذ منتصف القرن الخامس الهجري ، بدأت الرحلات في طلب العلم تتركز نحوها ، فكان طلبة العلم يقصدونها للاستفادة من شيوخها وعلمائها في مختلف العلوم والفنون.

ومن الجدير بالملاحظة أنه قد أصبح للرحلة في طلب الحديث أهداف وآداب وشروط خاصة بها خلال هذا العصر[3].

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٨٢ .
(٢) وهو كتابه " الرحلة في طلب الحديث" والكتاب مطبوع عدة طبعات نشره عدد من دور النشر .
(٣) الخطيب : الرحلة في طلب الحديث ص ١٦ - ٢٠ .

الاجازات العلمية :

الاجازة لغة : مصدر : أجاز ، اعطاء الاذن ، وأجاز له أذن له.[(١)]

والاجازة في الاصطلاح : اذن وتسويغ ، وهو اصطلاح اتخذه علماء فن مصطلح الحديث ، وذلك أن يأذن ثقة من الثقات لغيره بأن يروى عنه حديثا أو كتابا " سواء كان ذلك الكتاب من تصنيفه أم كان يرويه عن شيوخه بالاسناد الى مؤلفه ".[(٢)]

ويرى الخطيب البغدادى (المتوفى عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) أن " معنى الاجازة في كلام العرب مأخوذ من جواز الماء الذى تسقاه الماشية والحرث ، يقال عنه : استجزت فلانا فأجازني . كذلك طالب العلم ، يسأل العالم أن يجيزه علمه فيجيزه اياه والطالب مستجيز ، والعالم مجيز ".[(٣)] قال السيوطي : " فعلى هذا يجوز أن يقال أجزت فلانا مسموعاتي ، ومن جعل الاجازة اذنا وهو المعروف يقول : أجزت له رواية مسموعاتي ".[(٤)]

ومن هذا يتضح أن الاجازة هي اذن أو رخصة تتضمن تخويل المجاز حق نقل المادة العلمية أو الرواية لحديث معين أو كتاب محدد يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيها عنه .

وقد تطور نظام الاجازة منذ القرن الخامس الهجرى الى حد بعيد ، حتى صار

---

(١) الفيروزآبادى : القاموس المحيط جـ٢/ص١٧٠ ، ابن منظور : لسان العرب جـ٥/ص٣٢٦ العسقلانى : نخبة الفكر / ص ٢١٦ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية جـ ١ / ص ٤٣٣ .
(٣) الخطيب : كتاب الكفاية في علم الرواية / ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ .
(٤) السيوطي : تدريب الراوى جـ ٢ / ص ٤٢ .

الشيخ يجيز قبل وفاته جميع مسلمي عصره في رواية الأحاديث التى كان يعرفها.[(١)]

ويمنح الشيخ الاجازة بطريقتين : أولهما الاجازة بالمشافهة ، وثانيهما الاجازة التحريرية ، وهي التى شاعت خلال فترة البحث . على أن الاجازة الشفهية أقدم من الاجازة التحريرية ، وقد اعتاد الشيوخ أن يكتبوا اجازاتهم على الكتاب الذى درسه الطالب عليهم ، وتكون الاجازة عادة مقتضبة لا تحتوى طرق الرواية ، ولا أسماء الشيوخ الذين تلقي الشيخ المجيز معلوماته عنهم ، ثم حصل تطور فى الاجازات التحريرية حيث أصبحت مستقلة عن الكتاب ، كما أصبحت مفصلة ، مشتملة على طرق الرواية.[(٢)] وللاجازة أركان ذكرها العسقلاني هي : " المجيز ، والمجاز لـه ، والمجاز به ، ولفظ الاجازة "[(٣)] ، ولقد فصل علماء الحديث في الاجازة، وجعلوها احدى طرق تحمل الحديث ونقله[(٤)] وقسموها الى أنواع منها :

النوع الأول : المناولة :

وهى أرفع ضروب الاجازة ، وصفتها أن يدفع المحدث الى الطالب أصلا من أصول كتبه ، أو فرعا قد كتبه بيده ويقول : هذا الكتاب سماعي من فلان وأنا أعلم بما فيه ، فحدث به عني . فانه يجوز للطالب روايته عنه ، وتحل تلك الاجازة محل السماع عند جماعة من أئمة الحديث.[(٥)]

النوع الثاني :

وهو أن يدفع الطالب الى الراوى صحيفة قد كتب فيها : ان رأى الشيخ أن يجيز لي جميع ما يصح عندى من حديثه فعل ، فيقول له الراوى بلفظه : قد

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية جـ ١ / ص ٤٣٤ . عن الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ٣ ص ٣٦٣ ، ابن الآبار : التكملة/ص ٦١٤ ، السيوطي : بغية الوعاة / ص ١٤ .
(٢) العسقلاني : نخبة الفكر / ص ٢١٦ .
(٣) ن . م . ص / ص ٢١٦ .
(٤) السيوطي : تدريب الراوى جـ ٢ / ص ٨ .
(٥) الخطيب : كتاب الكفاية في علم الرواية / ص ٤٦٦ .

أجزت لك كلما سألت ، أو يكتب له ذلك تحت خطه في الصحيفة[(١)] .

النوع الثالث :

وهو أن يكتب الراوى بخطه جزءًا من سماعه أو حديثا ، ويكتب معه الى الطالب: اني قد أجزت لك روايته بعد أن صححته بأصلي[(٢)] .

النوع الرابع :

وهو أن يكتب المحدث الى الطالب : قد أجزت لك جميع ماصح ويصح عندك من حديثي[(٣)] .

النوع الخامس :

وهو أن يأتي الطالب الى الراوى بخبر ، فيدفعه اليه ، ويقول له : أهذا من حديثك ؟ فيتصفح الراوى أوراقه ، ثم يقول له : نعم : هو من حديثي ..... فيذهب به الطالب فيحدث به عنه من غير أن يستجيز منه[(٤)] .

ولم تكن الاجازات العلمية مقصورة على رواية الحديث وسماعه واملائه ، بل تمدته الى العلوم الأخرى كالأدب والتاريخ وغيرهما[(٥)] . هذا ولقد شاعت الاجازات العلمية

---

(١) الخطيب : كتاب الكفاية في علم الرواية / ص ٤٧٧ .
(٢) ن.م.ص/ص ٤٨٠ .
(٣) ن.م.ص/ص ٤٩٢ .
(٤) ن.م.ص/ص ٤٩٣ . وممن صنف في علوم الحديث علماء قسموا الاجازة الى أنواع تزيد عن ما ذكرناه من كتاب الخطيب البغدادي منهم : ابن كثير : الباعث الحثيث / ص ٩٩ - ١٠٠ . والعسقلاني : نخبة الفكر / ص ٢١٠ ، السيوطي : تدريب الراوى ص ٢٩ - ٤٠ .
(٥) أحمد شلبي : التربية الاسلامية جـ ٥ / ص ٢٦٤ .

في العصر السلجوقي في أصناف العلوم من حديث ولغة وأدب وتاريخ . ولقد نشر أحد الباحثين المعاصرين صورا عن نسخة خطية لمقامات الحريري ، ظهرت وقد سجل عليها احدى وعشرون اجازة كتب أولاها مؤلف المقامات نفسه [١] ، ويذكر ياقوت : " أنه لم تكد تصدر من المقامات النسخة الأولى في بغداد حتى أقبل الوراقون على كتابتها ، والعلماء على قراءتها عليه من شتى الجهات ، ذكروا أن الحريري وقع بخطه في شهور عام ٥١٤هـ/١١٢٠م على سبعمائة نسخة " [٢].

أما السماع فهو " اللفظ الاصطلاحي الذى يطلق على الشهادات التى تمنح بعد أن يتم الاتصال بين المدرس والطالب فيسمع هذا من ذاك ، ويمنح سماعا يبيح المدرس فيه للطالب أن يروى عنه ما رواه له " [٣].

ولقد قصد العراق عدد غير قليل من الطلبة والعلماء من البلدان الاسلامية لسماع الحديث من علمائه [٤] هذا بالاضافة الى حضورهم مجالس العلم والأدب والتاريخ وعلم الكلام في مدارسها ، وسماع الفقه والأصول والتفسير في حلقات العلم بجامع المنصور وغيره من جوامع بغداد ، وكان هؤلاء الطلبة يمكثون زمنا طويلا في العراق للدراسة فلا يغادرونه حتى يحصلوا على الاجازات العلمية من رواة الحديث والأدب والتاريخ واللغة .

---

(١) أحمد شلبي : التربية الاسلامية جـ ٥ / ص ٢٦٤ .
(٢) ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٦/ ص ٢٦٧ .
(٣) السيوطي : تدريب الراوي جـ ٢ / ص ٤ ، أحمد شلبي : التربية الاسلامية جـ ٥ / ص ٢٦٤ .
(٤) ابن الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة السلام جـ ١ / ص ٢١٨ .

ولعل من المناسب أن نعرض لنموذج من الاجازات التى منحت خلال فترة البحث من قبل الحريرى صاحب المقامات ونصها كالآتي : " سمع عنى المقامات الخمسين التى أنشأتها الشيخ أبو المعمر المبارك أحمد بن عبد العزيز الأنصارى أحسن الله توفيقه ، وكتب القاسم بن علي بن محمد بمدينة السلام في شعبان سنة ٥٠٤ هـ وقد أجزت له رواية جميع مالي من مسموع ".[1]

وهناك نص اجازة آخر يعود الى القرن السادس الهجرى يمكن ايراده على سبيل المثال وهو " أذنت للشيخ الجليل المقرئ الأديب أبي القاسم نصر بن سعيد بن أحمد بن سميع الموصلي أن يروى عنى على سبيل الاجازة فأصبح عنده ما يصح من مقروآتي ومسموعاتي التى أخذت روايتها عن المشايخ والثقات من الكتب الأدبية وكتب التفاسير والاعراب والمغازى وما أمليته وصنفته من المسائل النحوية واللغوية وغير ذلك من فنون العربية فليرو ذلك عنى على طريقة الاجازة واني برئ من السهو والتحريف والغلط والتصحيف وكتب هبة الله بن على بن محمد بن حمزه الحسينى في جمادى الآخرة من سنة أربعين وخمسمائة ".[2]

أما النعّال البغدادى (المتوفي عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م) فقد أورد في مشيخته نماذج كثيرة لسماعاته من مشايخه هذا أحد نصوصها " أخبرنا أبو محمد اسماعيل بن محمد بن علي السعدى اجازة ، أنا أبو البدر ابراهيم بن محمد بن منصور الكرخي قراءة عليه وأنا أسمع سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ذى القعدة بالكرخ ".[3]

---

(١) أحمد شلبى : التربية الاسلامية جـ ٥ / ص ٢٦٤.

(٢) حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي /ص ٣٧٤. عن ابن الشجرى : أمالي الشجرى . مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد برقم ٥٦٦٧.

(٣) النعال البغدادى : مشيخة النعال البغدادى/ص ١٢٥ ، كما وأنظر النماذج الأخرى للاجازات ص ص ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٣ ، ١١٨.

كما أنظر : أبو اسحاق الشيرازى : طبقات الفقهاء من ص ١٨١ -١٨٧ ، حسين أمين : المدرسة المستنصرية ص ص ١٥٠ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤.

ثالثا : التعليم النظامي ومدارس العراق في العصر السلجوقي :

يعد العصر السلجوقي عصر انتشار المدارس في العالم الاسلامي وخصوصا فى العراق [(١)] .

والذى تجدر الاشارة اليه هو أن المدارس في العراق خلال هذا العصر أصبحت أهم وأعظم أماكن التعليم . فلقد غصت المدارس النظامية ومدرسة الامام أبى حنيفة وغيرها من مدارس العراق في هذا العصر بالآلاف من طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الاسلامي ، ممن كانوا يفدون للدراسة في هذه المدارس ، وخاصة نظامية بغداد بما كانت توفر وتيسر لطلابها من وسائل الراحة وأسباب العلم .

وجدير بالذكر أن المدرسة النظامية ببغداد لم تكن أول مدرسة أنشئت فى ديار الاسلام ، فقد أنشئت قبلها في المشرق الاسلامي مدارس أخرى ، يقول السبكي في ترجمته لنظام الملك " : " وشيخنا الذهبى زعم أنه أول من بنى المدارس ، وليس كذلك ، فلقد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك ، والمدرسة السعدية بنيسابور أيضا ، بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود ، ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها أبو سعد اسماعيل بن علي الاستراباذى الواعظ الصوفي "...... [(٢)] .

---

(١) ذكر ابن جبير أن المدارس ببغداد وحدها خلال هذا العصر كانت نحوا من ثلاثين مدرسة . ابن جبير : الرحلة / ص ٢٠٥ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ص ٣١٣-٣١٤ . وذكر المقريزى أن " .. المدارس مما حدث في الاسلام ، ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين وانما حدث عملها بعد الأربعمائة من سني الهجرة ، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الاسلام أهل نيسابور ، فبنيت المدرسة البيهقية ، وبنى بها الأمير نصر بن سبكتكين مدرسة ، وبنى بها أيضا المدرسة السعدوية ، وبنى بها أيضا مدرسة رابعة . المقريزى : الخطط جـ٢/ص٣٦٣ على أن الصفدى يذكر أنه بنيت في نيسابور مدرسة لأبي بكر محمد بن فورك المتوفى عام٤٠٦هـ/١٠١٥م =

على أن نظام الملك يعد أول من قدر المعاليم للطلبة[1] اضافة الى توسعه الكبير في انشاء المدارس في عدد كبير من مدن العراق والمشرق الاسلامي ، ولم تكن المدارس التي أنشئت قبل ذلك تقدر لطلبتها المعاليم[2] ، قال أبو الوفاء في الفنون : ان " أيامه التي شاهدناها تربى على كل أيام سمعنا بها .... فأبهرت العقول سيرته جودا وكرما وعدلا ، واحياء لمعالم الدين ، بنى المدارس ، ووقف الوقوف .... وكانت سوق العلم في أيامه قائمة ، والنعم على أهله دارّة ".[3]

---

* الصفدي : الوافي بالوفيات جـ ٢ / ص ٣٤٤ ، كما يقول ناجي معروف : " كما يتبين بعد الدراسة أن النظامية ومدرسة أبي حنيفة لم تكونا أول المدارس الاسلامية ، وانما أنشئ قبلهما فيما وراء النهر وخراسان مدارس عديدة قبل النظامية بأكثر من ١٦٥ سنة ، فقد جاء في تاريخ بخارى (ص ١٢٨) أن اسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان (المتوفى عام ٢٩٢هـ/ ٩٠٧م) كانت له مدرسة كان يقصدها طلاب العلم ليستكملوا دراستهم فيها ويبحثوا بدار كتبه التي وقف عليها الأوقاف " . كما أشار في كتاب مدارس قبل النظامية الى ٣٣ مدرسة أنشئت قبل النظامية في المشرق الاسلامي في نيسابور وبخارى وغزنة وطوس ومشنج ، أقدمها أنشئت سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠م وهي مدرسة حسان القرشي الأموي بنيسابور ، ولقد قام بانشاء هذه المدارس العلماء العرب والمسلمون وأمراؤهم في المشرق الاسلامي والذين شرعوا في انشاء المدارس المستقلة عن المساجد منذ أواخر القرن الثالث الهجري . أنظر :
ناجي معروف : مدارس قبل النظامية / ص ص ٨ - ٦٢ - ٦٧ .

(١) المعاليم : هي المرتبات أو الجرايات . ناجي معروف : التوقيعات التدريسية مقالة مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد - عدد (٦) ص ٢٧ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ٣١٤ .

(٣) ن.م.س جـ ٤ /ص٣١٨ .

ولقد انتشرت النظاميات في العراق والمشرق الاسلامي بعد انشاء نظامية بغداد ، يقول السبكي في حديثه عن نظام الملك " وبنى مدرسة ببغداد ، ومدرسة ببلخ ، ومدرسة بنيسابور ، ومدرسة بهراة ، ومدرسة بأصبهان ، ومدرسة بالبصرة ومدرسة بمرو ، ومدرسة بآمل طبرستان ، ومدرسة بالموصل . ويقال : ان له في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة ".(١)

ولقد تعرض الكثير من الباحثين الى الأسباب التى دعت نظام الملك الى انشاء النظاميات(٢) كما ناقش الموضوع العديد من الباحثين المحدثين.(٣)

ويمكن القول بأنه لم تقتصر دوافع انشاء المدارس النظامية على سبب واحد ، بل كانت هناك جملة أسباب مجتمعة دفعت نظام الملك الى الاقتناع بالفكرة والاسراع الى انشاء هذه المدارس في بغداد والمشرق الاسلامي . وهذه الأسباب كانت عقيدية بالدرجة الأولى ، اضافة الى أسباب سياسية وشخصية .

لا شك أن دخول السلاجقة بغداد كان انتصارا عظيما لمذاهب أهل السنة على المذهب الشيعى الاسماعيلي الذى كان مسيطرا على الحياة السياسية والدينية في العراق والمشرق الاسلامي في العصر البويهى ، فان الوضع السياسي والدينى المضطرب الذى خلفه البويهيون بالعراق والمشرق الاسلامي أثناء سيطرتهم على

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية جـ٤ / ص ٣١٣ .

(٢) الطرطوشي : سراج الملوك/ص ٢٦٧ ، السيوطي : حسن المحاضرة جـ٢ /ص ١٨٥ .

(٣) منهم ناجي معروف : علماء النظاميات / ص ١٦ ، مصطفى جواد : المدرسة النظامية ببغداد . مقالة مجلة سومر المجلد ٩ جـ ٢ / ص ٣١٧ ، محبوبة : الحركة العلمية في المائة الخامسة الهجرية مقالة مجلة الأستاذ المجلد ١١ ص ٣٥٦ . ويذكر مصطفى جواد أن الدكتور أسعد طلس كان أفضل الباحثين ممن درسوا هذه المدرسة عن انشائها ووصفها ، ونظام التعليم بها . أنظر : مصطفى جواد : المدرسة النظامية ببغداد ، مقالة مجلة سومر مجلد ٩ / ص ٣٢٤ .

الخلافة العباسية ومحاولتهم القضاء عليها[١] وعلى مذاهب أهل السلف ونشر المذهب الشيعي[٢] قد دفع بالسلاجقة وعدد من العلماء الى الوقوف بوجه الدعاية الاسماعيلية، والدفاع عن صفاء العقيدة الاسلامية السلفية ، واعطاء الحرية لعلماء أهل السنة وفقهائهم للدفاع عن وجهات نظرهم والرد على خصومهم الذين كانوا قد ضيقوا عليهم كثيرا . فوجد السلاجقة خصوصا ، نظام الملك ، أنه لا مناص من القيام بعمل مضاد ومنظم من أجل القضاء على الأفكار التى نشرتها الباطنية ودعوتها السرية ، وذلك

---

(١) لقد سلك الشيعة مسالك سياسية ودينية باطنية في محاولة يائسة للقضاء على الخلافة العباسية السنية وابدالها بخلافة سياسية ودينية شيعية ، وقد حاول معز الدولة بن بويه نقل الخلافة الى أحد العلويين واقامة خلافة شيعية في بغداد والقضاء على الخلافة العباسية ، فحذره خواصه من سخط الناس ومخالفتهم فقالوا له " انك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لفعلوا " . أنظر:
ابن الأثير: الكامل جـ ٧ / ص ١٦٣ .

ولعل الذى كان يردعهم من تنفيذ ذلك اعتبارات سياسية فهم يعلمون تماما مدى ولاء الأمة الاسلامية للخليفة العباسي ومعاداتهم لمن يعتدى عليه . أنظر:
الدورى : دراسات في العصور العباسية المتأخرة / ص ٢٤٨ .

(٢) يقول ابن الأثير في ذلك " وكان من أعظم الأسباب في ذلك أن الديلم كانوا يتشيعون ويغالون في التشيع ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها ، فلم يكن عندهم باعث ديني يحثهم على طاعة ".
أنظر:
ابن الأثير : الكامل جـ ٦ / ص ٣١٥ .

ليحرروا عقول الناس مما قد علق بها من مبادئ وأفكار مضللة من تأثير الدعوة الباطنية للمذهب الشيعي . ورأوا أن نشر العلم واستعمال المنطق وأساليب الجدل العقلي وعلم الكلام ، وهو السلاح الذى استخدمته الاسماعيلية ، خير طريق لذلك ، فاذا ما أتيح للناس أن يتعلموا مبادئ الدين الحق فهم بلا شك سيعرفون الهدى من الضلال . ثم ان الدعوة الباطنية كانت قد انتشرت كما أسلفنا في العراق وبلاد الشام وخراسان وفارس وتسربت الى نفوس الكثير من العامة ، وظهر بوضوح أثر وخطورة جناحها الفعال " الحشاشون " بقيادة الحسن الصباح .

ان نظام الملك ، وهو المسئول الأول عن توجيه سياسة دولة السلاجقة ، والمؤثر الفعال في سياسة الدولة العباسية ، كان لابد له من أن يسلك طريقا مضمونا وملائما لمواجهة مثل هذه الحركات الهدامة ، ذلك انه لم يكن من السهل ايقاف الدعوة الباطنية من الانتشار ، ذلك أن جذورها قد تغلغلت في المجتمع الاسلامي ، وخاصة بين العامة وأصحاب الحرف والأصناف . وكان على نظام الملك أن يمنع هذه الحركة من بث سمومها وأفكارها في جسم الدولة الاسلامية . فحارب هذه الحركة بنفس سلاحها ، ذلك انه استهدف من وراء التوسع فى بناء المدارس النظامية في العالم الاسلامي نشر علوم الشريعة وتصحيح العقيدة ومناقشة مسائل الخلاف بأساليب المنطق التى اقتصر استعمالها قبل ذلك على الشيعة .

وقد أدرك نظام الملك أن استخدام القوة والعنف لا يجدى نفعا فى ذلك ، فالحجة لا تقرع الا بالحجة ، والعقل لا يقبل له مناظرا الا العقل ، لأن السيف لا يستطيع أن يمحو الفكرة الفاسدة ، بل ربما أدى الى حصول ردود فعل معاكسة .

لقد أدرك نظام الملك هذه الحقائق ، وتبين له أن ليس عليه الا أن يواجه خصومه من السبيل الذى سلكوه ، ويفسد عليهم خططهم بتخريج جماعات مسلمة

مثقفة ثقافة عالية ، ومزودة بسلاح العلم والايمان معا ، لذلك فانه ماكاد يتسلم منصبه في الوزارة حتى شرع في تأسيس مدارسه النظامية في أمهات المدن وحواضر الأمصار ليحقق هذا الهدف النبيل ، وقد عهد بمناصب التدريس في مدارسه هذه الى علماء فحول ممن كانت لهم مقدرتهم العلمية ، ومكانتهم الفكرية في حواضرهم ، حتى يستطيعوا التأثير على العامة ، وحتى يتمكنوا من تخريج رجال مسلحين بسلاح العلم والايمان للوقوف أمام التشيع العلوى والدعوة الباطنية الباطلة ، التى أفسدت العقول ، وآذنت بمصيبة كاد أن يعم خبثها العالم الاسلامي .

على أن القزويني يسوق لنا خبرا عن فكرة انشاء النظاميات طرأت على ذهن نظام الملك وهو في مدينة نيسابور فيقول : " عندما دخل ملكشاه المدينة مر بأحد المساجد ، ورأى مجموعة من طلاب الفقه وعلم الكلام فقراء ، وفي ملابس رثة ، لم يحيوه ، ولم يقدموا اليه أيا من فروض الاحترام عندما مر بهم ، فتعجب من هذا ، وسأل وزيره نظام الملك عمن يكون هؤلاء ، فأجابه الوزير : انهم قوم على قدر كبير من الذكاء العقلي ، ولكن تنقصهم الثروة ، وعرف نظام الملك أن كلماته مست شغاف قلب الملك ، واستمالته الى جانب هؤلاء الطلاب الفقراء ".[1] ولقد ناقش ريبيرا هذا الخبر ، وجعله ضمن أسباب أخرى دفعت نظام الملك الى انشاء نظامياته وأضاف ريبيرا الى نص القزويني تكملة دون أن يوضح مصدرها " اذا سمح لي السلطان يمكن أن نقيم مبنى نزوده بما هو ضرورى لكي يعيشوا فيه ، ثم يمكن أن ينصرفوا كلية الى الدرس والصلاة ، وأظهر السلطان موافقته ، واستغل نظام الملك استعداد السلطان ، فأصدر أمره بأن تقام المدارس في كل أنحاء الدولة ".[2] وليس لدينا في المصادر الموثقة عن الفترة ما يؤكد ما ذهب اليه

---

(١) القزويني : آثار البلاد / ص ٤١٢ .
(٢) خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية في الأندلس / ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

القزويني ، أو ما يدعم اضافة ريبيرا أو مقترحاته بهذا الخصوص ، كما أن أحدا من المصادر التاريخية لم يذكر ان السلطان ملكشاه كان قد أمر أو استحسن أو أقر فكرة انشاء هذه المدارس ، بل ربما يكون العكس هو الصحيح ، فقد ذكرت بعض المصادر أن السلطان قد استجاب لوشاية البعض ، وعتب على نظام الملك بسبب انشائه لمدرسته وصرفه الأموال عليها.[1] وعلى كل حال فان ريبيرا ينفي أن تكون فكرة انشاء المدرسة النظامية قد جاءت وليدة أفكار الوزير نظام الملك وحده بل انه يعزو الفكرة الى من أشار عليه وساعده في ذلك . حيث ان انشاءها ووضع مناهجها وسير التعليم فيها يحتاج الى عدد من العلماء والمتخصصين في ذلك.[2] ومن المستطاع التفكير بوجود احتمال اضافي يكمن خلف انشاء النظاميات ، ذلك انه حينما ضعفت الخلافة العباسية ، وأصبحت مقاليد الأمور عليا في يد السلاطين والأمراء من الديلم والترك ، أصبح هؤلاء في حاجة الى اكتساب قلوب العامة ، باعتبارهم ممثلين لحكومة الخلافة أمام الناس ، ورأوا أن أقرب السبل الى ذلك هو اكرام العلماء ، وفتح المدارس والربط ليظهروا أمام الرأى العام بأنهم رعاة الشريعة وعلومها ، فيكسبون بذلك تأييد العامة ورضا الخاصة ، ولعل ذلك احتمال لا يستهان به عند محاولة استبطان الأسباب التى دفعت نظام الملك الى انشاء نظامياته .

لقد أنفق الوزير نظام الملك كثيرا من الأموال على المدارس ، وأغدق عليها الكثير منها فأكثر الواشون على السلطان ملكشاه بالوشاية عليه وقالوا : " ان الأموال التى ينفقها نظام الملك في ذلك تقيم جيشا يركز رايته في سور القسطنطينية " . وقد عاتب السلطان ملكشاه وزيره نظام الملك على ذلك فأجابه بقوله : " يابني ، أنا

---

(١) الطرطوشي : سراج الملك / ص ٢٦٧ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٢/ص٢٧٠.
(٢) ريبيرا : التربية الاسلامية في الأندلس / ص ٢٥٨ .

شيخ أعجمي ، لو نودى على فيمن يزيد لم أحفظ خمسة دنانير ..... وأنت غلام تركي لو نودى عليك عساك تحفظ ثلاثين دينارا ..... وأنت مشتغل بلذاتك ، منهمك في شهواتك ، وأكثر ما يصعد الى الله معاصيك دون طاعتك ، وجيوشك الذين تعدهم للنوائب اذا احتشدوا كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان ، وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخمور والملاهي والطنبور ..... وأنا أقمت لك جيشا يسمي جيش الليل ، اذا قامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على أقدامها صفوفا بين يدى ربهم ، فأرسلوا دموعهم ، وأطلقوا ألسنتهم ، ومدوا الى الله أكفهم بالدعاء لك ولجيوشك ، فأنت وجيوشك في خفارتهم تعيشون ، وبدعائهم تبيتون ، وببركاتهم تمطرون وترزقون ، فقبل ملكشاه وسكت ".(١)

ولعل التعصب الديني ونصرة المذهب وتأييده كان من الأسباب التى دفعت نظام الملك الى انشاء نظامياته . فالسلاجقة كانوا متعصبين لمذهبهم الحنفي ضد المذاهب الأخرى خصوصا الشافعية والأشاعرة ، وقد مر بنا الحديث عن فترة الاضطهاد المذهبى التى تعرض لها كل من امام الحرمين الجوينى ، وأبى القاسم القشيرى ، وجماعتهما من الشوافع بنيسابور ، والتى نتج عنها هجرة أعداد كبيرة منهم الى العراق وايران والحجاز . وقد استقر الجوينى بمكة المكرمة ، ولم يستطع القشيرى العودة الى نيسابور الا بعد عشر سنوات .(٢)

هذه الحادثة كان لها أثر كبير على نفسية نظام الملك الشافعي الذى كان يتدرج فى المناصب حتى أصبح وزيرا للدولة السلجوقية ، وذلك بعد اعتقال أبى نصر الكندرى ثم وفاته سنة ٤٥٧ هـ/ ١٠٦٤م.(٣)

---

(١) الطرطوشى : سراج الملوك / ص ٢٦٧ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨/ص ١٥٨، السبكي : طبقات الشافعية جـ٢/ص ص ٢٧٠- ٢٧٨ .

(٣) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٣٢ .

ويحاول البعض اظهار نظام الملك بمظهر المدافع عن المذهب الشافعي المتعصب له ، وبأن محنة الشوافع في نيسابور كان لها عظيم الأثر في نفسيته كدافع من دوافع انشاء المدارس النظامية ، وجعل الدراسة فيها على مذهب الامام الشافعي ، تعصبا ونصرة له على المذاهب الأخرى ، يقول ابن العديم : " وكان نظام الملك يتعصب للشافعية كثيرا ، فكان يولي الحنفية القضاء ، ويولي الشافعية المدارس ، ويقصد بذلك أن يتوفر الشافعية على الاشتغال بالفقه ، فيكثر الفقهاء منهم ، ويشتغل القضاة بالقضاء فيقل اشتغالهم بالفقه ويتعطلون "(١). على أنه مهما قيل عن التزام الوزير نظام الملك بوجهة نظر المذهب الشافعي ، ورغبته في نشره ، وبناء المدارس باسمه ، فانه من غير المعقول أن يكون في موقف المتصارع مع وجهة السلطنة السلجوقية من جهة والخلافة العباسية من جهة أخرى ، وعلى حساب مصلحة الأمة وتنافر أصحاب المذاهب واثارة الاضطراب بينها . أضف الى ذلك أن قبول هذه المقولة يدفع الى التناقض مع موقف نظام الملك من الدعوة الاسماعيلية ، وخططه الواضحة في سبيل تحجيم خطرها والاعداد للقضاء على خططها وشرورها . ويتضح ذلك تماما من خطاب نظام الملك الى مدرس النظامية أبي اسحاق الشيرازي اثر فتنة قامت بين الشوافع والحنابلة سنة ٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧م فقد جاء فيه : " ورد كتابك بشرح أطلت فيه الخطاب ، وليس توجب سياسة السلطان وقضية العدالة الى أن نميل في المذاهب الى جهة دون جهة ، ونحن بتأييد السنن أولى من تشييد الفتن ، ولم نتقدم ببناء هذه المدرسة الا لصيانة أهل العلم والمصلحة لا الاختلاف وتفريق الكلمة "(٢).

وعلى كل حال فان التزام الوزير نظام الملك بالمذهب الشافعي ربما كان من بين الأسباب التي دفعته الى انشاء المدارس النظامية ، والتي جعلها لهم أصلا وفرعا .

---

(١) ابن العديم : بغية الطلب /ص ٨٥ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٢/ص ٢٧٠ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٨ / ص ٣١٢ .

ومما يدعم هذا الاحتمال ما أقدم عليه أعيان الدولة السلجوقية الأحناف ، اذا ما كان يسمع العميد شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي مستوفي مملكة السلطان ألب آرسلان عن انشاء نظام الملك مدرسة للشوافع ببغداد حتى قدم اليها ، وأمر بانشاء مدرسة للحنفية عند مشهد الامام أبي حنيفة النعمان ، فبنيت وعين لها مدرس ، ورتب فيها الطلاب وافتتحت قبل النظامية بأربعة أشهر (١) .

والحق أن انشاء نظام الملك للمدارس النظامية وانتشارها في الشرق الاسلامي قد حقق الغرض من ذلك ، وأثمر نتائج ايجابية حققت أهداف نظام الملك والقائمين على السلطة في الدفاع عن الشريعة والعقيدة بوجه عام ضد الهجمات الشرسة التي باشرها الباطنية بشكل منظم ، والذين استخدموا سلاح العلم فيها.

لقد أدرك نظام الملك أن استخدام القوة والعنف ضد العقل والقلم لا يجدى نفعا أمام موجة الخطر العارمة ، لذلك فانه صمم على تربية جيل من الدعاة والعلماء المهيأ كل منهم لعملية الدفاع عن الفكر الاسلامي ، وصد قوى البغي والضلال .

وقد ساعدت هذه المدارس على نشر الثقافة والعلم ، وأمدت أجهزة الدولة بالعناصر المتعلمة المثقفة والتى كان لانضمامها الى جهاز الدولة آثاره البعيدة على دقة التنظيم ، كما أن هذه المدارس قد أمدت المدارس التى أنشئت فيمابعد بعناصر مؤهلة من العلماء والأساتذة الكبار ، قدم بعضهم من بلاد الأندلس والمغرب حيث تلقوا علومهم فى المدارس النظامية ، ثم رجعوا الى بلادهم للتدريس فى المساجد والمدارس التى ظهرت هناك . أضف الى ذلك أنه قد ظهر من بين أساتذة النظاميات رجال فكر عظماء ، أثروا المكتبة الاسلامية بعدد كبير

---

(١) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٣٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ١٠٥ .

من المؤلفات في علوم الشريعة واللغة والأدب والتاريخ والمنطق والجدل. وقد بقيت نظامية بغداد زهاء ثلاثة قرون منارا للعلم وموئلا لطلابه ومجمعا لرواد الفكر.(١)

انشاء المدرسة النظامية ببغداد ، شرطها ، موقعها :

ان أول مؤسسة علمية متخصصة في ديار الاسلام ، استهدفت غاية محددة ، وأفردت لتدريس العلوم والشريعة والأدب ، وهيأت للطلاب أسباب العلم الميسرة ورفاهية العيش ، وأصبحت مثالا لما قام بعدها من دور العلم ، هي المدرسة النظامية التي بناها الوزير نظام الملك سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م.(٢)

ولقد تعرضت أغلب المصادر التاريخية المعاصرة لبناء هذه المدرسة وفتح أبوابها لطلبة العلم والمعلومات التي تقدمها هذه المصادر عن هذا الحدث تكاد تكون متطابقة ، يقول سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٦م : " وفي شهر ذي القعدة جمع أبو سعيد القايني الناس على طبقاتهم الى المدرسة النظامية التي كان نظام الملك قد بناها برسم أبي اسحاق الشيرازي . . . ".(٣)

---

(١) ذكر ابن قاضي شهبة في ذكره لغياث الدين محمد بن محمد بن عبد الله العاقولي الشافعي (المتوفى عام ٧٩٧هـ/١٣٩٤م) أنه درس بالمدرسة النظامية. جواد : المدرسة النظامية ببغداد ، مقالة مجلة سومر - المجلد ٩ جـ ٢ ص ٣٢٧ ، عن ابن قاضي شهبة : ذيل تاريخ الذهبي - الورقة ١١١ نسخة دار الكتب الباريسية برقم ١٥٩٨.

(٢) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٣٢ ، ابن الأثير: الكامل جـ ٨ /ص ١٠٢ ، المقريزي : الخطط جـ ٢ / ص ٣٦٣.

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ١٣٥ ، وأنظر كذلك عن المدرسة وافتتاحها : الأصفهاني : خريدة القصر جـ ٤ /ص ١٢٩ ، البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٣٥ ، ابن الأثير: الكامل جـ ٨ / ص ١٠٣ ، الذهبي : تاريخ دول الاسلام جـ١ / ص ٢٦٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢/ ص ١٢٨ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ /ص ٣١١ ، ابن العديم : بغية الطلب /ص٦١ ، ابن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية/ص ٧٥ ، اليافعي : مرآة الجنان جـ٣/ص ٨٣ ، ابن العماد : الشذرات جـ٣/ص ٣٠٧.

أما ابن الجوزى فقد أشار الى شرط المدرسة النظامية خلال حديثه عن أخلاق وأعمال نظام الملك فقال : " وكان له الحلم والوقار ، وأحسن خلاله مراعاة العلماء، وترتيبه العلم ، وبناء المدارس والرباطات والوقوف عليها ، وأثره العجيب هذه المدرسة ووقوفها الموقوف عليها ، وفي كتاب شرطها أنها وقفت على أصحاب الشافعي أصلا وفرعا ، وكذلك الأملاك الموقوفة عليها شرط فيها أن تكون على أصحاب الشافعي أصلا وفرعا ، وكذلك شرط في المدرس الذى يكون بها والواعظ الذى يعظ بها ومتولي الكتب ، وشرط أن يكون فيها مقرئ يقرأ القرآن ، ونحوى يدرس العربية ".[1]

ومع الشهرة الكبيرة التى تمتعت بها المدرسة النظامية في بغداد نرى أن المصادر التاريخية المختلفة لم تحدد موقع هذه المدرسة تماما[2] انما أوردت اشارات عابرة حول ذلك لم تؤد الى تحديد موقع المدرسة[3] وقد ذهب أحد الباحثين المعاصرين الى أن المدرسة النظامية كانت تقع على شاطئ نهر دجلة فوق دار الخلافة العباسية ، بينها وبين المستنصرية ، وقد عمرت على جزء من دار مؤنس المقتدرى[4] التى كانت على دجلة في الجانب الشرقي من بغداد[5]. ويؤكد مصطفى جواد أن المدرسة النظامية لم تكن على دجلة ، وانما كانت سوق النظامية وعمارات شاطئية تفصل بينهما .[6]

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ج ٩ / ص ٦٦ .
(٢) كتب مصطفى جواد بحثا ممتعا عن المدرسة النظامية ببغداد . مجلة سومر - المجلد ٩ ج ٢ ص ص ٣١٧ - ٣٤٢ .
(٣) الطرطوشي : سراج الملوك / ص ٢١٦ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٥ / ترجمة ١٢٧٧ .
(٤) ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٥ / ترجمة ١٢٧٧ .
(٥) ناجي معروف : علماء النظاميات / ص ١٩ .
(٦) مصطفى جواد : المدرسة النظامية ببغداد ، مقالة مجلة سومر مجلد ٩ / ج ٢ / ص ٣٤٠ .

ولقد أشرف على بناء هذه المدرسة العميد أبو سعيد أحمد بن محمد النيسابوري الصوفي[1] ويبدو وأن بناء هذه المدرسة كان بناء محكما ، قال ابن جبير عنها أثناء حديثه عن بغداد " والمدارس بها نحو الثلاثين وهي كلها بالشرقية ، وما منها مدرسة الا وهي يقصر القصر البديع عنها ، وأعظمها وأشهرها النظامية "[2] ولقد شاهد ابن بطوطة المدرسة النظامية أثناء زيارته لبغداد سنة ٨٢٨ هـ/ ١٤٢٤م ، وقال " وأعظم أسواقها سوق يعرف بسوق الثلاثاء ، كل صناعة فيها على حده . وفي وسط هذا السوق المدرسة النظامية العجيبة التي صارت الأمثال تضرب بحسنها "[3].

أما هيكل البناء ومتانته والتخطيط واتقانه فيقول عنه الألوسي " ولا تسل عما كانت عليه من الطافة الوضع واتقان الصنع . . . كانت مستطيلة البناء متناسبة الزوايا والأرجاء ، فيها محل واسع للدروس ، وآخر مثله معد للمذاكرة ولترويح النفوس ، ومصلاها يسع من المصلين الألوف ، وفيها مواضع لرؤساء العلم والمدرسين وأفنية للذخائر وأدوات الطباخين ، وكانت تشمل على طبقتين من البناء وفيها من الحجر والبيوت عدد كثير ، وقد أشار أحد الباحثين دون أن يحدد مصادر معلوماته الى" أن عدد غرفها التي كانت معدة للطلاب والمتعلمين لكل قسم من أقسام العلوم ثلاثمائة وخمس وستون غرفة ، هذا عدا قاعات التدريس ومحافل المطارحات العلمية وأماكن الراحة "[4] وكانت المدرسة مرفوعة الجدران مشيدة الأركان ، قد عقد في

---

(١) أبو سعيد أحمد بن محمد النيسابوري (المتوفى عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م) تولى بناء المدرسة النظامية مكان نظام الملك ، ويذكر أنه خان وتصرف في مال البناء ، وعلم بذلك نظام الملك ، وهرب أبو سعيد الى البصرة ثم عاد الى بغداد نادم على قراره واعتذر لنظام الملك فقال له النظام " ليس حزني على المال الذي اختنته أنت أو غيرك ، انما آسي على الزمان الذي فات ولا أستطيع رده ، أردت أن يكون بناء المدرسة محكما مثل المسجد المنصوري والمارستان العضدي" أنظر : ابن الأثير : الكامل جـ٨/ص ١٢٤ ، سعيد النفيسي : المدرسة النظامية في بغداد جـ١ م ٣ / ص ١٤٥ . عن هندوشاه : تجارب السلف .

(٢) ابن جبير : الرحلة / ص ٢٠٥ .

(٣) ابن بطوطة : الرحلة / ص ٢١٩ .

(٤) كرد علي : نظام الملك والمدرسة النظامية ، مقالة مجلة المقتطف مجلد ٢٧ سنة ١٩٠٢م ص ٦٢٣ .

جوانبها طاقات مستديرة الشكل تنتهي الى ذلك البنيان المشيد ، وقد فرشت ساحاتها بالمرمر وسورها مؤزر بمثله ".[(١)]

أما مكتبة المدرسة فيبدو أنها كانت تتألف من مبنى كبير يضم خزانة حوت على الآف المجلدات ، بالاضافة الى صالات للقراءة والدروس ، ومن الجدير بالذكر أن عمارة هذه المكتبة قد جددت في عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي وذلك في عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م .[(٢)]

أوقاف المدرسة ونفقاتها :

ولقد أنفق نظام الملك على انشاء المدرسة النظامية ببغداد الكثير من الأموال ، ويمكن تصور تلك المبالغ من خلال وشاية أعدائه لدى السلطان ملكشاه حين قالوا : " ان الأموال التي ينفقها نظام الملك في ذلك تقيم جيشا يركز رايته في سور القسطنطينية ".[(٣)] على أن أحد الباحثين المحدثين ذكر أن ما أنفق على انشاء المدرسة النظامية ببغداد يقدر بمبلغ مائتي ألف دينار ".[(٤)]

وبعد الانتهاء من عمارة المدرسة النظامية ببغداد أوقف نظام الملك وقوفا عظيمة محبسة لغرض الانفاق منها على عمارتها ودوركتها ، ومن أجل صرف الجرايات على أربابها من المدرسين والعلماء والطلبة .

---

(١) الألوسي : تاريخ مساجد بغداد وآثارها / ص ١٠٣ . دون أن يذكر مصادر معلوماته .
(٢) ابن الأثير: الكامل جـ ٩ / ص ٢٢٩ .
(٣) الطرطوشي : سراج الملوك / ص ٢٦٧ .
(٤) الجامعة المصرية : مقالة مجلة المقتطف المجلد ٣١ جـ ١١ / ص ٨٧٤ ، سعيد نفيسي : المدرسة النظامية في بغداد ، مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ٣ جـ ١ / ص ١٤٧ .

وقد ذكر ابن الجوزى أخبار وقف المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م فقال : " ان الأمير العميد أبا نصر قد جمع " الوجوه الى المدرسة النظامية ، وقرئت كتب وقفيتها ووقف كتب فيها ووقف ضياع وأملاك وسوق ابتنيت على بابها ... "(١) ، وقال الطرطوشي : " وبنى حولها أسواقا تكون محبسة عليها ، وابتاع ضياعا وحمامات ومخازن ودكاكين أوقفها عليها "(٢) .

وكان شيخ الشيوخ أبو سعيد الصوفي النيسابورى (المتوفى عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦م) هو الذى تولى بناء وقوف النظامية ، بالاضافة الى اشرافه على بناء المدرسة .(٣) ولقد تولى أوقاف هذه المدرسة عدد من الأكابر والعلماء بعد أبي سعيد النيسابورى ، وكان هذا المنصب يوكل به عادة الى وجوه القوم ، فقد ذكر ابن الساعي في حوادث سنة ٥٩٥ هـ/١١٩٨م " وفيه رد النظر في وقوف المدارس جميعها والوقوف العامة الى قاضي القضاة "(٤) . ومن تولى أوقاف النظامية ابن السراج (المتوفي عام ٥٦٠هـ/١١٦٤م)(٥) ، والحسن بن سعد بن حسن الخوجي (المتوفى عام ٥٧٥ هـ/ ١١٧٩م)(٦) ومحمد بن عبداللطيف بن محمد الخجندى (المتوفي عام ٥٩٢ هـ/ ١١٩٥م)(٧) .

ولقد غدت المدرسة النظامية ببغداد واحدة من أعظم مآثر السلاجقة ، ومنارا لخدمة العلم والعلماء . ولقد طبقت شهرة هذه المدرسة الآفاق ، واشتهرت

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ /ص ٢٥٦ .
(٢) الطرطوشي : سراج الملوك / ص ١٢٨ .
(٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ١٤٤ .
(٤) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٢٠ .
(٥) ناجي معروف : علماء النظاميات / ص ٣٣ .
(٦) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٧ / ص ٦٠ .
(٧) ن.م.ص جـ ٦ / ص ١٣٤ ، الأشرف الغساني : العسجد المسبوك جـ١ / ص ٢٣٧ .

بمكانتها العلمية ، وما تقدمه لمنسوبيها من أساتذة وتلامذة واداريين من خدمات جليلة " فقد خصص منشئوها وظائف وجرايات لكل من أقام فيها من طلبة العلم ، وقام بمؤونة أطعمتهم وملابسهم وفرشهم وسرجهم وغير ذلك من ضروريات معاشهم"[١].

وكان نظام الملك ينفق على ذلك الكثير من الأموال ، فقد بلغت نفقاته على النظاميات والربط والتكايا من ماله الخاص مبلغ ستمائة ألف دينار[٢].

وهكذا كانت المدرسة النظامية أولى المدارس في ديار الاسلام اهتماما بمنسوبيها في دراستهم وفي معاشهم وسكناهم ومتطلباتهم ، ومنذ عهده أصبحت عادة جارية[٣] في أغلب المدارس ، فكان الطلبة يتسابقون الى الاقامة في المدرسة النظامية في بغداد[٤] لما توفره من علم ميسر وانقطاع الى الدروس وجرايات دائمة " فقد خصص لطلاب العلم وظائف مرتبة "[٥] وأجرى على المتفقهة لكل واحد منهم أربعة أرطال خبز في كل يوم "[٦]، وعليه فقد توافد الطلاب اليها من أرجاء العالم الاسلامي حتى بلغ عددهم الآلاف[٧] وكان نظام الملك ينفق عليهم الكثير من الأموال

---

(١) الألوسي : تاريخ مساجد بغداد وآثارها / ص ١٠٣.

(٢) الطرطوشي : سراج الملوك / ص ٢٣٨.

(٣) ذكر ابن الفوطي في ترجمة كمال الأردبيلي المدرس بالنظامية ببغداد " وقدم بغداد واستوطن دار المدرسين بدهليز النظامية " مجمع الآداب جـ ٥ / ص ١٣١.

(٤) وكان لسكنى المدارس آداب خاصة مرعية يجب أن يلتزم بها ساكنوها . أنظر هذه الآداب في : ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم ص ص ١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٩، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٣.

(٥) ابن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية / ص ٧٥.

(٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ١٣٥.

(٧) سعيد النفيس : المدرسة النظامية في بغداد ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٣ جـ ١ / ص ٤٧ . دون أن يذكر مصادر معلوماته . ولقد أمدتنا بعض المصادر بأسماء بعض من أقام بالمدرسة النظامية ، منهم أبو اسحاق ابراهيم بن يحي بن عثمان الكلبي الشاعر ، رحل الى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية سنين عديدة . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ / ص ٥٨ ومنهم يعقوب =

" ففي سنة ٤٨٠ هـ/ ١٠٨٧م دخل نظام الملك مدرسته ، فجلس بها وأملى الحديث وسمع عليه وسأل عن علماء بغداد فلم يبق من يشار اليه ، وفرق الخلع والمال في الفقهاء وأحسن اليهم " .[1] وكان يهتم اهتماما كبيرا بالعلماء والمدرسين، فقد أجرى عليهم وقرر لهم المشاهرات الدائمة .[2]

<u>ادارة المدرسة وسير العمل :</u>

وكان يتولى مصالح المدرسة النظامية ببغداد ادارة خصصت لها ، وقد حدد لكل فرد من رجال ادارتها مهام عمله كما كان هناك من يتولى النظر في النظامية والاشراف على مصالحها وسير العمل فيها[3] ، وكانت ادارة المدرسة تشرف أيضا على خزانة داركتبها التي حوت نفائس الكتب ، وكانت مزودة بالحبر والورق في قاعات رتبت بحيث تكون أفضل مكان للقراءة والاطلاع والنسخ . وقد سبقت الاشارة الى أنه قد جددت عمارة هذه المكتبة على عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي سنة ٥٨٩ هـ/ ١١٩٣م .[4]

وقد تولى الاشراف على خزانة هذه المدرسة خلال عصورها المتتابعة عدد كبير من الخزنة كان الكثير منهم من العلماء المشهورين .[5]

= الكاتب توفى سنة ٥٤٧ هـ . ابن الأثير : <u>الكامل</u> جـ ٩ / ص ٣٧ وعلى بن منصور بن عبد الله الخطيبي اللغوى . ياقوت : <u>معجم الأدباء</u> جـ ١٥/ص ٨١ - ٨٣ ، ومنهم أبو المناقب محمود الجوى (توفى سنة ٦٠٥ هـ) . ابن الساعي : <u>الجامع المختصر</u> جـ ٩ / ص ٢٧٢ . وأنظر أيضا : ناجي معروف : <u>علماء النظاميات</u> ص ص ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ .

(١) سبط ابن الجوزى : <u>مرآة الزمان</u> جـ ٨ / ص ٢٤٥ .

(٢) كرد علي : <u>نظام الملك والمدرسة النظامية</u>. مقالة <u>مجلة المقتطف</u> . المجلد ٢٧ص٦٣٢ .

(٣) تولي ادارة المدرسة النظامية ببغداد عدد من العلماء الكبار . أنظر عنهم : ناجي معروف : <u>علماء النظاميات</u> / ص ٣٣ .

(٤) ابن الأثير : <u>الكامل</u> جـ ٩ / ص ٢٢٩ .

(٥) سبق الحديث عن خزانة هذه المدرسة في هذا البحث .

التعليم في المدرسة النظامية :

من التخصصات التي كانت تدرّس في المدرسة النظامية يتبين أن التعليم فيها كان عدة أقسام، فكان هناك قسم للاقراء ودراسة القرآن ، وقسم لتعليم الفقه والأصول ، وآخر لتدريس الحديث والوعظ ، وفرع لتدريس اللغة العربية وآدابها. وقد ذكر ابن الجوزي في شرط نظام الملك في مدرسته بحيث أوقفها على الشافعية وجعل ذلك شرطا لمن ينتظم بها فقال " وكذلك شرط في المدرس الذي يكون بها ، والواعظ الذي يعظ بها ..... وشرط أن يكون فيها مقرئ يقرئ القرآن ، ونحوي يدرس العربية "(١).

ويستدل من أسماء كبار العلماء في النظامية أن المكلفين بالتدريس فيها كانوا ثلاث طبقات :

١ - المدرسون :(٢)

كان المدرسون في المدرسة النظامية يعينون بمرسوم خاص ، والظاهر أن هذا النوع من المراسيم أو التوقيعات التدريسية لم تظهر الا بعد انشاء المدارس في هذا العصر ، وبعد أن خصصت المعاليم للمدرسين ، وكانت هذه المناشير تصدر من الخلفاء أو السلاطين السلاجقة أو الوزراء بتعيين الأساتذة في المدرسة النظامية ، ولقد حفظ لنا القلقشندي نموذجا لتوقيع تدريس كتب به عن الامام الناصر لدين الله للقاضي محي الدين محمد بن فضلان ، بتدريس المدرسة النظامية ببغداد سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م لعل من

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٩ / ص ٦٦ .

(٢) حدد القلقشندي وظيفة المدرس بأنه " الذي يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه والنحو والتصريف ونحو ذلك " . أنظر القلقشندي : صبح الأعشى جـ ٥ / ص ٤٦٤ .

المفيد ايراده اذ يقول فيه " أحق من أفيضت عليه مجاسد النعم ، وجذب بضبعيه الى مقام التنويه وتقدم القدم ، من أسفر في أفضيه الفضائل صباحه ، وانتشر في العالم علمه وازدهر مصباحه . ولما كان الأجل الأوحد العالم محي الدين حجة الاسلام رئيس الأصحاب مفتى الفريقين معبد العلوم أبو عبد الله محمد بن يحي بن فضلان أدام الله رفعته ممن نظم فرائد المحامد، وآوى من العلم والعمل الى ركن شديد ، وثبت قدمه في الديانة رؤى التعويل في تفويض التدريس بالمدرسة النظامية اليه "[1]. وفي سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٤ م قدم الامام أبو عبد الله الطبرى بغداد بتوقيع من نظام الملك بتوليته تدريس المدرسة النظامية ببغداد ، ثم ورد بعده في هذه السنة أبو محمد عبد الوهاب الشيرازى ومعه توقيع آخر بالتدريس في النظامية فاستقر الأمر بينهما أن يدرّس الشيرازى يوما والطبرى يوما[2]، ويقول ناجي معروف " ويمكننا أن نذكر أن هذه التوقيعات احتوت على أمور تتعلق بمنصب التدريس ، وأهمية المدرس حيث لم يكن يعين للتدريس الا من عرف بعلمه وسداد آرائه وتقواه ، كما أنها تبين للمدرس طريقة التدريس التي ينبغى اتباعها ، وكان يذكر فيها ما يخصص للمدرس شهريا من جرايات عينية ومرتبات نقدية ، كما كان يشار في التوقيع الى الأمور الأخرى التى يكلف بالنظر فيها من غير الشئون التدريسية كالنظر في الوقوف المحبسة على المدرسة التى عين فيها مدرسا "[3].

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١٠ / ص ٢٩٢.

(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٥٣ ، البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ص ٧٨ - ٧٩ . ابن الأثير: الكامل جـ ٨ / ص ١٥٣.

(٣) ناجي معروف : التوقيعات التدريسية - مقالة مجلة كلية الآداب ببغداد عدد ٦ ص ص ٢٩ - ٣٠ . دون أن يذكر مصادر معلوماته .

وكان لتولية أحد العلماء التدريس بالنظامية مراسيم معينة تتبع بحيث تخلع عليه أهبة سوداء[1] ، وطرحة كحلية ، ويذهب في موكب الى المدرسة ويحضر عنده أرباب الدولة ، ويقوم بالقاء دروسه[2] .

ولقد كان تولي التدريس بالمدرسة النظامية بأي فرع من فروعها منصبا مرموقا ، يطمح اليه الكثير من العلماء ، حتى أن بعضهم كان يغير مذهبه الى مذهب الامام الشافعي ليحظى بمنصب التدريس بالنظامية ، كما حصل للوجيه النحوى (المتوفى عام ٦١٢ هـ / ١٢١٥م) الذى كان من أتباع مذهب الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان ، والذى وافق على أن ينتقل الى تبعية مذهب الامام الشافعي حين اشترط عليه ذلك من أجل تعيينه مدرسا في المدرسة النظامية ببغداد[3] .

٢ - المعيدون بالمدرسة النظامية :

المعيد هو الذى يعيد المحاضرة بعد القاء المدرس لها على الطلبة[4] . ووظيفة المعيد لم تظهر في تاريخ التعليم عند المسلمين الا مع ظهور المدارس فالمصادر التاريخية لم تورد ذكرا لهذه الوظيفة قبل منتصف القرن الخامس الهجرى[5] ، ولذلك فان وظيفة (المعيد) ارتبطت غالبا بالمدارس التى ظهرت في هذه الفترة ، فلقد ظهر عدد من الطلاب النابغين الذين برزوا في الحلقات فى المدرسة النظامية وفي غيرها ، وزاد ارتباطهم بمدرسيهم

---

(١) الأهبة : العدّة . ابن منظور : لسان العرب جـ ١ / ص ٢١٧ .
(٢) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٧٩ .
(٣) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ٢ / ص ١١١ .
(٤) والمعيد دون المدرس وأرقى درجة من عامة الطلبة ، ذكر ابن جماعة عن المعيد " كأنه معين الشيخ على الطلبة " تذكرة السامع والمتكلم / ص ١٥٠ .
(٥) حسين أمين : المظاهر الحضارية للسلاجقة في العراق وآثارها - مقالة مجلة الأستاذ ، بكلية التربية ، المجلد ١٤ / ص ٣٦٣ .

وتخصصاتهم حتى أصبح لديهم الاستعداد لأن يقوموا بمساعدة أساتذتهم في القاء الدروس بعدهم على التلاميذ .

وكان المعيدون في المدرسة النظامية يعينون من قبل ناظر المدرسة وادارتها ، وكان يشترط في المعيد بالمدرسة النظامية كما هو الحال مع المدرسين ، أن يكون شافعي المذهب .[1] ومما تجدر الاشارة اليه أن كثيرا من المدرسين والأساتذة بالنظامية بدأوا حياتهم العلمية طلابا ثم تحولوا الى معيدين ، حيث أصبح لديهم ، بعد التدريب على القاء الدروس ، القدرة الكافية على الاجابة على أسئلة الطلاب . كما أصبح لديهم من الكفاءة العلمية ، ما أهلهم لأن يدرجوا على طريق التخصص بين أقرانهم ممن يدرّسون بالمدرسة النظامية .

وقد ذكرت المصادر التاريخية عددا من أسماء المعيدين بالمدرسة النظامية ببغداد دون أن تحدد اختصاصاتهم العلمية . والراجح أن أغلب المعيدين كانوا يعطون مع علماء الفقه والأصول والعلوم الشرعية بعامة . فابو البركات عبدالرحمن بن محمد بن عبيد الله الانباري النحوى (المتوفى عام ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م)[2] درس الفقه بالمدرسة النظامية حتى برع وصار معيدا ، ثم أستاذا بالمدرسة . ومن معيدى المدرسة النظامية[3] مجدالدين أبو علي يحي بن الربيع بن سليمان (المتوفى عام ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) العالم الفقيه المتكلم ، الذى كان من أعلام عصره في الحديث والفقه وعلم

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٦٦ .
(٢) الكتبى : فوات الوفيات جـ ٢ / ص ٢٩٢ .
(٣) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥ / ص ١٦٥ ، ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ ص ٢٩٧ .

الكلام والأصول والخلاف والتفسير والحساب ، والذى كانت له مصنفات عديدة . أما محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الامام الكبير فخر الاسلام أبو بكر الشاشي (المتوفي عام ٥٠٧ هـ/ ١١١٣م) فقد كان من أشهر معيدى المدرسة النظامية ، كان اماما جليلا عالما ، وكان يعيد محاضرات أبى اسحاق الشيرازى مدرس النظامية .(١)

ومن أشهر العلماء الذين تذكر المصادر أنهم بدأوا حياتهم العلمية في المدرسة النظامية ، أبو المحاسن يوسف بن رافع الأسدى المعروف بابن شداد (المتوفى عام ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤م)(٢) . وقد رتب جمال الدين أبو اسحاق الشيرازى (المتوفى عام ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣م)(٣) معيدا فى حلقة الشيخ أبي طالب الطيب الطبرى ، ثم أصبح بعد ذلك مدرسا للفقه فى المدرسة النظامية ببغداد .

٣ - الوعاظ بالمدرسة النظامية :

والطبقة الثالثة من المكلفين بالتدريس بالمدرسة النظامية هي وظيفة الواعظ ، والذى اشترط فيه نظام الملك أن يكون شافعيا(٤) . ولقد تناثرت أخبار الوعاظ بالمدرسة النظامية في تضاعيف الكتب والمصادر المختلفة ، وكان بالامكان أن يقوم بهذه الوظيفة بعض المدرسين لفروع أخرى ، فقد كان

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٦ / ص ٧٠ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ / ص ٤٦٧ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥ / ص ١١٥ ، أبو شامة : ذيل الروضتين / ص ١٦٣ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ / ص ٢٩ .
(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٦٦ .

الحسن بن سلمان الفقيه الشافعي (المتوفى ٥٢٦ هـ/ ١١٣١م) يـدرس الحديث ويباشر الوعظ بالنظامية .[1] كما كانت المدرسة النظامية ببغداد تستقبل كبار الوعاظ الشوافع للوعظ بها ، منهم أبو الحسين أردشير بن منصور العبادى (المتوفى عام ٤٩٦ هـ/ ١١٠٢م)[2] ، وعبد الرحيم بن عبد الكريم القشيرى (المتوفى عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠م)[3] ، ومحمد بن عبد الكريم الشهرستاني (المتوفي عام ٥٤٩ هـ/ ١١٥٤م)[4] وغيرهم كثيرون . ويبدو أن الواعظ بالمدرسة النظامية كان يعقد مجلس وعظه بعد أوقات الصلاة[5] ولقد تولى الوعظ بالمدرسة النظامية عدد كبير من الوعاظ خلال فتراتها المتتابعة ، يطول الحديث بذكر أسمائهم .

طلاب المدرسة النظامية :

لقد درس بالمدرسة النظامية خلال فترة العصر السلجوقي الآلاف من التلاميذ والمتفقهة الذين كانوا يفدون اليها من سائر أنحاء العالم الاسلامي ، لما حصلت عليه المدرسة من شهرة علمية ، فقد ذاع صيتها وطبق الآفاق ، ونظرا لما يتمتع به علماؤها من سمعة علمية رصينة ، اضافة الى ما تقدمه المدرسة لطلابها من خدمات ووسائل وتسهيلات دراسية فقد " كان يصرف عليها فى كل عام

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٣٣٤ .
(٢) ن.م.ص جـ ٨ / ص ١٦٨ .
(٣) الخطيب : تاريخ بغداد جـ١ / ص ٢٧٤ ، العماد الحنبلى : الشذرات جـ ٣ / ص ٣٢٠ .
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٢٧٣ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ٧٨ ، العماد الحنبلى : الشذرات جـ ٤ / ص ١٤٩ .
(٥) ابن جبير : الرحلة / ص ١٩٥ .

لنفقات الأساتذة والتلاميذ مائتا كر[1] وثمانية عشر ألف دينار "[2]. وقد أورد أحد الباحثين دون أن يذكر مصادر معلوماته أن المدرسة النظامية " كان فيها ستة آلاف تلميذ يتلقون فيها العلوم الدينية والفقه والتفسير والحديث والنحو والصرف واللغة والأدب "[3]. وقد درس في المدرسة النظامية ببغداد عدد من الرجال صاروا من مشاهير علماء الاسلام ، وقد برع كل واحد منهم فى علم من العلوم ، كما تخرج منها طلاب أصبحوا فيما بعد علماء ، صنفوا العديد من الكتب ، وشاركوا فى رفع لواء النهضة العلمية والفكرية في هذا العصر ليس في العراق وحده بل فى العالم الاسلامي على سعته ، منهم أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج محمد بن حامد المعروف بالعماد الأصفهاني (المتوفي سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)[4] الذى تفقه فى المدرسة النظامية حتى تخرج منها وأصبح عالما فاضلا فى فنون العلم. ومن فقهاء النظامية وعلماء محدثيها ومؤرخيها الحافظ ابن عساكر أبو القاسم بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الامام الجليل (المتوفي عام ٥٤١ هـ/ ١١٤٦م)[5] امام أهل الحديث فى زمانه . ومن فقهاء النظامية بهاء الدين ابن شداد (المتوفى عام ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤ م) . وأبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الانبارى (المتوفى عام ٥٧٧ هـ / ١١٨١م) ، الذى برع فى الأدب حتى صار شيخ العراق . كما تفقه في المدرسة النظامية أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن تومرت الداعية الاسلامي الكبير ، والعالم الفاضل الذى رجع بعد دراسته بها الى المغرب ، وقام بحركته الجبارة[6] ، ومن الذين درسوا بالمدرسة النظامية

---

(١) الكرّ : مكيال لأهل العراق ، وهو عندهم ستون قفيزا ، ابن منظور : لسان العرب جـ ٥ / ص ١٣٧.

(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٦٦.

(٣) سعيد نفيسي : المدرسة النظامية فى بغداد ، مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٣ جـ ١ / ص ١٤٧.

(٤) ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٩ /ص ١١ ، ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٦١.

(٥) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٦) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٢٩٤.

ببغداد . من أبناء أرض الكنانة اسماعيل بن محمد ابن حسان أبو طاهر الأسواني ، الذى رحل الى بغداد وتفقه بالمدرسة النظامية ، ورجع وأقام بأسوان حاكما ومدرسا ومات بالقاهرة سنة (٥٩٦ هـ/ ١١٩٩م)[(١)] ، ومن فقهاء المدرسة ومشاهيرها موسي بن أبي الفضل يونس بن منعه أبو الفتح الموصلي (ولد سنة ٥٤١ هـ/ ١١٤٦م)[(٢)] الذى تفقه بالمدرسة النظامية ببغداد ، وعاد الى الموصل حيث أصبح عالما متبحرا في عدد من العلوم والفنون ، فلقد جمع من العلوم مالم يجمعه أحد ، وتفرد بعلم الرياضة[(٣)] وقال عنه السبكي " صاحب التعليقة في الخلاف والزيج والتصانيف والله ما دخل بغداد مثل هذا الشيخ "[(٤)] .

الدراسة فى المدرسة النظامية :

لقد جاء انشاء المدرسة النظامية في عصر كان يموج بالآراء المختلفة ، والأفكار المتضاربة . التى كان لها أثر كبير في حالة الصراع الفكرى وتأجج حالة التشتت والانقسام التى عاشها المجتمع الاسلامي ، ولعل ذلك ما دفع الوزير نظام الملك الى انشاء مدرسته من أجل تحقيق حالة الانسجام فى المجتمع الاسلامي ، والغاء الفرقة ، والدفاع عن الأمة وعقيدتها ازاء ما يتهددها من أخطار ، وذلك عن طريق تعليمهم أصول الدين الصحيحة .

والحق أن التعليم في المدارس النظامية أو غيرها من مدارس العصر لم يكن الا امتدادا لحركة التعليم الاسلامي في المساجد ، وهكذا فان التعليم في

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة جـ ١ / ص ١٩٠ .
(٢) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٨ / ص ٣٧٨ ، اليافعي : مرآة الجنان جـ ٤ / ص ١٠١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٣٩٦ ، ابن العماد : الشذرات جـ ٥ / ص ٢٠٦ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٣٩٦ .
(٤) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٨ / ص ٣٧٨ .

المدرسة النظامية في مبدأ افتتاحها كان يركز على تدريس الفقه الاسلامي وأصول الدين والعقيدة .

ومن أهم ما يلاحظ في نظام التدريس في المدرسة النظامية ببغداد خاصة أنها عنيت عناية كبيرة بموضوع التخصص ، ذلك أنه لم يعهد بالتدريس في أى قسم من الأقسام الدراسية فيها الا لمن عرف بغزارة العلم والتخصص في ميدانه ، وهكذا لم يكن يعين فيها لتولي منصب التدريس سوى رؤوس العلماء المتخصصين ، وقد كان بالمدرسة النظامية كما أسلفنا أقسام بتخصصات متنوعة وهي كما يلي :

١ - فرع الفقه وأصوله :

فلقد أنشئت هذه المدرسة أصلا لتكون متخصصة في تدريس الفقه وأصوله ، ولذلك فانه حينما افتتحها نظام الملك عين فيها أبا اسحاق الشيرازى (المتوفى عام ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣م) مدرسا وحيدا لتدريس الفقه على مذهب الامام الشافعي ، كما عين نظام الملك عبد الوهاب بن محمد الشيرازى (المتوفي عام ٥٠٠هـ/١١٠٦م) مدرسا بها للحديث في سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م)ويبدو أن هذه المدرسة قد اتسعت فروع التخصصات فيها حتى شملت الحديث والوعظ والتفسير وعلم الكلام ودراسات اللغة العربية والأدب ، وعين فيها مدرسون متخصصون .

ولقد أسندت مهمة التدريس في فرع الفقه وأصوله الى أعظم علماء العصر ، حيث تسلم هذا الفرع في نظامية بغداد علماء طبقت شهرتهم العالم الاسلامي ، وكان لهم مؤلفات ودراسات عظيمة في الفقه والأصول وعلوم الشريعة ، سنقتصر على ذكر أشهرهم ، منهم الشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازى (المتوفى عام ٤٧٦ هـ/ ١٠٨٣م)(١) أحد الأعلام ،

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/ص ٢٩، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ٢١٥ . العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٣ / ص ٣٤٩ .

كان أنظر أهل زمانه وأفصحهم ، وانتهت اليه رياسة المذهب الشافعي ، ورحل اليه الفقهاء من الأمصار.[١] كما تولى تدريس الفقه الشافعي بالمدرسة النظامية ببغداد أبو نصر عبد السلام بن محمد بن عبد الواحد الصباغ الفقيه الشافعي (المتوفى عام ٤٧٧هـ/١٠٨٤م)[٢] فقيه العراقيين فى وقته الذى رحل اليه الطلاب من مختلف البلاد ، وقد فاق أبا اسحاق فى المذهب.[٣] وقد تولى تدريس فرع الفقه بالمدرسة النظامية ببغداد أيضا حجة الاسلام محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي (المتوفى عام ٥٠٥هـ/١١١١م)[٤] . كما تولى تدريس الفقه الشافعي بنظامية بغداد فخر الاسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين شيخ الشافعية (المتوفى عام ٥٠٧ هـ/ ١١١٣م)[٥] والذى اشتهر ببغداد من المصنفات أهمها كتاب حلية العلماء فى المذهب ، كما كان من مشاهير أساتذة نظامية بغداد أحمد بن علي بن برهان (المتوفى عام ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦م)[٦] الذى برع في المذهب والخلاف .

٢ - فرع القرآن والحديث والتفسير والوعظ :

لقد كان من شرط المدرسة النظامية ببغداد أن يكون فيها مقرئ يقرئ القرآن[٧] ، وتجدر الاشارة الى أنه كان هناك عدد من أساتذة الفقه يقومون بتدريس الفقه والحديث وربما التفسير أيضا ، وقد برز منهم أساتذة متخصصون

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ٢١٥ .
(٢) الخطيب : تاريخ بغداد جـ ١١/ص ٣١ ، ابن الأثير: الكامل : جـ ٨/ ص ١٣٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ٢١٨ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥ / ص ١٢٢ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ٢١٨ .
(٤) تناولت شخصية الامام الغزالي بالترجمة والتحليل جميع المصادر والتراجم التاريخية وتناوله هذا البحث بالدراسة في مواضع عدة .
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٢١٩ ، الكتبى : عيون التاريخ جـ ١٢ /ص ٢٤ ، العماد الحنبلى : الشذرات جـ ٤ / ص ١٦ .
(٦) ابن الأثير: الكامل جـ ٨ /ص ٣٢٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ /ص ٩٩ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤/ص ٤٢ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤/ص ٦١ .
(٧) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٦٦ .

درسوا هذه المواد ، منهم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب أبو محمد الشيرازي الفارسي (المتوفى عام ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م)[١] وكان الوزير نظام الملك قد ولاه تدريس الحديث بالمدرسة النظامية سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م[٢] . ومنهم الحسن بن سلمان بن عبد الله أبو علي الفقيه الشافعي (المتوفى عام ٥٢٦ هـ / ١١٣١م)[٣] الذي كان يدرس الحديث ويباشر الوعظ بالمدرسة النظامية[٤] . كما درس بهذا الفرع عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو النجيب السهروردي (المتوفى عام ٥٦٣ هـ/ ١١٦٧م)[٥] .

٣ - فرع النحو واللغة والأدب :

وكان بالمدرسة النظامية فرع لتدريس النحو واللغة والأدب ، فقد كان من شروط نظام الملك عند تأسيس المدرسة وجود نحوي يدرس العربية[٦] ، وتتحدث المصادر التاريخية وكتب التراجم عن علماء النحو واللغة والأدب الذين كانوا يدرسون بالمدرسة النظامية ، منهم أبو زكريا يحي بن علي بن بسطام الشيباني الخطيب التبريزي (المتوفى عام ٥٠٢ هـ/ ١١٠٩م)[٧] الذي كان أحد أئمة اللغة والنحو والذي صنف عددا من المصنفات القيمة في العربية .

ومن درّس في النظامية أبو الحسن علي بن أبي زيد محمد الفصيحي

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٩ / ص ١٥٣ .
(٢) ن.م.ص جـ ٩ / ص ١٥٣ .
(٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٣٣٤ .
(٤) ن.م.س جـ ٨ / ص ٣٣٤ .
(٥) الذهبي : تاريخ الاسلام جـ ١٣ / وفيات سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة . المختصر المحتاج اليه جـ ٣ /ص ٩٣ العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ٢٠٨ .
(٦) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٩ / ص ٦٦ .
(٧) ن.م.س جـ ٩ / ص ٦٦ . ياقوت : معجم الأدباء جـ ٢٠ /ص ٢٥ ، ابن الأنباري : نزهة الألباء / ص ٢٧٠ .

(المتوفى عام ٥١٦هـ/ ١١٢٢م)[١] وكان عالما فى الأدب والنحو غير أنه اتهم بالتشيع فأبعد عن التدريس ، وانقطعت صلته بالنظامية . ومع ذلك فقد كان طلبة العلم يأتون الى بيته ويدرسون عليه الأدب كما سبق أن أسلفنا . وقد درّس بالمدرسة النظامية بعد ذلك أبو منصور بن أحمد الجواليقي (المتوفى عام ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥م)[٢] . وكان أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله الأنبارى (المتوفى عام ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م)[٣] . من الأئمة المشار اليهم في علم النحو ، تفقه على مذهب الشافعي بنظامية بغداد وتصدر لاقراء النحو بها ، وتبحر في علم الأدب ، واشتغل عليه خلق كثير حتى صاروا علماء[٤] . ولقد انتقل المبارك بن المبارك بن سعيد بن الدهان الضرير المعروف بالوجيه (المتوفى عام ٦١٢ هـ/ ١٢١٥م)[٥] من مذهبه الحنفي ليصبح من أتباع المذهب الشافعي من أجل أن يتولى تدريس النحو بالمدرسة النظامية ، وقد أشرنا الى ذلك آنفا . وقد تخرج على يديه فى النحو من نظامية بغداد جماعة كثيرة ، وكان يحسن اللغات الفارسية والتركية والحبشية والرومية والأرمنية والزنجية[٦] فكان اذا قرأ عليه أعجمي واستغلق عليه المعنى بالعربية أفهمه اياه بلسانه ، وهذا يعد بحق تطورا كبيرا فى أساليب التدريس ومضامينه ، وكان حسن التعليم ، طويل النفس ، كثير الاحتمال للتلامذة

---

(١) ابن الأنبارى : نزهة الألباء / ص ٢٧٤، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ٣٢٧، القفطي : انباه الرواة جـ ٢ / ص ٤٠٦ ، السيوطي : بغية الوعاة / ص ٣٥١ .

(٢) ابن الأنبارى : نزهة الألباء / ص ٢٧٤ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ١٣٩ ، القفطى : انباه الرواة جـ ٢ / ص ١٦٩ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ١٣٩ .

(٥) ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٧ / ص ٥٨ .

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ١٥٢ .

مما يشير الى كفاءة تربوية كبيرة مع استعداد فطرى للتعليم .

ومن درّس الأدب بالنظامية أيضا أبو زكريا يحي بن القاسم بن مفرج بن درع الثعلبي اللغوى الأديب (المتوفى عام ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م)[١] . كما درّس الأدب بها كذلك الشيخ فتح بن موسي بن حماد بن عبد الله الجزرى (المتوفي عام ٦١٣ هـ / ١٢١٦م)[٢] الذى وصف بأنه كان أصوليا نحويا عارفا بالعروض .

وعلى كل حال فلقد كان افتتاح المدرسة النظامية ببغداد بداية جادة في الحياة الثقافية والعلمية في ديار الاسلام ، حيث اتبع في هذه المدرسة تنظيم منهجي وتدريسي كان له أكبر الأثر في ظهور نظام تعليمي جديد كانت معالمه البارزة في المنهج العلمي والتعليمي في مدارس العراق والعالم الاسلامي .

ولقد لاحظنا أن التدريس في نظامية بغداد قد اتخذ مسارا خاصا به ، فقد ظهرت التخصصات العلمية ، ووضع لكل قسم منهجه الخاص ، وكتبه المعينة في التدريس ، كما خصص للمادة العلمية مدرس مختص ، فقد عين لتدريس الفقه وأصوله مدرس مختص ، وللحديث مدرس آخر ، ولتعليم القرآن والتفسير مدرس ثالث ، وللنحو واللغة والأدب مدرس رابع ، كما اختص بالوعظ وتطبيقاته وتدريب الطلاب على الخطابة والوعظ عالم مختص .

وقد منح الأساتذة حرية واستقلالا ضمن حدود معينة ، فقد ترك للمدرس حرية اختيار الأسلوب أو الطريقة التى يفضلها في القاء محاضراته[٣] كما كانت له حريته في تحديد المواعيد التى يلقي فيها دروسه على الطلاب مع التنسيق مع زملائه .

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٢٠ / ص ٢٩ .
(٢) السيوطي : بغية الوعاة جـ ٢ / ص ٢٤٢ .
(٣) عبد الهادى محبوبة : الحركة العلمية في المائة الخامسة الهجرية ، مجلة الأستاذ المجلد ١١ ص ٣٦٥ ، دون أن يحدد مصادره .

أما كيفية التدريس في النظامية فقد نقل لنا ابن جبير صورة واضحة عن ذلك ، ذلك أنه قد زار المدرسة النظامية سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م وحضر مجالس العلماء واطلع على طرائقهم المباركة الملتزمة [١] فكتب يقول " وأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية وفقيه النظامية ، والمشار اليه بالتقدم في العلوم الأصولية ، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة اثر صلاة العصر من يوم الجمعة " [٢] ، وطبيعي أن المدرس كان يجلس على مكان عال ، وكان الطلاب يجلسون أمامه ، ويبدأ الطلاب بقراءة القرآن حيث " كانوا يقرأون بتلاحين معجبة، ونغمات محرجة مطربة " [٣] . ثم يبدأ الشيخ بتفسير الدرس " ويتصرف في أفانين العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل ، وايراد حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والتكلم على معانيه " [٤] .

اذا فالتدريس في المدرسة النظامية كان له أسلوب معين ، ويبدو أن الدروس التي حضرها ابن جبير في النظامية كانت دروسا في الوعظ والتفسير ، فالظاهر أن الأستاذ يبدأ بشرح ما قرأه الطلاب من القرآن الكريم مستعينا في ذلك بالأحاديث النبوية ، ومستشهدا بآراء السلف الصالح وكبار العلماء ، والتكلم على معانيها . وكانت المناقشة والمحاورة مفتوحة أمام الطلاب ، اذ لم يكن الطالب ليقنع في تعلمه بمجرد السماع ، بل كان يهتم كثيرا بالسؤال والمناقشة والمحاورة مع الأستاذ ليتمكن من فهم جميع الأمور التي تتصل بالموضوع . على أن المناقشة بين الطالب وأستاذه كانت لها آداب خاصة بها تكفل تحقيق الفائدة المرجوة منها كما تكفل لكل من الأستاذ والطالب وقاره واحترامه [٥] ، فبعد القاء الشيخ

---

(١) ابن جبير : الرحلة / ص ١٩٥ .
(٢) ن٠م٠س / ص ١٩٦ .
(٣) ن٠م٠س / ص ١٩٥ .
(٤) ن٠م٠س / ص ١٩٥ .
(٥) الزرنوجي : تعليم المتعلم طريق التعلم ص ص ١٨ - ١٩ .

محاضرته يبدأ الطلاب بتوجيه الأسئلة الشفوية ، وبعد الانتهاء من الاجابة عنها واستيفاء ما يتصل بها يبدأ الأستاذ في الاجابة على ما قدم اليه من الأسئلة التحريرية بقصاصات الورق ، اذ كان يجيب عليها الواحد تلو الآخر . يقول ابن جبير في حديثه عن مجلس درس رضي الدين القزويني " ثم رشقت شآبيب المسائل من كل جانب ، فأجاب وما قصر ، وتقدم وما تأخر ، ورفعت اليه عدة رقاع فيها فجمعها جملة في يده ، وجعل يجاوب على كل واحد منها وينهذ بها الى أن فرغ منها ، وحان المساء فنزل وافترق الجمع فكان مجلسه مجلس علم ووعظ ظهرت منه البركة والسكينة ".[1]

هكذا كانت المدرسة النظامية تؤدى رسالتها الثقافية في نشر العلوم والآداب والدفاع عن العقيدة ، وكانت خير نموذج للمدرسة ، حيث أصبحت كما أسلفنا مثلا يحتذى في انشاء المدارس الاسلامية ، كما أصبحت نظمها التعليمية والتنظيمية تطبق في المدارس الأخرى التى أنشئت بعدها ، حيث ان المدرسة النظامية ببغداد بنظامها الادارى ومنهجها التعليمي تمثل تطورا كبيرا في النظام العلمي والثقافي في هذا العصر، فقد عم نظامها سائر المدارس في العراق والمشرق الاسلامي وبلاد الشام ومصر. هذا فضلا عن كونها حلقة وصل ثقافية بين الشرق والغرب من جراء التقاء طلبة المشرق والمغرب الاسلاميين في هذه المدرسة كما أسلفنا ، حيث احتضنت نخبة ممتازة منهم ، والذين كانوا مثلا ساميا فى السعي والاجتهاد ، وأصبح لهم فضل كبير في نقل علوم هذه المدرسة ونظمها الى بلدانهم. بالاضافة الى تخريجها لعدد من العلماء الذين لعبوا دورا أساسيا فى المجتمع ، وفي تطوير العلوم والثقافة في الحقبة التالية .

---

(١) ابن جبير : الرحلة / ص ١٩٥ .

مدرسة مشهد أبي حنيفة :

ويقع مشهد أبي حنيفة بجانب الرصافة من بغداد ، في محلة باب الطاق عند مقابر قريش الواقعة الى الشمال الغربي من مدينة المنصور ، يقول ابن جبير " وأعلى الشرقية خارج البلد محلة كبيرة بازاء محلة الرصافة ، وبالرصافة كان باب الطاق المشهور على الشط ، وفي تلك المحلة مشهد حفيل البنيان ، له قبة بيضاء سامية في الهواء ، فيه قبر الامام أبو حنيفة ".[1] ومدرسة مشهد أبي حنيفة أول مدرسة افتتحت في العراق ، فقد سبق أن ذكرنا أنه ما كادت تسمع أخبار مشروع الوزير نظام الملك ومباشرته لأعمال بناء مدرسته ببغداد حتى سارع مستوفي المملكة شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي (المتوفى عام ٤٩٥هـ/١١٠١م)[2] بالحضور الى بغداد عازما على انشاء مدرسة مماثلة فيها لأتباع المذهب الحنفي ، فاختار أن يكون موقعها بجوار تربة مشهد الامام أبي حنيفة النعمان امام المذهب ، فاشترى ما يحيط بالقبر من أبنية وأرض ، وأمر بهدم مسجد كان بجوار المقبرة فسوى أرضا فسيحة ، وجاء بالمهندسين والقطاعين ، وحفر أساسا لقبة كبيرة تقام فوق القبر[3] ، وبعد أن تم بناء ذلك عمل بازائها مسجدا جامعا واسعا ، ومدرسة عظمى لتدريس الفقه الحنفي ، وأنزلها الفقهاء ورتب لهم مدرسا.[4]

---

(١) ابن جبير : الرحلة / ص ٢٠٢ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ١٢٨ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٢٠٥ .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ٢٤٤ .
(٤) ن.م.ص جـ ٨ / ص ٢٤٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ١٠٥ ، وأنظر البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٣٤ .

وقد استعجل مستوفي المملكة اتمام بنائها وافتتاحها ، فلقد كان حريصا على أن يتم ذلك كما يظهر قبل افتتاح المدرسة النظامية ، وقد تحقق له ذلك ، فقد افتتحت قبل افتتاح المدرسة النظامية بأربعة أشهر وثلاثة عشر يوما [١] وذلك في سنة ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٦م٠

ولقد أوقف مستوفي المملكة الوقوف على المسجد والمدرسة لأساتذتها وتلاميذها وخزانة كتبها قال ابن الجوزي مشيرا الى مشهد الامام أبي حنيفة " وعمل المدرسة بازائه وأنزلها الفقهاء ورتب لهم مدرسا " [٢]٠

وفي سنة ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧م خلع على ضياء الدين أحمد بن مسعود التركستاني الحنفي وولي الاشراف على التدريس في مدرسة مشهد أبي حنيفة والنظر في وقوفها ، وكتب توقيعا جاء فيه " ولتبتدئ بعمارة المشهد والمدرسة المذكورين واصلاح فرشها ومصابيحها وأخذ القوام بالمواظبة على الخدمة بها ، والزام المتفقهة بملازمة الدروس وتكرارها واتقان المحفوظات واحكامها ٠٠٠" [٣]٠ وكان بالمدرسة خزانة كتب موقوفة على طلبة العلم ، اطلع ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م على ثبت الكتب الموجودة فيها [٤]٠ وكان من خزنتها ابن الاهوازي (المتوفى سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣م) [٥] وعبد العزيز بن علي بن أبي سعيد الخوارزمي (المتوفى بعد سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣م) [٦] ، ولقد أورد ابن الساعي البغدادي نصا صريحا من التوقيع الذي تولى أحمد بن مسعود التركستاني الحنفي بمقتضاه تدريس المدرسة والمشهد

---

(١) مصطفى جواد : أول مدرسة في العراق مدرسة الامام أبي حنيفة (مقالة المعلم مجلة المعلم الجديد) مجلد ٦ / ص ٤٢٠

(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٨ / ص ٢٤٥٠

(٣) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٢٣٦٠

(٤) ابن الجوزي : صيد الخاطر / ص ٣٦٧٠

(٥) ابن الجوزي : المنتظم جـ ١٠ /ص ٢٤٨٠

(٦) مصطفى جواد : أول مدرسة في العراق مدرسة الامام أبي حنيفة (مقالة بمجلة المعلم الجديد - مجلد ٦/ص ٤٢٠

والوقوف على أوقافه تختص بالمهمة التي يتولاها بشأن خزانة كتب المدرسة سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م جاء فيه : " وليثبت ما بخزانة الكتب من المجلدات وغيرها معارضا ذلك بفهرسته متطلبا ما عساه قد شذ منها ، وليأخذ خازنها بعد استصلاحه بمراعاتها ونفضها في كل وقت ومرمة شعثها وأن لا يخرج شيئا منها الا الى ذى أمانة مستظهرا بالرهن عن ذلك ... ".(١) ولقد أوقف على هذه الخزانة الكثير من الكتب والمكتبات الخاصة ، فممن أوقف عليها كتبه أبو يوسف عبد السلام بن بندار القزويني(٢) ، كما أن الطبيب ابن جزلة (المتوفى سنة ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩م) أوقف كتبه على مكتبة مدرسة مشهد الامام أبي حنيفة .(٣)

ولقد نيطت مهمة التدريس بمدرسة مشهد أبي حنيفة بعدد من العلماء المشاهير ، منهم أبو طاهر الياس بن ناصر بن ابراهيم الديلمي (المتوفى سنة ٤٦١ هـ/ ١٠٩٨م)(٤) وهو أول من درّس بالمدرسة . كما درّس فيها أبو طالب الحسين بن نظام بن الخضر الزينبي (المتوفى سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨م) ، كان من أصحاب الدامغاني وتلاميذه ، وقد استمر في منصبه مدرسا في مدرسة مشهد أبي حنيفة خمسين سنة الى حين وفاته .(٥) وممن تولى التدريس بها أبو القاسم خلف بن أحمد بن عبد الله الشلجي (المتوفى عام ٥١٥هـ/ ١١٢١)(٦) ، وابراهيم بن محمد بن ابراهيم الخزرجي (المتوفى عام ٥٣٧ هـ/ ١١٤٢م)(٧) ، وعلى بن الحسين بن محمد الزينبي (المتوفى سنة ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨م)(٨) ، وشرف الدين يوسف الدمشقي

---

(١) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٢٣٦ .
(٢) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٣ / ص ٢٣٠ .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ١١٩ ، القفطى : أخبار العلماء / ص ٢٤٠ .
(٤) القرشي : الجواهر المضية جـ ١ / ص ١٦٣ .
(٥) ن.م.ص جـ ١ / ص ٢١٩ .
(٦) ن.م.ص جـ ١ / ص ٢٣١ .
(٧) ن.م.ص جـ ١ / ص ٤٤ .
(٨) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ١٣٥ .

على أن كثرة المدارس في العراق في هذا العصر ، والنفقات الهائلة التي صرفت عليها ، وميل الناس وخاصة الأثرياء الى بناء مدارس جديدة ، أو اقدامهم على تحويل دورهم وقصورهم الى وقوف ، أو تحويلها الى مدارس ، هي أمور لها دلالتها وهي تشير الى نهضة ثقافية ووعي علمي لا شك فيهما . ولعل في ذلك ما يكفي للرد على الرأى القائل بتعويض الأعاجم السلاجقة بالمدارس ودور الحديث عن بيوت الحكمة ودور العلم التي أنشأها العرب انما هي خطة رجعية تمثلت في اهمالهم المعاهد التي علمت العلوم الطبيعية[١] ، ويعلق أحد الباحثين على الرأى الأخير بقوله : انه مبالغة لا تخفى ، وبأن هناك عناية بهذه العلوم في عهد الخليفة المستنصر[٢] . ولعل من المناسب أن نشير الى أن سياسة التعليم في العصر السلجوقي قد خدمت أغراض المجتمع الاسلامي وعقيدته التي تعرضت منذ الفترة السابقة لكثير من المخاطر ، كما أنها من جهة أخرى قد سارت في خطوط متميزة عنها في عصر الخليفة المستنصر بالله الذى يتصف عصره بنهضة علمية طموحة حيث نشطت الدراسات المختلفة العقلية والنقلية منها على السواء .

وتنعكس من خلال حركة تأسيس المدارس المستقلة وافرادها للتدريس وفق مذاهب مفردة حالة من حالات الصراع المذهبي المرمج والصامت حيث حاول أتباع كل مذهب من المذاهب الاسلامية نشر تعاليم المذهب على نطاق واسع عن طريق التحكم في قبول الطلاب والمدرسين على السواء ، ولكن ينبغي ألا ننساق في مبالغات غير دقيقة ، ذلك أن المصادر المعتمدة عندما تتكلم عن المدارس فانها تذكر بجانب المدارس التي أفردت لمذهب واحد ، مثل النظامية ، ومدرسة مشهد أبي حنيفة ، مدارس أخرى حصل فيها تعاون بين مذهبين أو أكثر مما يشير

---

(١) خليل طوطح : التربية عند العرب / ص ٢٢ .
(٢) عماد عبد السلام : مدارس بغداد في العصر العباسي / ص ١٣ .

(المتوفى عام ٥٥٧ هـ/ ١١٦١م) [١] ، ومسعود بن الحسين بن سعد الزيدى (المتوفى عام ٥٧١ هـ/ ١١٧٥م) ، والفقيه أبو الغنائم شجاع بن الحسن بن الفضل البغدادى (المتوفى عام ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م) [٢] ، وأبو المحاسن الموفق عبداللطيف بن نصر الله الكيال الواسطي (المتوفى عام ٦٠٥ هـ/ ١٢٠٨م) [٣]، والفقيه ضياء الدين أحمد بن مسعود التركستاني الذى تولى التدريس بمدرسة المشهد سنة ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧م [٤] .

ولقد تولى ادارة الوقف بمدرسة مشهد الامام أبي حنيفة عدد من العلماء منهم أبو المحاسن عبداللطيف بن نصرالله بن على بن منصور الواسطي ، فقد فوض اليه النظر في الوقوف سنة ٥٩٤ هـ/ ١١٩٧م [٥] .

المدارس الأخرى في بغداد ومن العراق :

لقد نشأ منذ أواسط القرن الرابع الهجرى الكثير من المعاهد والمدارس الكبرى القائمة بذاتها ، التى استقلت عن المساجد الجامعة ، والتى كان لها مساجدها الخاصة بها ، فقد أشار ابن جبير الى مدارس بغداد عند زيارته لها سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م فقال " والمدارس بها نحو الثلاثين ، وهى كلها بالشرقية، وما فيها مدرسة الا وهي يقصر القصر البديع عنها ..... ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة تتصير الى الفقهاء المدرسين بها ، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم ، ولهذه البلاد في أمر هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخر مخلد " [٦].

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ / ص ٨٠ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ٢٠٤ .
(٣) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٢٨٠ ، القرشي : الجواهر المضية جـ ١ / ص ٣٠١ .
(٤) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٢٣٦ .
(٥) ن.م.س جـ ٩ / ص ٢٨٠ .
(٦) ابن جبير : الرحلة / ص ٢٠٥ .

الى نمو حالة التسامح المذهبي من جهة ، وما يعكس في الوقت نفسه حالة التنسيق والتعاون من أجل الوصول الى تحقيق الهدف المشترك في نهضة معرفية شاملة سداها ولحمتها العقيدة الصافية .

وقد أشار أحد الباحثين المعاصرين الى ثماني وثلاثين مدرسة متنوعة ، نشأت في بغداد خلال فترة البحث[١] ، بعضها يمثل اتجاها مذهبيا مفردا ، في حين أن كثيرا منها كانت تدرس على أساس نظام المذهبين أو حتى المذاهب الأربعة[٢] . ويمكن التمييز في هذا المجال بين مختلف المدارس بعدد الايوانات التي تحتويها كل منها ، ذلك أن الايوان الواحد يمثل المكان المخصص لمذهب معين[٣] . وقد ذهب أحد الباحثين الى القول بأن دراسة القرآن الكريم قد استمرت تجرى في المساجد ، وأن ذلك قد استمر الى حين انشاء المدرسة المستنصرية حيث صارت دراسة القرآن الكريم ضمن مناهج المدارس[٤] . غير أن ذلك يتعارض مع واقع الحال الذى نقل لنا ابن جبير صورته بدقة حينما وصف أحد مجالس الدراسة القرآنية في المدرسة النظامية[٥] .

أما دور الحديث التي يراد بها أن تكون مؤسسات تعليمية متخصصة تفرد لدراسة الحديث مستقلة أو ملحقة بالمدارس ، فقد ذهب المرحوم الدكتور ناجي معروف الى القول بأنها " من مبتكرات الشهيد نور الدين زنكي ، فقد ذكر ابن الأثير أنه أول من بني دارا للحديث ، وذكر المقريزى أن أول من بنى دارا للحديث على وجه الأرض الملك العادل نورالدين محمود بن زنكي " ، الى أن يقول " وقد

---

(١) ناجي معروف : نشأة المدارس المستقلة في الاسلام / ص ١٤ .
(٢) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة / ص ٥٨ - ٣٥٨ ، ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية جـ١ /ص ٨١ ، أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها جـ٢ /ص ١٦٧ .
(٣) ناجي معروف : نشأة المدارس المستقلة في الاسلام / ص ١٤ .
(٤) ن.م.ص / ص ١٤ .
(٥) ابن جبير : الرحلة / ص ١٩٥ .

ظلت دور الحديث على هذا النحو الى أن أنشئت المستنصرية حيث صارت دور الحديث على الأغلب تلحق بمدارس الفقه أسوة المستنصرية "[1].

على أن ذلك لا يمنع أو ينفي ما مر ذكره من أن من بين الأقسام المتخصصة في المدرسة النظامية كان فرع القرآن والحديث . وسنتعرض الآن لذكر أهم المدارس الأخرى فى بغداد .

المدارس الحنفية ببغداد :

مدرسة تركان خاتون : (المتوفاة عام ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م)[2]

وكانت هذه المدرسة قد أسست باسم ابنة طراج زوجة السلطان ملكشاة السلجوقي بالجانب الشرقي من بغداد بباب الأزج (الرصافة)[3] وبقيت عامرة حتى أواخر القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وقد أشار ابن الجوزى فى حوادث عام ٤٦٩ هـ/ ١٠٣م الى أنها كانت قائمة في هذه السنة " وتقدم بنقض السوق التى استجدها جلال الدولة ملكشاه بالمدينة المعروفة بطغرلبك ، وكانت مرسومه بالصباغين بعد خروجه من السوق ، والتى كان بها البزازون أيام دخوله ، والمدرسة التى بنتها تركان خاتون"[4] .

المدرسة التتشية :

من المدارس الحنفية ببغداد ، أنشأها الأمير خمارتكين بن عبد الله التتشي في حدود سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م وقد ذكرها ياقوت الحموى عند ذكره مؤسسها بقوله " تتش : التاءان مضمومتان والشين معجمة ، وهو اسم رجل تنسب اليه مواضع

---

(١) ناجي معروف : نشأة المدارس المستقلة في الاسلام ص ١٥ -ص ١٦ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ١٣٥ .
(٣) ن.م.س جـ ٩ / ص ٢٢٧ .
(٤) ن.م.س جـ ٩ / ص ١٣٥ .

ببغداد ، وهي سوق قرب المدرسة النظامية يقال لها العقار التتشي ،.... ومدرسة بالقرب منه لأصحاب أبي حنيفة يقال لها التتشية .....[1].

وقد درس بهذه المدرسة عدد من علماء العصر منهم محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن الحسن اللمغاني الفقيه الحنفي (المتوفى عام ٥٥٤ هـ/ ١١٥٩م) حيث تفقه على مجموعة من علماء الحنفية حتى صار فقيها يشار اليه بين أضرابه من فقهاء المذهب . ويظهر أنه أكمل تحصيله على شيوخ المذهب في الكوفة ثم عاد الى بغداد ودرّس بالمدرسة التتشية[2]. وكان قد درّس بهذه المدرسة سنة ٥٦٤ هـ/١١٦٨ م الشيخ ابن الشاشي المدرس بالمدرسة النظامية ، قال ابن الجوزى في حوادث هذه السنة " وجلس ابن الشاشي للتدريس بالمدرسة التتشية على شاطئ نهر دجلة بباب الأزج "[3].

المدرسة المغيثية :

أو المدرسة الغياثية ، وهي من المدارس الحنفية أيضا ، وسميت بذلك نسبة الى السلطان مغيث الدين محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي (المتوفى عام ٥٢٥ هـ/ ١١٣٠م)[4] ، وقد درس بها عدد من علماء الحنفية ، منهم : محمد بن محمد بن الحسين بن صالح (المتوفى عام ٥٤٦ هـ/ ١١٥١م)[5] ، ومحمد بن الحسين بن محمد ابن المعلم (المتوفى عام ٥٧١ هـ/ ١١٧٥م)[6] وغيره من العلماء .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ / ص ٣٦٦ .
(٢) الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ ٢ / ص ٣١٤ .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١ / ص ٢٢٧ .
(٤) الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ ٣ / ص ٦٩ .
(٥) القرشي : الجواهر المضية جـ ٢ / ص ١١٥ .
(٦) ابن الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة السلام جـ ١ / ص ٢٣٢ .

مدرسة جامع السلطان :

بنى هذا الجامع والمدرسة الملحقة به السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي سنة ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢م ، وقد ذكر ابن الجوزي في حوادث هذه السنة " فمن الحوادث فيها أن السلطان ملكشاه تقدم ببناء سوق المدينة ، وبنى فيها خانات الباعة وسوقا عنده ودروب ، ونودى أن لا تعامل الا بالدنانير ، ثم بعمارة الجامع "[1] ، على أن وفاة السلطان ملكشاه في هذه السنة أوقف الأعمال حتى سنة ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨م فباشر أعمال انهاء عمارته بهروز بن عبد الله أبو الحسن الخادم الأبيض الغياثي (المتوفى سنة ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥م)[2] ، وأنشأ فيه مدرسة كبرى لتدريس الفقه الحنفي . وقد درّس بهذه المدرسة عدد من علماء الحنفية المشاهير ، منهم : مسعود بن الحسين بن سعد أبو الحسن اليزدى (المتوفي عام ٥٧١ هـ/ ١١٧٥م) قال ابن الجوزى فى ترجمته " وتفقه وأفتى وناب فى القضاء ، ودرّس بمدرسة أبي حنيفة ومدرسة السلطان "[3] ، ودرس بها أيضا أبو الحسن علي بن المرتضي بن محمد العلوى البغدادى سنة ٥٦٦ هـ/ ١١٧٠م[4] .

وممن درّس بهذه المدرسة يوسف بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن الحسن اللمغاني (المتوفى عام ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) الذى كان عالما بالمذهب والخلاف وعلم الكلام ، وقد تولى التدريس بهذه المدرسة سنة ٥٨٨ هـ/ ١١٩٢م[5] .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٦٠ .
(٢) أبو الحسن الخادم ولي العراق نيفا وثلاثين عاما . ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ١١٧ .
(٣) ن.م.س جـ ١٠ / ص ٢٦١ .
(٤) ن.م.س جـ ١٠ / ص ٢٣٥ .
(٥) القرشي : الجواهر المضية جـ ٢ / ص ٢٢٤ .

المدرسة الموفقية :

بنى هذه المدرسة الخادم موفق بن عبد الله الخاتوني خادم السيدة خاتون زوجة المستظهر بالله (المتوفى عام ٥٣٦ هـ/ ١١٤١م) ، وقد أوقف عليها أبو عبد الله محمد بن الوزير أبو الفتح جميع أمواله.[١] ودرّس في هذه المدرسة عدد من العلماء منهم الحسن بن سلامة المنبجي (المتوفى عام ٥٢٣ هـ/ ١١٢٨م) وابنه أحمد أبو العباس ابن الحسن المنبجي (المتوفى عام ٥٨٤ هـ/ ١١٨٨م).[٢] كما درّس بها أبو زكريا يحي بن المظفر بن الحسن بن محرز البغدادي (المتوفى عام ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٧م).[٣]

المدرسة الزيركية :

من مدارس الحنفية ببغداد كذلك ، وقد ورد ذكرها خلال أخبار ومعلومات أوردتها تراجم علماء الحنفية ، وتقع هذه المدرسة في سوق العميد بمنطقة سوق السلطان ، ولا يعرف الى من تنتسب هذه المدرسة[٤] وان كان الظاهر من الاسم نسبته الى زيرك وهو اسم شائع عند الأتراك . درس بها الفقيه محمد بن أحمد بن عبد الجبار أبو المظفر (المتوفى عام ٥٧٣ هـ/ ١١٧٧م) الذى سبق أن رحل في طلب العلم كثيرا ، وكان مناظرا موصوفا بسعة العلم.[٥] كما درّس بها عبد السلام بن اسماعيل بن عبد الرحمن اللمغاني (المتوفى عام ٦٠٥ هـ/ ١٢٠٨م).[٦]

---

(١) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ١٧٨.
(٢) الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ ١ / ص ١٧٨ ، القرشي : الجواهر المضية جـ ١ / ص ٦٤.
(٣) ابن الفوطي : مجمع الاداب جـ ٤ / ص ٦٣١.
(٤) عماد عبد السلام : مدارس بغداد في العصر العباسي / ص ٧٣.
(٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ٢٧٩، الصفدى : الوافي بالوفيات جـ ٢ ص ١٠٦.
(٦) القرشي : الجواهر المضية جـ ١ / ص ٣١٥، ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٢٧٦.

المدارس الشافعية ببغداد :

المدرسة التاجية :

تنتسب هذه المدرسة الى تاج الملك أبي الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز (المتوفى عام ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢م)[١] والذى أوقفها سنة ٤٨٢ هـ/ ١٠٨٩م على أتباع المذهب الشافعي ، وتقع هذه المدرسة بباب أبرز من بغداد[٢] ، درّس بهذه المدرسة عدد من مشاهير علماء الشافعية ، منهم أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي (المتوفى عام ٥٠٧ هـ/ ١١١٣م)[٣] ، وأبو محمد عبد الله بن فخر الاسلام الشاشي (المتوفى عام ٥٢٧ هـ/ ١١٣٢م)[٤] .

مدرسة قراح ظفر[٥] :

من مدارس الشافعية ببغداد ، وقد بنى هذه المدرسة الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي فخر الاسلام (المتوفى عام ٥٠٧ هـ/ ١١١٣م)[٦] ، درّس بمدرسته هذه حتى سنة ٤٨٢ هـ/ ١٠٨٩م حين انتقل للتدريس في المدرسة التاجية .

المدرسة الثقتية :

أسس هذه المدرسة ثقة الدولة علي بن محمد بن يحي بن الحسن الدريني

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ١٦٣ - ١٦٥ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٤٦ .
(٣) ن.م.س جـ ٩ / ص ٤٦ ، ص ١٧٩ .
(٤) ن.م.س جـ ١٠ / ص ٣٨ .
(٥) قراح ظفر : محلة من عدة محال ببغداد ، وظفر : اسم رجل . ياقوت: معجم البلدان جـ ٧ / ص ٤١ .
(٦) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ٥٧ .

وافتتحها سنة ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥م[1] ودرّس بها أبو المحاسن يوسف بن عبد الله الدمشقي (المتوفى عام ٥٦٣ هـ/ ١١٦٧م)[2] .

المدرسة الكمالية :

أسس هذه المدرسة كمال الدين أبو الفتوح حمزة بن علي بن طلحة الرازى (المتوفى عام ٥٥٦ هـ/ ١١٦٠م)[3] ، وأفتتحت سنة ٥٣٥ هـ/ ١١٤٠م[4] . وقد درّس بها أبو الحسن ابن الخل[5] ، والمبارك بن المبارك الشافعي (المتوفى عام ٥٨٥ هـ/ ١١٨٩م)[6] .

المدرسة البهائية :

من مدارس الشافعية ببغداد ، وكانت تقع بالقرب من المدرسة النظامية ، ولا يعلم منشئها ، على أن ظاهر اسمها يدل على أنها منسوبة الى من اسمه بهاء الملك[7] . ودرّس بهذه المدرسة يوسف بن عبد الله الدمشقي (المتوفى عام ٥٦٣ هـ/ ١١٦٧م) وداود بن بندار بن ابراهيم الجيلاني (المتوفى عام ٦١٨هـ/ ١٢٢١م)[8] وغيرهما من علماء الشافعية .

---

(١) الأصفهاني : خريدة القصر جـ ١ / ص ١٤٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ / ص ١١٥ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ١١٥ .
(٣) كمال الدين أبو الفتوح من أعيان الدولة المسترشدية والمقتفية ، تولى الحجابة ثم المخزن . ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ٢٠٢ .
(٤) ن.م.س جـ ١٠ ص ٨٩ ، ابن الأثير: الكامل جـ ٨ / ص ٣٦٩ .
(٥) ن.م.س جـ ١٠ / ص ٨٩ .
(٦) ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٧ / ص ٥٦ ، المنذرى : التكملة لوفيات النقلة جـ ١ / ص ١٢٢ .
(٧) عماد عبد السلام : مدارس بغداد في العصر العباسي / ص ١٠٣ .
(٨) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٦٤ .

المدرسة الفخرية (أو مدرسة دار الذهب) :

وهي المدرسة التى أنشأها فخر الدولة أبو المظفر الحسن بن هبة الله البغدادى الوزير الصوفي (المتوفى عام ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢م) (١) ، وكان قد افتتحها سنة ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢م (٢) قال ابن الفوطي " كان من بيت الوزارة فأعرض عنها ، وجعل داره رباطا للصوفية ، ومال الى التصوف ، وعمر المدرسة الفخرية بالمأمونية، وجعل فيها خزانة كتب جامعة لأنواع العلوم " (٣).

وكان أول من درس فيها أبو القاسم يحي بن علي بن فضلان فى سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م . (٤) وغيره من علماء الشافعية .

المدرسة الأسبهبذية :

لم تشر المصادر التى وصلنا اليها الى من أنشأ هذه المدرسة ، وان كانت المعلومات المتيسرة عن أسماء مدرسيها تشير الى أنها من مدارس الشافعية ببغداد. وقد درس بها الشيخ عماد الدين ابي بكر محمد بن يحي السلامي (المتوفى عام ٦٣٩ هـ/ ١٢٤١ م) فقد تولي التدريس فيها سنة ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧ م (٥) وغيره من علماء الشوافع .

مدرسة أبي النجيب السهروردى :

بناها أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه السهروردى (المتوفى عام ٥٦٣ هـ/ ١١٦٧م) الذى قال عنه السبكي " وكانت له خربة على دجلة

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ / ص ١٦٠ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ٢٤٠ .
(٣) ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ٣ / ص ١٥٥ .
(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ٢٤٠ .
(٥) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٢١٩ .

بنى فيها رباطا ، وبنى الى جانبه مدرسة "[١].

مدرسة زمرد خاتون (أو مدرسة الأصحاب) :

أنشأت هذه المدرسة زمرد خاتون ابنة عبد الله التركية والدة الخليفة الناصر التي أشار المنذري الى أنها " عمرت المدارس والربط والجوامع والمساجد ، وأوقفت وقوفا كثيرة وتوفيت سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م "[٢]. وقد افتتحت هذه المدرسة سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م وقد أشار سبط ابن الجوزي الى ذلك في حوادث هذه السنة حيث قال " وفيها فتحت المدرسة التي الى جانب تربة والدة الخليفة "[٣].

المدارس الحنبلية ببغداد :

مدرسة المخرمي :

من مدارس بغداد الحنبلية ، بناها القاضي أبو سعد المبارك المخرمي قاضي باب الأزج (المتوفى عام ٥١٣ هـ/ ١١١٩م) وقد درس بها الشيخ أبو محمد عبد القادر محي الدين ابن دوست[٤] (المتوفى عام ٥٦١ هـ/ ١١٦٥م) . كما درس بها أبو محمد عبد الوهاب المعروف بابن القدوة من فقهاء الحنابلة

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٧ / ص ١٧٣ .
(٢) المنذري : التكملة لوفيات النقلة جـ ١ / ص ٤٥١ .
(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٤٢٢ .
(٤) المخرمي : نسبة الى المخرم محلة شمال بغداد وصاحب المدرسة هو أبو سعد المبارك المخرمي قاضي باب الأزج ، كان حسن السيرة ، مداوما للصيام والتهجد بالليل ، فقيها فاضلا عالما ثقة. ابن الفوطي : الحوادث الجامعة / ص ١٣٨ ، أبو يعلي : طبقات الحنابلة جـ ٢ / ص ٢٥٨ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ١٦٦ .

المشاهير (المتوفى عام ٥٩٣ هـ/ ١١٩٦م) .[(١)]

مدرسة أبي شجاع :

وهي المدرسة التي بناها بهرام بن بهرام أبو شجاع البيع (المتوفى عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)[(٢)] فقد ترجم له ابن الجوزي وقال بأنه "بنى مدرسة لأصحاب الامام أحمد بباب الأزج ووقف قطعة من أملاكه على الفقهاء".[(٣)]

مدرسة الأبرادي :

وقد قام بتأسيس هذه المدرسة الفقيه الحنبلي أحمد بن علي بن عبد الله الأبرادي أبو البركات (المتوفى عام ٥٣١ هـ/ ١١٣٦م)[(٤)] ، فقد أنشأها في محلة بالمدرية في شرقي بغداد ،[(٥)] وتشير المصادر الى أن مؤسسها هو أول من تولى التدريس فيها .[(٦)]

مدرسة ابن الشمحل :

وقد شيد أبو القاسم عمر بن ثابت ابن الشمحل هذه المدرسة سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠م ، قال ابن الجوزي في أحداث سنة ٥٥٦ هـ/ ١١٦٠م " وفتحت المدرسة التي بناها ابن الشمحل في المأمونية ".[(٧)] وقد درس بها عند افتتاحها الشيخ أبو حكيم ابراهيم بن دينار[(٨)] (المتوفى عام ٥٥٦ هـ/ ١١٦٠م) الذي قال عنه ابن الجوزي " كان عالما بالمذهب والخلاف والفرائض ، وقرأ عليه خلق كثير ، ونفع به ،

---

(١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ١/ص ٣٨٩ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٤٥٤ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٩ / ص ٢٦٢ .
(٣) ن.م.س جـ ٩ / ص ٢٦٢ .
(٤) ن.م.س جـ ١٠ / ص ٧٠ ، ابن العماد : الشذرات جـ ٤ / ص ٩٧ .
(٥) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص ٢٣٢ .
(٦) ن.م.س /ص ٢٣٢
(٧) ابن الجوزي : المنتظم جـ ١٠ / ص ٢٠٠ .
(٨) ابراهيم بن دينار أبو حكيم النهرواني ، كان عالما بالمذهب والخلاف والفرائض، كان زاهدا عابدا كثير الصوم . ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠/ص ٢٠١ .

وأعطي المدرسة التي بناها ابن الشمحل بالمأمونية [(١)] .

مدرسة الوزير ابن هبيرة :

أنشأها الوزير العالم وزير الخليفة المقتفى أبو المظفر يحي بن محمد بن هبيرة الشيباني (المتوفى عام ٥٦٠ هـ/ ١١٦٤م) وهذه أول مدرسة يرد لها ذكر في المصادر تبنى في الجانب الغربي من بغداد (الكرخ) سنة ٥٥٧ هـ/ ١١٦١م [(٢)] .
ودرّس بهذه المدرسة علي بن محمد بن علي الزيتوني (المتوفى عام ٥٨٦ هـ / ١١٩٠م) [(٣)] وغيره من علماء الحنابلة .

مدرسة بن بكروس:

تقع ببغداد الشرقية ، شيدها أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن بكروس البغدادى (المتوفى عام ٥٧٣ هـ/ ١١٧٧م) الذى كان عالما زاهدا يتكلم في مسائل الخلاف [(٤)] ، ودرّس فيها أخوه أحمد بن بكروس (المتوفى عام ٥٧٦ هـ / ١١٨٠م) [(٥)] ، ودرّس فيها أيضا ابراهيم بن علي بن محمد بن المبارك بن بكروس (المتوفى عام ٦١١ هـ/ ١٢١٤م) [(٦)] .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ٢٠١ .
(٢) ن.م.س جـ ١٠ / ص ٢٠٣ .
(٣) علي بن محمد الزيتوني فقيه حنبلي تفقه وأفتى وناظر ودرّس وكان من أعيان الحنابلة في عصره . ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ٣٦٦ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ٢٨٦ .
(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ٢٧٦ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ / ص ٣٤٤ .
(٥) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ٣٤٨ .
(٦) ن.م.س جـ ٢ / ص ٧٠ .

مدرسة ابن الجوزي :

وتقع بدرب دينار في منطقة شرق بغداد ، شيدها العالم الفذ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفى عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) ، وقد تم افتتاحها سنة ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤م قال ابن الجوزي ، وهو يتحدث عن نفسه في أحداث هذه السنة " وفي المحرم ابتدأت بالقاء الدروس في مدرستي بدرب دينار ".[1]

مدرسة بنفشا الشاطئية :

تقع هذه المدرسة على شاطئ نهر دجلة في محلة من محال بغداد الشرقية يقال لها باب المراتب ، وهو أحد أبواب دار الخلافة ببغداد.[2] وقد بنيت على نفقة السيدة بنفشا بنت عبد الله الروميّة (المتوفية عام ٥٩٨ هـ/ ١٢٠١م)[3] ، قال سبط ابن الجوزي عنها " ... وهي التي اشترت دار الوزير ابن جهير بباب الأزج ، ووقفتها على الحنابلة ، وفوضت نظرها الى جدي "[4]، وكانت هذه المدرسة قد افتتحت سنة ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤م .[5]

مدرسة ابن العطار :

وهي من مدارس الحنابلة بشرقي بغداد ، شيدها أبو القاسم نصر بن منصور بن الحسين بن أحمد بن العطار (المتوفي عام ٥٩٥ هـ/ ١١٩٨م) قال ابن الساعي عنه " بنى مدرسة للفقهاء الحنابلة بدرب القيار ".[6]

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم جـ ١٠/ص ٢٥٠ ، ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٦٥ .
(٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ / ص ٣١٢ .
(٣) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٨٩ .
(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٥١٠ .
(٥) ابن الجوزي : المنتظم جـ ١٠ / ص ٢٥٢ .
(٦) ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ٤ / ص ١٥٨ .

المدارس في مدن العراق الأخرى :

مدارس الموصل في العصر السلجوقي :

ازدهرت الحركة العلمية في الموصل في العصر السلجوقي بعد أن اتخذها الأتابكيون عاصمة لملكهم (٥٢١ - ٦٦٠ هـ / ١١٢٧ - ١٢٦١م)[(١)] وقد امتاز حكامها بحبهم للعلم ونشر العلوم والمعارف ، فأسسوا معاهد علمية مختلفة ، من مدارس ، ودور حديث وقرآن ، ورباطات واستقدموا العلماء كما وفد عليهم عدد كبير منهم من أرجاء المشرق الاسلامي . وقد جعل الأتابكة من الموصل مدينة مزدهرة بالعلم والأدب والفن . ولهذا فقد كانت سوق العلوم والآداب نافقة عند الأتابكيين لكثرة المدارس التى أنشأوها . وقد ذكر ابن جبير الذى زار الموصل سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م أن " في المدينة مدارس للعلم نحو الست أو أزيد على دجلة " ويبدو أنها كانت مدارس كبيرة فقد وصفها بقوله : " كأنها القصور المشرفة "[(٢)] ، وأهم المدارس بالموصل في هذا العصر :

المدرسة النظامية :

وقد بناها الوزير نظام الملك السلجوقي . قال ابن الأثير عند كلامه عن القاضي أبي بكر محمد بن علي بن الحسن الخالدى المعروف بالسديد " وبنى له نظام الملك مدرسة بالموصل ، وهي الآن بالقرب من الجامع النورى "[(٣)] ، ومن المعلوم أن هذه

---

(١) ابن الأثير: التاريخ الباهر / ص ٣٤ ، وكلمة أتابك مركبة من لفظين تركيين وهما: " أطا " بمعنى أب و " بك " بمعنى أمير . القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ / ص ٤٩١ . ولقد كانت مهمة الأتابك في نشأتها هي الوصاية على الأمير السلجوقي ، وتعهد تربيته وتعليمه ، الا أنها شملت على مر السنين مهمات أخرى أدت في آخر الأمر الى انقسام الدولة السلجوقية الى ولايات يستقل بحكمها الأتابكة وأسرهم . حسن الباشا : الألقاب الاسلامية / ص ١٢٣ .

(٢) ابن جبير : الرحلة / ص ٢١١ .

(٣) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب جـ ١ / ص ٣٩٩ .

المدرسة تلتزم بالتدريس على مذهب الامام الشافعي ، وقد درس بهذه المدرسة أبو حامد محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري (المتوفى عام ٥٨٦ هـ/ ١١٩٠م) قال ابن خلكان عنه " تولي قضاء دمشق ، ثم عاد الى الموصل ، ودرّس بمدرسة والده ، وبالمدرسة النظامية بالموصل "، [(١)] كما درس بها محمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم الموصلي (المتوفى عام ٥٨٦ هـ/ ١١٩٠م) .[(٢)] وقد درّس بها أيضا أحمد بن نصر بن الحسن أبو العباس الأنباري (المتوفي عام ٥٩٨ هـ/ ١٢٠١ م) [(٣)]

المدرسة الأتابكية العتيقة :

وهي المدرسة التي بناها سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكي (المتوفي عام ٥٤٤ هـ/ ١١٤٩م) ، كان من خيرة الملوك الأتابكيين وكان محبا لأهل العلم مقربا لهم ، قال ابن الأثير " وبنى بالموصل المدرسة الأتابكية العتيقة ، وهي من أحسن المدارس وأوسعها ، وجعلها وقفا على الفقهاء الشافعية والحنفية نصفين ، وبنى رباطا للصوفية بالموصل ، وهو الرباط المجاور لباب المشرعة ، ووقف عليهما الوقوف الكثيرة ".[(٤)] وقد درس فيها أبو البركات عبد الله بن الحسين الشيرجي (المتوفى سنة ٥٧٤ هـ/ ١١٧٨م) .[(٥)]

المدرسة الكمالية (الزينية) :

بناها زين الدين أبو الحسن علي بن بكتكين (المتوفى عام ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م) قال عنه ابن خلكان " ان له بالموصل أوقافا كثيرة مشهورة من مدارس وغيرها "[(٦)] ، وقد

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٢٤٦ .
(٢) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٦ / ص ١٨٥ .
(٣) ن.م.ص جـ ٦ / ص ٦٧ .
(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل / ص ٩٣ ، وأنظر أيضا أبو شامة : الروضتين جـ١/ص ٦٠ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨/ص٢٢٣ .
(٥) اليافعي : مرآة الجنان جـ ٣ / ص ٢٨٤ .
(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ١١٤ .

عرفت بالمدرسة الزينية نسبة الى مؤسسها زين الدين ، كما عرفت بالكمالية نسبة الى مدرسها كمال الدين يونس بن منعه المقيلي (المتوفى عام ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠م) لطول اقامته بها[(١)] وقد قال عنه ابن خلكان : " ولما اشتهر فضله انثال عليه الفقهاء ، وتبحر في جميع الفنون ، وجمع من العلوم مالم يجمعه أحد ، وتفرد بعلم الرياضة ، وكان يدرى فن الحكمة : المنطق الطبيعى والالهي ، وكذلك الطب . . . "[(٢)].

مدرسة الجامع النوري :

وقد بنى هذا الجامع نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي (المتوفى عام ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣م) [(٣)] حيث انتهى منه سنة ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢م ثم بنى بجانبه مدرسة وعين فيها الفقيه عماد الدين التوقاني وكتب له منشوراً[(٤)].

المدرسة الكمالية القضوية :

بناها العالم الوزير أبو الفضل محمد بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الملقب كمال الدين (المتوفى عام ٥٧٢ هـ/ ١١٧٦م) قال ابن خلكان " وكان فقيها أديبا شاعرا كاتبا ، يتكلم في الخلاف والأصولين كلاما حسنا" [(٥)] وذكر ابن الجوزى " بأنه كان رئيس أهل بيته وبنى مدرسة بالموصل ونصيبين وقف عليها وقوفا"[(٦)].

---

(١) ناجي معروف : علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامي /ص ١٥٧ - ١٥٨ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ / ص ٣١١ - ٣١٢ .
(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر / ص ١٦١ .
(٤) سعيد الديوه جي : مدارس الموصل في العهد الأتابكي ، مجلة سومر ، مجلد ٥ /ص٢٧٦ .
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤ /ص ٢٤١ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ /ص٢٦٨ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٣٤٠ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ٧٤ .
(٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ٢٦٨ .

المدرسة العزّية :

بناها أبو الفتح وأبو المظفر عزالدين مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي (المتوفى عام ٥٨٩ هـ/ ١١٩٣م)[١] قال ابن خلكان " وكان قد بنى بالموصل مدرسة كبيرة وقفها على الفقهاء الشافعية والحنفية "[٢] وقد أشار اليه ابن الأثير بقوله " وهو الذى ابتنى المدرسة الغربية بباب دار المملكة ، وهى مدرسة حسنة جعلها للفريقين الحنفية والشافعية "[٣].

المدرسة النورية :

بناها نور الدين آرسلان شاه الأول بن عز الدين مسعود (سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠م) "[٤] وقد أشاد به ابن الأثير فقال : " من محاسن أعماله المدرسة التى أنشأها بباطن الموصل ، وهي من أحسن المدارس" ،[٥] وكان عدد فقهاء المدرسة النورية ستين فقيها شافعيا ، وقد أوقف عليها الأوقاف الكثيرة . ودرس بها عدد من مشاهير علماء العصر ، منهم قاضي القضاة محمد بن كمال الدين الشهرزورى (المتوفى عام ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢م)[٦] وأبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد الفقيه الشافعي ، صاحب التآليف الكثيرة في الفقه والتاريخ والحديث (المتوفى عام ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢م)"[٧].

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر / ص ١٩٧ ، الكامل جـ ٩ / ص ٢٢٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ / ص ٢٠٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦ / ص ١٣٦ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ٢٩٧ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ / ص ٢٠٧ .

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر / ص ١٨٩ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ / ص ١٩٣ ، ابن الأثير : التاريخ الباهر / ص ١٩٧ . العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٥ / ص ٢٤ .

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر / ص ١٩٨ .

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٢٤٦ .

(٧) ن.م.ص جـ ٧ / ص ٨٤ .

المدرسة المجاهدية :

وقد بناها أبو منصور قايماز بن عبد الله الزيني (المتوفى عام ٥٩٥ هـ/ ١١٩٨م)[١] الذى وصفه ابن الأثير بقوله : " كان عاقلا دينا يعلم الفقه على مذهب أبي حنيفة ، ويحفظ من الأشعار والحكايات والنوادر والتواريخ شيئا كثيرا . . . . وبنى عدة جوامع ، منها الذى بظاهر الموصل ، وبنى عدة خانقاهات ، منها التى بالموصل ، ومدارس"[٢] .

المدرسة المهاجرية :

وهي المدرسة التى بناها علوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر (المتوفى عام ٦١٥ هـ/ ١٢١٨م)[٣] وقد ذكرها ابن الفوطي في ترجمته لحفيذه أحمد بن محمد بن علوان فقال " وبنى جده علوان بن مهاجر بالموصل مدرسة للفقهاء في سكة بني نجيح ، ووقف عليها وقوفا متوفرة الحاصل "[٤] والمدرسة المهاجرية من المدارس المعلقة ، لأنها كانت فوق دار الحديث المهاجرية التى كانت مبنية قبل سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م[٥].

دور الحديث بالموصل :

وتعد دور الحديث من مبتكرات الشهيرنور الدين زنكي[٦] فقد بنى دار السنة النورية بالموصل[٧] . كما بنى أبو القاسم على بن مهاجر دارا للحديث بالموصل[٨] . ذكرها

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر/ ص ١٩٣ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ٤/ص ٨٣ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨/ص ٣٣٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٨٢ .
(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٩٣ - ١٩٤ .
(٣) ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ٤/ص ٦٧٥ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٨/ص ٨١ .
(٤) ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ٤ / ص ٦٧٥ .
(٥) ابن العماد : الشذرات جـ ٥ / ص ٩٩ .
(٦) ناجي معروف : نشأة المدارس المستقلة / ص ١٥ .
(٧) ن.م.س / ص ١٦ .
(٨) ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ٥ / ص ٦٢٩ .

ابن العماد في ترجمته لموفق الدين عبد اللطيف البغدادي حيث نقل عنه قولـه :
" فاخترت مدرسة ابن مهاجر المعلقة ، ودار الحديث التي تحتها ".[1]

كما بنى مظفر الدين كوكبرى بن أبي الحسن على بن بكتكين (المتوفى عـام ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م) بالموصل دارا للحديث،[2] وسميت دار الحديث المظفرية .[3]

مدارس واسط في العصر السلجوقي :

لقد زخرت مدينة واسط في العصر السلجوقي بعدد كبير من المـدارس ، ودور القرآن والمقرئين والمدرسين ، وأصبحت في هذا العصر من أهم المراكز لتدريـس القرآن والقراءات . أما المدارس التي كانت بواسط خلال فترة البحث فهي كمايلي :

مدرسة خطلبرس :

من أقدم مدارس واسط في الجانب الشرقي من واسط على مقربة من دجـلة ، وتنتسب هذه المدرسة الى خطلبرس (المتوفى عام ٥٦١ هـ/ ١١٦٥م).[4]

مدرسة الغـزنوى :

وهذه مدرسة منسوبة الى أبي الفضل الغزنوى ، وكانت تقع فى محلة تعـرف بمحلة الوراقين فى مدينة واسط ، ذكرها القرشي في ترجمته لمحمد بن أحمد بـن عبد الرحمن الغزنوى بقوله " قدم بغداد سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، وعقد مجلس الوعظ بجامع القصر ، ثم انتقل الى واسط فسكنها الى حيث وفاته فى عام (٥٦٣ هـ/ ١١٦٧م) فى مدرسته بمحلة الوراقين".[5]

---

(١) العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٥ / ص ٩٩ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ١١٣ .
(٣) عصام الدين عبد الرؤوف : بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي /ص ٢٦٣-٢٦٤ .
(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٣ / ص ٥٢٠ ط بولاق .
(٥) القرشي : الجواهر المضية جـ ٢ / ص ١٥٤ .

مدرسة ابن الكيال الواسطي :

وهذه المدرسة ذكرها القرشي عند ايراده ترجمة نصرالله بن علي بن منصور بن علي بن الحسين الواسطي حيث ذكر أنه " قدم بغداد في عام ٥٢٣ هـ/ ١١٢٨م) وهو شاب يطلب العلم ..... ، ثم عاد الى واسط ودرّس بها في مدرسة تعرف به .... "[(١)]

مدارس البصرة في العصر السلجوقي :

نشطت الحركة الثقافية والتعليمية في البصرة خلال العصر السلجوقي ، وكانت عامرة بالمدارس والمكتبات ، وظهر بها علماء كان لهم دراسات جيدة في العلوم والآداب . ومن أهم المدارس بها :

المدرسة النظامية :

وهي أكبر مدارس البصرة وأهمها في هذا العصر ، ويبدو أنها كانت عظيمة البنيان حصينة ، فقد أشار ابن الأثير في حوادث عام ٤٩٩ هـ/ ١١٠٥م الى أنه حينما نهبت البصرة خلال حصار سيف الدولة صدقه بأنه لم يسلم منها " الا المحلة المجاورة لقبر طلحة والمربد ، فان العباسيين دخلوا المدرسة النظامية وامتنعوا بها وحموا المربد ".[(٢)] وقد ذكر السبكي في ترجمته لمحمد بن قنان بن حامد الطيب ، أبي الفضل الأنباري (المتوفى عام ٥٠٣ هـ/ ١١٠٩م) أنه كان قد " تفقه على أبي اسحاق الشيرازي ، وكان من أعيان تلاميذه ، وولي قضاء البصرة ، ودرس بالمدرسة النظامية ".[(٣)] ويذكر النعيمي نقلا عن كتاب تجارب السلف[(٤)] أن المدرسة النظامية

---

(١) القرشي : الجواهر المضية جـ ٢ / ص ١٩٨ .
(٢) ابن الأثير: الكامل جـ ٨ / ص ٢٣٢ .
(٣) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٦ / ص ١٧٥ .
(٤) تجارب السلف : لهندوشاه بن سنجر ألّفه لنصرة أحمد الفضلوى (المتوفى عام ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م) . حاجي خليفة : كشف الظنون جـ١ /ص٣٤٤ ، البغدادي: هدية العارفين جـ ٢ / ص ٥١١ .

بالبصرة كانت أحسن وأكبر من نظامية بغداد ، وأنها استمرت الى أواخر أيـــام الخليفة المستعصم بالله[1] .

ومن مدارس البصرة الأخرى مدرسة أبي العباس الجرجاني ، ومدرسة أبـــي الفرج البصرى ، ومدرسة الحنابلة ، ومدرسة الطب ، ومدرسة ابن دويرة[2] .

.. .. ..

---

(١) سعيد النفيسي : المدرسة النظامية في بغداد ، مقالة مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١ / مجلد ٣ / ص ١٤٤ .

(٢) ناجي معروف : علماء النظاميات ص ص ١٤٢ - ١٤٦ .

الباب الثالث

دراسة للإنتاج العلمي والأدبي في العراق خلال العصر السلجوقي

الباب الثالث

دراسة للانتاج العلمي والأدبي في العـــراق
خلال العصر السلجوقي

اتسع أفق التفكير الاسلامي في عهد السلاجقة اتساعا كبيرا ، فلقد كانـــت ملكات علماء المسلمين في البحث والتأليف على درجة عظيمة من النضج ، كنتيجـــة طبيعية للنشاط العلمي وتطوره خلال القرون السابقة ، اضافة الى ما أحدثه التلاقـح الفكري والاحتكاك بالثقافات الأخرى ، ولاسيما بعد نشاط حركة الترجمة في العصر العباسي الأول . ثم يأتي بعد ذلك دور المدارس والمعاهد العلمية الـــتي ركزت وعمقت أساليب البحث ، وأبرزت التخصصات العلمية. كما ينبغي ألاّ نهمــل أثر الرحلة في طلب العلم ، وما نجم عنها من شمول واتساق في السوية العلميـــة حيث كان رجال العلم والأدب يرتحلون بين مشارق العالم الاسلامي ومغاربه ، مرورا ببغداد مركز الاشعاع العلمي في هذا العصر. وهكذا نشطت الحركة الفكريـــة ، وراجت الثقافة ، وزخرت مجالس دار الخلافة وبلاط السلاطين السلاجقة وغيرهـــم بالعلماء والأدباء . أضف الى ذلك أن ظهور الكثير من الفرق ، وتنافر المذاهب في هذا العصر قد أسهم بصورة غير مقصودة في تنشيط الحركة العلمية في البحــث والتقصي ، ذلك أن هذه الفرق اتخذت من العلم وسيلة لتحقيق أهدافها المختلفــة في الوصول الى عقول الناس واستمالتهم. كما كان للجدل الذى احتدم بين هـــذه الفرق أثر كبير في تنشيط النهضة العلمية. وقد تجلى ذلك مثلا في الآثار الـــتي خلفها علماء المذاهب الاسلامية المختلفة . اضافة الى ما انعكس من أنشطة الفــرق الاسلامية وصراعهم بعضهم مع بعض ، أو مع أهل السنة ، أو مع أصحاب العقائد

الباطلة ، من نشاط علمي مستمر ومتجدد .

ولقد نهج السلاجقة نهج الحكام المسلمين الذين سبقوهم أو الذين عاصروهم في رعايتهم للعلوم والآداب والفنون ، وتنافسوا في ذلك ، وخصصوا المدارس النظامية لتطوير واثراء العلوم والآداب . ومع ذلك فقد كان سلاطين السلاجقة يقفون موقف الشدة والتصدى لمن يخالف آراءهم من العلماء ، أو من يتعرض لسلطانهم. وفي ذلك يذكر الداوودى في ترجمته لعبد الله بن محمد بن أحمد شيخ الاسلام الهروى[1] أنه كان " قائما بنصر السنة والدين من غير مداهنة ، ولا مراقبة لسلطان ولا غيره ، وقد تعرضوا بسبب ذلك الى هلاكه مرارا ، فكفاه الله شرهم ، قال ابن طاهر : سمعته يقول بهراة : " عرضت على السيف خمس مرات لا يقال لي : ارجع عن مذهبك ، ولكن يقال لي : أسكت عمن خالفك ، فأقول : لا أسكت "[2]. ولعل في تاريخ عائلة العماد الأصبهاني (المتوفى عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) صاحب خريدة القصر ، وما تعرض له أعيانها من مطاردة ومصادرات خير مثال على هذه المواقف[3].

ولقد ساد في أذهان الكثير من الباحثين فكرة مفادها أن نهاية القرن الرابع الهجرى يمثل نهاية الحركة العلمية في المشرق الاسلامي ، كما يمثل عصر هبوط في المعارف الاسلامية والعلوم والآداب . ولعل الصواب قد جانبهم في هذا الرأى. ذلك أن العلوم البحتة ، كالفيزياء ، والكيمياء ، والرياضيات ، والفلسفة والمنطق

----

(١) شيخ الاسلام الهروى كان اماما في التفسير ، على حظ تام في معرفة العربية ، والحديث ، والتواريخ ، والانساب قائما بنصرة السنة له تصانيف منها ذم الكلام كتاب منازل السائرين في التصوف وغير ذلك (توفى عام ٤٨١ هـ/ ١٠٨٨م) .
الداوودى : طبقات المفسرين جـ ١ / ص ٢٥٠ .

(٢) ن.م.س جـ١ / ص ٢٤٩ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ / ص ١٨٨ - ١٨٩ .

والحكمة ، وان لم تواكب حركة التطور والمتابعة في هذا العصر، فان فروعا معرفيـــة كثيرة أخرى ، كالطب ، والعلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية والآداب ، بلغت أوج قمتها في هذا العصر. فلقد قدم علماء هذا العصر دراسات وأبحاثا رائـــدة . وظهر من بين المشتغلين بهذه التخصصات علماء كان لهم أثرهم الكبير في اثـــراء المكتبة العربية بتلك المؤلفات العظيمة .

وعلى كل حال فان تلك الفكرة التي سيطرت على أذهان البعض تعكس نقصا كبيرا في الدراسات المتخصصة التي عالجت دراسة الحركة العلمية والثقافية خـــلال هذا العصر ، وربما تعكس ميولا عاطفية معينة ، دفعت البعض منهم الى تبـــني مثل هذه الآراء ، وربما يعود بعض أسباب ذلك الى نقص في فهم طبيعة ما ســـاد العصر من غموض وصراع ، على أن المصادر المعاصرة المعتمدة تقدم دراسات مستقرة في أن العصر السلجوقي في العراق هو عصر قطاف ثمار المعارف ونتاج النهضـــــة العلمية والأدبية والفنية، اضافة الى أنه يمثل عصر تصنيف الموسوعات الاسلاميــــة المختلفـــة .

ويحاول البعض من الباحثين المحدثين الربط بين الحالة السياسية والحركـة العلمية في المشرق الاسلامي في هذا العصر، فيرى أن الحركة العلمية تتوافـــق ايجابيا مع تحسن الحالة السياسية التي تعيشها الدولة والعكس بالعكس ، وأن المستوى الثقافي والعلمي في العراق خلال مرحلة البحث انما هبط بسبب ضعف الحكـــم وحالة الانقسام والتجزئة التي عاشتها الأمة الاسلامية في هذا العصر.

وهنا لابد من الرد على هذه المقولة بأن هذه الفرضية لا تنسجم أو تتوافق مـــع حقائق العصر الذهبي للحركة الثقافية والنشاط العلمي في المشرق الاسلامي . فعلى الرغم من أن أوضاع العراق السياسية والاقتصادية كانت في حالة مزرية خلال حكـــم البويهيين فان النشاط العلمي والثقافي قد بلغ شأوا بعيدا من التقدم والتطـــور .

ومع أن السيطرة السلجوقية تمثل في المنظور السياسي فترة ضعف سياسي للعراق ، تقلبت خلاله عناصر خارجية أخرى على مقاليد الحكم فيه ، فان الحركة العلمية قد سارت في خطوط واتجاهات مغايرة ، فقد نشطت الحركة العلمية ، وحصل تركيز كبير على الدراسات الشرعية واللغوية والآداب وعلم الكلام عن طريق المدارس السنية المختلفة في محاولة لاثبات الوجود ، ومناصرة أهل السنة وأتباع السلف الصالح ، وذلك يتوافق مع مصالح الأمة وعقيدتها .

ورغم حرص العناصر المتسلطة على ضمان مصالحها الذاتية المحدودة في كثير من الأحيان ، فقد كانت حصيلة هذا النشاط انتاجا علميا غزيرا ، سيكون مدار البحث في الفصول الأربعة التالية .

.. .. ..

الفصل الأول

الدراسات الشرعية

الفصل الأول

الدراسات الشرعيـــة

أولا : علم القراءات :

القرآن الذى أنزله الله على رسوله عليه الصلاة والسلام هو مصدر المعرفـــة لدى المسلمين . وقد تفرعت عن دراسة القرآن الكريم علوم عدة ، مثل قراءات القرآن وتجويده وتفسيره ، وأحكامه ، وأسباب نزوله ، وغيرها .

ولقد حرص المسلمون على تعليم أبنائهم القرآن على أن يداوموا على قراءتـــه كل يوم حتى يحفظوه ، ويتقنوا قراءته وتجويده ، لأن الرسول عليه الصلاة والســلام قال " خيركم من تعلّم القرآن وعلمه " .(١)

فكان تعليم القرآن من القربات التى يتقرب بها الفرد المسلم الى الله تعالى . وقد أوردت المصادر أن محمد بن أبي محمد بن أبي المعالي أبا شجاع البغدادى (المتوفى عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) الذى عرف بأنه شيخ مقرىء قد تصدر للاقراء ، وتعليم الأولاد والصبيان ستين سنة ، احتسابا لله تعالى ، فكان لا يأخذ شيئا .(٢)

ولقد اهتم علماء المسلمين بالقراءات القرآنية حتى أصبحت علما مهما بين علوم القرآن الكريم بخاصة والدراسات الشرعية بعامة ، ولذلك ألفت فى هذا العلـــم عشرات الكتب نظما ونثرا ، يقول ابن خلدون " القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه

---

(١) البخارى : فتح البارى جـ ٩ / ص ٧٤ . حديث رقم " ٥٠٢٧ " .
(٢) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ٢ / ص ٢٥٩ .

المكتوب بين دفتي المصحف ، وهو متواتر بين الأمة . الا أن الصحابة رووه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، على طرق مختلفة في بعض ألفاظه ، وكيفيات الحروف في آدائها ، وتنوقل ذلك واشتهر الى أن استقرت منها سبع طرق معينة ،[1] تواتر نقلها أيضا بأدائها ، واختصت بالانتساب الى من أشتهر بروايتها من الجم الغفير ، فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة ، وربما زيد بعد ذلك قراءات أخرى لحقت بالسبع ، الا أنها عند القراء لا تقوى قوتها في النقل ".[2]

ولقد نشطت القراءات القرآنية في هذا العصر في العراق ، وظهر عدد من علماء القراءات الذين كانت اليهم رحلة طلاب العلم من أقطار العالم الاسلامي ، وكانت لهم مصنفات مهمة في القراءات ، أثرت هذا الفرع من فروع العلوم الشرعية في هذا العصر .

فكان من مشاهير قراء العصر محمد بن علي بن موسي أبو بكر الخياط المقرئ البغدادي (المتوفي عام ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٤م)[3] مسند عصره في القراءات ، كبير القدر ، عديم النظير، بصير بالقراءات . امام مسند ثقة .[4]

ومن أشهر قراء العصر أبو علي حسن بن القاسم بن علي الواسطي غلام الهراس (المتوفى عام ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٤م)[5] ، شيخ القراء ، ومسند العراق ،

---

(١) في الحقيقة أن القراءات الصحيحة عشر، وقد ألف ابن بندار الواسطي القلانسي كتابا في ذلك كما سيأتي ذكره . أنظر القلانسي : كتاب ارشاد المبتدئ، وتذكرة المنتهي في القراءات العشر. تحقيق ودراسة عمر حمدان الكبيسي ، جامعة ام القرى بمكة المكرمة ١٤٠٤/ ١٩٨٤ . كما ألف ابن الجزري كتابه الكبير " النشر في القراءات العشر " وكذلك منظومته " طيبة النشر " في القراءات العشر.

(٢) ابن خلدون : المقدمة / ص ٤٣٧ .

(٣) الذهبي : معرفة القراء الكبار جـ١ /ص ٣٤٣ ، ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء جـ٢ / ص ٢٠٩ .

(٤) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء جـ ٢ / ص ٢٠٩ .

(٥) الذهبي : معرفة القراء الكبار جـ١ /ص ٣٤٤ ، ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء جـ ١ / ص ٢٢٨ .

رحل في طلب القراءات الى بغداد ودمشق والبصرة وحران ومكة المكرمة والمدينة وواسط[(١)] ورحل اليه الناس من الآفاق ، وقرأوا عليه بعد أن عمي ، قال الذهبي : " وسافر في طلب القراءات ، وأتعب نفسه في التجويد والتحقيق حتى صار من طبقة العصر ، ورحل الناس اليه من الأقطار "[(٢)] ، وقال ابن الجزرى " ورحل الناس اليه من الشام ومصر والعراق للقراءة عليه "[(٣)] .

ومن مشاهير القراء أيضا الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البنا أبو علي المقرىء الحنبلي المحدث (المتوفى عام ٤٧١/١٠٧٨م)[(٤)] ، الذى صنف في عدد كبير من العلوم والفنون ، حتى بلغت تصانيفه مائة وخمسين مصنفا ، في علوم القرآن والفقه والأصول والفروع[(٥)] .

كما برز من مقرئي العصر بالعراق أبو منصور محمد بن أحمد بن عبد الرزاق البغدادى الحنبلي (المتوفى عام ٤٩٩ هـ/ ١١٠٥م)[(٦)] ، قرأ القراءات ، وسمع الحديث من كثيرين ، وروى عنه كثيرون ، وكان اماما بمسجد ابن جردة[(٧)] ببغداد ، اعتكف فيه مدة طويلة يعلم العميان القرآن لوجه الله تعالى ، ويسأل لهم وينفق عليهم ، وقد ختم عليه القرآن ألوف من الناس[(٨)] ، قال عنه العماد الحنبلي " بلغ عدد من أقرأهم أبو منصور القرآن سبعين ألف نفس ، وصنف في القراءات كتابا

---

(١) الذهبي : معرفة القراء الكبار جـ ١ / ص ٣٤٤ .
(٢) ن.م.س جـ ١ / ص ٣٤٤ .
(٣) ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء جـ١ / ص ٢٢٨ .
(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ٣١٩ ، ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء جـ ١ / ص ٢٠٦ .
(٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ٣١٩ .
(٦) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٢٣٦ ، الذهبي : معرفة القراء الكبار جـ١ /ص٣٧٠ تاريخ الاسلام ، مصور جـ ١٢ / وفيات سنة ٤٩٩هـ ، ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء جـ٢ /ص ٧٤ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٣/ص ٤٠٢ .
(٧) ببغداد بحريم دار الخلافة. الأصفهاني : الخريدة جـ٣/ص ٢٥ حاشية رقم ٢ .
(٨) الذهبي : معرفة القراء الكبار جـ١ / ص ٣٧٠ .

المشهور المهذب في القراءات[1]. ومن القراء المعدودين في هذا العصر أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد أبو منصور البغدادى (المتوفى عام ٤٩٩ هـ / ١١٠٥م) الذى صنف المستنير في القراءات العشر البواهر ، والمفرد في القراءات[2].

أما العلامة أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادى (المتوفى عام ٥١٣هـ/١١١٩ م)[3] المقرىء الأصولي المتكلم شيخ الحنابلة في عصره ، وصاحب كتاب الفنون[4] ، فقد كان من مشاهير قراء العصر ، وكان اماما مبرزا متبحرا في العلوم ، أنظر أهل زمانه قوى الحجة غزير العلم[5].

وهناك محمد بن الحسين بن بندار أبو نصر القلانسي شيخ العراق ومقرىء القراء بواسط ، وصاحب التصانيف المشهورة (المتوفى عام ٥٢١هـ/١١٢٧م)[6] ، قرأ على عدد من مشاهير قراء العصر ، ورحل اليه الناس للقراءة عليه من نواحي العراق ، وكان بصيرا بالقراءات وعللها وغوامضها ، عارفا بطرقها ، عالي الاسناد ، له من المصنفات ارشاد المبتدىء ، ويقال له اختصارا الارشاد ، أو الارشاد في العشر[7] وكتاب الكفاية الكبرى في القراءات العشر ، أو كفاية المبتدىء وتذكرة المنتهي[8].

---

(١) الذهبى : معرفة القراء الكبار جـ١ /ص ٣٧٠.
(٢) البغدادى : هدية العارفين جـ١ / ص ٨١.
(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ٩ /ص٢١٢ ، الأصفهاني : الخريدة جـ٣/ص ٢٩ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨/ص ص ٨٣ - ٨٩ ، الذهبى : معرفة القراء الكبار جـ١ /ص ٣٨٠ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ١/ص ١٤٢ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٤ / ص ٣٥.
(٤) طبع منه جزءان بتحقيق جورج المقدسي ، بيروت - دار الشروق ١٩٧٠م.
(٥) الذهبى : معرفة القراء الكبار جـ١ /ص ٣٨٠.
(٦) ن . م . س. جـ١ /ص ٣٨٥ ، ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء جـ٢/ص١٢٨ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٦/ص٩٧ ، الصفدى : الوافي بالوفيات جـ٣/ص ٤ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٤/ص٦٤ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ١٠ /ص ٨.
(٧) حققه عمر حمدان الكبيسى ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ١٤٠٤ هـ .
(٨) العماد الحنبلي : الشذرات جـ٤/ص ٦٤ ، البغدادى : هدية العارفين جـ٢/ ٨٥.

ومن قراء العصر الحسين بن محمد بن عبد الوهاب البكرى الدباس أبو عبد الله البغدادى (المتوفى عام ٥٢٤ هـ/ ١١٠٩م) [١]، كان عالما في القراءات ، قرأها على عدد من العلماء المشاهير، وأخذ الأدب واللغة عن جماعة ، صنف في القراءات الشمس المنيرة في التسعة الشهيرة .

وهناك محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون الدباس البغدادى (المتوفى عام ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤م) [٢] وقد كان ثقة صالحا رأسا في القراءات ملازما للاقراء حتى وفاته ، صنف كتاب المفتاح في القراءات .

ومن أشهر قراء العصر عبد الله بن علي بن أحمد المقرئ النحوى (المتوفى عام ٥٤١ هـ/ ١١٤٦م) [٣] ، سبط أبي منصور الخياط ، قرأ القراءات والنحو ، وأقرأ الناس بمسجد ابن جردة ببغداد ، دام به دهرا ، وكان رئيس المقرئين في عصره ، وأحد الذين انتهت اليهم القراءة والتجويد علما وعملا [٤] ، وختم عليه خلق كثير ، وكان اماما محققا ، واسع العلم ، قرأ بالروايات على عدد من مشاهير العلماء ، وكان الناس يحضرون مسجده في ليالي رمضان يستمعون الى قراءته وحسن صوته ، وصار أوحد وقته ، ونسيج وحده [٥] ، وكان يقول : لو قلت انه ليس مقرئ بالعراق الا وقد قرأ علي أو علي جدى ، أو قرأ على من قرأ علينا لكنت أظنني

---

(١) الذهبي : معرفة القراء الكبار جـ١ /ص٣٨٧ ، ابن الجزرى : غاية النهاية جـ١ /ص٢٥١ ، البغدادى : هدية العارفين جـ١ /ص٣١٢ .

(٢) الذهبي : معرفة القراء الكبار جـ١ /ص٣٩٩ ، ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء جـ٢ /ص١٩٢ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٤ /ص١٢٥ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ١٠ /ص١٢٢ ، الأصفهاني : خريدة القصر جـ٣/ ص ٢٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ /ص١٠٦ ، الذهبي : معرفة القراء الكبار جـ٢/ص ٤٠٣ ، ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء جـ١ /ص٤٣٤ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ١٢٨ .

(٤) ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء جـ١ /ص ٤٣٤ .

(٥) ن.م.س جـ ١ / ص ٤٣٤ .

صادقا [١] وصنف تصانيف كثيرة في علم القراءات منها المبهج ، وكتاب الروضة ، وكتاب الايجاز ، وكتاب التبصرة في السبعة ، والكفاية في القراءات الست ، والموضحة في العشرة ، والقصيدة المنجدة في القراءات العشر. [٢]

أما المبارك بن الحسن بن أحمد بن علي بن فتحان الأستاذ أبو الكرم الشهرزورى البغدادى (المتوفى عام ٥٥٠ هـ/ ١١٥٥م) [٣] فقد كان وحيد زمانه في القراءات ، قرأ بالروايات على الكبار ، وانتهت اليه مشيخة الاقراء بالعراق بعد سبط الخياط ، وكان عارفا باختلاف الروايات والقراءات ، ومن أشهر مصنفاته المصباح الزاهر في العشر البواهر ، والذخائر في القراءات [٤] وبرز من قراء العصر نصر الله بن علي بن منصور أبو الفتح الكيال الواسطي المقرئ شيخ الاقراء بواسط (المتوفى عام ٥٨٦ هـ/ ١١٩٠م) [٥] ، صنف المفيدة في القراءات العشر .

أما المبارك بن المبارك بن أحمد بن زريق الحداد الواسطي (المتوفى عام ٥٩٦ هـ/ ١١٩٩م) [٦] فقد كان أستاذا حاذقا قرأ الروايات على أبيه المبارك (المتوفى عام ٥٥٣ هـ/ ١١٥٨م) [٧] ثم رحل الى سبط الخياط ، وقرأ عليه وعلى غيره من علماء القراءات ، وكان هو وأبوه من مشاهير قراء العصر ، صنف الخيرة في القراءات العشر .

---

(١) القفطي : انباه الرواة جـ٢ / ص ١٢٢ .

(٢) الذهبي : معرفة القراء الكبار جـ٢/ص ٤٠٣ .

(٣) ن.م.ص جـ ٢ / ص ٤١٣ ، ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ٢ / ص ٣٨ ، وأنظر أيضا : البغدادى : هدية العارفين جـ ٢ / ص ٢ .

(٤) البغدادى : هدية العارفين جـ ٢ / ص ٢ .

(٥) الذهبي : معرفة القراء الكبار جـ٢/ص٤٦٤ ، ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء جـ ٢ / ص ٣٣٩ .

(٦) الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ٣/ص ١٦٦ ، ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء جـ٢ / ص ٤١ .

(٧) ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء جـ٢/ص ٣٧ .

ثانيا : التفسير :

يعرف علم التفسير بأنه " علم يعرف به نزول الآيات ، وشئونها ، وأقاصيصها ، والأسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها ، وعامها ، ومطلقها ، ومقيدها ، ومجملها ومفسرها ، وحلالها وحرامها ، ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها ، وأمثالها ".(١)

ولقد ظهر في العراق خلال فترة البحث علماء أجلاء برزوا في علم التفسير ، على أنه من المناسب الاشارة الى امام كبير برز في العالم الاسلامي في هذا العصر في ميدان التفسير ، الا وهو محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (المتوفى عام ٥٣٨ هـ/ ١١٤٤م)(٢) الذى كان من أئمة العلم بالدين والتفسير ، وكتابه الموسوم بالكشاف في التفسير جدير بالاهتمام ، لظهوره في هذا العصر في المشرق الاسلامي ، مما يوضح مدى الاهتمام بهذا العلم في هذا العصر ، فقد بلغ كتابه من الأهمية مبلغا عظيما ، اعترف به خصومه وأقرانه على السواء بأنه من كتب التفسير المهمة ، كما اعترف علماء السنة للزمخشري بريادته في هذا الميدان من خلال كتابه ، رغم موقفه الايجابي من الاعتزال ، ولقد استفاد مفسرو العصر من كتابه هذا كمصدر من مصادر التفسير الذى يمثل وجهة محدودة ، وخصوصا حينما يتعارض في تفسيره مع ما ذهب اليه المفسرون من أهل السنة .(٣)

---

(١) التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون جـ١ / ص ٢٤ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٥ / ص ١٦٨ ، ابن حجر : لسان الميزان جـ٦/ص٤ .
(٣) محمود بن عمر الزمخشري ، كان واسع العلم كثير الفضل غاية في الذكاء ، متفننا في كل علم ، معتزليا قويا في مذهبه ، مجاهرا به ، داعية اليه ، وكان امام الأدب ، ونسابة العرب تضرب اليه أكباد الابل ، وله التصانيف البديعة منها الكشاف ، الفائق في غريب الحديث ، أساس البلاغة ، المفصل في النحو ، نصوص الأخبار ، أطواق الذهب ، صميم العربية وغيرها من المصنفات . أنظر : الداوودي : طبقات المفسرين جـ٢/ص ٣١٤ ، ابن العماد : الشذرات جـ ٤/ص ١١٨ ، السيوطي : طبقات المفسرين / ص ٤١ .

وكان من مشاهير مفسري هذا العصر محمد بن الحسين بن محمد بن خلف أبو يعلي المعروف بالفراء الحنبلي (المتوفي عام ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥م) وأبو يعلي ، رحمه الله ، الي جانب كونه مفسرا ، قد حفظ القرآن في سن مبكرة ، وقرأ بالقراءات العشر ، وأكثر من التصنيف في التفسير وعلوم القرآن [(١)] ، هذا بالاضافة الى أنه كان من رجال الحديث المعدودين ، وطاف الآفاق طلبا للاسناد العالي ، قال القاضي : " وكان يتقدم على أهل زمانه بكثرة سماعه للحديث وعلو اسناده في المرويات " [(٢)] ومن أهم مصنفاته في التفسير : أحكام القرآن ، نقل القرآن ، ايضاح البيان ، الاختلاف في الذبيحين . وصفه الذهبي بقوله " كان اماما لا يدرك قراره ، ولا يشق غباره " [(٣)] .

أما أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي [(٤)] (المتوفى عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م) فقد عاش في بغداد ، وكان اماما بارزا في النحو واللغة والتصريف والتفسير والسير ، واسع الالمام بالأدب والشعر [(٥)] ، صنف الكثير من المصنفات منها في التفسير كتاب ضخم في عشرين مجلدا سماه البرهان العميدي ولعله ما عناه ياقوت بقوله " وألف كتابا سماه الاكسير في علم التفسير في خمس وثلاثين مجلدا . . . . . " [(٦)] وكتبا غيرها في فنون أخرى [(٧)] .

---

(١) الداودي : طبقات المفسرين جـ١/ص ٤٢٣

(٢) أبو يعلي : طبقات الحنابلة جـ ٢/ص ٢٠٠ .

(٣) الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣ / ص ٢٤٣ .

(٤) عنه أنظر ابن الجوزي : المنتظم جـ ٩ / ص ٣٣ ، القفطي : انباه الرواة جـ ٢/ص ٢٩٩ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ٥ / ص ٢٨٩ ، السيوطي : بغية الوعاة جـ ٢ / ص ١٨٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ / ص ١٢٤ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٣ / ص ٣٦٢ .

(٥) السيوطي : طبقات المفسرين / ص ٨٢ .

(٦) ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٤ / ص ص ٩٠ - ٩١ .

(٧) منها شرح عنوان الاعراب ، المقدمة في النحو ، معارف الأدب ، العروض ، اكسير الذهب في صناعة الأدب .

ومن أشهر المفسرين في العراق في العصر السلجوقي عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار القزويني شيخ المعتزلة ببغداد (المتوفى عام ٤٨٣ هـ/ ١٠٩٠م) كان أحد المعمرين والفضلاء ، جمع التفسير الكبير ، الذى لم ير في التفاسير أكبر منه ولا أجمع للفوائد ، وهو في ثلاثمائة مجلد ، منها سبع مجلدات في الفاتحة[١] ، وقد أوقف تفسيره هذا كما مر معنا على خزانة كتب مشهد أبي حنيفة ، أقام بمصر سنين ، وأخذ العلم من كثير من العلماء منهم عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني[٢] وغيره ، ثم عاد الى بغداد[٣] .

ومنهم أبو القاسم الحسين بن محمد بن مفضل الراغب الأصبهاني (المتوفى عام ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨م)[٤] الذى كان له اليد الطولى في التفسير والدراسات القرآنية في هذا العصر ، ومن أشهر كتبه : محاضرات الأدباء ، ومن مؤلفاته في القرآن والتفسير : رسالة منبهة على فوائد القرآن ، وصنف معجما قيما للقرآن رتبه على حروف الهجاء ، وعنوانه كتاب مفردات ألفاظ القرآن ، وله كتاب في تفسير القرآن سماه جامع التفاسير ، وكتاب حل متشابه القرآن .

---

(١) القرشي : الجواهر المضية جـ١ / ص ٣١٦ .
(٢) توفي سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م ، تلقبه المعتزلة قاضي القضاة ، حيث كان امام أهل الاعتزال في زمانه ، سمع الحديث ورحل اليه طلاب العلم ، وصنف التصانيف الحسنة . الخطيب : تاريخ بغداد جـ١١/ص ١١٣ ، العماد الحنبلي: الشذرات جـ ٣ / ص ٢٠٢ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٥ / ص ٩٧ .
(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ١٢٠٨ ، القرشي : الجواهر المضية جـ ١ / ص ٣١٦ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٣/ص ٢٣ ، الداوودي : طبقات المفسرين جـ ١ / ص ٣٠١ ، السيوطي : طبقات المفسرين/ص ٦٨ .
(٤) البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام / ص ١١٢ ، ابن العماد : الشذرات جـ ٤ / ص ص ٣٤ ، القرشي : الجواهر المضية جـ١ / ص ٢١٩ . دائرة المعارف الاسلامية جـ ٩ / ص ٤٧٢ .

ومن المفسرين المبرزين اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي أبو القاسم التيمي الأصبهاني (المتوفى عام ٥٣٥ هـ/ ١١٤٠م) ، كان اماما في التفسير والحديث واللغة والأدب ، صنف في التفسير ، التفسير الكبير في ثلاثين مجلدا سماه الجامع . وله كتاب الايضاح في التفسير عشر مجلدات ، وكتاب التفسير باللسان الأصبهاني . وكان أهل بغداد يقولون " ما دخل بغداد بعد أحمد بن حنبل أفضل ولا أحفظ منه "(1).

أما العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (المتوفى عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم ، من الحديث والتاريخ والوعظ والفقه والتفسير ، فقد كان مبرزا في التفسير في هذا العصر بالعراق ، ومن مصنفاته في باب التفسير نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، وزاد المسير في علم التفسير(2).

وبرز من مفسرى هذا العصر أبو السعادات مجد الدين المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزرى (المتوفى عام ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م) (3) كان من أشهر العلماء ذكرا ، وأكبر النبلاء قدرا ، وأحد الأفاضل المشار اليهم ، أخذ النحو وسمع الحديث وصنف الكثير من المصنفات ، أهمها في التفسير كتابه القيم الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف .

---

(1) السيوطي : طبقات المفسرين / ص ٨ .

(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣ / ص ١٤٠ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٤٨١ ، السيوطي : طبقات المفسرين / ص ١٧ ، الداودى : طبقات المفسرين جـ١ / ص ٢٧٠ .

(3) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤ / ص ١٤١ ، القفطي : انباه الرواة جـ٣ / ص٢٥٧ ، المنذرى : التكملة لوفيات النقلة جـ ٢ / ص ١٩١ ، الداودى : طبقات المفسرين جـ ٢ / ص ٣٠٢ .

ومن مفسرى العصر عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحسين الامام محب الدين العكبرى البغدادى (المتوفى عام ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م) [١] المقرئ الفقيه المفسر ، الذى قرأ الروايات على اختلافها ، وتفقه وبرع في المذهب والخلاف والأصول ، وأخذ اللغة من روادها [٢] ، أصيب في صباه بالجدرى ، فكان اذا أراد التصنيف أحضرت اليه مصنفات ذلك الفن ، وقرئت عليه ، واذا حصّل ما يريده في خاطره أملاه ، وكان لا تمضي عليه ساعة من نهار أو ليل الا في العلم. [٣] صنف تفسير القرآن ، والتبيان في اعراب القرآن ، واعراب الشواذ ، ومتشابه القرآن ، وعدد الآي وغيرها من المصنفات في اللغة والنحو والفرائض والشعر والجبر والمقابلة. [٤]

وتشير كتب المصادر التاريخية وكتب التراجم الى ظهور عدد كبير آخر من علماء التفسير المبرزين في هذا العصر يطول البحث في احصائهم. [٥]

ثالثا : الحديث [٦] :

عني المسلمون بالحديث النبوى عناية عظيمة بما وضعوا من قوانين للرواية هي أصح وأدق طريق علمي في نقل الروايات واختبارها ، وكان من أهم هذه القوانين

---

(١) الداودى : طبقات المفسرين جـ١ / ص ٢٢٤ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٥ / ص ٦٧ .
(٢) الداودى : طبقات المفسرين جـ١ / ص ٢٢٥ .
(٣) ن.م.س جـ ١ / ص ٢٢٥ .
(٤) ابن العماد : الشذرات جـ ٥ / ص ٦٧ .
(٥) ان طبيعة البحث لا تسمح باستعراض جميع أسمائهم ومؤلفاتهم ، ويمكن الاطلاع على بعضهم مثلا في : السبكي : طبقات الشافعية جـ٧ /ص ٢٠٦ ، السيوطي : طبقات المفسرين ص ٣ ، ص ١٠ ، ص ٢٢ ، ص ٣٣ ، ص ٤٤ ، ص ٩٣ ، ص ١٣٨ . الداودى : طبقات المفسرين جـ١ / ص ٣٨ ، ص ٢١٩ ، ص ٢٥٥ ، ص ٢٧٤ ، ص ٢٩٨ ، ص ٤١١ ، جـ ٢ /ص ١٠ ، ص ١٢٦ ، ص ٢٢٢ ، ص ٣٠٩ ، ص ٣٤٣ ، ص ٣٧٢ ، ص ٣٧٣ ، ص ٣٨٠ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٤ / ص ٢٩٤ .
(٦) تحدثنا في الباب الثاني "الفصل الثاني" عن الرحلة في طلب العلم ، كما تحدثنا أيضا عن الاجازات العلمية ، وذلك باعتبار الرحلة والاجازة ، وإن كانت بدايتها خاصة بالحديث الشريف ، فانها لم تقتصر على الدوام ، بل أصبحت فيما بعد عامة تشمل العلوم والآداب المختلفة .

البحث في اسناد الحديث ، وفحص أحوال الرواة ، وتمكنوا من تقسيم الأحاديث بحسب متونها من جهة ، وبحسب أسانيدها من جهة أخرى ، واستنبطوا مصطلحات خاصة عرّفوا بها ودققوا في الالتزام بها ، فأصبحت علما قائما بذاته ، قال السمعاني : " اعلم وفقك الله أن علم الحديث أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى، اذ الاحكام مبنية عليها ومستنبطة منها ، والله سبحانه وتعالى شرف نبينا عليه السلام حيث قال : " وما ينطق عن الهوى ان هو الا وهي يوحي "(١) وألفاظ رسوال الله صلي الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وأخبار ذلك لابد لها من النقل ، ولا تعرف صحتها الا بالاسناد الصحيح " والصحة في الاسناد لا تعرف الا برواية الثقة عن الثقة والعدل عن العدل ".(٢)

وقد ذكر السمعاني جملة آداب يجب أن يتحلي بها من يملي الحديث ، ولقد عدد هذه الصفات وهي خمسون صفة ، ودعمها بالأحاديث الصحيحة والأقوال المأثورة عن الصحابة ورجال الحديث.(٣) ثم عرج بعد ذلك على صفات وشروط الاستملاء ، وعددها وهي ثلاث عشرة صفة وشرطا ، يجب أن يتصف بها المستملي كآداب للاستملاء.(٤) ثم تحدث عن آداب كتاب وطلاب علوم الحديث ، فذكر تسعة وعشرين شرطا ، عليهم أن يلتزموا بها في مجلس الحديث ، وأضاف في ختام ذلك قوله : " فهذه آداب حضور مجلس الاملاء ذكرتها في اختصار ".(٥)

---

(١) سورة النجم آية (٤) .
(٢) السمعاني : أدب الاملاء والاستملاء / ص ٣ .
(٣) ن.م.س / من ص ٢٥ الى ص ٨٥ .
(٤) السمعاني : أدب الاملاء والاستملاء / من ص ٨٨ الى ص ١٠٨ .
(٥) ن.م.س / ص ١٤٦ .

أما فيما يحتاج فيه الى كتابة الاملاء وآلاتها وكيفية الكتابة[١] فقد ذكر السمعاني القلم والمحبرة والمقلمة والسكين ، ضمن الآلات التى يجب على المستملي أن يحضرها معه الى مجلس الحديث . فقال : " ينبغي ألا يكون قلم صاحب الحديث أصمّ صلبًا ، وهذه الصفة تمنع سرعة الجرى ، ولا يكون رخوا فيسرع اليه الخطأ ، ويتخذ أملس العود مزال العقود ، وتوسع فتحته ، وتطال جلفته ، وتحرّف قطته ، والمقلمة بحيث تكون دائما مع الأقلام في المقلمة ، والسكين ، وألا تستعمل الا لبرى الأقلام ، أما الكاغد (الورق) فقد قال عنه : " انه ينبغي أن يكون القرطاس نقيا صافيا "[٢] ، ثم عرج بعد ذلك على ذكر أوصاف الخط وآدابه[٣] .

ولقد اهتم العلماء المسلمون في جميع العصور بالحديث منذ بدأ تدوينه وتنقيته ، وتمييز صحيحه من حسنه ، وضعيفه من غريبه ، وقد تطور علم الحديث ، وتفرع عنه جملة من العلوم الخاصة بالمصطلح ، منها علم الرجال ، وعلم الناسخ والمنسوخ ، وعلم الاسناد ، ثم أتبعوا ذلك بكلام في ألفاظ تقع في فنون الحديث ، من غريب ومشكل ، أو مفترق ، أو مختلف . ولقد قام العلماء بنقد الحديث ، ونقد السند ، ودققوا في سير المحدثين وتراجمهم ، ووضعوا الجرح والتعديل على أصول محددة ، ووصلوا في ذلك الى غاية بعيدة . ثم ألف العلماء في علوم الحديث وأكثروا ، وانصرفت العناية بعد ذلك الى تصحيح الأمهات المكتوبة وضبطها بالرواية عن مصنفيها ، والنظر في أسانيدها الى مؤلفيها ، وعرض ذلك على ما تقرر بالرواية

---

(١) السمعاني : أدب الاملاء والاستملاء / ص ١٤٦ .
(٢) ن.م.س / ص ١٤٦ - ص ١٦٤ .
(٣) ن.م.س / ص ١٦٤ - ص ١٨٠ .

عن مصنفيها من الشروط والأحكام لتنقل الأسانيد محكمة الى منتهاها.[(١)]

ويطالعنا في هذا العصر عدد عظيم من رجال الحديث الذين أفنوا أعمارهم فى جمعه وتصنيفه وضبطه وتنقيحه. ومنهم علماء جمعوا تراجم مستفيضة لرجال الحديث في جميع العصور ، وكان لهؤلاء العلماء فضل لا ينكر في الكتابة والتصنيف فى هذا الباب من أبواب العلوم الاسلامية . ولقد اهتم طلاب العلم والعلماء بالأجازات العلمية والحصول عليها من داخل العراق وخارجه ، وقد قصد العراق لهذه الغاية عدد ليس بالقليل من علماء البلدان الاسلامية ، وكذلك طلاب علم الحديث لسماع الحديث على علمائه ،[(٢)] اذ كان فيه عدد من العلماء المبرزين في هذا الميدان منهم : الامام المحدث المؤرخ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادى (المتوفى عام ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م) الذى كان قد حفظ القرآن ، وتولى الامامة والخطابة ، وتعلم القراءات وسمع الحديث ، ثم انصرف الى الفقه بعد ذلك حيث درسه على كبار فقهاء الشافعية ، واكب على شيوخ الحديث ببغداد يكتب عنهم ، ولا يدع منهم أحدا ، ثم أخذ في الرحلة " فرحل الى البصرة ونيسابور وأصفهان والرى وهمذان والحجاز والكوفة ، وسمع من علماء كثيرين ، ثم طاف على بلاد الشام وسمع بدمشق خلقا كثيرا وحج . ثم قدمها وأخذ يصنف كتبه ، ويحدث بتاليفه "[(٣)] وعلى أثر عودة الخطيب البغدادى الى بغداد أذن له الخليفة أن يملي الحديث بجامع المنصور ، فاجتمع عليه في المسجد خلق كثير يكتبون عنه ويسمعون.[(٤)]

---

(١) صنف في علم الحديث ومصطلحه مصنفات هامة يمكن الرجوع اليها ، أهمها ابن الصلاح : علوم الحديث، والخطيب : الكفاية فى علم الرواية ، وأنظر كذلك : أحمد محمد شاكر : دائرة المعارف الاسلامية من ص ٣٣٠ حتى ص ٣٤٦ (مادة حديث) .
(٢) ابن الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة السلام جـ١ /ص ٢١٨ .
(٣) السبكي : طبقات الشافعية جـ٤ / ص ٢٩ .
(٤) الخطيب : تاريخ بغداد جـ٣/ص ١٠٨ ، ص ٣٣٦ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ٤ ص ١٦ .

ويعتبر الخطيب البغدادى واحدا من بقية العلماء الزهاد ، وقد تمكن من البروز أثناء حياته ما أن يترك أثرا ملحوظا بين معاصريه ، ولكن أثره كان أعظم بعد وفاته ، لقد كان اهتمام الخطيب البغدادى منصبا على الحديث ، وتراجم العلماء طيلة حياته .

ولذلك فقد كان أغلب مصنفاته في هذين الموضوعين . أما كتبه فى الحديث فقد احتلت مكانة مرموقة لدى المحدثين رغم أنها لم تكن أولى المصنفات التى عالجت أصول الحديث ، فلقد جاء الخطيب البغدادى بعد عدد كبير من أفاضل العلماء الذين سبقوه في التأليف في مختلف علوم الحديث ، وكانت مؤلفاتهم عملا رائدا عند تقييمنا لتدوين العلوم ، ويبرز دور الخطيب البغدادى فى أنه أكب على تلك المصنفات يدرسها بعين الناقد ، وأنه وجد الحاجة ماسة الى تحرير المسائل واستيفاء مادتها ، فصنف في كل فن من فنون الحديث كتابا جمع فيه ما سبقه اليه المؤلفون ، وأضاف اليه اضافات جادة وفوائد جمة . وفضلا عن ذلك فانه هو نفسه كان من الرواد في بعض المجالات ، ذلك أنه ألف في فنون وموضوعات لم يسبقه اليها أحد . وبجانب ذلك فقد كان الخطيب البغدادى ملتزما بالاسناد ، ذلك أنه أسند كل رأى الى قائله بالسند المتصل اليه عند استفادته من مؤلفات من سبقه ، ولا شك فى أن هذا اتجاه جديد في أساليب الاقتباس يمكن اعتباره خطوة تطور ايجابية من بين خطوات تطور التأليف وما مرت به الحياة العلمية فى هذا العصر . يقول ابن ماكولا : " كان أبو بكر آخر الأعيان ممن شاهدناه ، معرفة وحفظا واتقانا ، وضبطا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفننا في علله وأسانيده ، وعلما بصحيحه وغريبه ، وفرده ومنكره ومطروحه". وقال المؤتمن الساجي : " ما أخرجت بغداد بعد الدارقطنى أحفظ من ابن الخطيب ". وقال أبو اسحاق الشيرازى : "الخطيب يشبه بالدارقطنى ونظرائه في معرفة الحديث وحفظه". وقال السمعاني : "كان وقورا مهيبا ثقة متحريا حجة كثير الضبط ختم به الحفاظ ".[1] ويذكره ابن خلكان

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية جـ٤ / ص ٢٩ .

فيقول : " ومن العجب أنه كان في وقته حافظ المشرق ، وأبو عمر يوسف بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب حافظ المغرب ، وماتا في سنة واحدة ".[١] ويشير ياقوت الى أنه قد " ختم به ديوان المحدثين ".[٢]

أما مصنفاته فيقول عنها ابن الجوزى " وصنف فأجاد ، فله ستة وخمسون مصنفا بعيدة المثل ".[٣] أما مصنفاته في الحديث فقد بلغت أكثر من أحد عشر كتابا أهمها الأمالي ، والكفاية في علم الرواية ، شرف أصحاب الحديث ، الموضح لأوهام الجمع والتفريق ، الرحلة في طلب الحديث ، تقييد العلم.[٤]

ومن علماء العصر المبرزين في الحديث أيضا محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد أبو يعلي المعروف بالفراء الحنبلي (المتوفى عام ٤٥٨ هـ/١٠٦٥ م ببغداد) وكان محدثا كثير السماع ، عدلا ثقة ، تتلمذ على يديه الكثير من الناس في الحديث ، كما تتلمذ هو من قبل على شيوخ طبقوا الآفاق شهرة في عصرهم ، سمع الحديث في سن مبكرة وشغف بسماعه ، ورحل في طلب العلم الى مكة ودمشق ، ثم عاد الى بغداد ، يملي بجامع المنصور وكان يحضر مجلسه العديد من العلماء وصفه ابن رجب الحنبلي بقوله : " كان أكثرهم حفظا للحديث ، وأعلاهم به اسنادا ، يحضر مجلسه يوم الجمعة بجامع المنصور خلق لا يحصيهم الا الله "،[٥] وتتلمذ على يديه تلامذة أصبحوا علماء الزمان ، وكان فوق ما يتمتع به من قوة الذاكرة عالي الاسناد في رواياته"، قال عنه ابن رجب : " وكان يتقدم على أهل زمانه بكثرة سماعه للحديث وعلو اسناده في المرويات ".[٦]

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ / ص ٩١ - ص ٩٣ .
(٢) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٤ / ص ٣٢ .
(٣) ابن الجذرى : المنتظم جـ ٨ / ص ٢٦٥ .
(٤) ن.م.ص جـ ٨ / ص ٢٦٥ .
(٥) المراغي : الفتح المبين في طبقات الأصوليين جـ ١ / ص ٢٦٠ .
(٦) ابن أبي يعلي : طبقات الحنابلة جـ ٢ / ص ٢٠٠ .
الخطيب : تاريخ بغداد جـ ٢ / ص ٢٥٦ .

أما الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الأندلسي الميورقي الامام الحافظ (المتوفى عام ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م)[١] فقد كان من أئمة الحديث المعدودين ورجاله المشهورين في هذا العصر[٢]، اذ كان معروفا في فضله ونبله وورعه وغزارة علمه وكثرة اطلاعه وحرصه على نشر العلم ، وامتاز بالدقة والاتقان والتحقيق ، ومن أبرز ما اشتهر به وعرف عنه معرفته لعلوم الحديث[٣]، على أنه كان عليما كذلك في التاريخ والأدب . سمع بالأندلس ومصر والشام والعراق ، وأهم مصنفاته جذوة المقتبس ، كتاب الجمع بين الصحيحين ، كتاب حفظ الجار جمع فيه بين الفقه والحديث والأدب[٤].

أما الشيخ أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج (المتوفى عام ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م)[٥] فقد كان علامة زمانه في الحديث ، وسمع من أعيان المحدثين ورحل الى مكة وسمع بها ، ودخل الشام وسمع بدمشق وطرابلس ، ودخل الديار المصرية فسمع بها[٦] وخرج له الخطيب خمسة أجزاء تسمى السراجيات ، هذا بالاضافة الى مصنفاته الأخرى منها كتاب مصارع العشاق ، مناقب السودان ، كتاب الخرقي في فقه الحنابلة ، ومصنفات أخرى .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ / ص٩٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤ /ص٢٨٢، ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص١٧٨ ، الضبي : بغية الملتمس / ص ١٢٣ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ٢ / ص ١٢١٨ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٣ / ص ٣٩٢ .

(٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ٢ / ص ١٢١٨ .

(٣) ن.م.ص جـ ٢ / ص ١٢١٨ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤ / ص ٢٨٢ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ١٢١٨ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ / ص ١٥١ ، الأصفهاني : خريدة القصر جـ ٣/ ص ٣٨٣ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ٧ / ص ١٥٣ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ١٢٣ .

(٦) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ١٢٣ .

واشتهر في هذا العصر محمد بن طاهر بن أحمد الشيباني المقدسي الحافظ (المتوفى عام ٥٠٧ هـ/ ١١١٣م) .[1] أحد العلماء الفضلاء ، رحل في طلب الحديث الى مصر والشام ، والثغور ، والجزيرة ، والعراق ، وفارس ، والجبال وخوزستان وخراسان والحجاز[2] وكان فيه من الذكاء والقدرة على الحفظ الشيء الكثير ومن مصنفاته كتاب أسماء رجال من الضعفاء ، التذكرة في غرائب الأحاديث والمنكرة ، تراجم الجرح والتعديل للدارقطني ، كتاب السماع ، كتاب المنثور ، موافقات البخاري ومسلم ، الناسخ والمنسوخ .

أما أبو البركات هبة الله بن المبارك السقطي (المتوفى عام ٥٠٩هـ/ ١١١٥م)[3] فقد رحل في طلب الحديث ، وجمع لنفسه معجما لشيوخه في ثمانية أجزاء ضخمة ، وجمع تاريخا لبغداد ، ذيل به على تاريخ الخطيب البغدادى .

ونشير أيضا الى الشيخ عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه السهروردى الزاهد (المتوفى عام ٥٦٣ هـ/ ١١٦٧م) الذى اشتغل بالتذكير ، وأملي الحديث ، وقد صنف آداب المريدين في التصوف والأخلاق .[4]

ومن رجال الحديث المعدودين في هذا العصر أبو بكر محمد بن موسي بن عثمان بن موسي الحازمي (المتوفى عام ٥٨٤ هـ/ ١١٨٨م) ، أحد الحفاظ المتقنين

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ١٧٧ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ٢ / ص ٦٦٤ ، الكتبي : عيون التواريخ جـ ١٢/ ص ٢٥ ، البغدادى : هدية العارفين جـ ٢ /ص ٨٢ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ١٢٤٢ .

(٢) الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ١٢٤٢ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ٩ / ص ١٨٣ ، الأصفهاني : الخريدة جـ٣ / ص ٣٠٦ ، ابن العماد : الشذرات جـ٤ /ص ٢٦ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ١/ ص ١١٤ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ١٠/ ص ٢٢٥ ، الذهبى : المختصر المحتاج اليه جـ٣/ ص ٩٣ ، تاريخ الاسلام جـ١٢ وفيات سنة ٥٦٣ هـ ، مصور ، ابن العماد : الشذرات جـ٤ / ص ٢٠٨ .

عني بنفسه فارتحل في طلب الحديث الى الموصل والشام وبلاد فارس وأصبهان وهمذان[١] وكتب عن أكثر شيوخ هذه البلاد ، وغلب عليه الحديث واشتهر به وبرع فيه ، وصنف فيه وفي غيره مصنفات حسانا ، منها : الناسخ والمنسوخ ، الفيصل ، العجالة ، ما اتفق لفظه وافترق مسمّاه ، سلسلة الذهب ، شروط الأئمة وغيرها من المصنفات ، وكان قد استوطن بغداد مواظبا على الاشتغال بالعلم حتى وفاته[٢] .

ومن رجال الحديث في هذا العصر أبو يعقوب يوسف بن أحمد بن ابراهيم الشيرازى (المتوفى عام ٥٨٥ هـ/ ١١٨٩م) سمّعه أبوه منذ صغره من عدة شيوخ ، ثم سمع بنفسه من آخرين ، وجال في الآفاق مابين خراسان وكرمان وفارس والجبال والجزيرة والشام والحجاز[٣] ، وخرج الأحاديث للشيوخ ، وكتب كثيرا ، وجمع " أحاديث أربعين بلدانيه " ، أى أربعين حديثا من أربعين شيخا من بلدان مختلفة غير العراق[٤] .

أما العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (المتوفى عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) الامام ، الحافظ ، عالم العراق وواعظه ، فقد كان من رجال الحديث والوعظ المشهورين في هذا العصر . قال ابن الساعي ذاكرا فضله ومكانته : " قال عبد الحميد ابن أبي الحديد : حدثني من أثق به من أهل العلم حديثا ..... ، قال : كان ببغداد في أيام الناصر لدين الله العباسي واعظ مشهور بالحذق ومعرفة الحديث ، وكان يجتمع اليه وتحت منبره خلق عظيم من عوام بغداد وفضلائها[٥] .

---

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ١٣٦٣ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٢٩٤ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ١٣٦٣ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ١٨٩ ، ابن العماد : الشذرات جـ ٤ / ص ٢٨٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦ / ص ١٠٧ .
(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ١٣٦٤ .
(٤) المنذرى : التكملة لوفيات النقلة جـ ١ / ص ١٢٩ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ١ / ص ٤٦٠ ، الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ ٣ / ص ٢٣١ .
(٥) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٢٢١ .

ولقد توفي أبوه وعمره ثلاث سنوات فنشأ يتيما ، فأخذته عمته الى مسجد الحافظ محمد بن ناصر السلامي (المتوفي عام ٥٥٠هـ/١١٥٥م)[1] محدث العراق فاعتنى به وأسمعه الحديث وحفظه القرآن[2]. ولازم من الشيوخ أعلمهم ، ومن أرباب النقل أفهمهم ، وخرج لنفسه مشيخة عن سبعة وثمانين عالما[3].

وكان العلامة أبو الفرج ابن الجوزى كثير التصنيف والتأليف ، اذ لم يكن يضيع من وقته شيئا سدى وكان يكتب في اليوم تسع كراريس[4] ، وشارك فى كل علم ، فألف في التفسير ، وعلوم القرآن ، وفى الحديث ورجاله وفنونه ، وفي المذهب والأصول ، وفي الفقه والعقائد ، والوعظ والأخلاق ، والرياضيات ، والطب والشعر واللغة والتاريخ والجغرافيا والتراجم العامة والتراجم الخاصة .

ومن أهم مصنفاته تلقيح فهوم الآثار في مختصر السير والأخبار ، صفوة الصفوة ، الأذكياء وأخبارهم ، مناقب عمر بن عبد العزيز ، الناسخ والمنسوخ ، تلبيس ابليس ، لقط المنافع في الطب والفراسة ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الذهب المسبوك في سير الملوك ، كتاب الضعفاء والمتروكين في رجال الحديث المصطفي بأكف أهل الرسوخ في الناسخ والمنسوخ ، أسماء الضعفاء والواضعين شرح

---

(١) الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ١٢٨٩.
(٢) ن.م.س جـ ٤ /ص ١٣٤٥.
(٣) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ٤٠١ ، قال ابن الجوزى عن خاله ابن ناصر السلامي " حملنى شيخنا ابن ناصر الى الأشياخ في الصغر ، وأسمعنى العوالي وأثبت سماعاتي كلها بخطه وأخذ لي اجازات منهم " أنظر : ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ٤٠١.
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ١٤١.

مشكل الصحيحين ، وغير ذلك من المصنفات التى بلغت حوالي الثلاثمائة .[1]

ومن علماء الحديث المبرزين في هذا العصر الشيخ أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزرى قال عنه المنذرى : " وهو من بيت الحديث هو وأبوه وجداه وعمه وعما أبيه وابنه "[2] ، وكان أشهر العلماء ذكرا ، وأحد الأفاضل المشار اليهم (المتوفى عام ٦٠٦هـ/١٢٠٩ م) ، ولد ابن الأثير هذا في الجزيرة وانتقل الى الموصل ، وأخذ النحو وسمع الحديث ، وتنقل في الولايات وكتب في الانشاء لدى الأمير مجاهد الدين قيماز ، ثم عرض له مرض أقعده فانقطع في منزله يغشاه العلماء والأكابر والأدباء ، وصنف كتبه خلال فترة اعتزاله ، وكان عنده جماعة يعينونه في الاختيار والكتابة ، وقد صنف فى سائر العلوم ، وخاصة الحديث مصنفات منها كتاب جامع الأصول لأحاديث الرسول ، الذى جمع فيه بين الصحاح الستة ، ورتبه ترتيبا موضوعيا في فصول مرتبة على حروف المعجم. وله كتاب النهاية في غريب الحديث ، وهو معجم للحديث في خمس مجلدات . وله كتاب المرصع وهو قاموس للكنى في رجال الحديث . هذا بالاضافة الى كتبه الأخرى المختلفة[3] .

---

(١) الأصفهاني : خريدة القصر جـ٣ /ص ٢٦٠ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨/ ص ٤٨١ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ١/ص ٣٩٩ ، أبو شامة : ذيل الروضتين ص ٢١ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ٤/ ص ١٣٤٤ ، ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٣٢١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٦/ص ١٧٤ ابن العماد : الشذرات جـ٤ / ص ٣٢٩ ، اليافعي : مرآة الجنان جـ ٣ / ص ٢٨٩ البغدادى : هدية العارفين جـ١ / ص ٥٢٠ .

(٢) المنذرى : التكملة لوفيات النقلة جـ١ / ص ٦٦ .

(٣) منها مناقب الأخيار ، وهو تراجم لمشاهير المسلمين ، وكتاب تجريد أسماء الصحابة وكتب اخرى صنفها في فنون العلم المختلفة. عنه أنظر: ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤ / ص ١٤١ ، القفطي : انباه الرواة جـ٣/ص ٢٥٧ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ١٣٩٩ ، المختصر المحتاج اليه جـ٣ / ص ١٧٦ ، الداوودى : طبقات المفسرين جـ٢ / ص ٣٠٢ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٥ /ص ٢٢ .

ولقد برز في آخر هذا العصر الحافظ مؤرخ العراق أبو عبد الله محمد بن سعيد بن يحي الدبيثي الواسطي (المتوفى عام ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م) الذى عني بالحديث، وكتب العالي والنازل ، ورحل في طلبه سنة ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠م ، ولقد صنف تاريخا كبيرا لواسط ، وتاريخا لبغداد ذيل به على تاريخ السمعاني.(١)

وتجدر الاشارة هنا الى أنه كان للنساء مشاركة فعالة في ميدان العلوم الدينية حيث ظهر في هذا العصر عالمات أسهمن في احياء النهضة العلمية في شتى العلوم والآداب ، ولاسيما في ميدان الحديث والوعظ . وكانت الشيخة شهدة بنت الابرى البغدادية (المتوفية عام ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م)(٢) من أسند أهل زمانها ، فقد روت عن العلماء سوى الحديث كتبا في العلوم الاسلامية الأخرى كتاب المعاني للزجاج ، والأموال لأبي عبيد.(٣)

---

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ٤ /ص ١٤١٤.
ولقد ظهر في هذا العصر عدد كبير من علماء الحديث وموضوع البحث لا يسمح بحصرهم ، ويمكن الاطلاع عن بعضهم في : الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ ٣ /ص ٨١ - ٩٠ - ١٨٠ ، تذكرة الحفاظ جـ ٤/ص ص ١٢٠٧ ، ١٢٢٤ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤٦ ، ١٢٦٣ ، ١٢٨٩ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٥ ، ١٣٨٣ ، ١٤١٢.
ابن النجار : ذيل تاريخ بغداد جـ١ / ص ٣٥٤ ، القفطي : انباه الرواة جـ ٣ / ص ٢٢٢ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ١ /ص ٥٩٨ ، جـ ٣/ ص ص ١٧٥ ، ٢٢٦ ، ٥٤٢.

(٢) سبق الحديث عنها في هذا البحث .

(٣) الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ ٣ / ص ٢٦٣.
وفي ميدان الحديث والوعظ تطالعنا المصادر بأسماء العشرات من عالمات بغداد ، واللاتي كان لهن مشاركة واسعة فيه ، والبحث لا يسمح باستطراد أسمائهن ، ولكن يمكن الاشارة الى بعضهن ممن روين الحديث ، وروى عنهن العلماء وأجزن الكثير من علماء العصر بالرواية ، وحدثن ووعظن ، منهن : ستيته بنت القاضي عبد الواحد بن محمد (ت ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م) الخطيب : تاريخ بغداد جـ١٤ / ٤٤٦ - وخديجة بنت محمد بن علي بن عبد الله الواعظة المعروفة بالشاهجانية (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) ن.م.س جـ ١٤ /ص ٤٤٦ ، العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ٣/ص ٣٠٨ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ٢٩ ، جـ ١٠ /ص ١١٣ - والواعظة الماوردية (ت ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م)

رابعا : الفقه والأصول :

يعتبر العصر السلجوقي امتدادا للعصر الذى سبقه فيما يختص بالدراسات الفقهية ، ذلك أن القرن الرابع الهجرى يعد نقطة فاصلة في تاريخ التشريع الاسلامي ، حيث توقف الاجتهاد ، وأصبح الفقيه في هذا العصر لا يستطيع أن يجتهد الا في النادر من المسائل الصغيرة . يقول كحالة : " ويمكن القول أنه

= ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ١٢٠ - وحمدة بنت رائق بن علي الهيينية ، ولدت (سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م) ، كحالة : أعلام النساء جـ١ /ص ٢٩٤ وفاطمة بنت الحسين بن فضلويه الرازى (ت ٥٢١هـ/١١٢٧م) ابن الجوزى : المنتظم جـ١٠/ص ٧ - وفاطمة بنت الحافظ سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصارى (ت ٥٣٢هـ/١١٣٧م) الذهبى : المختصر المحتاج اليه جـ٣/ص ٢٦٩ ، الكتبي : عيون التواريخ - ونورالعين بنت أبي بكر بن أحمد البغدادية الحربية (٥٨٧هـ / ١١٩١م) المنذرى : التكملة لوفيات النقلة جـ١ /ص١٥٧ - وست الدار بنت الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عبد الله البغدادية الحربية (ت٥٨٨هـ/١١٩٢م) ن ٠م٠س جـ١ /ص ١٧٧ - وست الناس زينب بنت عبد الوهاب الصابوني (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) ن ٠م٠ س جـ١ /ص ١٧٦ - وبلقيس بنت سليمان بن أحمد بن نظام الملك (ت ٥٩٠ هـ/١١٩٣م) ن ٠م٠ س جـ ١ /ص ٢٥٩ ، الذهبى : المختصر المحتاج اليه جـ٣ /ص٢٥٨ - والشيخة تمني بنت عمر بن ابراهيم بن الحسين البغدادى الأزجي (ت ٥٩٤ هـ/ ١١٩٧م) المنذرى : التكملة لوفيات النقلة جـ ١ / ص ٣٠٤ - وفنون بنت أبي غالب بن سعود البغدادية الحربية (ت ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م) ن ٠م٠ س جـ ١ /ص ٣٣٤ - وفخر النساء أم الحياء فرحة بنت قراطاش بن طنطاش العوني (ت ٥٩٨ هـ/ ١٢٠١م) ن ٠م٠ س جـ١ /ص٤٣٥ ومريم بنت فائز اليازيارى (ت ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣م) الذهبى : المختصر المحتاج اليه جـ ٣ / ص ٢٧٢ - وعزيزة بنت علي بن يحي الطراح (ت ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) ن ٠م٠ س جـ ٣ / ص ٢٦٨ ، المنذرى : التكملة لوفيات النقلة جـ٢ / ص ٣٤ - ودرة بنت عثمان بن منصور الحلاوى (ت ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧م) الذهبى : المختصر المحتاج اليه جـ٣/ص ٢٦١ - وعاتكة بنت الحافظ الحسن بن أحمد الهمذاني (ت ٦٠٩ هـ/ ١٢١٢م) ن ٠م٠ س جـ٣/ص ٢٦٨ - وصفية بنت أبي البركات بن أبي الحرب الواعظة (ت ٦١١هـ/١٢١٤م) ن ٠م٠ س جـ٣/ص ٢٦٦ - وحفصة بنت أحمد بن محمد الأزجية (ت٦١٢هـ/١٢١٥م) ن ٠م٠ س جـ ٣ / ص ٢٦٠ .

بعد محمد بن جرير الطبرى[1] لم نجد من سمت به نفسه الى مرتبة الاجتهاد ، يتخير لنفسه في الاستنباط والافتاء ، ويأخذ أحكامه من الكتاب والسنة غير متقيد برأى أحد الأئمة ".[2]

وهكذا حصر جميع علماء الشريعة في هذا العصر أنفسهم حول مذاهبهم ، واستندوا في أحكامهم على ما يجدونه في مذاهب أئمتهم ، والتزم كل منهم مذهبا معينا لا يتعداه ، ففترت هم الناس ، وضعفت عزائمهم ، واكتفوا بالمحاكاة والتقليد ، وتعصب كل واحد لمذهبه ، وأنزل قول امامه منزل القول الفصل . فلقد أقبل العلماء على المذاهب ، وانصرفوا عن الاجتهاد ، ووقفوا عند هذا الحد لا يستظهرون غير المتون ، واقتصر علمهم الفقهي على فهم كلام الأئمة ، أو تفريع قواعدهم ، وعمل الحواشي والتعليقات على كتبهم ، على الرغم من أنه قد ظهر في هذا العصر من علماء الفقه والأصول عدد من فحول الفقهاء ممن لا يقلون عن مرتبة الأئمة السابقين علما واستنباطا . مثل الامام الغزالي (المتوفى عام ٥٠٥هـ/ ١١١١م) والامام الماوردى (المتوفي عام ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م) .

عمل العلماء في هذا العصر على جمع الآثار ، ورجحوا بين الروايات وخرّجوا على الأحكام ، وبنوا فتاويهم على شتى المسائل والفروع من أصول أئمتهم وقواعدهم وفتاويهم . وتشددوا في الالتزام وكان من نتائج ذلك ظهور التعصب المذهبي ، حيث خاضوا في ميدان الجدل والمناظرة في مجالس علمية ، كان يحضرها العلماء

---

(١) محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م) أبو جعفر المؤرخ المفسر استوطن بغداد وبها توفي ، له من الكتب : أخبار الرسل والملوك يعرف بتاريخ الطبرى ، جامع البيان في تفسير القرآن ، اختلاف الفقهاء ، المسترشد في علوم الدين . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤/ص ١٩١ ، السبكي : طبقات الشافعية ج٢ / ص ١٣٥ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ٢ / ص ١٦٢ .

(٢) كحالة : علوم الدين الاسلامي / ص ١٦٠ .

الأجلاء ، وأدلوا فيها بالبراهين والحجج ، وألفّوا كتب الخلافيات ، وجمعوا فيها أحكام الأئمة وأدلتهم ، ونصر كل امامه ، ودعّم رأيه ، وخطأ أدلة مخالفيه من علماء المذاهب الأخرى .

وأما تعليل الأحكام فقد تلقي علماء هذا المصر عن أئمتهم أحكاما كثيرة لمسائل قدروها وفرضوها قبل أن تقع ، واجتمع لديهم من ذلك عدد لا يحصي كثرة ، فأخذوا أنفسهم بضبطها ورد الأشباه والنظائر بعضها الى بعض ، وتعرّف وجوه الفرق بين المسائل المختلفة ، وتخريج الأحكام ، حتى يتسنى لهم القياس عليها فيما لم يرد به نص أو رأى من امام المذهب أو فقهائه .

وكان أكثر المشتغلين بذلك الحنفية ، لأن الكتب التى يعولون عليها هي كتب محمد بن الحسن الشيباني[1] وكان أغلبها خاليا من التعليل ، وكان الحنفية أقران الشافعية في المناظرة ، فكان لابد لهم من تدعيم تلك الأحكام بأدلتها واظهار علتها ، حتى يقووا على مواجهة مناظريهم ولاسيما أن الحنفية أكثر أخذا بالقياس من غيرهم .

أما المالكية فقد كانوا أكثر بعدا عن مجالس المناظرة ، ولعل هذا ما دفع حجة الاسلام أبا حامد الغزالي (المتوفي عام ٥٠٥هـ/ ١١١١م) الى تأليف كتابه احياء علوم الدين الذى يمثل حركة رد فعل للحالة التى كانت عليها العلوم

---

(١) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (ت١٨٩هـ/ ٨٠٤م) من تلاميذ أبي حنيفة النعمان ، وهو من أئمة أهل الرأى في الفقه الحنفي ، له كتب كثيرة في الفقه والأصول منها المبسوط ، الزيادات ، الجامع الكبير ، الجامع الصغير ، الآثار ، الامالي وغيرها .
ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ / ص ١٨٤ ، الكنوى : الفوائد البهية ص ١٦٣ ، القرشي : الجواهر المضية ج٢/ص ٤٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٢/ص ١٣٠ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ٢ / ص ١٧٢ .

الاسلامية في هذا العصر. فقد ناقش الامام الغزالي في كتابه هذا الكثير من الأمور المتعلقة بواقع فهم المسلمين للدين الاسلامي ، كما أنه أفرد بابا لجملة من الأمور كان من ضمنها حديثه عن المناظرة ، وعن سبب اقبال الخلق على علم الخلاف . وقد فصل في بحثه آفات الجدل والمناظرة ، وحدد شروط اباحتها ، وهو يرى أن من آفات المناظرة في عصره " الحسد والترفع على الناس والغيبة والتجسس ، والنفاق والاصرار على الرأى مهما ظهر بطلانه ".[1] ويبدو أن الجدل والمناظرة واختلاف المذاهب أصبحت من مظاهر العصر العلمية في ميدان العلوم الدينية ، وهي انعكاس لحالة التعصب والانتصار للمذهب ، فقد عمل كل فريق من العلماء في هذا العصر على نصرة مذهبه الذى يعتنقه ، وتأييده بشتى الوسائل ومختلف الطرق ، كما أكثر علماء العصر من كتب المناقب ينشرون فيها ماكان عليه امام المذهب من سعة في العلم وكمال في الزهد ، وما كان يتحلي به من الورع الصادق ، وحسن الاستنباط ، ودقة النظر وقوة الحجة ، وكأنهم بذلك يريدون أن يحملوا الناس على أن يسلكوا مسالكهم ، وأن يعتنقوا مذهبهم حتي يكثر عددهم فتقوى شوكتهم وتنفذ كلمتهم. ثم انهم تتبعوا مواضع الخلاف ، وصنفوا فيها كتبا يذكرون فيها المسائل التى اختلف فيها الأئمة ، ويسوقون دليل كل امام وهم يرجحون في الغالب مذهب امامهم.[2] ولم يقف الخلاف عند حد المذاهب فقط ، بل لقد احتدم الصراع بين الفقهاء وخاصة الحنابلة منهم ، وبين الحركات الصوفية التى كانت من أهم ظواهر العصر البارزة . وقد استهدف الحنابلة القضاء

---

(١) الغزالي : احياء علوم الدين جـ١ / ص ص ٤١ - ٤٣.

(٢) يقول الغزالي عن علماء العصر" وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان حتى ظل علم الدين مندرسا ، ولقد خيلوا الى الخلق ان لاعلم الا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام ، أو الجدل يتذرع به طالب المباهاه الى الغلبه والافحام ، أو سجع مزخرف يتوصل به الواعظ الى استدراج العوام" الغزالي : احياء علوم الدين جـ١ /ص ٢ . طبع الحلبى .

على الصوفية ، كما قضوا على المعتزلة من قبل ، غير أنهم لم يصلوا الى نتيجة حاسمة،[١] ومع أن اقدام أبي حامد الغزالي مع عظيم قدره على الالتزام بالتصوف يمثل محاولة جادة استهدفت فصل الخلاف بين الفقهاء والصوفية ، بقصد الجمع بينهما ، الا أن الحنابلة لم يكن يروق لهم ذلك اذ وقفوا في وجه هذا الاتجاه ، وكثيرا ما احتدم الصراع بين الطرفين ، اذ استمر الحنابلة على ثبات موقفهم في معارضة الطرق الصوفية والقدح على أتباعها[٢].

ولقد تأثر الفقه في هذا العصر بالأحوال السياسية ولاسيما لدى سلاطين السلاجقة ، فالفقه مصدر التشريع ، والتشريع قد يمس الشئون الخاصة أو العامة للدولة من قريب أو بعيد ، وكثير من الفقهاء قد يقفون في كثير من المسائل موقفا لا يرعون فيه الا الحق ، فيكونون عرضة لغضب السلاطين وانتقامهم[٣]، ولهذا فقد أقدم الكثير من أكابر الفقهاء في هذا العصر على وضع مؤلفات في الأحكام السلطانية تعرضوا فيها لشرعية السلطة والادارة ، وتناولوا بذلك الامامة والخلافة والامارة والوزارة ، موضحين في ذلك مبدأ الاسلام وحكمه فيها . ومن هؤلاء العلماء أبو الحسن الماوردى (المتوفي عام ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م) صنف في هذا كتابه الأحكام السلطانية ، وكتاب قوانين الوزارة وسياسة الملك، وكتاب نصيحة الملوك ، وكتاب أدب القاضي . والفقيه أبو يعلي الفراء الحنبلي (المتوفى عام ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥م) الذى صنف في ذلك كتابه الأحكام السلطانية .

---

(١) أنظر الباب الذى عقده ابن الجوزى حول الصوفية وموقفه منهم بالنقد والتهكم ، وأوضح فيه بطلان طريقتهم وغرائب سلوكهم وكذب ونفاق الكثير منهم . ابن الجوزى : تلبيس ابليس من ص ١٦٠/ ص ٣٩٢ .

(٢) ن.م.س ص ٢٤٥ .

(٣) مثال ذلك ماجرى لشيخ الاسلام الهروى ، وقد سبق الحديث عنه وعن موقف السلطان منه . الداوودى : طبقات المفسرين جـ١ / ص ٢٤٩، وما جرى لأبي الوفاء علي بن عقيل العالم الحنبلي (ت ٥١٣هـ/١١١٩م) من أذى وحبس وضرب . العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ٤ /ص ٣٥، وماجرى لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى من اهانة وشتم وتشتيت لأسرته وحبسه بواسط خمس سنوات ، كان يغسل ثوبه ويطبخ بيده طوالها . الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ٤ /ص ١٣٤٦ .

أما الامام أبو حامد الغزالي فلقد أتيحت له تجربة جيدة من خلال علاقته الحسنة بالوزير نظام الملك ، مما هيأ له الفرصة للاطلاع على كثير من جوانب الحياة في الدولة السلجوقية ، وقد خرج من ذلك بانطباع نفسي تلمسه في بعض كتاباته ، فقد تحدث في مقدمة كتابه فاتحة العلوم عن الكثير من الأمور المتعلقة بالامامة وسياسة الحكم ، وعقد فصلا عن الامامة في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد ، وكتابه المستظهري (أو فضائح الباطنية) تعرض فيه لمثل هذه الأمور ، أما كتابه التبر المسبوك في نصيحة الملوك فقد توصل فيه الى آراء وحقائق عن فن الحكم ومبادئه .

ويمكن القول اجمالا أنه قد برز في العراق خلال العصر السلجوقي علماء أجلاء في الفقه وأصوله كان لبعضهم أبحاث رائعة ، ودراسات جليلة ، ونظرات صائبة في دراسة الفقه الاسلامي وأصوله منهم :

الامام العلامة حجة الاسلام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي (المتوفي عام ٥٠٥ هـ/ ١١١١م) ، صاحب الهمة العالية ، والفطرة الصائبة ، ولد بطوس من مدن خراسان ولم يك يبلغ أشده حتى تعلم القراءة والكتابة ، وأخذ يدرس العلوم الشرعية ، فأخذ طرفا من الفقه ، ورحل الى جرجان حيث درس على أبي نصر الاسماعيلي ثم الى نيسابور ، وهناك لازم امام الحرمين أبا المعالي الجويني ، وجد واجتهد حتى برع في المذهب الشافعي ، والخلاف والجدل والمنطق ، وقرأ الحكمة والفلسفة ، وأحكم ذلك كله ، وكان أنبغ تلاميذ الجويني حتى انه صنف في حياته كتابه المسمى المنخول نظر الجويني فيه فقال " دفنتني وأنا حي هلا صبرت حتى أموت ".[1] وبعد وفاة أستاذه الجويني خرج الغزالي قاصدا الوزير نظام الملك ، اذ كان مجلسه مجمع أهل العلم ، فناظر الأئمة العلماء في مجلسه فبزّهم ، فأعجب به الوزير نظام الملك وعظمت منزلته عنده فندبه للتدريس في المدرسة النظامية ببغداد فتولاها سنة

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية جـ٦ / من ص ١٩١/ ص ٢٢٧ .

٤٨٤ هـ/ ١٠٩١م . ولقد أعجب به الخلق علما وخلقا وفصاحة ، وأقام على التدريس والتصنيف حتى سنة ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م . ثم أقبل على العبادة والسياحة فخرج الى الحجاز مؤديا فريضة الحج ، ثم عاد الي دمشق فاستوطنها مدة، وخرج منها الي بيت المقدس ثم الاسكندرية ، يجول في البلدان ويزور المشاهد ، ويأوى القفار ، ويروض نفسه ، ويكلفها مشاق العبادات ، ثم رجع الى بغداد ، ومن هناك توجه الى بلده طوس . ثم ان الوزير فخر الدين بن نظام الملك طلبه الى نظامية نيسابور فأجاب الى ذلك ، ثم عاد الى وطنه ، وابتنى الى جواره خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين ، وظل بقية حياته بين التدريس والعبادة والتصنيف الى أن توفي .

يقول السبكي " مات ولم تر العيون مثله في القرون الماضية والتالية لسانا أو بيانا أو علما أو خاطرا وطبعا ، نظر في علم الأصول وكان قد أحكمها فصنف فيها تصانيف ، وجدد المذهب في الفقه ، فصنف فيه تصانيف ، وسبك الخلاف فحرر فيه أيضا تصانيف جاوزت الثلاثمائة مصنف ، منها في المذهب الوسيط ، البسيط والوجيز في فروع الفقه الشافعي ، الخلاصة ، وفي سائر العلوم منها احياء علوم الدين ، المستصفي في أصول الفقه ، بداية النهاية ، والمآخذ في الخلافيات ، كيمياء السعادة (بالفارسية) ، المنقذ من الضلال، اللباب المنتحل في الجدل ، تهافت الفلاسفة ، المقاصد في بيان اعتقاد الأوائل ، مقاصد الفلاسفة ، الجام العوام عن علم الكلام ، معيار العلم ".(1)

---

(1) تتحدث أغلب المصادر عن شخصية الامام الغزالي وفضله وعلمه ومصنفاته منها ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٥٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ١٧٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤ / ص ٢١٦ . السبكي : طبقات الشافعية جـ ٦ / ص ص ١٩١ - ٢٢٧، الذهبي : تاريخ الاسلام جـ١٢/ وفيات سنة ٥٠٥هـ مصور ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ٣ / ص ٤٩٦، الكتبى : عيون التواريخ، البغدادى : هدية العارفين جـ ٢ / ص ٧٩.

وهناك العشرات من الباحثين المحدثين تناولوا شخصية الغزالي وكتبه بالدراسة والتحليل فيما يتعلق بالدراسات الدينية، والانسانية من فلسفة وسياسة وتربية واخلاق وعلم نفس . . . الخ .

والغزالي يعد من أعظم مفكرى الاسلام ، وأقدرهم على الابتكار ، كان فقيهـا متكلما صوفيا ، وهو من علماء المسلمين المبرزين الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، قال السبكي " جامع أشتات العلوم ، جاء والناس الي رد فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصابيح السماء ، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيف بجلاد مقاله ، ويحمي حوزة الدين ".[(١)]

ولعل أبرز معالم شخصية الغزالي وصفاته المميزة حبه للحقيقة وتعلقه بالوصول اليها[(٢)] ، وسعيه للكشف عنها ، والتى قضي شطرا كبيرا من حياته ساعيا وراءها ، رغم كل ما واجهه من المشكلات والصاعب ، فقد أبت نفسه الكبيرة الا أن تسبر الأغوار وقد تجرد في بحثه فكتابه المنقذ من الضلال ، والذى ألفه بعد الخمسين من عمره يعرض لنا فيه المنهج والطريق الذى سلكه في سبيل الوصول الى الحقيقة ، وهـي معرفة الله ، بعد أن طوّف بجميع المذاهب ، ودرس مختلف العلوم من فقه وكـلام وفلسفة ، واطلع على آراء أصحاب الملل والنحل والفرق ، ودرسها جيدا ، فلم يرد أن أى طريق منها يوصل الي المعرفة الحقيقية بالله .[(٣)] ثم رجوعه الى القلب لينقذ الدين من المفاهيم الفاسدة والأفكار الخاطئة التى تهدده .[(٤)]

لقد أراد الغزالي هذا الدين خالصا من تأويلات أهل الباطن وجهل أهـل الظاهر ومن أوهام الفلاسفة وتخيلاتهم[(٥)] مما جعله مجددا عظيما ، ومصلحا كبيرا ، واماما بعيد الأثر ، وكان بالامكان أن تؤدى هذه التجربة المريرة مع ما يحيط بـه من صور الفكر المختلفة بعمق ، والمشتتة في شتى الاتجاهات في عصره ، الـى احداث الاضطراب في فكره . ولكنه ، وقد شبع قلبه وعقله بلباب القـرآن والحديث ، حافظ علي ايمانه الذى لا يتزعزع ، وبذل جهدا خارقا فـي

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٦ / ص ١٩١ .
(٢) الغزالي : المنقذ من الضلال / ص ٣ .
(٣) ن.م.س / ص ٥ .
(٤) ن.م.س / ص ص ٢٣ - ٢٥ .
(٥) ن.م.س / ص ص ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ .

محاولته لوضع حد لمهزلة تناحر المذاهب والفرق ، ورد الأباطيل ، وردع أهل الضلال . ومن مميزات الامام الغزالي أنه وهب نفسه للعلم فقال : " طلبنا العلم لغير الله فأبي أن يكون الا لله "[1] أضف الى ذلك أنه قد حرم نفسه الكثير من متاع الدنيا في سبيل بحثه عن الحقيقة ، والوصول اليها خلال مراحل رحلته في طلب العلم ، وتفرغه للبحث والتأليف والتدريس . وكان من نتيجة ذلك أن خلّف الامام الجليل ارثا علميا ضخما ، يجد فيه الدارسون من أبناء الاسلام مشعلا يضيء لهم سبل البحث والابداع. أضف الى ذلك أن الغزالي قد كتب في مواضع شتى العديد من المؤلفات ، فتكلم في التفسير والحديث والفقه والأصول ، كما تحدث في أنواع أخرى من العلوم ، فقد كتب في تربية الأولاد والمتعلمين ، وفي علم النفس وبحث في السياسة والتصوف وعلم الكلام والفلسفة ، الى غير ذلك من أنواع العلوم ، حتى جاوزت مصنفاته الثلاثمائة مصنف .

ومن أهم مميزات الغزالي أنه أولي الجانب الأخلاقي والتربوى لدى الانسان جانبا عظيما من اهتمامه ، فكتب عن ذلك كثيرا في كتابه احياء علوم الدين ، بالاضافة الي رسالته : أيها الولد ، والرسالة اللدنية .

ولا غرو في ذلك فقد كان الغزالي واحدا من كبار الأساتذة والمربين ، سواء في المدرسة النظامية أو خارجها ، وهو بحكم تعامله مع التلاميذ قد توصل الي الكثير من الأسس التربوية والقواعد العلمية والنفسية التى ينبغي ملاحظتها فى التربية ، كما أنه قد تعرض للصفات التى يجب أن يتصف بها الطالب ، وكذلك شروط المدرس الصالح وواجباته .[2]

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٦ / ص ١٩١ .
(٢) الغزالي : احياء علوم الدين جـ١ / من ص ١ الي ص ٨٧ ، الرسالة اللدنية ، أيها الولد مطبوعة ضمن رسائل الغزالي بعنوان القصور العوالي جـ١ / ص ص ٦٧ - ٢٣ - ص ص ١٦٠ - ١٧٩ .

ويتميز الامام الغزالي بأسلوبه الأدبي المشرق الذى يضعه في مرتبة كتاب المسلمين الكبار ، فقد طوع اللغة العربية ، على الرغم من أعجميته ، للتعبير عن تجربته الانسانية العميقة ، ووصف العلوم الفلسفية بدقة ، بأسلوب ينطوى على السلاسة والقدرة على التعبير والابداع ، في الوقت الذى يوصف الكثير من مؤلفي عصره بجفاف الأسلوب .

وعند محاولة تقييم دور حجة الاسلام الغزالي ، ومدى تأثيره في حياة المسلمين العلمية والثقافية ، يمكن القول ، دون تردد ، بأن أثره كان كبيرا ، فهو بجانب دعوته الي العودة بالاسلام الى أصوله الأولى ، ومنابعه الصافية ، قد رفع مكانة الدين الي مستوى شامخ لاعهد للفقهاء والمتكلمين والغلاسفة به ، اضافة الى احيائه للعلوم الشرعية وبحوثه الجادة في اطار الدراسات النفسية والتربوية ، ونظريته في التعليم وأساليبه في نقد المتكلمين والفلاسفة ، والرد علي الرافضة والدهريين ، ومواقفه الصلبة في وجه أعداء الاسلام .

ومن علماء العصر المعدودين أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردى (المتوفي عام ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م) الذى قال عنه السبكي " كان اماما جليلا رفيع الشأن له اليد الباسطة في المذهب ، والتفنن التام في سائر العلوم "[(١)].

نشأ في البصرة ، وتلقي تعليمه على عدد من شيوخها ، ثم رحل الى بغداد والتقي بعدد من شيوخها ودرس الفقه ، وتولي القضاء في بلدان كثيرة[(٢)] وامتاز في أحكامه القضائية بالمرونة والاجتهاد ، ولقد أكسبه توليه القضاء في كثير من البلاد

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية جـ٥ / ص ٢٦٧ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ١٩٩ .

خبرة عميقة بالبلاد والعباد ، حتى اذا ما عاد الى بغداد أخذ يباشر التدريس . وقد تخرج على يده الكثير من أفاضل العلماء منهم الخطيب البغدادى (المتوفى عام ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م) وغيره .[1] وقد علت منزلته عند ملوك بني بويه أثناء اقامته في بغداد ، وكانت له مكانته الخاصة عند الخليفة العباسي ، وقد كان أمراء بني بويه يرتضونه وسيطا بينهم وبين مناوئيهم ، ويكلفونه بذلك ويلتزمون بتقريراته .[2] ولقد أثبت الامام الماوردى شجاعته الأدبية في مناسبات متعددة ، فلم يكن يبالي بالوقوف حتى في وجه السلاطين ، اذا ما اقتنع بأن الحق يتطلب ذلك، ولا أدل على ذلك من موقفه في معارضة الطلب الذى تقدم به الأمير البويهي جلال الدولة الى الخليفة سنة ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م باضافة لقب ملك الملوك الأعظم الى ألقابه . وعلى الرغم من أن أغلب فقهاء عصره قد أفتوا بجواز استعمال هذا اللقب ، مؤيدين بذلك موقف الأمير البويهي ، فان الماوردى قد انفرد بموقف رافض اذ أفتى بعدم جواز ذلك شرعا ، حيث ان هذه من الصفات الالهية ، رغم ادراكه مدى ضعف موقف الخليفة بازاء الأمير البويهي المتجبر المتغطرس ، ورغم ماكان يظهره الأمير البويهي من اجلال وتكريم للماوردى .[3]

وامتاز الماوردى بغزارة الانتاج ، قال السبكي : " وله اليد الباسطة في المذهب والتفنن التام في سائر العلوم "[4] فكان له التصانيف الحسان في سائر العلوم[5] منها تصانيف في الدراسات الشرعية، مثل كتاب تفسير القرآن المعروف بكتاب النكت والعيون ، وانفرد في تفسيره ببعض النظرات الخاصة به ، والتى تدل على

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء جـ٤/ ص ٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ /ص ٨٧ .
(٢) ابن الأثير: الكامل جـ٩ / ص ٥٢٢ ، جـ ١٠/ ص ٤٣٧ طبعة بيروت .
(٣) ابن الجوزى: المنتظم جـ٨ / ص ٩٧ ، ابن الأثير: الكامل جـ٨ / ص ١٨ .
(٤) السبكي : طبقات الشافعية جـ٥ / ص ٢٦٧ .
(٥) ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٥/ ص ٥٢ .

الأصالة وعمق التفكير ، وقد صنف كذلك كتاب الحاوى الكبير ، وهو موسوعة ضخمة في فقه الشافعية ، قال الماوردى عنه " بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة ، واختصرته في أربعين " يريد بالمبسوط كتاب الحاوى وبالمختصر كتاب الاقناع [١] . وقال ابن خلكان عنه " وكان حافظا للمذهب ، وله فيه كتاب الحاوى الذى لم يطالعه أحد الا وشهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب " [٢] ، ولقد تضمنت هذه الموسوعة الفقهية ، الى جانب العبادات ، وجميع فروع القانون العام والخاص ، فصولا في الزكاة والعشور والجزية والركاز ، كما تناول في بحثه القانون المدني من المعاملات ، والأحوال الشخصية في الميراث والطلاق والزواج والوصية ، كما بحث في القانون التجارى في باب الشركات والمضاربات ، وتضمن الكتاب أبحاثا عميقة في أصول الفقه [٣] ، ومن مؤلفات الماوردى كتاب أدب القاضي وكتاب أعلام النبوة ، الذى نحي فيه منحي خاصا ، اذ حاول اثبات النبوات بأدلة عقلية ، وقد ألف الماوردى في الأدب واللغة أيضا ، فقد صنف كتاب الأمثال والحكم [٤] وكتاب العيون في اللغة قال عنه ياقوت " رأيته في حجم الايضاح أو أكبر " [٥] وكتاب البلغة العليا في أدب الدين والدنيا وهو من الكتب القيمة التى تبحث في الاخلاق والفضائل الدينية والآداب الاجتماعية .

ولعل أهم جانب في مؤلفات الماوردى كتبه السياسية التى ضمنها الماوردى آراءه في أنواع الحكومات ونظم الحكم والادارة ، وغير ذلك من الموضوعات التي

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٥ / ص ٥٢ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٣ / ص ٢٨٢ .
(٣) الماوردى : قوانين الوزارة ، تحقيق فؤاد عبد المنعم من ص ٥ الى ص ١٧ .
(4) P.Voorhove: Codices Manuscripti VII hand lis arabic manuscripts in the library of the university of Lieden and the recollection in the Nether land (lugduni Batavoum 1957, p. 13.

(٥) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٥ / ص ٤٠٨ .

استرعت أنظار الدارسين ، منها كتاب الأحكام السلطانية الذى قال عنه البعض " انه قد حاز من الشهرة بين علماء المسلمين في المجالات السياسية الاسلامية حظا لا يحتاج معه الى تعريف أو تقديم "[1] والكتاب يعتبر من أهم مصادر النظم الاسلامية ، وله كتاب قوانين الوزارة ، وكتاب سياسة الملك ، وكتاب نصيحة الملوك.[2]

ومن علماء العصر طاهر بن عبد الله بن طاهر ، أبو الطيب الطبرى (المتوفي عام ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م) الذى درس الفقه ، وسمع بجرجان ونيسابور ، ثم جاء الى بغداد واستوطنها ، وسمع من علمائها وتولي القضاء ،[3] وكان عارفا بأصول الفقه وفروعه ، ومحققا في علمه ، قال عنه أبو اسحاق الشيرازى : " ولم أر ممن رأيت أكمل اجتهادا ، وأشد تحقيقا منه ، شرح مختصر المزني ، وصنف في الخلاف والمذهب ، والأصول والجدل كتبا كثيرة ليس لأحد مثلها "[4] ومن مصنفاته التعليقة الكبرى في الفروع ، والمخرج في الفروع . ومؤلفات أخرى .[5]

أما محمد بن الحسين بن محمد بن خلف أبو يعلي الفراء الحنبلي (المتوفي

---

(١) هاملتون جب : دراسات في حضارة الاسلام / ص ١٩٨ .
(٢) عن الماوردى أنظر : ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ١٩٩ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ١٠٣ ، البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٢٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ٢٨٢ ، الخطيب : تاريخ بغداد جـ ١٢ / ص ١٠٢ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥ / ص ٢٦٧ ، الذهبي : تاريخ الاسلام حوادث سنة ٤٥٠ هـ مصور ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ٥ / ص ٥٢ ، ابن العماد : الشذرات جـ ٣ / ص ٢٨٥ ، البغدادى : هدية العارفين جـ ١ / ص ٦٨٩ .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ١٩٨ .
(٤) الشيرازى : طبقات الفقهاء / ص ١٢٧ .
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ / ص ٥١٢ ، البغدادى : هدية العارفين جـ ١ / ص ٤٢٨ .

عام ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥م) [1] فقد عاش معظم عمره في بغداد ، وكان عالم زمانه وفريد عصره ، له في الأصول والفروع القدم العالي ، وكان مقدم أصحاب الامام أحمد في عصره ، كانت له معرفة تامة بالقرآن وعلوم الحديث والفتاوى والجدل ، وكان اماما في الفقه ، وله فيه التصانيف الحسان ، ودرّس وأفتى سنين ، وانتهى اليه المذهب وانتشرت تصانيفه [2] قال أبو يعلي " أما مصنفاته فتزيد على الخمسين مابين كتاب ورسالة " [3] وأهم هذه المصنفات كتاب الصفات الذى أتي فيه بكل عجيبة ، وأحكام القرآن ، وعيون المسائل ، المدة في أصول الفقه ، ومقدمة في الأدب ، والمجرد في الفقه [4].

أما ابراهيم بن علي بن يوسف أبو اسحاق الشيرازى (المتوفى عام ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) [5] فهو أحد أعلام الشافعية في هذا العصر ، قدم بغداد واستوطنها ، ولزم القاضي أبا الطيب الطبرى الى أن صار معيده في حلقته [6] ، وكان أنظر أهل زمانه وأفصحهم ، وانتهت اليه رئاسة المذهب في الدنيا [7] . ورحل اليه الفقهاء، وتخرج به أئمة كبار وتولي التدريس في النظامية سنة ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٦م [8] . قال عنه أبو بكر الشاسي " الشيخ الشيرازى حجة الله على أئمة العصر " [9] ، وقد نقل

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ٢٤٣ ، ابن الأثير: الكامل جـ٨/ص ١٠٦ ، الخطيب : تاريخ بغداد جـ ٢ / ص ٢٥٦ ، ابن العماد : الشذرات جـ ٣ / ص ٣٠٦ ، أبو يعلي : طبقات الحنابلة جـ ٢ / ص ١٩٣ ، البغدادى : هدية العارفين جـ ٢ / ص ٧٢.

(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ٢٤٣/ ص ٢٤٤.

(٣) أبو يعلي : طبقات الحنابلة جـ ٢ / ص ٢٠٥.

(٤) البغدادى : هدية العارفين جـ٢/ص ٧٢ ، الزركلي : الأعلام جـ٦ / ص ١٠٠.

(٥) أنظر عنه : ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ / ص ٢٩ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٣/ص ٣٤٩ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٤ / ص ٢١٥ ، البغدادى : هدية العارفين جـ١ / ص ٨ ، الزركلي : الأعلام جـ ١ / ص ٥١.

(٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٧ .

(٧) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ٢١٥.

(٨) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٧.

(٩) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ٢١٥.

السبكي : " قال عنه الماوردي : ما رأيت كأبي اسحاق الشيرازى ، لو رآه الشافعي لتجمل به .[1] وكان عميد الدولة ابن جهير الوزير يقول : "هو وحيد عصره وفريد دهره" وقال أبو اسحاق الشيرازى يتحدث عن نفسه : " خرجت الى خراسان فما دخلت بلدة ولا قرية الا وكان قاضيها أو مفتيها أو خطيبها تلميذى أو من أصحابي[2]". وصنف الشيرازى عدة مصنفات في الفقه ، منها المهذب ، والتنبيه ، والنكت في الخلاف ، واللمع وشرحه ، والتبصرة في أصول الفقه ، وطبقات الفقهاء[3] .

ومن علماء العصر الفقيه أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد الصباغ الفقيه الشافعي (المتوفى عام ٤٧٧ هـ/ ١٠٨٤م)[4] كان فقيه العراق في وقته وكان يضاهي الشيخ أبا اسحاق الشيرازى ، وتقدم عليه في معرفة المذهب[5] وكانت الرحلة اليهما من البلدان في المذهب . كان فقيها محدثا أصوليا ، وكان أول مدرس بالنظامية عند افتتاحها سنة ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٦م[6] .

أما مصنفاته فأهمها : الشامل ، قال ابن خلكان " له كتاب الشامل ، أصح كتب أصحابنا وأتقنها أدلة "[7] وله أيضا كتاب الكامل ، وكتاب تذكرة العالم والطريق السالم ، والعمدة في أصول الفقه .

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ٢١٥ .
(٢) ن.م.ص جـ ٤ / ص ٢١٥ .
(٣) البغدادى : هدية العارفين جـ١ / ص ٨ ، الزركلي : الأعلام جـ١ / ص ٥١ .
(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ١٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣/ص ٢١٧ . الخطيب : تاريخ بغداد جـ١١ /ص ٣١ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٥/ص ١٢٢ . العماد الحنبلي : الشذرات جـ٣/ص ٣٥٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ / ص ٢٣ .
(٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ١٢ .
(٦) ن.م.ص جـ ٩ / ص ١٢ .
(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ١٣٢ .

أما الشيخ الامام أبو سعد المتولي عبد الرحمن بن محمد الفقيه الشافعي (المتوفي عام ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م) [١] فقد كان جامعا بين العلم والدين ، وتحقيق المناظرة ، له اليد الطولي في الأصول والفقه والخلاف [٢] ، تولي التدريس بالنظامية بعد أبي اسحاق الشيرازي [٣] وله من المصنفات تتمة الابانة [٤] ومصنف آخر في أصول الدين [٥] .

أما أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيا الهراسي الفقيه الشافعي (المتوفي عام ٥٠٤ هـ / ١١١٠م) والذى كان أحد فحول العلماء ورؤوس الأئمة ، فقها وأصولا ، وجدلا ، وحفظا لمتون أحاديث الأحكام [٦] . فقد تفقه على امام الحرمين أبي المعالي الجويني ، وصار على رؤوس المعيدين هو وأبو حامد الغزالي [٧] ، وكان مناظرا جليل القدر ، يستعمل الأحاديث في مناظراته ومجالسه مع الفقهاء وطلبة العلم بالمدرسة النظامية ببغداد حينما تولى التدريس بها [٨] ، له من المصنفات شفاء المسترشدين وأحكام القرآن ، وتعليق في الأصول لوامع الدلائل في زوايا المسائل [٩] .

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية جـ٥ / ص١٠٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣/ ص ١٣٣ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣ / ص ١٣٣ .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ /ص ١٨ .
(٤) أتم به الابانة كتاب شيخه الفوراني وأتمه بعده جماعة من الفقهاء . السبكي: طبقات الشافعية جـ ٥ / ص ١٠٦ .
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٣٣ .
(٦) ن.م.س : جـ ٣ / ص ٢٨٧ .
(٧) ن.م.س : جـ ٣ / ص ٢٨٦ .
(٨) ن.م.س : جـ ٣ / ص ٢٨٦ .
(٩) ابن الجوزى : المنتظم جـ٩ / ص ١٦٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣/ص٢٢٥ . ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٢٦٢ ، ابن النجار : ذيل تاريخ بغداد جـ ١ / ص ١٢١ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٧ / ص ٢٣٢ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ٢ / ص ٧٩١ ، المنذرى : التكملة لوفيات النقلة جـ٢/ص ٤١٤ ، ابن العماد : الشذرات جـ ٤ /ص ٨ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨/ص٣٨ ، البغدادى : هدية العارفين جـ١ / ص ٦٩٤ .

ومن علماء الفقه والأصول في هذا العصر فخر الاسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي الفقيه الشافعي (المتوفى عام ٥٠٧ هـ/ ١١١٣م)[١] الذى دخل العراق ولازم الشيخ أبا اسحاق الشيرازى ، وصار معيدا بالنظامية[٢] ، كان عالما جليلا تفقه على علماء عظام حتى أصبح فقيه وقته بالعراق بعد أستاذه.[٣] وانتهت اليه رئاسة المذهب الشافعي ببغداد[٤] . وقد تولى التدريس بالنظامية ببغداد[٥] . وله مصنفات جليلة في الفقه والأصول منها كتاب حلية العلماء في المذهب ، ثم جمع آراء الشافعي في مسائل ، وضم الى كل مسألة اختلاف الأئمة فيها ، وجمع من ذلك شيئا كثيرا ، وسماه المستظهري لأنه صنفه للامام الخليفة المستظهر بالله ،[٦] وله كتاب الشافي في شرح الشامل ، في عشرين مجلدا ، وله كتاب العمدة ، وكتاب المعتمد ، وكتاب الترغيب في المذهب ، والشافي في شرح مختصر المزني .[٧]

ومن أئمة الفقه الحنبلي في هذا العصر الامام أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني (المتوفي عام ٥١٠ هـ/ ١١١٦م)[٨] قال ابن رجب " هو أحد أئمة المذهب وأعلامه وامام وقته ، وفريد عصره في الفقه درّس وأفتى وقصده الطلبة وصنف كتبا حسانا في المذهب ، والأصول والخلاف ، وكانت له يد حسنة

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤ / ص٢١٩ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٦/ ص ٧٠ ، ابن العماد : الشذرات جـ٤ / ص ١٦ ، البغدادى : هدية العارفين جـ ٢ / ص ٧٦ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤ / ص ٢٢٠ .
(٣) ن.م.س جـ ٤ / ص ٢٢٠ .
(٤) ن.م.س جـ ٤ / ص ٢٢٠ .
(٥) ن.م.س جـ ٤ / ص ٢٢٠ .
(٦) ن.م.س جـ ٤ / ص ٢٢٠ .
(٧) البغدادى : هدية العارفين جـ٢ / ص ٧٦ .
(٨) أنظر عنه ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ /ص ١٩٠ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ٢٨ ، الأصفهاني : خريدة القصر جـ٣/ص ٣٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥/ص ٢١٢ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨/ص ٦٦ ، البغدادى : هدية العارفين جـ٢ / ص ٦ .

في الأدب ، ومن أهم مؤلفاته الهداية في الفقه الحنبلي ، ادراك الغاية في اختصار الهداية ، والتمهيد في الأصول ، والانتصار في المسائل الكبار ، ورؤوس المسائل ، والتهذيب ، والخلاف الكبير ، والخلاف الصغير ، وغيرها من المصنفات ".(١)

ومن أجلاء علماء العصر في الفقه الحنبلي العلامة أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي (المتوفي عام ٥١٣ هـ/ ١١١٩م)(٢) شيخ الحنابلة الذي كان اماما مبرزا في كثير من العلوم ، خارق الذكاء ، مكبا على الاشتغال والتصنيف ، عديم النظير . حفظ القرآن وقرأ القراءات(٣) ، ودرس الأدب والنحو ودرس الفرائض والأصول علي عدد من مشايخ العصر ، وكذلك الفقه ، وكان شيخه في المناظرة أبا اسحاق الشيرازي .(٤) قال ابن عقيل " وعانيت من الفقر والنسخ بالأجرة مع عفة وتقي ، ولا أزاحم فقيها في حلقة ، ولا تطلب نفسي رتبة من رتب أهل العلم القاطعة لي عن الفائدة ، وتقلبت على الدول ، فما أخذتني دولة سلطان ولا عامة عما اعتقد أنه الحق فأوذيت من أصحابي .... وأوذيت في دولة النظام بالطلب والحبس ، فيامن خفت الكل لأجله لا تخيب ظني فيك ، وعصمني الله في عنفوان شبابي بأنواع العصمة ، وقصر محبتي على العلم وأهله ، فما خالطت لعابا ولا عاشرت الا من أمثالي في طلبه ".(٥) وقال ابن الجوزي عنه " وأفتى ودرّس وناظر الفحول ، واستفتي في الديوان في زمن القائم بأمر الله ، في زمرة من الكبار ، وجمع

---

(١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ١/ص ١١٦ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠/ص ٢١٢ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ٢/ص٨٤٧ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٤/ ص ٣٥ . البغدادي : هدية العارفين جـ٢ / ص ٨٦ .
(٣) العماد الحنبلي : الشذرات جـ٤/ص ٣٥ .
(٤) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ / ص ٢١٢ - ٢١٣ . العماد الحنبلي : الشذرات ص ٣٥ .
(٥) العماد الحنبلي : الشذرات جـ٤/ص ٣٥ ، ابن الجوزي : المنتظم جـ٩/ص٢١٢ .

علم الفروع والأصول ، وصنف فيها الكتب ، وكان دائم التشاغل بالعلم حتي اني رأيت بخطه " أنه لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، حتى اذا انقطع لساني عن مذاكرة ومناظرة وبصري عن مطالعة أعلمت فكري في حال راحتى ، حتى وأنا منطرح فلا أنهض الا وقد خطر لي ما أسطره ".[1] وكان بارعا في الفقه وأصوله ، له في ذلك استنباطات عظيمة ، وتحريرات كثيرة.[2] وله تصانيف كثيرة في أنواع العلوم ، وأكبر تصانيفه : الفنون ، وهو كبير جدا ، فيه فوائد كثيرة جليلة في الوعظ ، والتفسير والفقه ، والأصول ، والنحو ، واللغة ، والشعر ، والتاريخ ، والحكايات . وفيه مناظراته التي وقعت له ، وخواطره ونتائج فكره التي يبدو أنه قد قيدها فيه.[3] قال ابن رجب :" وهذا الكتاب مائتا مجلدة ، وقع لي منه نحو مائة وخمسين مجلدة "[4] ذكر ابن العماد " وقال الذهبي : لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب ، حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربعمائة ، وقال بعضهم هو ثمانمائة مجلد "[5] وله في الفقه كتاب الفصول ، ويسمي كفاية المفتي في عشر مجلدات.[6] وله كتاب الارشاد الي أصول الدين ، وكتاب عمدة الأدلة ، وكتاب المفردات ، ومسألة في الحرف والصوت ، وتفضيل العبادات على نعيم الجنات ، وتهذيب النفس ، وشمائل الزهاد ، وكتاب المنثور وغيرها من المصنفات.[7] قال العماد الحنبلي :

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٩ / ص ٢١٢ .
(٢) العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ٣٤ .
(٣) ن.م.س جـ ٤ / ص ٣٨ .
(٤) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ١٤٢ .
(٥) العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ٣٨ .
(٦) ن.م.س جـ ٤ / ص ٣٨ .
(٧) البغدادي : هدية العارفين جـ ٢ / ص ٦٩٥ .

" قال السلفي : ما رأت عيناى مثل الشيخ أبي الوفاء بن عقيل ، ماكان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه ، وحسن ايراده وبلاغته ، وقوة حجته ، ولقد تكلم يوما مع شيخنا أبي الحسن الكيا الهرّاسي في مسألة فقال له شيخنا ليس هذا بمذهبك ، فقال أنا لي اجتهاد ، متى طالبنى خصمي بحجة كان له عندى ماأدفع به عن نفسي ".(١)

وممن برز من فقهاء الحنابلة في هذا العصر الامام عماد الدين أبو الحسين محمد بن أبي يعلي محمد بن الحسين ابن خلف الفراء الحنبلي البغدادى (المتوفي سنة ٥٢٦ هـ/ ١١٣١م) القاضي شيخ الحنابلة بالعراق ،(٢) من بيت علم وفضل وحكمة وقضاء وفقه وتفسير ومعرفة الأصول والفروع ، كان فقيها مناظرا ، برع في المذهب والخلاف والأصول.(٣) وصنّف في الفقه تصانيف مفيدة ، منها : رؤوس المسائل ، والمفردات في الفقه ، والمفردات في أصول الفقه ، وايضاح الأدلة في الرد على الفرق الضالة والمضلة ، وشرح مختصر الخرقي في الفروع ، وطبقات الأصحاب.(٤)

أما الشيخ أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزاغوني (المتوفى سنة ٥٢٧ هـ/ ١١٣٢م) الفقيه الحنبلي ، وشيخ الحنابلة في عصره وأحد كبار أعيانهم فقد كان من معاصرى ابن الفراء الحنبلي(٥) ، قرأ القرآن بالقراءات(٦) وطلب الحديث ، ودرس الكثير من كتب الفقه والنحو والفرائض(٧) وكان متفننا في علوم

---

(١) العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ٣٥.
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ٢١٣ ، ابن الفوطي: مجمع الآداب جـ ٢ / ص ٨٤٧ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ٧٩.
(٣) العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ٧٩ .
(٤) البغدادى : هدية العارفين جـ ٢ / ص ٧٩.
(٥) العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ٨٠.
(٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ / ص ٣٢.
(٧) العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ٨١.

شتى من الأصول والفروع والوعظ والحديث[١]، وكان له في كل فن من العلم حظ وافر[٢]، وكانت له حلقة بجامع المنصور يناظر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة[٣]. صنف الكثير من المصنفات، منها في الفقه : الاقناع في الفقه ، والايضاح في الأصول، والواضح والخلاف الكبير ، والمفردات[٤].

ومن علماء الحنابلة أيضا في هذا العصر العلاّمة الوزير أبو المظفر يحي بن محمد بن هبيرة (المتوفي عام ٥٦٠ هـ/ ١١٦٤م) الذى كان عالما بالنحو واللغة والعروض ، وقد صنف في هذه العلوم[٥] ، وصنف في الحديث والفقه كتابه الافصاح عن معاني الصحاح في عدة مجلدات ، وهو شرح صحيحي البخارى ومسلم. قال صاحب الشذرات عنه " ولما بلغ فيه الى حديث (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) شرح الحديث وتكلم عن معنى الفقه ، وآل به الكلام الى ذكر مسائل الفقه المتفق عليها والمختلف فيها بين الأئمة الأربعة المشهورين ، وقد أفرده الناس من الكتاب وجعلوه بمفرده مجلدة ، وسموه بكتاب الافصاح ...... واشتغل به الفقهاء في ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم "[٦] وله في الفقه أيضا كتاب العبادات في المذهب[٧].

---

(١) العماد الحنبلي: الشذرات جـ ٤ / ص ٨١.
(٢) ن.م.س جـ ٤ / ص ٨١.
(٣) ن.م.س جـ ٤ / ص ٨١.
(٤) البغدادى : هدية العارفين جـ ١ /ص ٦٩٦.
(٥) العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ١٩٢.
(٦) ن.م.س جـ ٤ / ص ١٩٢.
(٧) ن.م.س جـ ٤ / ص ١٩٢.

والحق أن علماء الفقه والأصول على مختلف المذاهب في هذا العصر كثيرون جدا لاسبيل الي حصرهم [(١)].

. . . . . .

---

(١) ولعله من المفيد أن نحيل القارىء الى بعضهم لا على سبيل الحصر ، من المصادر التالية :

ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ص ٢٤ ، ٢٧ ، ١٧٩ ، ١٨٧ ، ٢٣٩. ابن الأثير : الكامل جـ ١ / ص ص ١٤٤ ، ٣٢٣ ، ٣٦٣، جـ ٩ ص ص ١٠، ١٦ ، . الذهبى : المختصر المحتاج اليه جـ ٣ / ص ص ١٨٤ ، ٢٤١ ، ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ /ص ١٤٥ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٣ / ص ٢٨٧ ، جـ ٤ / ص ص ٤٢ ، ٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٢٥ ، ٣٢٣ ، جـ ٦/ ص ص ٣٠ ، ٩٤ ، جـ ٧ /ص ص ٤٢ ، ٩٣ ، جـ ٨ /ص ص ١٤٧ ، ٣٥٦، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ / ص ص ٩٩ ،- ٢٠٧ ، جـ ٣ / ص ٢٥٩ ، جـ ٤ / ص ص ٢٢٥ ، ٢٢٧ . ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١/ ص ص ٣٥ ، ١٩٠ ، جـ ٢ / ص ٧٩. العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٣/ ص ص ٣٢٣ ، ٣٣٦ ، ٤٠١ ، جـ ٤ / ص ص ٦٠ ، ٦١ ، ٩٨ ، ١٦٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤٤ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٣٠٠ ، جـ ٥ / ص ص ٣ ، ٧٠ ، ابن القوطي : مجمع الآداب جـ ١ / ص ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، جـ ٣ / ص ٥٤٨ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٢٤٣ ، الكتبى : عيون التواريخ جـ ١٢ / ص ١٤.

الفصل الثاني

علوم اللغة والنحو والأدب

الفصل الثاني

علوم اللغة والنحو والأدب

ظلت بغداد ومدن العراق خلال عصر السلاجقة نشطة في المباحث اللغوية والنحوية والبلاغية والنقدية ، واجتمع في العراق في هذا العصر طائفة كبيرة جليلة القدر من اللغويين والنحاة والأدباء والشعراء ورجال البيان . وقد خلّفوا تراثا أدبيا ضخما .

والواقع أن مفكري ومتأدبي هذا العصر كانوا معجبين أشد الاعجاب بأسلافهم فقد انكبوا على آثارهم بالتذييل والشرح ، والنقد ، كما أن بعضهم سار على نهج الأولين في الابداع ومحاولة ذلك على الأقل أحيانا .

فابن الدهان النحوي سعيد بن المبارك (المتوفي عام ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣ م) يطالعنا وله رسالة في سرقات المتنبي ، سماها الرسالة السعيدية في المآخذ الكندية .[1] وقال علي بن الحسن المعروف بشميم الحلي (المتوفى عام ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م) " ان الأوائل جمعوا أقوال غيرهم وأشعارهم ومهوها ، أما أنا فكل ما عندي من نتائج أفكاري ، وكنت كلما رأيت الناس مجمعين على استحسان كتاب في نوع من الآداب استعملت فكري وأنشأت من جنسه ما أدحض به المتقدم ".[2]

ويعتبر كتاب اللمع لابن جني من أشهر الكتب التى اهتم بشرحها نحاة العصر السلجوقي في العراق ، فقد شرحه سعيد بن المبارك ابن الدهان في كتاب

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ / ص ٢٨٢ .
(٢) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٥ / ص ١٢٠ .

سماه الفرة[1] كما شرحه أيضا أبو البقاء العكبرى (المتوفي عام ٦١٦هـ/ ١٢١٩م)[2] وأبو محمد بن الخشاب (المتوفي عام ٥٦٧ هـ/ ١١٦١م)[3] ، وشميم الحلي الشاعر[4] وهبة الله بن الشجرى (المتوفي عام ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧م)[5] ومحمد بن علي النحوى المعروف بابن حميدة(المتوفي عام ٥٥٠ هـ/ ١١٥٥م)[6] ، وعلى كل حال فقد نشطت في هذا العصر الدراسات اللغوية والنحوية والأدبية حيث قاد حركة النشاط هذه زمرة من أدباء العصر المشاهير ، الذين وضعوا مصنفات جليلة في اللغة والنحو والأدب . وسنلحظ هذا أثناء استعراض فروع هذه الدراسات المختلفة :

أولا : اللغة :

يعتبر العصر السلجوقي في العراق من عصور الازدهار العلمي ، والعطاء والتطور في خدمة اللغة العربية وآدابها ، ذلك أن العلماء انطلقوا في مرحلة التفاعل الحضارى والنضج الي حيث أخرجوا الموسوعات الضخمة والمعاجم الجامعة . ولقد توسعت الدراسات اللغوية وازداد الاهتمام بها كثيرا لأسباب متعددة ومختلفة . وباستيلاء السلاجقة على الحكم في خراسان حيث وصل الأتراك الذين ينتمون ثقافيا الى مناطق وسط آسيا الى السلطة والحكم ، وورثوا دولة السامانيين ، وحيث انهم كانوا أقل سوية حضارية من المناطق الجديدة التى وصلوا اليها فانهم اقتبسوا ، وتأثروا بثقافتها ونظمها ، وهكذا قدر للغة الفارسية

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ / ص ٣٨٣ .
(٢) ن.م.س جـ ٣ / ص ١٠٠ .
(٣) ن.م.س جـ ٣ / ص ١٠٣ .
(٤) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٥ / ص ١٣٨ .
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦ / ص ٤٥ .
(٦) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٧ / ص ٤٠ .

أن تواصل سيادتها خلال الفترة السلجوقية اذ أصبحت لغة الحكم والسياسة والأدب.[1]

وقد استمر ذلك بعد وصول السلاجقة الى بغداد وسيطرتهم على الخلافة ومؤسساتها، التى لم تفاجأ في الواقع بالوضع الجديد ، ذلك أن المجتمع سبق له أن واجه ضرفا مشابها تمثل في التسلط البويهي ، والذى كانت اللغة الفارسية والموروثات الفارسية عماد ثقافته ، وازاء هذه التطورات فقد كان من المتوقع أن يحصل الصراع اللغوى والتأثيرات المتبادلة في الأثر اللغوى بالمفردات ، وأن يحصل الكثير من التسامح على حساب قواعد اللغة العربية وضبط ألفاظها والحديث بالفصحى ، فتكاثرت الأخطاء النحوية الشائعة وظهر اللحن كما ظهر المولّد في الأدب.[2] وازاء هذا الوضع عمل الكثير من علماء اللغة ، كرد فعل على الوضع الجديد ، على جمع مصادر الكلمات ومفردات لغة العرب في معاجم خاصة ، تمثلت المرحلة الأولي من جهودهم في " جمع الكلمات حيثما اتفق ، ثم جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد ، والرسائل اللغوية على الموضوعات ، مثل غريب القرآن ، وغريب الحديث ، وغريب الفقه ، واللغات ، والعامي ، والمعرب ، ولحن العامة..".[3]

---

(١) التونجي : حول الأدب في العصر السلجوقي ص ١٠٥ - ص ١١٣ . عن ذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات در ايران جـ ٢ / ص ٩ .

(٢) أنظر ترجمة أبي أحمد العسكري (ت سنة ٣٨٧ هـ/ ٩٩٧م) صاحب التصانيف في اللغة والأدب في : ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ / ص ١٩١ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ٨ / ص ٢٣٣ . ونلاحظ أن اللغوى موهوب الجواليقي (ت سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) صنف في لحن العامة كتابه " التكملة في ما يلحن فيه العامة " ياقوت : معجم الأدباء جـ ٧ / ص ١٩٧ .

(٣) سنتحدث في هذا الفصل عن المصنفات التى تناولت هذه الموضوعات . كحالة : سلسلة حضارة العرب والاسلام جـ ٣ / ص ٢٠ .

ومن ألف في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المشهور بالراغب الأصفهاني (المتوفي عام ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨م) ببغداد[١] ، والذى صنف كتابه المفردات في غريب القرآن[٢] .

ومن صنف في غريب الحديث أبو زكريا يحي بن علي بن محمد بن الحسن الشيباني المعروف بالخطيب التبريزى (المتوفي عام ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨م)[٣] ، حيث ألف كتابه تهذيب غريب الحديث[٤] .

ومنهم أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب بن الدهان (المتوفي عام ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م)[٥] الذى ألف كتابه غريب الحديث في ستة عشر مجلدا[٦] .

أما أبو السعادات المبارك ابن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير (المتوفي

---

(١) كان من حكماء الاسلام الذين جمعوا بين الشريعة والحكمة فى تصانيفه ، وقد اختلف في سنة وفاته ، وله مصنفات جليلة منها غرة التنزيل ودرة التأويل ، وكتاب الذريعة . البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام / ص ١١٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ / ص ١٨٣ ، القرشي : الجواهر المضية جـ١/ص ٢١٩ .

(٢) العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ٣٤ .

(٣) الخطيب التبريزى أحد أئمة اللغة والأدب والبلاغة في عصره ، له مصنفات فى اللغة والأدب والنحو . العماد الحنبلي : الشذرات جـ٤ / ص ٥ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ١٦١ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ٢٠ / ص ٢٥ ، ابن الانبارى : نزهة الألباء / ص ٢٧ .

(٤) العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ٥ .

(٥) حاسب فرضي ترجمته في البغدادى : هدية العارفين جـ ٢ / ص ١٠٣ .

(٦) ن . م . ص جـ ٢ / ص ١٠٣ ، وعقبة ابن الجوزى (ت سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) في كتابه غريب الحديث . سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨/ص ٤٨١ .

عام ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ م) [١] فقد سمي كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر الذى يعتبر الغاية فيما وصل اليه غريب الحديث مادة وترتيبا [٢] .

أما المؤلفات التى تبحث في المعرّب فان أهم الكتب التى ظهرت في هذا العصر في هذا الفن هو كتاب المعرّب لموهوب بن أحمد الجواليقي (المتوفي عام ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤م) [٣] شيخ أهل اللغة في هذا العصر ، قال ابن الأنبارى : " لم يعمل في جنسه أكبر منه " [٤] . وقد كان الجواليقي اماما في اللغة في عصره ، فهو من بيت علم ومعرفة ، قال عنه ابن خلكان : " كان اماما في فنون الأدب وهو من مفاخر بغداد " [٥] وله مصنفات أخرى في اللغة منها كتاب التكملة فيما يلحن فيه العامة ، وهو تتمة درة الغواص في أوهام الخواص للحريرى (المتوفي عام ٥١٦هـ/ ١١٢٢م) [٦] .

ولقد ظهرت كتب لغوية في الأماكن والبقاع في هذا العصر ، وممن وضع

---

(١) كان أشهر العلماء ذكرا وله المصنفات البديعة والرسائل الوسيعة منها جامع الأصول في أحاديث الرسول ، جمع فيه بين الصحاح الستة ، وكتاب النهاية في غريب الحديث ، والانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف وغيرها من المصنفات . ياقوت : معجم الأدباء جـ١٧/ص ٧١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ١٤١ ، القفطي : انباه الرواة جـ ٣ / ص ٢٥٧ ، البغدادى : هدية العارفين جـ٢/ ص ٢ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ١٤١ .
(٣) ابن الأنبارى : نزهة الألباء ص ٤٧٣ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ١٩/ص ٢٠٥ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ٤/ ص ٧٨ ، ابن الأثير : اللباب جـ١/ص ٢٤٥ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ١٠/ص ١١٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥/ص٣٤٣ ، القفطي : انباه الرواة جـ ٣ / ص ٣٣٥ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٤/ص١٢٧ .
(٤) ابن الانبارى : نزهة الألباء / ص ٤٧٣ .
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥ / ص ٣٤٢ .
(٦) ن.م.س جـ ٤ / ص ٦٣ .

مصنفا في هذا الفن محمد بن موسى الحازمي (المتوفي عام ٥٨٤هـ/١١٨٨م)[١] الذى صنف كتابه بعنوان ما اتفق لفظه واختلف مسماه في الأماكن والبلدان المشتبهة في الخط.[٢]

ومن كتب في لحن العامة أبو محمد القاسم بن علي الحريرى (المتوفي عام ٥١٦ هـ/ ١١٢٢م)[٣] الذى صنف في اللغة كتابه درة الغواص في أوهام الخواص ، نبه فيه على كلمات يستعملها الكتّاب في غير مواضعها .

ومن علماء اللغة والبلاغة في هذا العصر سلمان بن عبد الله النهرواني(المتوفي عام ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩م) الذى برع في اللغة والنحو بعد أن كان قد درس على ابن الدهان ، وقد ألف كتابه القانون في اللغة عشر مجلدات لم يصنف مثله .[٤]

ومن البلاغيين في هذا العصر الراغب الأصفهاني المتقدم ذكره ، ذلك انه صنف في اللغة أيضا كتاب تحقيق البيان في اللغة والحكم ، وكتاب أفانين البلاغة.[٥]

---

(١) محمد بن موسى الحازمي نزيل بغداد ، رحل في طلب العلم الى بلدان كثيرة ، وصنف كتبا جليلة ، منها الناسخ والمنسوخ ، الفيصل ، العجالة ، سلسلة الذهب . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٢٩٤ ، أبو شامة : الروضتين جـ ٢ / ص ١٣٧ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٤ / ص ١٨٩ ، العماد الحنبلي: الشذرات جـ ٤ / ص ٢٨٢ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٢٩٥ .

(٣) أبو محمد القاسم بن علي الحريرى البصرى صاحب المقامات ، وأحد أئمة العصر في اللغة ، له مصنفات عديدة هي المقامات ، ودرة الغواص في أوهام الخواص وملحة الأعراب ، وديوان رسائل . ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٢٤١ ، القفطي : انباه الرواة جـ٣ / ص ٢٣ ، ابن الأنبارى : نزهة الألباء / ص ٣٧٩ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٦ / ص ٢٦١ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ /

(٤) ياقوت : معجم الأدباء جـ ١١ / ص ٢٣٤ .

(٥) البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام / ص ١١٢ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٢/ ص ٣٤ ، القرشي : الجواهر المضية جـ١/ص ٢١٩ .

وبرز في هذا العصر من اللغويين والأدباء أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني ابن الأثير الجزري (المتوفي عام ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م)[1] وله كتب كثيرة أهمها ما صنفه في البلاغة والبيان ، وهو كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، الذى تغلب عليه النزعة البلاغية .[2]

ثانيا : النحو :

ولقد حفل العصر السلجوقي في العراق بظهور طائفة كبيرة من علماء النحو ، وهو أمر متوقع مع تسلط الأعاجم وشيوخ لغتهم الفارسية ومزاحمتها اللغة العربية ، نخص بالذكر منهم أبا الحسن علي بن فضال المجاشعي (المتوفي عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦م)[3] والذى قد هجر مسقط رأسه القيروان ، واستقر به المقام في بغداد ، يدرّس النحو واللغة. وكان من أكابر أئمة النحو واللغة والتصريف والتفسير .[4] له من المصنفات البرهان العميدى ، كتاب اكسير الذهب في صناعة الأدب والنحو وله الدول في التاريخ قال عنه ياقوت :"رأيت في الوقف السلجوقي منه ثلاثين مجلداً"[5] وكتاب معارف الأدب ثماني مجلدات وغيرها من الكتب .

---

(١) ابن الأثير ضياء الدين كان عالما بالنحو واللغة والبيان ، صنف فيها مصنفات عديدة . وانتهت اليه كتابة الانشاء والترسل . أبو شامة : ذيل الروضتين / ص ١٦٩ ، ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص ١٣٦ ، اليافعي : مرآة الجنان ، جـ ٤ / ص ٩٧ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٥/ص ١٨٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ / ص ٣٨٩ .

(٢) وكتابه هذا في مجلدين جمع فأوعب ، ولم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة الا ذكره ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥ / ص ٣٩١ ، الفاخورى : تاريخ الأدب العربي ، ص ٧٥١ ، شوقي ضيف : البلاغة تطور ومنهج / ص ٣٢٣ .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء جـ١٤/ ص ٩٠ . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣/ص ٢٠٤ . القفطي : انباه الرواة جـ٢/ص ٢٩٩ . البغدادى : هدية العارفين جـ١/ص ٦٠٦ .

(٤) ياقوت : معجم الأدباء جـ١٤/ص ٩٠ .

(٥) ن.م.س جـ١٤/ص ٩٠ ، البغدادى : هدية العارفين جـ١/ص ٦٠٦ .

ومن أئمة النحو في هذا العصر ، يحي بن علي بن محمد بن بسطام الشيباني أبو زكريا ابن الخطيب التبريزي (المتوفي عام ٥٠٢ هـ/ ١١٠٩م) كان اماما في النحو واللغة والأدب ، حجة صدوقا ثبتا ، رحل الي أبي العلاء المعرى وأخذ عنه [١] وأخذ عن غيره من علماء العراق ، ودخل مصر وقرأ بها النحو ثم عاد الي بغداد [٢] ، وولي التدريس بالنظامية ، والاشراف على خزانتها حتى وفاته [٣] ، ومن أهم مصنفاته أسرار الصنعة في النحو ، تهذيب اصلاح المنطق ، تهذيب غريب الحديث ، شرح الحماسة ، شرح ديوان المتنبيء ، الكافي في علم العروض والقوافي وغيرها من الكتب [٤] .

أما أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي [٥] (المتوفي عام ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤م) فقد كان له علم واسع بالنحو مع ما عرف به من تخصصه في اللغة والأدب [٦] .

ومن رجال النحو المبرزين في هذا العصر أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد المعروف بابن الشجرى البغدادى (المتوفي عام٥٤٢هـ/ ١١٤٨م) [٧] ،وكان أوحد زمانه وفرد أوانه في علم اللغة ، فقد كان اماما في النحو [٨] له مصنفات كثيرة

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦ /ص ١٩١ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ٩/ص ١٦١ .
(٢) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٢٠ /ص ٢٥ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦ /ص ١٩١ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ٩/ص ١٦١ .
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦ /ص ١٩٢ .
(٥) سبق أن تعرض البحث لترجمته .
(٦) له مصنفات في الأدب وردت في باب الأدب .
(٧) حيث ان تخصصه الرئيسي هو الأدب فقد اجتهدنا أن نتوسع في الكلام عنه هناك . أنظر : ابن الجوزى : المنتظم جـ١٠ /ص ١٣٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦ /ص ٤٥ ، ابن الانبارى : نزهة الألباء /ص ٢٩٩ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ١٩ /ص ٢٨٢ ، ابن العماد : الشذرات جـ٤ /ص ١٣٢ ، الأصفهاني : الخريدة جـ ٣ / ص ٥٢ .
(٨) ابن الجوزى : المنتظم جـ١٠ /ص ١٣٠ .

منها : ما اتفق لفظه واتفق معناه ، شرح اللمع لابن جني ، شرح التصريف الملوكي .[1]

وكان الوزير عون الدين أبو المظفر يحي بن هبيرة الشيباني (المتوفي عام ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م)[2] ممن رمي بسهم في النحو في هذا العصر ، قال عنه ابن الجوزى : " وكانت له معرفة حسنة بالنحو واللغة والعروض "[3] وصنف مصنفات حسنة منها : اختلاف العلماء ، الافصاح عن معاني الصحاح ، واختصر اصلاح المنطق لابن السكيت ، الطامس والطالس في علم السيمياء ،[4] كتاب المقصور والممدود .[5]

ومن نحاة العصر المعدودين بالعراق أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن الخشاب البغدادى (المتوفي عام ٥٦٧هـ/١١٧١م)[6] الذى كان أعلم أهل زمانه بالنحو ، قال ابن العماد : " وانتهت اليه الامامة في النحو "[7] وقال ابن النجار : " كان أعلم أهل زمانه بالنحو حتي يقال : انه

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦ / ص ٤٥ .
(٢) سبقت ترجمته .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١/ص ٢١٤ .
(٤) السيمياء أو علم معاني الألفاظ : مبحث من مباحث علم اللغة ، يبحث في المنطق واللغة وأساليب التعبير ، كلمة يونانية معربة أصلها (سيما) ومعناها العلاقة أو الرمز . الموسوعة العربية الميسرة / ص ١٠٥٦ .
(٥) ابن العماد : الشذرات جـ٤ /ص ٢٢٠ .
(٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١/ص ٢٣٨ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ١/ ص ٣١٦ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ١٢/ص ٤٧ ، القفطي : انباه الرواة جـ٢/ ص ٩٩ ، الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ٢/ص ١٢٧ ، ابن العماد: الشذرات جـ ٤ / ص ٢٢٠ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨/ص ٢٨٨ ، وكانت لابن الجوزى خزانة كتب عظيمة اطلع عليها ابن الجوزى وقال : انها كانت أحمالا . ابن الجوزى : صيد الخاطر / ص ٣٦٧ .
(٧) ابن العماد : الشذرات جـ٤ /ص ٢٢٠ .

كان في درجة أبي علي الفارسي"[1] وتحدث عنه ياقوت فقال : " رأيت قوما من نحاة بغداد يفضلونه علي أبي علي الفارسي "[2]، هذا وقد برع ابن الخشاب في علوم كثيرة بجانب النحو ، فكان له اطلاع واسع في علوم التفسير ، والحديث ، واللغة والأدب ، والحساب ، والهندسة ، والمنطق ، والفلسفة.[3] وقد بالغ ابن العماد الحنبلي حين قال عنه : " وما من علم من العلوم الا وكانت له فيه يد حسنة".[4] أما صاحب الخريدة فقد أثنى عليه قائلا : " شيخنا في علم الأدب ، أعلم الناس بكلام العرب ، وأعرفهم بعلوم شتّى في النحو واللغة والتفسير والحديث والنسب ، وكان فضله على أفاضل الزمان"،[5] وقرأ الأدب على عدد من أفاضل علماء بغداد،[6] وكانت له مصنفات حسان أهمها : المرتجل في شرح الجمل للجرجاني ، شرح اللمع لابن جني ، الرد علي التبريزى في تهذيب الاصلاح ، شرح مقدمة الوزير ابن هبيرة في النحو ، الرد علي الحريرى في مقاماته ، أسئلة في البلاغة ، وغريب اللغة ، وغيرها من المصنفات.[7]

ومن المعروفين في النحو في العراق خلال فترة البحث أبو نزار الحسن بن صافي البغدادى (المتوفي عام ٥٦٨هـ/١١٧٢م)[8] الفقيه الأصولي المصنف في

----

(١) ابن العماد : الشذرات جـ٤ / ص ٢٢٠.
(٢) ياقوت : معجم الأدباء جـ١٢/ص ٤٧.
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣/ص ١٠٢.
(٤) ابن العماد : الشذرات جـ٤/ ص ٢٢٠.
(٥) العماد الأصفهاني : خريدة القصر جـ ٣ / ص ٧ - ١٨.
(٦) العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ٢٢١.
(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣/ ص ١٠٣.
(٨) ياقوت : معجم الأدباء جـ٨/ص ١٢٢، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨/ ص ٢٩٥، القفطي : انباه الرواة جـ١/ص ٣٠٥، ابن العماد : الشذرات جـ ٤ / ص ٢٢٨، اليافعي : مرآة الجنان جـ٣ / ص ٣٨٦.

الأصلين والنحو وفنون الأدب[1]، له ديوان شعر ، ومدح النبي صلي الله عليه وسلم بقصيدة مشهورة.[2] واتفق أهل عصره على فضله حيث كان نحويا بارعا ، وأصوليا متكلما ، وفصيحا مفوها.[3] ويبدو أنه قد أصابه نوع من الغرور حتى لقب نفسه بملك النحاة[4]، وكان يقول : "هل سيبويه الا من رعيتي وحاشيتي ، ولو عاش ابن جني لم يسعه الا حمل غاشيتي".[5] [6]، صنف مصنفات مهمة ، منها : الحاوي في النحو ، والعمدة في النحو ، والمنتخب في النحو ، والمقتصد في التصريف ، والتذكرة السفرية ، والمسائل العشر المتبعات الى الحشر ، وهي عشر مسائل استشكلها في العربية ، وكتاب المقامات الذى حذا فيه حذو الحريرى[7]، قال صاحب الخريدة: "ولملك النحاة خمس مقامات ابتدأ فيها بخطبة فصيحة وكلمات بديعة".[8] وكانت له مخاطبات ، ومعاتبات ، ومكاتبات مع العماد الأصفهاني.[9]

وبرز في علم النحو في هذا العصر أبو محمد سعيد بن علي بن الدهان (المتوفي عام ٥٦٩ هـ/ ١١٧٧م)[10]. ويعتبر ابن الدهان سيبويه عصره ، ووحيد دهره ، وكان من أعيان النحاة وأفاضل اللغويين.[11] وقد قيل حينئذ : النحويون

---

(١) العماد الحنبلي : الشذرات جـ٤ / ص ٢٢٧.
(٢) ن.م.س جـ ٤ / ص ٢٢٧.
(٣) ن.م.س جـ ٤ / ص ٢٢٧.
(٤) ن.م.س جـ ٤ / ص ٢٢٧.
(٥) الغاشية : السؤال الذين يرجون . ابن منظور : لسان العرب جـ ١٥/ص ١٢٦.
(٦) العماد الأصبهاني : الخريدة جـ٣ / ص ٨٩.
(٧) القفطي : انباه الرواة جـ ١ / ص ٣٠٥.
(٨) الأصفهاني : الخريدة جـ٣ / ص ٨٩.
(٩) ياقوت : معجم الأدباء جـ٨ / ص ١٢٢.
(١٠) الأصفهاني : الخريدة جـ٣/ص ١٩٠ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ١١/ص ٢١٩ ، القفطي : انباه الرواة جـ٢ / ص ٤٧ ، السيوطي : بغية الوعاة /ص ٢٥٦ ، اليافعي : مرآة الجنان جـ٣ / ص ٣٩٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ / ص ٣٨٢.
(١١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ / ص ٣٨٢.

أربعة ببغداد : ابن الجواليقي ، وابن الشجرى ، وابن الخشاب ، وابن الدهان[1] درس ابن الدهان العربية والنحو على علماء أجلاء ، ثم سافر الى أصبهان ، وأخذ من علمائها ، ثم عاد الى بغداد ، وأخذ الناس عنه كتابه : شرح الايضاح في النحو لأبي علي الفارسي.[2] ثم رحل عن بغداد الى الموصل ، وهناك تصدر للاقراء والتدريس ، وقد غرقت كتبه فتغير لونها ، فأشير عليه أن يبخرها باللادن فبخرها فأصيب بالعمى.[3] وقد صنف تصانيف كثيرة في النحو وفي غيره من العلوم أهمها : شرح الايضاح لأبي علي الفارسي (ثلاثة وأربعون مجلدا) ، وشرح اللمع لابن جني ، والدروس ، والفصول ، والرياضة في النكت النحوية ، وتفسير القرآن ، والمختصر في القوافي ، والنكت والاشارات على ألسنة الحيوانات ، وديوان الشعر ، ورسائل ، وزهر الرياض (سبع مجلدات) وغيرها.[4]

ومن أئمة النحو في هذا العصر ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنبارى الملقب كمال الدين النحوى (المتوفي عام ٥٧٧هـ/ ١١٨١م)[5] الذى كان من الأئمة المشار اليهم في علم النحو . تفقه في المدرسة النظامية ببغداد ، وقرأ اللغة علي أبي منصور الجواليقي ، ثم تصدر لاقراء النحو فيها[6] وصحب أبا السعادات ابن الشجرى وأخذ عنه.[7] وقد تبحر في علم الأدب واشتغل عليه خلق كثير حتى صاروا علماء[8] ، ومن أهم مصنفاته ، نزهة الألباء

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ /ص ٣٨٢.
(٢) القفطي : انباه الرواة جـ ٢ / ص ٤٧.
(٣) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٨ / ص ١٢٢.
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ / ص ٣٨٢.
(٥) ن.م.س جـ ٢/ص ١٣٩ ، ابن الدبيثي : المختصر المحتاج اليه جـ٢/ص ٢١٠ ، الكتبى : فوات الوفيات جـ٢/ص ٢٩٢ ، القفطي : انباه الرواة جـ٢/ص ١٧١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٦/ص ٩٠ ، البغدادى : هدية العارفين جـ١ ص ٥١٩.
(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣ / ص ١٣٩.
(٧) ن.م.س جـ ٣ / ص ١٣٩.
(٨) ن.م.س جـ ٣ / ص ١٣٩.

في طبقات الأدباء بحث فيه تاريخ النحويين واللغويين منذ العصور الأولى حتى عصره ، كتاب أسرار العربية في النحو ، كتاب الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، ألفه تلبية لرغبة تلاميذه في المدرسة النظامية، كتاب لمع الأدلة في أصول النحو ، كتاب الاغراب في جدل الاعراب ، البيان في غريب اعراب القرآن وغيرها من الكتب.[1]

أما المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير الجزري (المتوفي عام ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م)[2] فقد كان عالما فاضلا ، جمع بين علم العربية والقرآن والنحو والحديث ، وصنف في ذلك التصانيف المشهورة ، قرأ النحو والأدب علي أبي محمد سعيد بن المبارك الدهان.[3] من مصنفاته كتاب البديع في النحو ، كتاب الباهر في الفروق ، في النحو ، وكتاب تهذيب فصول ابن الدهان، كما صنف كتبا أخرى في الحديث وغريب الحديث.[4]

وممن برز في هذا العصر في علم النحو عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء العكبرى البغدادى النحوى الضرير (المتوفي عام ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م)[5] الذى أخذ النحو عن أبي محمد بن الخشاب[6] وعن غيره من مشايخ العصر. ولم يكن في آخر عمره

---

(١) البغدادى : هدية العارفين جـ١ / ص ٥١٩.
(٢) ياقوت : معجم الأدباء جـ١٧/ص٧١، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤/ص ١٤١ ، القفطي : انباه الرواة جـ٣ / ص ٢٥٧ ، البغدادى : هدية العارفين جـ٢/ص ٢ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤ / ص ١٤١.
(٤) ن.م.س جـ ٤ /ص ١٤١.
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣/ص ١٠٠ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ٢/ ص ١٠٩ ، ابن الانبارى : نزهة الألباء / ص ٢٦٠ ، الكتبي: فوات الوفيات جـ٢/ ص ٤١٤ ، المنذرى : التكملة لوفيات النقلة جـ٢/ص ٤٦١ ، ابن العماد : الشذرات جـ ٥ / ص ٦٧.
(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣ / ص ١٠٠.

في عصره مثله في فنونه ، وكان الغالب عليه علم النحو[(١)] وقد برع في فنون عديدة ، قال عنه صاحب الشذرات : " كان اماما في علوم القرآن، اماما في الفقه ، اماما في اللغة ، اماما في النحو ، اماما في العروض ، اماما في الفرائض ، اماما في معرفة المذهب "[(٢)]، صنف التصانيف الجليلة ، منها اعراب القرآن ، شرح الايضاح ، اعراب الحديث ، شرح اللمع لابن جني ، كتاب اللباب في علل النحو ، شرح المفصل للزمخشري، اعراب شعر الحماسة ، شرح ديوان المتنبي"[(٣)].

ولقد كان هذا العصر عصر بركة ونماء للأدب واللغة والنحو ، وبرز فيه من علمائها أعداد كبيرة لا يمكن حصر مجموعهم[(٤)].

ثالثا : الأدب :

لقد عظم حظ الأدب والشعر في هذا العصر، فقد حفل هذا العصر بأدباء أجلاء وشعراء فحول في العراق ، عنوا بتدوين المأثور من شعر ونثر ، بروايته واختياره ونقده ، كما ألفوا في فنون الأدب وبلاغته وتاريخه وطبقات رجاله .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ١٠٠ .
(٢) العماد الحنبلي : الشذرات جـ٥/ص ٦٧ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣/ص١٠٠ ، البغدادي : هدية العارفين جـ١/ص٤٥٩ .
(٤) ولعل من المفيد أن نحيل الى المصادر التي تحدثت عنهم :
الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ٣/ص ١٣٣، ص ١٧٩ ، العماد الحنبلي: الشذرات جـ ٣/ ص ٤١٢، جـ ٤ / ص ٧٣، ياقوت : معجم الأدباء جـ ٤ / ص ١٧٥، جـ ٥ /ص ٨٤، جـ ٧ / ص ص ٤٥، ٢١٤، جـ ٨ / ص ص ٥٤، ١٢٢ - جـ ٩ / ص ١٩٨، جـ ١٠/ص ص ١٠، ١٤٧، جـ ١١ / ص ص ١٧١، ١٧٨، ٢٥١، جـ١٥ /ص ٦٦، جـ ١٧/ ص ص ٥٤، ٥٨، ٢٧٠، جـ ٨ /ص ص ٢٠٥، ٢٥٢، جـ١٩ ص ١٠٦، جـ ٢٠/ص ١٩، القفطي : انباه الرواة جـ ١ / ص ص ١٣٨، ٢٧٦، ٣٢٨، جـ ٢ / ص ص ١٢٢، ٢٤٢، ٣٠٦، ٣٢٤، جـ٣/ص ص ١٢٣، ١٨٨، ١٩١، ٢١١، ٢١١، ٢٢٧، ٢٥٥، ٢٥٦، ابن الأنباري : نزهة الألباء ص ص ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٨١، ٣١٩.

ولقد تعددت اتجاهات المؤلفين في الكتابة ، وتنوعت مذاهبهم فيها ، وأصبح كثير من مؤلفاتهم من أمهات كتب الأدب التى استوفت حظها من الجمع والاستيعاب والشمول .

ومن ينظر الى المصادر الأدبية ، التى كتبت خلال العصر السلجوقي في العراق ، في فهارس دور الكتب في الشرق والغرب ، أو يقف على هذه المؤلفات يأخذه العجب العجاب من ضخامة النتاج الغزير ، والسوية الأدبية العالية التي هي الصفة المشتركة بين علماء وأدباء العصر .

لقد كان النتاج الأدبي في العصر السلجوقي المرآة التى عكست الوضع الاجتماعي والفكرى ، ويصدق هذا على الأدب بكافة صوره ، من خطابة وكتابة وقصص وشعر .

ولقد كان الانتاج غزيرا بشكل لم يسبق له مثيل ، ذلك أننا اذا استعرضنا مقومات الانتاج الأدبي في القرنين الخامس والسادس الهجريين لوجدنا أنفسنا أمام تراث ضخم ، ليس فقط في مجال الشعر والنثر ، بل في كل ما يعكس الوضع الثقافي والعلمي والأدبي على السواء ، ذلك أن الأدب في هذا العصر لم يتأثر بالحالة السياسية المضطربة ، بل ظل ، على الرغم من تأثره بالأوضاع المختلفة ، فعالا معبرا عن أحاسيس الأمة ، رائجا ومتداولا ، ولعل ذلك نتيجة لأسباب عديدة متداخلة ، منها ظهور حركة انشاء المدارس ، وتركيزها على الاهتمام بجوانب مختلفة متنوعة من العلوم ، كان لعلوم العربية مكانتها المرموق بينها ، حيث ان اللغة العربية لغة القرآن والشريعة والمجتمع ، أضف الى ذلك أن شيوع المكتبات ، وما أوقف للانفاق عليها في أغلب مدن العراق يعد عاملا هاما من عوامل تشجيع الدارسين ، وهذا يشمل دور الثقافة والتعليم بعامة . وكان حظ الأدب منها كبيرا ، نتيجة لطبيعة التطور العام الذى سارت فيه الحياة الثقافية في عصورها السابقة ، وقد يضاف الى ذلك ظهور طبقة ذواقة ومتمكنة في الوقت نفسه ، احتضنت الشعر والأدباء وعلماء

اللغة والبلاغة ، والنحو ، وتمثلت في الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء ، بل حتى الموسرين من أفراد المجتمع الذين كانوا يتنافسون على احتضان الأدباء والشعراء للاستمتاع بجلساتهم الأدبية والشعرية . وقد يكون ذلك بسبب من الانسجام مع بعض أغراض الشعر ، وبخاصة شعر المديح .

والحق أن السلاطين السلاجقة الأوائل لم يكونوا يتذوقون الأدب العربي بعامة لأنهم أعاجم من جهة ، كما أنهم لم يكونوا على حظ وافر من الثقافة[1] من جهة أخرى ، غير أن ذلك لم يستمر طويلا ، اذ سرعان ما حصل التأثر الحضارى بثقافات المناطق التى حكموها ، وبدأت منذ عصر السلطان ألب أرسلان ومن جاء بعده مرحلة الاهتمام المتزايد بالعلوم والآداب ، ولهذا فانهم شجعوا العلماء ، وأنفقوا على الطلاب ، وأغروا بالتآليف ، وكان من نتيجة ذلك أن برز في عصرهم الكثير من الأدباء العرب والفرس ، أو حتى المبرزون في اللغتين ، أمثال الشاعر فخر الدين الكركاني (المتوفي عام ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م) والأديب الثعالبى (المتوفى عام ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)[2] والوطواط (المتوفي عام ٥٧٣ هـ/ ١١٧٧م)[3] والباخرزى صاحب دمية القصر (المتوفي عام ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٥م)[4] وغيرهم ممن تشيد بذكرهم ومكانتهم في فنهم كتب التراجم ومصادر الفترة التاريخية .

وفي العراق اجتهد الولاة في جمع الشعراء والكتاب حولهم في بغداد وواسط والبصرة والحلة وسائر مدن العراق ، حتى يظفروا بمدحهم والتغني بفضائلهم ، غير

---

(١) الراوندى : راحة الصدور / ص ٤٠ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣ / ص ١٧٨ ، ابن الأنبارى : نزهة الألباء ص ٢٤٩ ، العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ٣ / ص ٢٤٦ .
(٣) ياقوت : معجم الأدباء جـ٧ / ص ٩١ - ٩٥ .
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ / ص ٣٨٧ .

أن التقاليد العامة كانت خاضعة لتأثير البلاط العباسي والسلجوقي ، فكان أن شاع أسلوب موحد كان الشعراء يستعملونه بصورة عامة ، سواء في مدح السلاطين أو الولاة أو غيرهم من أصحاب الجاه ، على أن مآثر المدنية وما فيها من عادات وتقاليد كانت تظهر في قصائد شعرائها وكتابات كتابها بين الحين والآخر.(١)

وحيث ان البحث قد ركز هنا على الأدب في العراق خلال فترة البحث فان بالامكان القول بأن الأدب قد تمايزت أنواعه ، وتعددت فنونه ، وبرز فيه عدد كبير من المبرزين من الشعراء الكبار ، واشتمل على حركة أدبية شاملة ، ازدهرت في العراق في أثناء القرن الخامس والقرن السادس ، اتصلت شعلتها بأضواء النهضة العظيمة التي بلغت الذروة في القرن الرابع ، وعمت مدنه الكبار كبغداد وواسط والبصرة ، وشملت النواحي ، وتغلغلت في أحشاء القرى من سواد بغداد وأعمالها ، وشرقيها وغربيها ، وأعمال الفرات أعلاه وأسفله ، واتصلت من الشمال الي الجنوب من الحديثة وهيت والأنبار الى الحلة والكوفة وقرى واسط ، وشارك فيها الخلفاء والأمراء والوزراء وأعيان البلاد.(٢)

وسوف يعالج البحث النثر الفني ، وأقسامه وأنواعه ، في البداية قبل أن ينتقل الى الشعر والشعراء .

أولا : النثر :

النثر هو الأسلوب المتبع في التعبير ، ويكون النثر لغة مكتوبة أو منطوقة ، منطويا علي معنى ، وخاضعا لأصول اللغة ، كما يرتفع النثر الى ما فوق مستوى

---

(١) عبد النعيم حسنين : نظامي الكنجوي / ص ٨٣ ، طبع القاهرة سنة ١٩٥٤م.
(٢) الاصفهاني : الخريدة جـ ١ / ص ص ١٠٣ - ١٠٤.

التأليف العادي ، باستخدامه السجع والجناس والطباق[1] وبالامكان أن نصنف النثر الى صنفين : النثر الفني . والنثر الأدبي التأليفي .

١ - النثر الفني :

وهو ما يرتفع به أصحابه من لغة الحديث العادية ، ولغة العلم الجافة ، الى لغة فيها فن ومهارة وروية ، ويوفرون له ضروبا من التنسيق والتنميق والزخرف ، فيختارون ألفاظه وينسقون جمله[2] .

فالنثر الفني في هذا العصر يشمل الخطابة ، والرسائل الديوانية والتوقيعات ، والاخوانيات ، والقصص والمقامات . والخطبة كلمة عربية معناها الخطاب يجاهر به الخطيب[3] . ولقد نشأت منذ أوائل هذا العصر طبقة جديدة من الخطباء الوعاظ ، وهم من كانوا يعرفون بالمذكرين . وكانت الغالبية العظمي منهم من الصوفية[4] . وهكذا شاع في هذا العصر القصص والوعظ والتذكير بالآخرة ، والتخويف من النار فكثر الوعاظ وامتلأت بهم المساجد والطرقات ، ونجد أن أخبار هذا الوعظ مستفيضة في كتب الأدب العربي ، ذلك أن هذا اللون من الأدب لم تقتصر أهميته وآثاره على الجوانب الروحية والدينية ، بل انها امتدت لتشغل كذلك ميدان الأدب ، فكان ذلك عاملا بالغ الأثر في مقومات عناصر القصة الأدبية التي أينعت وآتت ثمارها ، بعد أن انصهرت فيها ثقافات الأمم الأخرى[5] .

---

(١) الموسوعة الاسلامية الميسرة / ص ١٨٢٣ .
(٢) حنا الفاخوري : تاريخ الأدب العربي / ص ٣١٦ . عبد الحكيم بلبع : النثر الفني ص ١١ .
(٣) أحمد محمد شاكر : دائرة المعارف الاسلامية جـ٨ / ص ٣٧٠ .
(٤) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ١٢٣ ، ص ٣٩٣ .
(٥) بلبع : المسجد والقصص والمذكرون . مجلة عالم الفكر ، المجلد ١٢ / ص ١٣٣٣ ، عن وديعة نجم : القصص والقصاص في الأدب الاسلامي / ص ٤٠ .

ولا شك في ان الوعظ شكل من أشكال الخطابة[1]، له كل مظاهرها من الارتجال والمشافهة وقوة التأثير، والحرص على سلامة التعبير وهو نمط طغي في هذه المرحلة على أنواع الخطابة المختلفة، وهذا ما عناه ابن الجوزى في قوله عن الخطيب: "فاذا كانت له صناعة في انشاء الخطبة أو كان يحفظ خطبة ذكرها"[2].

وقد أوكلت الخطابة في أيام الجمع والأعياد والمناسبات الدينية الى علماء الدين، حيث كانوا يخطبون في المساجد والمدارس، وكان الواحد منهم يخطب لا مبتذلا للقول ولا مستأنفا له، بل يلقيه ارتجالا عن خبرة وسابق تصور. غير أن ذلك لم يستمر طويلا، فقد تردت أحوال الخطباء، وظهر بينهم العجز والاضطراب، مما دعاهم الى الحاجة للنظر في قصاصات أوراق يمدونها مسبقا لهذا الغرض. ثم تدهور الحال الي درجة لم يسبق لها نظير، اذ لم يأنفوا أن يخطبوا بكلام غيرهم المهيأ لمثل هذه المناسبات، والموزع علي أيام السنة ومواسمها.[3]

وقد شاع في خطابة هذا العصر السجع المعروف لدى أهل الأدب والذى طبع خطباء هذا العصر. ويوضح ذلك ابن جبير في قوله عند حديثه عن مجلس

---

(١) قال ابن جبير عن الامام رضي الدين القزويني تحت عنوانه " مجالس علم ووعظ " " ثم اندفع الشيخ الامام المذكور فخطب خطبه سكون ووقار وتصرف في أفانين من العلوم " ابن جبير : الرحلة ص ١٩٥.

(٢) ابن الجوزى : كتاب القصاص والمذكرين / ص ١٢٧.

(٣) كتلك الخطب التى ألفها جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن ابن نباته المصرى (المتوفي عام ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) للسلطان الناصر حسن (المتوفي عام ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م) السبكي : طبقات الشافعية جـ٦ /ص ص ٩٤ - ١٠٣، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ١١/ ص ٩٥، الصفدى : الوافي بالوفيات جـ١ / ص ٣١١.

وعظ ابن الجوزى بأنه " مشّى الخطبة على فقره آخر آية منها في الترتيب الى أن أكملها، وكانت الآية (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس)[١] فتمادى على هذا السين ".[٢]

وقد كان من أدباء العصر ووعاظه وخطبائه من يمتلك من روعة البيان وقوة التأثير ما يأسر به القلوب ، ويمتلك به زمام جمهور المستمعين . فكان أبو الفرج ابن الجوزى من أشهر مذكرى العصر وخطبائه ، وقد أوضح ابن جبير ماكان عليه الرجل من قوة في البيان ، وروعة في التأثير على عواطف الناس وأفكارهم . كما أنه وصف مشاعر الناس ، وما فعلوه من شدة الوجد ، وعظيم التأثر بتلك الخطبة حيث كانوا "يجهشون بالبكاء"، حتى ارتفع أصوات نحيبهم ، بل وحتى سقط بعضهم على الأرض فاقدين لوعيهم من شدة التأثر والوجد.[٣]

وهكذا يتبين لنا رسوخ قدم ابن الجوزى وعلو كعبه في هذا الفن ، فلا غرابة من أن يذيع صيته ، وترتفع منزلته ، ويتربع بحق وجدارة ، على عرش صناعة الخطابة في هذا العصر.[٤]

وبالاضافة الى ابن الجوزى ظهر في هذا العصر أبو القاسم القشيرى[٥] وأبو الحسن أردشير بن منصور العبادى الذى افتتن الناس بخطابته ، وعقدت له مجالس للوعظ بالمدرسة النظامية ببغداد ، كان يحضرها الأئمة والمشايخ ، ومن بينهم حجة الاسلام الامام الغزالي ، حيث تكاثر الناس على مجالسه ، وازدحمت حلقاته بشكل منقطع النظير .[٦]

---

(١) سورة غافر ، آية (٦١) .
(٢) ابن جبير : الرحلة / ص ١٩٨ .
(٣) ن.م.س / ص ١٩٩ .
(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠/ص ص ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .
(٥) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ١١٨ .
(٦) ن.م.س جـ ١٨/ص ١٦٨ .

الكتابة وديوان الرسائل :

يقول ابن خلدون " وهذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغناء كثير من الدول عنها ...... وانما أكد الحاجة اليها في الدول الاسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد ، فصار الكاتب يؤدى كنه الحاجة بأبلغ العبارة اللسانية في الأكثر ......وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقة ويكتب في آخرها اسمه ويختم عليها بخاتم السلطان ".(١)

ولقد سارت الكتابة في العصر السلجوقي في اتجاهات تمثل الاستمرارية والتطور ، غير أنها أخذت تتدرج الي منحنى خاص بها حيث يلاحظ تخصيص عبارات معلومة تختلف باختلاف المناسبات والموضوعات ، كما يلاحظ غلبة الاطناب والتفضيل فيها والاهتمام باللفظ على المعنى(٢) بعد أن نضجت العلوم ، ووضعت اصطلاحاتها ، وتميزت مسائلها ، واضطلع بها كثير من الناشئة الأعاجم. وفي أواخر العصر العباسي استقلت الكتابة ، وعهد بها الى غير الوزراء وظهر ببغداد عدد من كتاب الانشاء(٣) ممن شغلوا مناصب في ديوان الانشاء ، ويترأسهم عادة رئيس يعرف بمتولي الديوان أو صاحب الديوان ، وربما يعرف بكاتب السر ، غير أن الاشراف العام على هذا الديوان وغيره من الدواوين الادارية والمالية يعود الي ديوان الدار الذى يترأسه الوزير عادة ، والذى توجه اليه مراسلات الملوك في مكاتباتهم الى الخلفاء.(٤)

ولقد تنوعت أساليب كتابة الاستهلال والخاتمة بحسب مقام المرسل اليه ، فقد وزنوا الألفاظ وقدروها بشكل دقيق ، وظهرت أساليب مختلفة في المراسلات ،

---

(١) ابن خلدون : المقدمة / ص ٢٤٦.
(٢) أحمد الاسكندرى : تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي ص ٢١٢-٢١٣.
(٣) ابن خلدون : المقدمة / ص ٢٤٧.
(٤) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي جـ١/ص ٢٤٥.

مابين أسلوب وآخر ، حيث وضعت فروق ، وطولب الكتاب بضرورة الالتزام بهـــا وعابوا من خالفهـا .[١]

والراجح أن كتاب الدواوين كانوا من ذوى الثقافة الواسعة مما أعانهم على تعميق الأفكار وترتيب المعاني بشكل دقيق[٢] وعنوا أيضا بألفاظهم عناية قد تفوق عنايتهم بمعانيهم ، فكانوا ينقلون حرفة الكتابة من أسلوب الصنعة الى أسلوب جديد مـــن التصنيع .[٣]

وكان لهؤلاء الكتاب أثر كبير في نشر نوع خاص من الثقافة ، ذلك أن ثقافتهـم أوسع من ثقافة غيرهم ، حيث كانت معارفهم ودائرة اطلاعهم واسعة شاملة ، لأنهم بحكم عملهم مضطرون الى أن يعرفوا أحوال الناس الاجتماعية ، وتقاليدهــم ، وأن يعرفوا من اللغة والأدب ، وعلوم الدين ، والفلسفة والجغرافيا . والتاريخ طرفـا ، لأن طبيعة أعمالهم تقتضي ذلك .

فهؤلاء الكتاب نشروا الثقافة العامة ، وضموا الى الآداب العربيـــة الآداب الفارسية ، وأصبح مما يتطلب منصب الكاتب في هذه الفترة التعرف على تاريـــخ العرب والفرس وأقوال الخلفاء وملوك الفرس . وقد أشار ابن خلدون الى الشـــروط التى ينبغي توفرها في الكاتب وهي " الشروط المعتبرة في صاحب هذه الرتبة الـــتي يلاحظها السلطان في اختياره وانتقائه من أصناف الناس فهي كثيرة ، وأحسن مـــن استوعبها عبد الحميد الكاتب في رسالته الى الكتّاب ...... " .[٤]

---

(١) كمالة : الأدب العربي في الجاهلية والاسلام ص ١٩٤ - ١٩٥ .
(٢) شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي / ص ١٩٥ .
(٣) ن.م.س / ص ١٩٥ .
(٤) ابن خلدون : المقدمة / ص ٢٤٨ .

ومما يرتبط بالرسائل الديوانية ، التوقيع وهو " اصطلاح يطلق علي نسخة أمر أو تشريف خليفتي ، أو ملكي ، أو أميري يرسم بتعيين موظف أو ترتيب مستخدم في احدى الوظائف الهامة كترتيب مدرس، أو تعيين نقيب أو محتسب أو قاض ، أو قاضي قضاة ...... وقد يسمي التوقيع (فرمانا) ، ويقرأ بحضور الأعيان في الجوامع والمدارس ، ويتلي فوق المنابر ".(١)

والتوقيع يشمل بالاضافة الى ذلك : ما يعلقه الخليفة على القصص أو الرقاع المعروضة عليه لطلب أو شكوى أو نحو ذلك فيكتب عليها بما يجب اجراؤه.(٢) وذلك من واجبات صاحب ديوان الانشاء أو من يتعين للتوقيع خاصة ، فيجلس الكاتب بين يدى الخليفة أو السلطان في مجالس حكمه أو فصله ، فاذا نظر الخليفة في الرقاع أمر الكاتب أن يوقع عليها ، فيتوخي الكاتب أبلغ ما يستطيعه . ولهذا فقد كان يختار لهذا المنصب رجل من أهل البلاغة ليستقيم توقيعه.(٣)

ولقد أصبحت التوقيعات بعد تطورها فنا أدبيا ، وصنعة يلتزم بها ، وهي جزء من تقاليد الانشاء في هذا العصر ، كان يجيدها كتاب معروفون ، اختص كل منهم بفن من فنون الانشاء. فكان التوقيع يحرر بأمر الخليفة ، ويعرض عليه فيشرفه بالامضاء ، وأحيانا يكتب بعضه بخطه ، وقد نقل ابن الجوزى أن الخليفة القائم بأمر الله (المتوفي عام ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٤م) عندما عهد الي حفيده بولاية العهد قال " اشهدوا بما تضمنته هذه الرقعة التى كتبت فيها سطرين بخطي ".(٤)

---

(١) ناجي معروف : التوقيعات التدريسية ، مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد عدد ٦/ص ٧٠
(٢) عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي في الأعصر العباسية ج٢ / ص ٤٥٠.
(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٧.
(٤) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ / ص ٢٩٠.

وكما ازدهرت التوقيعات السلطانية ازدهرت أيضا الرسائل الاخوانية ، وتعددت أغراضها وتنوعت . والاخوانيات رسائل يتبادلها الاخوان ، وقد تكتب نثرا أو شعرا على حد سواء ولكنها في النثر أكثر. وهي تدور حول معاني أغراض وجدانية خاصة بالمتراسلين من شوق وعتاب وشكر ولوم ، واستنجاز وعد ، وغير ذلك من الأغراض . على أنها أحيانا قد تتناول بحثا أدبيا أو جدلا نظريا أو نقدا اجتماعيا كتلك المراسلات التى كانت بين المختار بن بطلان[١] وعلى بن رضوان[٢] بمصر. يقول ابن أبي أصيبعة : " ولم يكن أحد منهم يؤلف كتابا ولا يبتدع رأيا الا ويرد الآخر عليه ويسفه رأيه فيه "[٣].

والمهم أن هذه الرسائل الاخوانية كانت تصاغ صياغة أنيقة مثقلة بأوجه البلاغة من موازنة وسجع واستعارة وتورية ، مع التضمين والاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف والأمثال والشعر والأقوال ، مما يدل على مقدرة لغوية وبراعة أدبية واحاطة بعدد من وجوه المعرفة[٤].

ومن رسائل ابن بطلان الى علي بن رضوان بمصر رسالة يفضحه فيها ، ويذكر معايبه ، ويشير الى جهله بما يدعيه من علم الأوائل صدر بهذه الديباجة "الانتساب الى الصنائع والاشتراك في البضائع موخاة وذمم ، وحرمات وعصم ، أدنى حقوقها

---

(١) المختار بن حسن بن عبدون ابن بطلان طبيب باحث من أهل بغداد ، سافر في رحلة علمية الى الشام ثم مصر ثم القسطنطينية ، له مصنفات طبية منها " تقويم الصحة، الأمراض العارضة ،المدخل الى الطب ،كناش الأديرة والرهبان ، وغيرها من الكتب (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) أبن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص/٣٢٥.

(٢) على بن رضوان بن جعفر أبو الحسن الطبيب (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦٠م) كان من كبار الفلاسفة في الاسلام، له تصانيف كثيرة ، منها حل شكوك الرازى على كتب جالينوس ، التوسط بين أرسطو وخصومه ، كفاية الطبيب . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٥٦١ ،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جه / ص ٦٥ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٢٦.

(٤) شوقي ضيف : العصر العباسي الثاني / ص ٥٦٢.

بذل الانصاف ، وأحد فروضها اجتناب الحيف والاسراف ، ويتصل بي عن الشيخ أدام الله توفيقه ، وأوضح الى الحق طريقه ، بلاغات اذا قابستها بما ألفيته من حدة طباعه كدت أصدق بها ، وان عزوته الى ما خصه الله بن من العلم قطعت بكذبها ، وفي كلا الحالين فانني أرى الاغضاء عما أمض من كلامه ، وأرفض من فعاله من الفعال الواجب ، والمفروض اللازب ، اذ كنت أثق برجوعه الى الحق وان مال في شعب الباطل ، لاسيما أني لم أوجده سبيلا الى المباينة ، ولا سعيدة الا فيما أكد أسباب المودة والمحافظة ، ولم أتخذه بمسألة سهلة ولا صعبة ، وهو أدام الله توفيقه جهينتي في هذه الدعوى ".[1]

ولقد امتازت كتابة الرسائل في العصر السلجوقي ، ولا سيما الرسائل الديوانية بلزوم السجع القصير الفقرات ، واستعمال الجناس ، وبعض أنواع البديع ، واستخدام معاني الشعر ، وألفاظه فيها ، والحكم المأثورة ، وازدادت فيها عبارات التعظيم والتضخيم للملوك والأمراء ، والتهويل بشأنهم والاقتباس من كلام البلغاء.[2]

ولقد ظهر في العراق خلال فترة البحث هذا عدد كبير من كتاب الدواوين ، وكتّاب ومنشئين متأدبين منهم :

أبو عبدالله عماد الدين محمد بن صفي الدين أبو الفرج المشهور بالعماد الأصبهاني الكاتب (المتوفي عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ م)[3] ، وكان من بيوت الرئاسة والسؤدد والفضل والكتابة في القرنين الخامس والسادس[4] ، ولقد تأثر كثيرا بالبيئة العلمية السائدة في كل من أصبهان والعراق والشام ومصر . انتقل به أبوه وهو شاب

---

(١) القفطي : أخبار العلماء / ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥ / ص ١٤٧ ، أبو شامة : الروضتين جـ١/ص ٤٤ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ١٩/ص ١١ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٤/ص ٩٤ ، ابن العماد : الشذرات جـ٤ /ص ٣٣٢ ، ابن الساعي : الجامع المختصر جـ٩/ص٦١ .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٩ / ص ١١ .

(٤) ن.م.س جـ ١٩ / ص ١١ .

الى بغداد ، وهناك تلقي دروس في النحو واللغة والأدب والحديث ، ووعي الفقه والأصول والخلاف ، ودرس العلم الرياضي واشتغل بحل أقليدس [١] ، وانتظم بالمدرسة النظامية ، وكان يشهد باستمرار حلقات المناظرة ، ويستفيد من العلم والجدل [٢] ، ثم انصرف كليا الى العناية بالأدب ، يعالجه شعرا ونثرا حيث دأب على تجويدهما طوال حياته ، ولقد اشتهر العماد بالكتابة. ذلك لأنه خدم طويلا في ديوان الانشاء [٣] فكانت له خلفية ، علمية وأدبية خصبة في الثقافتين العربية والفارسية ، تبسط ذراعيه في أسباب القول البارع ، وتهيء له حظوظا عظيمة في الأدب ،وجانب ذلك فقد كان رصيده ضخما من العلوم الاسلامية ومعرفة التواريخ وأيام الناس [٤] ، مما أعانه في تميزه في فنه الكتابي ، ورفع منزلته عند أعلام عصره من خلفاء وأمراء ووزراء وكتاب وعلماء [٥]. ولقد أشاد الذين ترجموا للعماد الأصفهاني ، وسلكوه في فصحاء العرب والعجم وأرباب الفضل والبلاغة والمعرفة. قال ابن الفوطي "كان من فصحاء العرب والعجم كاتبا سديدا" [٦] ، وقال ابن الساعي : "كان سمح القريحة جيد النظم كثير القول ، له الترسل المليح والكتابة البليغة. وذكره القاضي عمر القرشي في مشايخه الذين روى عنهم ، وأثنى عليه بالفضل والبلاغة والمعرفة" [٧].

ولقد نهج العماد في كتاباته منهجا فنيا خاليا من كل تعقيد ،وكتب به التاريخ السياسي والحربي والثقافي لعصره [٨] ، فسجع ورصع ، وجانس وطابق ،وقابل

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/ص ١٦١ .
(٢) ياقوت : معجم الأدباء جـ١٩/ص ١١ ، ابن الساعي : الجامع المختصر جـ٩/ص ٦١.
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥ / ص ١٤٧ .
(٤) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٦١ .
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/ص ١٤٧، أبو شامة : الروضتين جـ١/ص ١٤٤ .
(٦) ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ١ / ص ١٦٦ / ص ١٦٧ .
(٧) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٦٣ - ٦٤ .
(٨) أنظر مصنفاته" خريدة القصر وجريدة العصر، نصرة الفترة وعصرة الفطرة، البرق الشامي".

وقارن وافتتن العماد في هذا كله افتتانا عجيبا ، والتزمه حتى في عناوين كتبه ، وقد ظفر العماد من تقدير العلماء لغفتة بالاطراء الكثير. قال عنه صاحب الشذرات " وتعاني الكتابة والترسل والنظم ففاق الأقران ..... وصنف التصانيف الأدبية وختم به هذا الشأن ".[1] وقال عنه ياقوت الحموى : " وسافر الى أصبهان ثم عاد الى بغداد ، واشتغل بصناعة الكتابة فبرع فيها ونبغ ، ولاه الوزير عون الدين يحي بن هبيرة النظر بالبصرة وواسط ".[2] وبعدها يذكر ابن خلكان بأنه : " انتقل الى دمشق سنة ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦م وسلطانها يومئذ الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمد بن أتابك زنكي ، وعمل كاتبا لديه ، وأجاد فيها وأتى فيها بالغرائب ، وكان ينشىء الرسائل باللغة الأعجمية ".[3] وقد صنف العماد الأصفهاني عددا من التصانيف النافعة منها كتاب خريدة القصر وجريدة العصر[4] ، الذى جعله ذيلا على كتاب زينة الدهر لأبي المعالي سعد بن علي الوراق الحظيرى (المتوفي عام ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢م) ، والذى كان هو الآخر قد جعل كتابه هذا ذيلا على كتاب دمية القصر وعصر أهل العصر للباخرزى (المتوفي عام ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٥م) الذى ذيل به على كتاب يتيمة الدهر للثعالبى (المتوفي عام ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م).[5] ولقد ذكر العماد في خريدته ، الشعراء والأدباء الذين عاشوا بعد المائة الخامسة حتى سنة ٥٧٢ هـ/ ١١٧٦م فاستوفي التراجم لشعراء وأدباء العراق ، والعجم ، والشام ، ومصر ، والمغرب ، ولم يترك أحدا الا الخامل النادر . وله كتاب السيل وهو ذيل لكتابه خريدة القصر . وله كتاب نصرة الفترة وعصرة القطرة[6] في تاريخ الدولة السلجوقية ووزرائها وأكابر دولتها . وقد كتبه

---

(١) العماد الحنبلي : الشذرات جـ٤ / ص ٣٣٢.
(٢) ياقوت : معجم الأدباء جـ١٩ / ص ١١.
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥ / ص ١٤٧.
(٤) مطبوع بتحقيق ، محمد بهجة الأثرى ، والدكتور جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.
(٥) ياقوت : معجم الأدباء جـ١٣/ص ٣٣ ، حاجي خليفة : كشف الظنون جـ١/ص٧٠٢.
(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥ /ص ١٤٧.

بالفارسية ثم نقله الى العربية.[1] كما وصنف كتاب البرق الشامي[2] ، الذى قال عنه ياقوت " وهو تاريخ بدأ فيه بذكر نفسه ونشأته ورحلته من العراق الى الشام[3]، وله أيضا كتاب الفتح القدسي[4] الذى أرخ فيه فتوحات صلاح الدين الأيوبي ، وبدأه بتاريخ ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧م .[5] وذكرت له المصادر ديوان شعر يقع في مجلدين[6] وقيل في أربع مجلدات[7] - وله أيضا ديوان رسائل قال ياقوت : " في مجلدات ".[8]

ومن رواد الأدب وكتابه المعدودين المنشئ الحسين بن علي بن محمد المعروف بمؤيد الدين أبو اسماعيل الطغرائي (المتوفي عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م) .[9] يرجع به نسبه الى أبي الأسود الدؤلي وقد قال عنه ياقوت : انه " كان آية في الكتابة والشعر ".[10] بدأ حياته كاتبا في أربل عاصمة اقليم الجبال ، ثم انتقل الى خدمة السلطان العادل ملكشاه بن ألب آرسلان . وكان منشئ السلطان محمد بن ملكشاه

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥ / ص ١٤١ .

(٢) تاريخ العصرة في سبع مجلدات ، هناك مجلدات منه في بودليانا ١/ ٧٦١ ، اختصره الفتح بن علي البندارى وسماه سنا البرق الشامي ، مطبوع بتحقيق فتحية النبراوى - مكتبة الخانجي - مصر سنة ١٩٧٩م .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء جـ١٩ /ص ١٩ .

(٤) طبع بالقاهرة سنة ١٣٢١هـ/ ثم سنة ١٣٢٢ هـ . ونسخة المخطوطة موزعة في برلين ٩٧٩٤ ليدن ، ٩٦٣ ، ٩٦٥ ، بروكلمان جـ: تاريخ الأدب العربي جـ٦ / ص ٦ .

(٥) الأصفهاني : خريدة القصر جـ١ /ص ٧٦ .

(٦) ياقوت : معجم الأدباء جـ١٩ /ص ٢٠ .

(٧) الصفدى : الوافي بالوفيات جـ١ /ص ١٣٥ .

(٨) ياقوت : معجم الأدباء جـ١٩ / ص ٢٠ .

(٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ /ص ١٨٢ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ١ /ص ٥٦ - ٧٩ . العماد الحنبلي : الشذرات جـ٤ ص ٤١ - ٤٣ ، ابن العديم : بغية الطلب/ ص ١٨٧ ، الصفدى : الوافي بالوفيات جـ١١/ص ٩٣ - ٩٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ /ص ١٩٠ ، اليافعي : مرآة الجنان جـ٣ /ص ٢١٠ ، العاملي : أعيان الشيعة ص ص ٢٧ - ٧٦ - ٨٨ ، السامرائي : الفهرست الجديد جـ ١ /ص ١٤٢ .

(١٠) ياقوت : معجم الأدباء جـ١٠ /ص ٥٦ .

مدة حكمه ومتولي ديوان الطغراء [1]، ومالك قلم الانشاء ، وقد تشرفت به الدولة السلجوقية ، وتنقل في المناصب وتولي الاستيفاء، كما رشح للوزارة [2]. قال ابن العديم : "لم يكن للدولتين الامامية والسلجقية من يضاهيه في الترسل والانشاء" [3]. ولقد حل به وهو بمدينة السلام خطب عظيم ، فقد عزل عن منصبه وعلاه من دونه وكان أبيّ النفس فضاقت عليه بغداد بما رحبت فنظم لاميته المشهورة بلامية العجم [4]، ورحل الى الموصل حيث استقر به المقام فيها لدى الملك مسعود بن السلطان محمود يدبر له الملك [5] حتى شهد جماعة لدى السلطان محمود بأنه زنديق لا يتدين بدين الاسلام ، فأمر بقتله ، فذبح بين يديه صبرا سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١م [6]، وله مجموعة من الكتب [7].

ومن أدباء العصر ومنشئيهم أمين الدولة أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا (المتوفي عام ٤٩٧ هـ/ ١١٠٣م) [8] أحد مشاهير الكتاب والمنشئين في هذا العصر ، ومن كان يضرب به المثل في الفصاحة وحسن العبارة. فلقد بهر الناس بأدبه ، وخدم دار الخلافة منشئا وكاتبا خمسا وستين سنة

---

(١) الطغراء: هي الطره التى تكتب في أعلي المناشير ،فوق البسملة تتضمن الملك وألقابه وهي كلمة أعجمية محرفة من الطرة . ياقوت : معجم الأدباء جـ١٠/ص٥٦.
(٢) ن.م.س جـ ١٠ / ص ٥٦ .
(٣) ابن العديم : بغية الطلب / ص ١٨٧ .
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ / ص ١٨٢ .
(٥) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٤ /ص ٥١ - ٦٠ ، الصفدى : الغيث المسجم جـ ١ / ص ٦ .
(٦) ابن الأثير: الكامل جـ ٨ /ص ٣٠٢ .
(٧) أغلب مصنفاته في الكيمياء، ولقد تحدثنا عنها في هذا الميدان . أما أدبه وشعره فسنتعرض له عند الحديث عن شعراء العصر .
(٨) الأصفهاني : خريدة القصر جـ١ / ص ١٢٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣/ ص ٤٨٠ ، الصفدى : نكت الهميان/ص ٢٠١ .

في عهد حكم الخلفاء القائم والمقتدى والمستظهر .[1] وكان بليغ الانشاء سديد الآراء ، وتعبر رسائله عن كبير فضله ووفور وغزارة علمه .[2] وقد حفظ لنا القلقشندى في صبح الأعشي ثلاث رسائل كتبها أبو سعد العلاء بن الموصلايا منها رسالة كتبها عن الخليفة القائم بأمر الله موجهة الى وزيره جاء فيها " لما خص الله تعالى الدولة القاهرة العباسية بامتداد الرواق في العز ، واتساع النطاق ، وأجرى لها الأقدار بما يجمع شمل الحق ، ويمنع من نفاق النفاق ، وأفرد أيامها بالبهاء المنير الأعلام ، والانتهاء في قوة الأمر الى ما يتأوى في طاعتها بين اليقظات والأحلام ، وجعل الزمان واقفا عند حدها في النقض والابرام ، ومتصرفا على حكمها في كل ما حاول من حال ورام ، ومكن لها في الأرض حتى أذلت نواحي الأعداء قهرا وقسرا ، فان الله تعالي لم يخلها كل وقت من قائل في نصرتها فاعل ".[3]

وكان العلاء بن الموصلايا يعمل في ديوان الانشاء مع ابن أخته هبة الله بن الحسن أبو نصر ابن الموصلايا (المتوفي عام ٤٩٨ هـ/ ١١٠٤م)[4] الذى قال عنه الأصفهاني : " وكان لا يقاربه أحد في الانشاء والعبارة ، ولم يكتب كتابا قط فرجع فيه الى مبيضة ".[5]

وكان تاج الرؤساء هبة الله بن الحسن بن علي ابن الأصباغي (المتوفى عام ٤٩٨ هـ/ ١٢٠١م)[6] من كتاب العصر المشهورين كتب بديوان الزمام[7] في بعض

---

(١) الأصفهاني : خريدة القصر جـ١/ص ١٢٣ .
(٢) ن.م.س جـ ١ / ص ١٢٤ .
(٣) القلقشندى : صبح الأعشي جـ٦/ص ص ٤١٥ - ٤١٦ .
(٤) الأصفهاني : خريدة القصر جـ ١ / ص ١٣٢ .
(٥) ن.م.س جـ١/ص ١٣٣ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ١٢/ص ١٩٤ .
(٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ٩/ص ٦١ ، الأصفهاني : الخريدة جـ١/ص ١٣٥ ، الزركلي: الأعلام جـ ٨ / ص ٧١ .
(٧) الزمام : لفظة عربية معناها الخيط الذى يشد في البره أو في الخشخاش ثم يشد في طرفه المقود ، وقد عرف الزمام كاسم وظيفة ظهرت منذ العصر العباسي والفاطمي والمملوكي . حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف جـ٢ / ص ٥٦٦ .

الأيام المستظهرية ، وله تصنيف في علم الكتابة .[1]

ومن الكتاب المنشئين في هذا العصر أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الانباري (المتوفي عام ٥٥٨ هـ/ ١١٦٢م)[2] منشئ ديوان الخلافة وهو من بيت سؤدد وكرم وفضل ، كتب لخمسة من الخلفاء[3] وهم المستظهر، والمسترشد ، والراشد ، والمقتفي ، والمستنجد .

وكان رائق الخط واللفظ ، وكانت له مكانة كبيرة عند أغلب شعراء العصر حيث لم يكد يخلو ديوان من دواوينهم من قصيدة في مدحه . قال عنه الأصفهاني " منشئ بالحقيقة لأبكار الأفكار ، عارف بنقد الشعر ".[4]

ومن كتاب العصر المبرزين في العراق أبو المعالي كافي الكفاة بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي (المتوفي عام ٥٦٢هـ/١١٦٧م)[5] أديب شاعر كاتب مؤرخ ، اختص بالخليفة المستنجد بالله ، ونادمه فولاه ديوان

---

(١) الأصفهاني : خريدة القصر ج ١ / ص ١٣٥ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠/ص ٢٠٦ ، الأصفهاني : الخريدة ج١/ص ١٤٠ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ /ص ٨٤ ، العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٤/ص ١٨٤ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ٣٧٤ .
(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠/ص ٢٠٦ ، الأصفهاني : الخريدة ج١/ص ١٤١ .
(٤) الأصفهاني : الخريدة ج١/ص ١٤١ .
(٥) وأبو المعالي هذا يبدو أن لا علاقة له ولأسرته بأسرة حمدون النديم الذي كان هو وأبناؤه ندماء لعدد من خلفاء بني العباس ، أنظر ياقوت : معجم الأدباء ج ١ / ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٩ ، وابن النديم : الفهرست ص ١٦١ -ص ٢٥٤ ، وقد التبس الأمر على الدكتور قاسم السامرائي فخلط بين صاحب التذكرة وبين أحمد بن حمدون النديم . أنظر ابن العمراني : الأنباء في تاريخ الخلفاء ص ٣٩ - ٤٠ . وترجمة صاحب التذكرة تجدها في . ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ / ص ٣٠٨ ، الكتبي : فوات الوفيات ج٢ /ص ١٨٦ - ١٨٧ ، اليافعي : مرآة الجنان ج٣/ص ٣٧٠- ٣٧١ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢ /ص ٣٥٧ ، ابن العماد : الشذرات ج٤/ص ٢٠٦ .

الزمام ، ولقبه كافي الكفاة[1] ، وقد عرف ابن حمدون بالفصاحة والمعرفة التامة بالكتابة والأدب[2] ، وقد ذكر الأصفهاني أنه كان يقرب أهل الأدب ويشملهم بعطفه[3] ، وله كتاب التذكرة الحمدونية[4] وتدل التذكرة على أنه كان شغوفا بالأدب والتاريخ الى جانب ما يحتاج اليه الكاتب من فروع الثقافة الأخرى ، وذكر ابن خلكان عن الكتاب أنه " من أحسن المجاميع يشتمل على التاريخ والأدب والنوادر والأشعار لم يجمع أحد من المتأخرين مثله وهو مشهور بأيدى الناس كثير الوجود ، وهو من الكتب الممتعة "[5] وذكره الصفدى فقال : " انه في اثنى عشر مجلدا "[6].

وكان أبو البدر الحسن بن علي بن المعمر بن عبد الملك الاسكافي البغدادى (المتوفي عام ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م)[7] كان من الكتاب المنصرفين لخدمة الديوان الامامي ، وكان فيه فضل وأدب ، وعربية وتصرف في فنونها ، وصنف عدة تصانيف حسنة في الأدب ، وتنقل في الولايات حتى أصبح مشرفا في الديوان العزيز سنة ٥٨٨ هـ[8] . قال عنه ياقوت : " ورأيت بخطه تعاليق في حلب واختيارات ونظما ونثرا تدل على قريحة سالمة ، ونفس عالمة ، قليلة النظير ، وتؤذن بالعلم الغزير "[9] ، وكان شديد البلاغة ، ويدل على ذلك كتاباته ونثره وشعره ، فمن رسالة أرسلها الى القاضي الفاضل يقول فيها :" لو كانت المودات أطال الله بقاء المجلس السامي في نعمة خصيبة المرتع وعيشة عذبة المنبع ، وأدام الله علاه في سعادة لا تتطرق الى صافي بردبها السابغ حوادث الأقدار ، ولا يتطرق صافي

---

(١) ابن الدبيثي : ذيل تاريخ بغداد جـ١/ص ٢٠٥ ، جـ٢/ص ٩ .
(٢) ن.م.س جـ ١ / ص ٢٠٥ .
(٣) الأصفهاني : الخريدة جـ١/ص ١٨٤ .
(٤) التذكرة الحمدونية : طبع منها المجلد الأول ، تحقيق احسان عباس ، الطبعة الأولى بمعهد الانماء العربي - بيروت - سنة ١٩٨٣م.
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٣٠٨ .
(٦) الصفدى : الوافي بالوفيات جـ ٢ / ص ٣٥٧ .
(٧) ياقوت : معجم الادباء جـ ٩ /ص ص ٧٠-١١٧، السيوطي : بغية الوعاة /ص٢٢٥.
(٨) ياقوت : معجم الادباء جـ ٩/ص ٧٠ .
(٩) ن.م.س جـ ٩ /ص ٧٠ .

وردها السائغ بحوادث الأكدار وحرس مواهبه لديه مالزم السكون أول المشددين ...... [١]

ومن كتاب العصر المشهورين أيضا أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير الجزرى (المتوفي عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) [٢] صاحب الانشاء ، وزر للملك الأفضل الملك الناصر صلاح الدين ، وقد استقل بالوزارة ، وردت اليه أمور الناس. وصار الاعتماد في جميع الأحوال عليه . وقد تنقل بعد أن عزل عن الوزارة في الشام والعراق واستقر به المقام في بغداد حتي وفاته [٣]. له من المصنفات كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر [٤]، وكتاب المعاني المخترعة في صناعة الانشاء ، وكتاب كنز البلاغة ، وديوان شعر الوشي المرقوم في حل المنظوم ، وديوان رسائل ، والمفتاح المنشأ في صناعة الانشاء .

وبرز في هذا العصر كثيرون من الكتاب والمنشئين غير هؤلاء كان لهم فضل كبير على الكتابة والانشاء [٥].

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٩ / ص ٧٧ ، وللمزيد من الاطلاع على رسائله أنظر: ياقوت : معجم الأدباء جـ ٩ / ص ٧٧.

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥ / ص ٣٨٩ ، ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص ١٣٦ ، الذهبي : سير النبلاء جـ١٣/ص ٢٣٧ ، تذكرة الحفاظ جـ٤/ص٢٠١ ، ابن العماد : الشذرات جـ٥ / ص ١٥٦.

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ / ص ٣٨٩.

(٤) منشور حققه أحمد الحوفي ، القاهرة : مكتبة نهضة مصر ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

(٥) أنظر عن بعضهم في : ياقوت : معجم الأدباء جـ١/ص ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، جـ٢/ص ٢٣١ جـ ٧ /ص ص ٢٣ - ٧٠ ، جـ١٦/ص ص ١٩٢ ، ٢٠٤ ، جـ ١٧/ص ٢٣٤ ، جـ٢٠/ص ١٦ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ٤/ص ص ٦٢٣ - ٨٧٢ ، القفطي : انباه الرواة جـ٢ /ص ١٣٣ ، الداوودى : طبقات المفسرين جـ١/ص ٢٥٥ ، الكتبي : عيون التواريخ جـ ١٢/ص ٣٩٧ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٤/ص ٧٤ ، ابن العماد : الشذرات جـ٤/ص ٢٣١ ، جـ٥/ص ١٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦/ص ٢٤٤ ، الأصفهاني : الخريدة جـ٣/ص ٣٤٣ ، السيوطي : بغية الوعاة/ص ٢٧٣ ، اليافعي : مرآة الجنان جـ٣/ص ٤٧٧.

المقامات :

ومن ألوان الكتابة الانشائية في هذا العصر المقامات . والراجح أن هذه الكلمة اسم مكان من (أقام) ، والمعنى أنها موضع للاقامة ، ثم النقل من هذا المعنى الى الكلام الذى يملأ به المجلس فتكون من اطلاق المحل على الحال ، وقد صارت المقامة تطلق ويراد بها تلك الجملة من القول المروية على لسان امرىء خيالي، يحكي قصة وقعت لانسان آخر أو اكثر تخيلهم الكاتب ، ويضع على ألسنتهم عبارات يتفصح فيها ما شاء ".[1]

وبناء على ما تقدم فان المقامات هي أحد ألوان النثر الفني ، يمتاز بما يكون فيه من الأناقة اللفظية والروعة البيانية ، والمفردات اللغوية ، والتأليف الذى يدل على احتفال الكاتب واهتمامه ، وكدّه وعنائه ، وقصده الى تخير اللفظ واحتشاد الخيال ، وطنين العبارات ، وسبك الأسلوب ، وصياغة الكلام.[2] ومن مستلزمات المقامة أن يضع فيها الكاتب غرائب اللغة ، وشواردها ، ويذكر فيها حظا وافرا من الكلمات ، فيكثر عدد الألفاظ ، ويبذل همته في تزيينها وتحسينها ، ويأتي بنوادر التركيب ، ويبالغ في الصناعة اللفظية والمعنوية ، ويزينها بما استطاع من الحكم والأمثال ، ويرى البعض أن " الكتابة القصصية أو المقامات كانت مظهرا من مظاهر تدارك الخطر المحدق بالكتابة ، والضعف الذى كان موشكا أن يأتي عليها ، أراد بها أصحابها أن يشتغل الناس من جديد بالأدب وأن يلتفتوا اليه التفاتا جادا ، وأن يسلكوا سبيله سلوكا صحيحا".[3]

---

(١) أبو الخشب : تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني /ص ٣٧٥، شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي جـ ٥ / ص ٤٧٢، المقامة ص ٦٦ . أنيس المقدسي: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي / ص ٣٦٠ .

(٢) أبو الخشب : تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني / ص ٣٩٠ .

(٣) ن.م.س / ص ٣٧٥ .

وكان أول من عمل المقامات أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى (المتوفي عام ٣٢١ هـ/ ٩٣٣م)[1]. ثم جاء بعده أبو الحسن أحمد بن فارس اللغوى (المتوفي عام ٣٩٠ هـ/ ٩٩٩م)[2] فعمل مقامات، ثم جاء بديع الزمان الهمذاني واضع المقامات (المتوفي عام ٣٩٨ هـ/ ١٠٠٧م)[3] فأملى بهمذان أربعمائة مقامة[4] لم يعثر منها الا على خمسين. ثم وضع بعد ذلك أبو القاسم ابن ناقيا البغدادى (المتوفي عام ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢م)[5] مقامات اشتهرت في أيامه. ثم وضع أبو محمد القاسم بن علي الحريرى (المتوفي عام ٥١٦ هـ/ ١١٢٢م) مقامات بلغت الخمسين مقامة. وقد عاصر الحريرى يحي بن سلام الحصفكي (المتوفي عام ٥٥١ هـ/ ١١٥٦م)[6] وعمل مقامات، كما كان من معاصرى الحريرى عبد الله بن محمد الخوارزمي الذى قال عنه الأصفهاني "كان من أضراب الحريرى ومعاصريه، وكما كان للحريرى المقامات فله الرحل، بنى كل رحلة منها على حادثة تمت ونادرة اتفقت له، أو لولده، وأودعها غرائب الاستعارات، وبديع الألفاظ وأبكار المعاني"[7]. ثم ظهرت المقامة

---

(١) كان ابن دريد من أئمة اللغة والأدب، وكان كما يقولون أشعر العلماء، وأعلم الشعراء، صنف مصنفات أشهرها الاشتقاق، المقصور والممدود، الجمهرة.. الخ. ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٤ / ص ٣٢٣، السبكي: طبقات الشافعية جـ ٢ / ص ١٤٥، ابن الأنبارى: نزهة الألباء /ص ٣٢٢، الخطيب: تاريخ بغداد جـ ٢ / ص ١٩٥.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ١ /ص ١١٨، ياقوت: معجم الأدباء جـ ٤ /ص ٨٠. القفطي: انباه الرواة جـ١ /ص ٩٢، الثعالبي: يتيمة الدهر جـ٣/ص ٤٠٢، ابن الانبارى: نزهة الالباء ص ٢١٩.

(٣) الثعالبى: يتيمة الدهر جـ٤ /ص ١٦٨، ياقوت: معجم الأدباء جـ ٢/ص ١٧٣. ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ١ / ص ١٢٧.

(٤) الثعالبى: يتيمة الدهر جـ ٤ / ص ١٦٨.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٣/ص ٦٨، ابن الجوزى: المنتظم جـ٩ /ص ٦٨، القرشي: الجواهر المضية جـ١ / ص ٢٨٣.

(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٦ /ص ٢٠٥، ابن الجوزى: المنتظم جـ ١٠ /ص ١٨٣، السبكي: طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ٣٢٢.

(٧) الأصفهاني: الخريدة جـ٤ /ص ٧٨٦، ولم يذكر سنة وفاته.

المسيحية ليحي بن سعيد النصراني الطبيب (المتوفي سنة ٥٨٩ هـ/ ١١٩٣م)[١] ، والمقامة الجوزية لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (المتوفي عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) .

على أن أعظم من عمل المقامات كان أبا محمد القاسم بن على الحريرى (المتوفي عام ٥١٦ هـ/ ١١٢٢م)[٢] من أهل بلد قريب من البصرة يسمي المشان[٣] ، سكن البصرة وقرأ الأدب بها على عدد من الأدباء. كان الحريرى غاية في الذكاء والفصاحة والبلاغة ، أقام في بغداد زمنا[٤] وعمل بصناعة الانشاء مع الكتاب في باب الخليفة ، كان أحد أئمة الأدب في هذا العصر[٥] ورزق الحظوة التامة في عمل المقامات[٦] التي اشتملت علي كثير من كلام العرب عن لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها ، تدل على غزارة علم الرجل واطلاعه ووفرة مادته . يقول ياقوت " ولقد وافق كتاب المقامات من السعد مالم يوافق مثله كتاب ، فانه جمع بين حقيقة الجودة والبلاغة، واتسعت له الألفاظ ، وانقادت اليه وفود البراعة حتى أخذ بأزمتها ، وملك ربقتها ، فاختار ألفاظها ، وأحسن نسقها ، حتى لو ادعي بها الاعجاز لما وجد من يدفع

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء جـ٧/ص ٢٩٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٥/ ص ٣٦٤ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٤٢٦ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ٢٤١ ، ابن الأثير: الكامل جـ ٨ / ص ٣٠٥ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٦/ص ٢٦١ ، القفطي : انباه الرواة جـ٣/ص ٢٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤/ص ٦٣ ، ابن العماد : الشذرات جـ٤/ص٥٠ ، اليافعي : مرآة الزمان جـ٣/ص ٢١٣ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٤/ص ٢٩٥ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨/ص ١٠٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ / ص ٢٢٥ ، الكتبى : عيون التواريخ جـ١٢/ص ص ١٣٢-١٣٩ ، الذهبى : تاريخ دول الاسلام (مخطوط) جـ١٢ وفيات سنة ٥١٦ هـ ، الأصفهاني الخريدة جـ٤ / ص ٥٩٩ .

(٣) المشان : بليدة فوق البصرة كثيرة النخل . ياقوت: معجم البلدان جـ٥/ص ١٣١ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٦٣ .

(٥) ن.م.س جـ ٤ / ص ٦٣ .

(٦) ن.م.س جـ ٤ / ص ٦٣ .

في صدره ، ولا يرد قوله ، ولا يأتي بما يقاربها فضلا عن أن يأتي بمثلها.[١] فلم يبلغ كتاب من كتب الأدب في هذا العصر ما بلغته المقامات الحريرية ، فانه لم تكد تظهر في بغداد النسخة الأولى منه وتعرف حتى باشر النساخون نسخها ، والعلماء قراءتها عليه من شتى الجهات ، فيذكر ياقوت أن الحريرى وقّع بخطه في شهور سنة ٥١٤ هـ/ ١١٢٠م على سبعمائة نسخة.[٢] كما أن العلماء وطلاب العلم في شتى أنحاء العالم الاسلامي أخذوا يتدارسونها في المدارس والمعاهد ، ويقرأونها في الأندية والمحافل ،بل ان شهرتها في حياته امتدت الى بلاد الأندلس ، فوفد فريق من علمائها على الحريرى الى بغداد ، وقرأوا عليه بمنزله هذه المقامات ثم عادوا الى بلادهم حيث تلقاها عنهم العلماء والأدباء، وتناولوها رواية وحفظا ، ومدارسة وشرحا.[٣]

ومما يدل على منزلتها الأدبية الفائقة اهتمام الأدباء بها قديما وحديثا بالشروح ، فقد أحصي ثانية وعشرون أديبا قاموا بشرح المقامات.[٤]

على أن شهرتها لم تنحصر في العالم العربي فقد ترجمت قديما الى السريانية والعبرية[٥] ، كما نقلت الى اللاتينية في القرن الثامن عشر ، وترجمت الى لغات أوروبية وغير أوروبية في العصر الحديث.[٦]

ويمكن القول بأن مقامات الحريرى تعد من أهم الأنماط الأدبية التى ظهرت

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء جـ٦ / ص ٢٧٠.
(٢) ن.م.س جـ ١٦/ ص ٢٦٧.
(٣) الشريشي : شرح مقامات الحريرى جـ١ / ص ٥ - ٦.
(٤) بروكلمان :تاريخ الأدب العربي جـ٥ /ص ص ١٤٧- ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠-١٥١.
(٥) ن.م.س جـ ٥ / ص ١٤٧ - ١٥٠.
(٦) ن.م.س جـ ٥ / ص ١٤٦ - ١٤٧.

في العصر العباسي بعد نتاج أبي العلاء ، وهذا يبرر قول الزمخشري :

أقسم بالله وآياتــــه ومشعر الحج وميقاتــــه
أن الحريري حري بــأن تكتب بالتبر مقاماتــــه [١]

ويرى أحد الباحثين المعاصرين أن المقامات " قد ظلت حتى عهد قريب تعد من أمتع كنوز الأدب والصناعة عند العرب ، . . . . . ومنذ أيام الهمذاني والحريري أصبحت المقامات أكمل مظاهر الانشاء الأدبي والروائع في اللغة العربية ". [٢]

لم يخرج الحريري في أسلوبه الانشائي عن أسلوب العصر الذى نشأ فيــه ، ولعله كان أكثر المنشئين ميلا الى التصنيع في رسائله ، واظهارا لطول باعــه وسعة معرفته ، ليخرج مقاماته على شكل عمل فني رائع منقطع النظير ، يحتوى على الكثير من متخير الألفاظ وفخامة الأسلوب . مع احكام السبك واشراقة الديباجة ، والبعد عن الركاكة والابتذال ، مما جعلها في مستوى قمة الآداب العربية فــي العصر . [٣]

صاغ الحريري مقاماته على هيئة مجالس متنوعة تختلف موضوعاتها باختــلاف البلاد التى تخيل أنه زارها ورحل اليها ، مابين فرغانة وغانة ، حيث أفرغ ذلك في قوالب طريفة في الأدب والنقد والوعظ والفكاهة ، يتخللها وصف للمجتمع وأحوال الناس. وكما يقول الحريري في صدر مقاماته : " أنشأت على ما أعانيه من قريحــة جامدة ، وفطنة خامدة ، خمسين مقامة تحتوى على جد القول وهزله، ورقيق اللفظ وجزله ، وغرر البيان ودرره ، وملح الأدب ونوادره ، الى ما وشحتها به من الآيات

---

(١) شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي /ص ٢٦٨ . وجدير بالذكر أن ابن الخشاب النحوى المعروف نقد مقامات الحريري يقول في مقدمة نقده (أما بعد : فهذه حروف وقعت في المقامات التى أنشأها أبومحمد القاسم بن علي الحريــري البصرى ، ينكرها العالمون بالعربية بما تنطق به مصنفاتهم وتتفق عليه مؤلفاتهم . الشريشي : ملحق شرح مقامات الحريرى /ص١ ، طبعة دار التراث . بيروت .

(٢) حتى : تاريخ العرب جـ ٢ / ص ٤٩١ .

(٣) الشريشي : شرح مقامات الحريرى / ص ٦ - ٧ .

ومحاسن الكتابات ، ووصعته فيها من الأمثال العربية ، واللطائف الأدبيـــة ، والأحاجي النحوية ، والفتاوى اللغوية ، والرسائل المبتكرة ، والخطب المحبرة ، والمواعظ المبكية ، والأضاحيك الملهية ".[1]

وللحريرى مصنفات أخرى غير كتابه " المقامات " : وهي ملحة الاعـراب ، ودرة الغواص في أوهام الخواص[2] ، وله ديوان رسائل ، وكتاب الفرق بين الضـاد والظاء[3] ، وله الرسالة السينية والرسالة الشينية.[4]

٢ ـ النثر الأدبي التأليفي :

" وهو أسلوب من نثر الكتابة ، يصور المعاني الذهنية ، متأثرة بعواطـف الكاتب ، ومن أهم خصائصه الفكرة الجيدة المتأثرة بالتجربة الذاتية ، والممتزجـة بالعاطفة ، وغايته نقل الحقائق في أسلوب جميل رائع قصد الافادة والتأثير معا ، وأظهر ميزاته الجمال ، ومنشأ جماله ما فيه من خيال بديع ، وتصوير دقيق ، وكلمات توحي وتؤثر ".[5] والكتابة كما هو معروف أداة المؤلف في التعبير عن آرائه وأفكاره ، وسلاحه في حشد معلوماته على صفحة الكتاب .

---

(١) الشريشي : شرح مقامات الحريرى ص ٦ - ٧.

(٢) الكتاب طبع عدة طبعات في بولاق سنة ١٢٩٢هـ، والقاهرة سنة ١٢٩٣هـ، ١٣٠٠هـ و ١٣٠٣هـ ، ١٣٤٥هـ ، ودهلي سنة ١٣١٢هـ ، كما نشره بنتو كذلك في باريس سنة ١٩٠٤م. بروكلمان : تاريخ الأدب العربي جـ ٥ /ص ١٥٢.

(٣) والكتاب مرتب أبجديا منه نسخة في برلين برقم ٧٦٧٤.

(٤) كتبها على لسان بعض الأفراد الى بعض أصدقائه عتابا ، والرسالة الشينية تتضمن مدح بعض أصدقائه نسخها في برلين برقم ٨٦١٠ ، ليدن ص ٤٢٤- ٤٢٥ . الشريشي : شرح مقامات الحريرى / ص ٦٠٤ - ٦٠٧ ، بروكلمان : تاريـــخ الأدب العربي جـ ٥ / ص ١٥٠ - ١٥١.

(٥) أشرف محمد موسي : الكتابة العربية الأدبية والعلمية / ص ١٠٤.

ولقد نمت الكتابة الأدبية المنهجية التأليفية في هذا العصر ، واكتملت أسباب نضجها ، وتميز الكثير من الكتب التأليفية في هذا العصر بأسلوب العصر الذى لم يكن يخلو من موجة التصنيع والسجع والبديع بأنواعه المختلفة ، فقد كثر أصحاب التصنيف في هذا العصر من لغويين ومؤرخين ورحالة ومتأدبين ، وكان أسلوب الكثيرمنهم في كتاباته قد خضع لأسلوب العصر .[1]

ومن رواد النثر التأليفي في هذا العصر عماد الدين الأصفهاني (المتوفي عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ م) الذى نهج في كتاباته التأليفية منهجا فنيا خالصا من التعقيد وكتب التاريخ الثقافي والسياسي والحربي لعصره . فرصّع وجانس ، وطابق وقابل ووازن . وقد ظفر العماد بتقدير علماء عصره في ذلك ، فلقد أثنوا عليه فقال عنه ابن الساعي " كان سمح القريحة ، جيد النظم كثير القول له الترسل المليح والكتابة البليغة "[2] ، ولقد قدم الأصفهاني ذلك العمل الأدبي الكبير المتمثل في كتابه خريدة القصر وجريدة العصر الذى يشتمل على تراجم الشعراء والأدباء الذين عاشوا بعد المائة الخامسة وحتى سنة ٥٧٢ هـ/ ١١٧٦م .[3] وهي السنة التى انتهى فيهما العماد من تأليف كتابه ، فغطي بذلك هذه الفترة الزمنية في مساحة واسعة من ديار الاسلام تشمل بلاد فارس والعراق والشام ومصر والمغرب .[4] وقد أفرد العماد قسما من مؤلفه لكل قطر من أقطار العالم الاسلامي التى اختص بالكتابة عنها ، فهناك قسم خاص بالعراق ، وآخر لبلاد العجم فارس وخراسان ، وثالث لبلاد الشام ، وقسم رابع لمصر وصقلية والمغرب والأندلس .[5]

---

(١) كمالة : الأدب العربي في الجاهلية والاسلام ص ١٦٤ -ص ١٦٥ . أبوالخشب : تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني / ص ٢٧٢ .

(٢) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٦١ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ /ص ١٤٧ - ١٥٣ .

(٤) ن.م.س جـ ٥ / ص ١٤٧ - ١٥٣ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٩/ص ١٩ ، حاجي خليفة : كشف الظنون جـ١/ص ٧٠١ .

(٥) الأصفهاني : خريدة القصر جـ ١ / ص ١٠١ .

أما سبب تأليفه للخريدة فيقول العماد : " لما رأيت الفضل في عصرنا هــذا ، وان ضاع عرفه قد ضاع عرفه ، كما انه ، وان زان ضعفه ، فقد زاد ضعفه ، لفساد أمره وكساد سعره ، وهبوط نجمه ، وسقوط رسمه ، وحط حظه وقلة عناية أهلـه بحفظه ، آثرت أن آثر من مآثر أهل العصر ما يخلد آثارهم ، ويجدد منارهــم ، فانني الفيت أبكار أفكارهم قد عنست والبواعث قلت بل عدمت ، والحوادث جلـت بل عظمت ، وكنت منذ شمت بارقة الأدب ، وركبت في استفادة العلم صهوة الطلب ...... وأنا أحب أن أجمع محاسن من محاسنهم الدهر السيء ......"[1] وقد ظلت هذه الموسوعة الأدبية منتدى للأدباء ، ومرجعا للعلماء ، وطبقات تراجـم أهل الأدب والشعر يعتمدون عليها اعتمادا كبيرا في مؤلفاتهم وأبحاثهم[2]. عـلى أن الخريدة لم تكن العمل الأدبي الفني الوحيد لعماد الدين الأصفهاني ، بـل كانت له مؤلفات عديدة قيمة أخذت شكل الموسوعات[3].

أما أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المشهور بالراغب الأصفهانـي (المتوفي عام ٥٠٢ هـ/ ١١٠٩م)[4] فقد كان من أدباء العصر المشهورين ، وكـان واسع الاطلاع ، حسن التصنيف ، تمتاز كتبه بالجمع الواسع ، وحسن الاختيـار ، والذوق الرفيع ، ودقة الملاحظة وحضور البديهة والنكتة[5]. وأشهر كتب الراغـب

---

(١) الأصفهاني : الخريدة جـ ١ / ص ٣ - ٨ .
(٢) كان كتابه هذا مصدرا رئيسيا لمعلومات المتأخرين من كتاب الطبقات والتواريخ مثل ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء ، أو ارشاد الأريب ، وابن خلكان : في وفيات الأعيان ، والكتبي في فوات الوفيات ، والصفدي في الوافي بالوفيات ، والسبكي في طبقات الشافعية ، وابن الفوطي في مجمع الآداب ، وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ، وابو شامه في الروضتين ، والعماد الحنبلي في الشذرات ، وجلال الدين السيوطي : في حسن المحاضرة . الأصفهاني : الخريدة جـ١/ص ص ٩٣ - ٩٤ .
(٣) سبق ذكرها .
(٤) سبقت ترجمته ومصادره .
(٥) البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام ص ١١٢ ، حاجي خليفة : كشف الظنون جـ ١/ ص ٣٦ .

وأهمها وهو ما يعنينا في هذا البحث كتاب محاضرات الأدباء[1] ، الذى ضمنه الكثير من الآيات والأحاديث والأقوال والأشعار والقصص والفكاهات في مختلف وجوه الحياة جدها وهزلها ورفيعها ووضيعها في العلم والسياسة والعدل والظلم والصناعات والعطاء والاستعطاء ، والضيافة والشراب ، والغزل والشجاعة والمجون . وهو يتعرض لأخلاق الناس ، والديانات والمذاهب ومظاهر الطبيعة ، والملائكة والجن ، كل ذلك كتبه بأسلوب أدبي مشرق يبين لنا من خلاله جوانب الحياة والبيئة التى عاش فيها الراغب الأصفهاني ، حيث يقول في مقدمة كتابه " وبعد فان سيدنا عمر الله مكانه بمرابع الكرم،ومجامع النعم، أحب أن أختار له ما صنّفت من نكت الأخبار ومن عيون الأشعار ، ومن غيرهما من الكتب فصولا في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء يجعله صيقل الفهم ومادة العلم ، ففعلت ذلك ايجابا له ، اذ قد جعل مراعاة الأدب شعاره ودثاره . . . ، وقد ضمنت ذلك طرفا من الأبيات الرائعة ، والأخبار الشائقة ، وأوردت فيه ما اذا قيس بمعناه فانه ظرف ملئ ظرفا ، ووعاء حشي جدا وسخفا من شاء وجد منه ناسكا يعظه ويبكيه ، ومن شاء صادف منه فاتكا يضحكه ويلهيه "[2].

ومن أدباء العصر أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد السراج ، (المتوفي عام ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م)[3] الذى طاف البلاد طلبا للعلم ، وكان محببا

---

(١) منشور . بيروت ، دار مكتبة الحياة عام ١٩٦١م.
(٢) الراغب الأصفهاني : محاضرات الأدباء / ص ٢.
(٣) أنظره في ياقوت : معجم الأدباء جـ ٧ / ص ١٥٣ ، الأصفهاني : الخريدة جـ ٣ / ص ٢٨٣ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ١٠٠ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ١٥١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ / ص ٣٥٧ ، ابن العماد : الشذرات جـ ٣ / ص ٤١١.

للعلم والأدب ، عارفا بالقراءة والحديث والفقه واللغة والنحو والعروض[1] ، وله تصانيف عدة منها حكم الصبيان ، مناقب السودان ، كتاب المبتدأ ، كتاب الخرقي وغيرها من الكتب.[2] على أنه اشتهر بكتابه مصارع العشاق[3] ، وهو مجموعة روايات وحكايات وأشعار تتعلق بالعشاق مأخوذة من الأدب الجاهلي والأدب الاسلامي ويستهدف المؤلف في كتابه هذا العبرة والطرفة . وهو من أهم كتب الأدب التي ظهرت في عصره ، فقد تسابق أهل الأدب وطلابه على قراءته وأخذه بالرواية والسماع. وقد مر بنا كيف أن شهدة بنت الابرى العالمة المشهورة كانت تحفظ كتابه هذا[4] ، كما فعل ذلك كثيرون غيرها . وكان السراج قد قسم كتابه مصارع العشاق الى أجزاء ، وكتب على كل جزء أبياتا من الشعر ، فقد كتب على الجزء الأول :

هذا كتاب مصارع العشاق   صرعتهم أيدى نوى وفراق

تصنيف من لدغ الفراق فؤاده   وتطلب الراقي فعز الراقي[5]

أما أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزه الحسيني البغدادى المعروف بابن الشجرى (المتوفي عام ٥٤٢ هـ/ ١١٤٨م)[6] فيعد من أدباء العصر المعدودين . وكان نحويا صرفيا عالما بأحوال العرب وأيامها ، وصفه ياقوت بقوله : " أوحد زمانه ، وفرد أوانه في علم العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها[7] وقد أقرأ النحو في بغداد سبعين سنة ، وولي نقابة

---

(١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ / ص ١٠٠ .

(٢) ن.م.ص جـ ١ /ص ١٠٠ ، الأصفهاني : خريدة القصر جـ ٣ / ص ١٨٣ .

(٣) منشور : بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، دار صادر للطباعة والنشر - عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ١٥١ .

(٥) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٧ / ص ١٥٣ .

(٦) سبق الحديث عنه

(٧) ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٩ ص ص ٢٨٢ - ٢٨٤ .

الطالبيين بالكرخ[(١)] وهو بعد ذلك شاعر أديب فصيح حلو الكلام حسن البيان ، امام من أئمة أهل الأدب ، وكان امتدادا للدوحة الأدبية من أصحاب الأمالي كأبي علي القالي[(٢)] والشريف المرتضي[(٣)] ، وهو من أشهر كتاب الحماسات بعد البحتري وأبي تمام . وله كتب كثيرة في الأدب منها كتاب الحماسة[(٤)] ، وكتاب الانتصار[(٥)] الذى رد فيه على ابن الخشاب الذى كان قد انتقد كتاب الأمالي وهو كتاب مفيد على صغر حجمه[(٦)] . وله كتاب شرح اللمع لابن جني ، وشرح التصريف الملوكي . على أن شهرته كانت فيما بلغه من مرتبة كبيرة لدى أهل الأدب في كتابه الأمالي[(٧)] الذى يعد من أنفس كتبه ، فهو من الكتب الممتعة أملاه في أربعة وثمانين مجلسا ، ونهج فيه نهج الشريف الرضي في أماليه ، وطرق موضوعات القرآن والحديث والأخبار والشعر والنثر وأخبار الشعراء والخطباء وطرزه بكثير من الحكم والطرف والملح[(٨)] . ويتضح للمتتبع لأماليه أنه كان يجلس لكي يملي ما عنده من مادة في موضوع بذاته[(٩)]

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦ / ص ٤٧ .

(٢) أبو علي اسماعيل بن القاسم بن عيذون القالي اللغوى (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م) ، كتاب الأمالي ، وكتاب البارع ، وكتاب المقصور والممدود ، وكتاب في الابل ونتاجها ، وكتاب مقاتل الفرسان وغيرها . الحميدى : جذوة المقتبس/ص١٥٤ . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ / ص ٢٢٦ ، القفطي : انباه الرواة جـ١/ص٢٠٤ ، ياقوت : معجم الادباء جـ ٧ / ص ٢٥ .

(٣) أبوالقاسم علي بن الطاهر بن الحسين بن موسي (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م) كان نقيب الطالبيين وكان اماما في الكلام والأدب والشعر ، أهم كتبه كتاب نهج البلاغة ، وكتاب الغرر والدرر ، وهي مجالس إملاء في فنون الأدب واللغة . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣/ص ٣١٣ ، القفطي : انباه الرواة جـ٢/ص٢٤٩ .

(٤) مطبوع في حيدر آباد ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٥هـ .

(٥) الكتاب مطبوع في حيدر آباد سنة ١٣٤٩ هـ - جزءان .

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦ / ص ٤٥ .

(٧) نشر مرتين . بيروت ، دار المعرفة .
وحيدر آباد - الدكن - مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٩هـ .

(٨) الشكعة : مناهج التأليف عند العلماء العرب(قسم الأدب) ص ص ٣٨٩-٣٩٨ .

(٩) ن.م.س / ص ص ٣٨٩ - ٣٩٨ .

ولكنه مع ذلك لا يتقيد بالحديث في موضوعه ، بل يتصرف في مجلسه ويستطرد وينّوع ، فيجمع في مجلس النحو مثلا طرائف وأخبارا ، وفي حديث الشعر قضايا نحوية ونكتا لغوية وأسمارا ، وهو يتناول موضوعاته برشاقة وعمق في نفس الوقت ، فكان فيهما فياض العلم وافر المعرفة كثير المحفوظ واسع الاطلاع .(1) ومن الأحداث الطريفة التي حصلت له بسبب أماليه في احدى المناسبات ما ذكره ابن خلكان بقولـه : "ولما فرغ من املائه حضر اليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن الخشاب ، والتمس منه سماعه عليه فلم يجبه الى ذلك ، فعاداه ورد عليه في مواضع من الكتاب ونسبه فيها الى الخطأ . فوقف أبو السعادات على ذلك الرد ، فرد عليه في رده وبين وجوه غلطه ".(2) وأما كتابه الثاني فهو الحماسة . وكتابه هذا امتداد لسلسلة كتب الحماسة التي بدأ أبو تمام بتصنيفها ، ثم حذا حذوه تلميذه البحترى ، ومن الطبيعي أن يتأثر ابن الشجرى بمنهج كل من سابقيه ، ثم يزيد على منهجهما ما أملته طبيعة سيرة الزمن وتطور فن الشعر.(3) ويعد كتابه هذا واحدا من أنفس كتب الحماسة في الأدب العربي وأثمنها قيمة ، وأرفعها قدرا . وقد قرظه ابن خلكان بقوله : " وكتاب الحماسة ، ضاهي به حماسة أبي تمام الطائي ، وهو كتاب غريب مليح أحسن فيه ".(4)

ولا يفوتنا هنا ذكر العلاّمة أبي الوفاء علي بن عقيل (المتوفي عام ٥١٣ هـ / ١١١٩م)(5) الذى نبغ في كثير من الفنون ، وبرز في الأدب وعلوم الدين ، قال

---

(1) الشكعة : مناهج التأليف عند العلماء العرب ص ص ٣٨٩ - ٣٩٨ .
(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦ / ص ٤٥ .
(3) الشكعة : مناهج التأليف عند العلماء العرب ص ص ٣٨٩ - ٣٩٨ .
(4) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦ / ص ٤٥ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٩ / ص ٢٨٢ .
(5) سبقت ترجمته.

الأصفهاني : " علّقت من مناظراته التي جرت بينه وبين الكيا الهراسي[1] فوائد كثيرة ، ونكتا غريبة ، ووجدت كلاما جزلا وأسلوبا بديعا رائقا "[2] ، وقد صنف أبو الوفاء كتبا كثيرة أهمها وأعظمها قدرا كتابه المرسوم بـ (الفنون) الذى أجمع المؤرخون المعاصرون على ضخامته ، قال ابن رجب : " وأكبر تصانيفه كتاب الفنون ، كتاب كبير جدا فيه فوائد كثيرة جدا في الوعظ ، والتفسير ، والفقه ، والأصلين ، والنحو واللغة ، والشعر،والتاريخ ، والحكايات ، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت ، وخواطره ، ونتاج فكره ، قال ابن الجوزى : " وهذا الكتاب مائتا مجلدة ، وقع لي منه نحو مائة وخمسين مجلدة ، وقال الحافظ الذهبي : " لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب ".[3] أما حاجي خليفة فقد ذكر أنه " جمع فيه أزيد من أربعمائة فن ".[4]

ثانيا : الشعر :

يكاد الدارسون يجمعون على أن الشعر العربي دخل منذ القرن الرابع في مرحلة الجمود والركود ، اذ قلما وجد ابتكار أو تجديد يمكن أن يشار اليه ، اللهم

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبرى الفقيه الشافعي تولى تدريس نظامية بغداد واستقر بها الي أن توفي سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م. ابن الجوزى : المنتظم جـ٩ / ص١٦٧ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨ / ص٣٧ ، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٣ / ص٢٨٦ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٤/ص٢٨١ .

(٢) الأصفهاني : الخريدة جـ٣/ص٣٩ .

(٣) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ١/ص١٤٢ .

(٤) حاجي خليفة : كشف الظنون جـ٢/ص١٤٤٧ . ومن المحزن أن تذهب هذه الثروة العلمية والعقلية الجليلة بددا بين سمع الأمة وبصرها ، حيث لا يعرف اليوم من هذا الكتاب غير مجلد واحد في مكتبة أحمد تيمور باشا الملحقة بدار الكتب المصرية ، ومجلد آخر بدار الكتب الوطنية بباريس . الأصفهاني : الخريدة جـ٣ / ص٣٩ (الحاشية) .

الا ما عرف بـ (الدوبيت)[1] أو الرباعية التى تعتبر التطور الوحيد الذى ظهر في الشعر خلال العصر السلجوقي ، فقد شاع ذلك وذاع في هذه الفترة ، بعد أن أخذه شعراء العراق عن الفرس ، ثم انتشر من العراق الى الأقطار الأخرى من العالم الاسلامي[2].

على أن الدوبيت لم يكن سمة للشعراء الكبار في العراق في هذا العصر كابن التعاويذى ، والأبله ، وابن المعلم ، والحيص بيص ، بل أولع به الأغنياء المترفون على سبيل الهواية وقضاء أوقات الفراغ ، ومن هؤلاء وزير المسترشد بالله الحسن بن علي بن صدقة (المتوفي عام ٥٢٢ هـ/ ١١٢٨م)[3] ، وأبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (المتوفي عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) وغيرهما[4].

ومع أن هذه الفترة تمثل مرحلة التأثر الحضارى والامتزاج الثقافي المتبادل مع الأخذ بنظر الاعتبار للدوافع التى عصفت بالمجتمع ، وأثرت بالتالي على الشعراء وأحاسيسهم ونتاجهم ، فان الحياة الأدبية في العراق قد أفرزت خلال فترة الدراسة العديد من الشعراء لا يمكن رفعهم الى درجة فحول الشعراء كما لا يمكن اعتبارهم عيالا على الشعر[5]. ولعل من الأسباب التى أدت الى هذا الموقع

---

(١) الدوبيت : لفظ مركب من كلمتين أولاهما دو ، فارسية بمعني اثنين ، وثانيهما عربية تعني الوحدة الشعرية ، ويسميه العرب بذلك لأن وزنه شطر البيت فيه أربعة تفاعيل مختلفة ، واذا شطر كان البيت فيه أيضا رباعي الأجزاء ، وهو ضرب من الشعر استحدثه العرب المولدون على وزن الشعر الفارسي المسمي دوبيت على وزن فعلن متفاعلن فعولن فعلن ، وقد يتساوى عروضه وضربه في الوزن وروى القافية . الموسوعة الاسلامية الميسرة / ص ٨٠٩ .

(٢) الشيبي : ديوان الدوبيت في الشعر العربي / ص ٣٠ .

(٣) الحسن بن علي بن صدقة أبو علي عميد الدولة جلال الدين استوزره المسترشد بالله وظل في وزارته الى أن توفي . ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠/ص ٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ / ص ٢٣٢ .

(٤) الشيبي : ديوان الدوبيت / ص ١٨٩ .

(٥) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي جـ ٥ / ص ٣٢٢ .

الوسط بين الجودة والتردى ضخامة الانتاج[1] ذلك أن الشاعر الذى يعالج الشعر بكثرة ، غالبا ما يهبط انتاجه من ناحية الجودة ، ثم ان التكسب بالشعر واحساس الشاعر بالعوز والفاقة أحيانا قد تكون من جملة أسباب التدهور والتردى .[2] فاذا أضفنا الى ذلك الصراعات المذهبية التي شغلت أذهان الناس، اضافة الى عدم تذوق القائمين على الأمر للشعر ، وبالتالي احتضانهم لعدد محدود من الأدباء تطمينا للأغراض الخاصة ، فان ذلك في مجموعه قد أسهم في وصول الشعر الي السوية التي هو عليها .

ومجال البحث هنا لا يسمح بتقصي الشعر وأغراضه ، والشعراء وأصنافهم وطبقاتهم ، حيث برز عدد عظيم من الشعراء في العراق في هذا العصر ، نلمس في شعرهم صدى للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، بل وحتي العقائدية ، وهذه ملاحظة هامة يجدر بنا الحديث عنها .

فالشاعر مرجي بن بتاه البطائحي كان من أبرز الشعراء وأعيان الفضلاء الذين يتسم أدبهم وشعرهم بشيء من واقع الحياة آنذاك ،[3] كما أن التيار أو الاتجاه

---

(١) لقد كان الانتاج في هذا العصر غزيرا من حيث الكمية بشكل لم يسبق له مثيل ولا أدل على ذلك مما حفظته لنا كتب تراجم الشعراء في هذا العصر كيتيمة الدهر للثعالبي ، ودمية القصر للباخرزى ، وزينة الدهر للحظيرى ، وخريدة القصر للأصفهاني .

(٢) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي جـ ٥ / ص ٣٣٦ - ٣٣٩ .

(٣) الأصفهاني : الخريدة جـ٤/ص ٥٣٢ ، ذكر الأصفهاني في خريدته الكثير من أشعاره من ص ٥٣٤ - ص ٥٤٦ ومن قول هذا الشاعر يرثي حال عصره :

يادولة الترك لا رجعت	ولا طلت يادولة العرب
كلاكما واحد وخيركما	شر زمان للناس منقلب
خليفة الله فيك محتجب	فكيف يرجي خلاص محتجب
واستنقذ المسلمين انهم	قد أشرفوا بعدكم على العطب

أنظر :

الأصفهاني : الخريدة جـ٤/ ص ٥٣٢ . ولم يذكر سنة وفاته .

العقيدى في شعر العصر السلجوقي ، تيار كبير واسع يمثل مساحة واسعة من الحياة الأدبية على اختلاف فنونها ، ذلك أن الخلافة العباسية كانت قد اكتسبت شرعيتها واحترام الناس لها وحرصهم على طاعتها من الدين وتعاليم الاسلام. ولذلك فقد حرص الخلفاء على الالتزام بأحكام الشريعة وحماية العقيدة والدفاع عن بيضة الاسلام وحراسة الدين ، أو على الأقل الظهور بهذا المظهر أمام الرأى العام ليرد عنهم كيد الأعداء ويحميهم من سهام النقد ، ولهذا فان شعراء الاستجداء ، وخصوصا شعراء البلاط العباسي قد حرصوا على أن يصوّروا الخلفاء رغم الدور المحدود الذى كانوا يلعبونه في الحياة السياسية خلال هذه الفترة بصورة براقة تنسجم مع هذا الخط ، فالأبيوردى محمد بن أبي العباس (المتوفي عام ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م)[١] ، يضمن ديوانه[٢] احدى عشرة قصيدة يصور فيها الخليفة المقتدى (المتوفي عام ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) حاكما عادلا يحمي رعيته ، وبطلا شجاعا يذود عن الاسلام ، ويخيف الأعداء وهي صورة تختلف كثيرا عن الواقع التاريخي الذى يشير الى أنه لم يكن للمقتدى من الأمر الا الاسم ، وأن حكمه لا يتعدى بابه ولا يتجاوز جنابه . وكان الشعراء يصورونه في صورة الآمر وهو مأمور وفي حليه المستولي علي الأمر وهو مغلوب[٣] . فمن شعره في مدح الخليفة المقتدى يقول :

---

(١) أبو المظفر محمد بن أحمد بن محمد الأبيوردى ، أقام ببغداد زمنا طويلا ، وكان من شعراء بلاط الخلافة ، وله اليد الباسطة في الانشاء والبلاغه . له عدد من المصنفات منها تاريخ أبيورد ونسا ، كتاب المختلف والمؤتلف ، كتاب الطبقات ابن الجوزى : المنتظم جـ٩ /ص ص ١٧٦ - ١٧٧ . ياقوت : معجم الأدباء جـ ٦ / ص ٣٤١ ، ٣٥٨ ، القفطي : انباه الرواة جـ ٣/ص ٤٩ - ٥٢ ، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٤٤٤ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٤/ص ٦٢ .

(٢) طبع ديوان الأبيوردى بالمطبعة العثمانية في لبنان سنة ١٣١٧ هـ ، والمطبعة الأنسية ببيروت سنة ١٣٢٧ هـ .

(٣) ابن دحية : النبراس / ص ١٤٤ .

حمى بيضة الاسلام فاستحكمت به	عراة وقد شدت اليه بأمـــراس
يلوذ الرعايا آمنين بظلـــــــه	لياذ عتاق الطير بالجبل الراسي
تسير الملوك الصيد تحت لوائـــه	ويسرى الى أعدائه قبله الرعـــب [(1)]

وها هو ذا الأبيوردى يمدح الخيفة المستظهر ، ويرى أنه خير بني العبـــاس كلهم ، وأنه أخذ من كل خليفة أفضل ما لديه ، وأنه حامي ديار الاسلام ، وأن خيله تحمل رايات الاسلام تقاتل الأعداء [(2)] ، في حين لم يكن في مقدور الخليفة فـــي الواقع أن ينجد المستنجدين به الذين جاءوا من الشام الى بغداد سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م [(3)] يستغيثون به من الافرنج الصليبيين الذين هجموا عليهم بعد أن ملـــك الافرنج بيت المقدس ، وقتلوا سبعين ألف مسلم صبرا ، بينهم جماعة من أئمـــة المسلمين [(4)] . ومما هو جدير بالملاحظة أن الأبيوردى نفسه كان عارفا بعجز الخليفة.

وقد شارك عدد من شعراء العراق في شعر الحروب الصليبية ، وهو شعـــر أساسه الدين ، لأن الحرب كلها كانت حربا عقائدية خالصة . ويحدثنا التاريخ بـأن الصليبيين حين دخلوا بيت المقدس ، وأعملوا السيف في المسلمين ، هاج المسلمون في مختلف البلدان ، واتجه جماعة من بلاد الشام فيهم القضاة والعلماء الى بغداد ليستنجدوا الخليفة العباسي ، وحضروا في الديوان الخليفي ، وقطعوا شعورهـــم ،

---

(١) الأبيوردى : ديوانه / ص ٢٠ .
(٢) ن . م . س / ص ٣٣٢ .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ٩ / ص ١٠٩ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ١٨٩ .
(٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ / ص ١٨٩ .

واستغاثوا وبكوا[١] كل ذلك والخليفة العباسي لم يحرك ساكنا[٢] .

وحين وحد المسلمون صفوفهم ، واستردوا بلاد الشام ، وكللت مساعيهم باسترجاع بيت المقدس[٣] عبر الشعراء بالعراق عن مدى فرحتهم بهذه الانتصارات ، بل انهم عبروا عن مشاعر الأمة وارادتها ، ولذلك نظموا الكثير من القصائد في تخليد ذلك العمل البطولي المجيد ، منها قول الشاعر نجم الدين محمود بن الحسن بن نبهان من الحلة المزيدية[٤] :

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، حوادث سنة ٤٩٢ هـ .

(٢) وقد قال الأبيوردي شعرا في عدم اكتراث حكام المسلمين ازاء هذه الحرب واعتماد المسلمين عندئذ على البكاء والنحيب :

مزجنا دماء بالدموع السواجم	ولم يبق منا عرضه للمراحم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه	اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فايها بني الاسلام ان وراءكم	وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
وكيف تنام العين ملء جفونها	على هفوات أيقظت كل نائم
واخوانكم بالشام أضحى مقيلهم	ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم	تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
أرى أمتي لا يشرعون الى العدى	رماحهم والدين واهي الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى	ولا يحسبون العار ضربة لازم
أترضي صناديد الأعاريب بالأذى	ويغضي على ذل كماة الأعاجم

ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٣) ن.م.ص جـ ٩ / ص ١٨٢ ، أبو شامة : الروضتين جـ ٢ / ص ١١٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ / ص ٢١٤ .

(٤) أبو شامة : الروضتين جـ ٢ / ص ١٢ ، ولم أعثر لهذا الشاعر على ترجمة في المصادر المتوفرة .

هنيئا صلاح الدين بالفتح والنصر ونيل الأماني الغر والفتكة البكر
وما حزت فيها من فخار ومن علا وحسن ثني يبقي الي آخر الدهر
سموت لها بالمشرفية والقنا سمو أبيّ لا ينام على وتر (١)

ولقد كان للمعارك الدامية وحالة الصراع المستمرة التي عاشها المجتمع الاسلامي وللاحساس بعدم وجود سلطة مركزية قوية وفعالة وقادرة على حماية الأمة وتوفير الأمن والاستقرار ، كما كان للكوارث الطبيعية كالفياضانات المدمرة والأمطار والزلازل أثر لا يستهان به في تردى حياة الناس الاقتصادية والنفسية ، فكثرت الشكوى وساد القلق والخوف ، وضعف الشعور بالأمن ، وعرفت الفوضي طريقها الي حياة الناس ، حتى نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وتوهموا ألاّ منقذ لهم مما هم فيه الا التشكي الي الرسول صلي الله عليه وسلم . وهكذا نظم الشعراء المدائح النبوية في النصف الثاني من القرن السادس الهجرى ، فأبو نزار الحسن بن أبي الحسن الشاعر البغدادى (المتوفي عام ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢م) نظم قصيدة في مدح الرسول عليه السلام .(٢)

---

(١) أبو شامة : الروضتين جـ ٢ / ص ١٢ .
(٢) قال في هذه القصيدة :

يا قاصدا يثرب الفيحاء مرتجيا أن يستجير بعليا خاتم الرسل
خذ عن أخيك مقالا انصدعت به مدحت في آخر الأعصار والأول
قل يا من الفخر موقوف عليه ، فان تذكر الفخر لم يصدف ولم يحل
أتتك غر قوافي المدح خاضعة لديك فاقبل ثناء غير منتحل

ياقوت : معجم الأدباء جـ ٨ / ص ص ١٢٢ - ١٢٥ ، وله غير هذه القصيدة قصائد أخرى في مدح الرسول صلي الله عليه وسلم .

ويطالعنا هذا العصر بعدد كبير من الشعراء كان لكل منهم مركزه ودوره في الحياة الأدبية في المجتمع ، كان منهم شعراء رسميون وشعبيون ومحافظون ومجددون وشعراء علماء ومتصوفة ، ولعل من المناسب أن نشير في هذه العجالة الى نماذج منهم ومن أشعارهم .

كان الأمير أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد التميمي الملقب بحيص بيص (المتوفي عام ٥٧٤ هـ / ١١٧٩م)[1] واحدا من الشعراء المحافظين العديدين الذين تفاوتت حظوظهم من الجودة ، واختلفت ثقافاتهم ومكانتهم الاجتماعية ، والشعر المحافظ بالعراق في العصر السلجوقي يعد من أبرز الاتجاهات الشعرية التي شاعت في العراق خلال هذه الفترة ، بل هو أكبرها على الاطلاق اذا أخذنا بالاعتبار الكمية الشعرية التي وصلتنا عن طريق الخريدة وبعض دواوين شعراء العصر. والحيص بيص يعد شخصية أدبية نموذجية لشعراء عصره من حيث محافظته وتعلقه بالقديم ، فهو واحد من فقهاء الشافعية المتكلمين في الخلاف[2] وكان بعد ذلك عالما بالنحو واللغة خبيرا بأشعار العرب[3] غلب عليه المدح والفخر[4]. ولم يكن الحيص بيص شاعرا متكسبا مثل غيره من الشعراء ، بل انه كان يخاطب الملوك والوزراء

---

(١) حيص بيص تعلم ورحل في طلب العلم وانكب على العلوم ، كان عالما له معرفة حسنة باللغة وأشعار العرب ، بل كان لغويا متضلعا باللغة من أعلم الناس بأخبار العرب ولغاتهم وأشعارهم ، وذكر بعضهم أنه كان صدرا في كل علم ، ولكن الأدب والشعر هما اللذان غلبا عليه . الأصفهاني : الخريدة جـ ١ / ص ٢٥٠ الى ص ٣٥٠ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠/ص ٢٨٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ / ص ٣٦٢ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ١١ / ص ١٩٩ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ٢٢١ ، الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ ٢ / ص ٨٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦/ص ٦٣ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ /ص ٣٦٢ ، الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ ٢/ص ٨٢ .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء جـ ١١/ص ١٩٩ .

(٤) الأصفهاني : الخريدة جـ ١/ ص ٢٠٥ - ٣٥٠ .

في عصره مخاطبة الند للند ، ويرسل نفسه على سجيتها مفتخرا بنفسه وبقومه ، حتى اذا شعر أنه أخذ حصة الأسد من القصيدة التفت الى الممدوح . وله رسائل[1] وديوان شعر[2] .

ومن شعراء العصر أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن التعاويذى (المتوفي عام ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧م)[3] الذى كان شاعر العراق في عصره ، عمل في أوائل أمره كاتبا في ديوان الاقطاع[4] . وقد جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ، ورقة المعاني ودقتها ، وكان في غاية الحسن والحلاوة[5] . أما قصائده في النسيب والمدح فانها في غاية الحسن[6] ، وقد زاد من شهرته اتصاله ببعض المقربين من رجال الدولة ، فقد ذكر البعض أنه " كان يصحب حاجب الباب "[7] . ويقول

---

(١) له رسائل ذكرها الأصفهاني : الخريدة من ص ٣٥١/ ص ٣٦٦ .

(٢) ديوانه مطبوع في جزءين ، سلسلة كتب التراث ، بتحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادى شكر ، من مطبوعات وزارة الاعلام العراقية سنة ١٩٧٤م .

(٣) ويعرف أيضا بسبط التعاويذى ، أديب شاعر ، من مؤلفاته : الحجبة والحجاب وله ديوان شعر في مجلدين بتحقيق د . س مارگليوث ، مطبعة المقتطف ، القاهرة سنة ١٩٠٣م . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤/ص ٤٦٦ ، أبي الفدا : المختصر جـ ٣ / ص ٨٠ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٨/ص ٢٣٥ ، نكت الهميان /ص ٢٥٩ ز ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦ / ص ١٠٥ - ١٠٦ ، أبو شامة : الروضتين جـ ٢ / ص ١٢٣ ، الصفدى : الوافي بالوفيات جـ ٤ / ص ١١ - ١٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/ص ٣٢٩ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ١٤٣ ، اليافعي : مرآة الجنان جـ٣/ص ٣٠٤ - ٣٠٦ . وأنظر السامرائي : الفهرست الجديد جـ ١ / ص ٨ .

(٤) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٨/ص ١٣٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤/ص ٤٦٦ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٤٦٦ .

(٦) ن . م . ص جـ ٤ / ص ٤٦٦ .

(٧) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٣٧٩ .

ابن التعاويذى في مقدمة ديوانه : " انه أفرد مدائحه في بني المظفر بن رئيس الرؤساء لكثرتها ، ولأنه نشأ فيهم واتصل بهم وصحبهم ، وبنو المظفر هؤلاء منهم الوزير محمد بن رئيس الرؤساء الذى استوزر سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠م وكان أستاذ الدار في أيام الخليفة المستنجد بالله "[(١)]، ويمثل شعر ابن التعاويذى الروح الأدبية لهذا العصر وخاصة في قصائد المدح التى كان يستدر بها الأموال والعطايا . ومثله في ذلك مثل معظم شعراء العصر حيث كان يحشو قصائده بكل مالدين من أساليب لغوية ، وألفاظ وعبارات . قال عنه ابن خلكان :" وفيما أعتقده لم يكن قبله بمائتى سنة من يضاهيه "[(٢)].

وعاصر سبط التعاويذى شاعران اتفقا معه في أسلوب التجديد والتأثر بأسلوب العصر الأدبي ، أحدهما أبو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله الأبله البغدادى (المتوفي عام ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣م)[(٣)] الذى تفرد بخبرته وطول باعه في موسيقى الألفاظ ،[(٤)] فراح يحشد قصائده بالقدر المستطاع من الكلمات والألفاظ ويلجأ الى

---

(١) سبط التعاويذى : ديوانه / ص ١٣ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٤٦٦ ، وذكر ابن خلكان من قصائده في مدح الخليفة الناصر لدين الله يسأله فيها أن يحدد له راتبا مدة حياته منها :

خليفة الله أنت بالدين والدنـ	يا وأمر الاسلام مضطلع
أنت لما سنه الأئمة أعـ	لام الهدى مقتف ومتبع
قد عدم العدم في زمانك والـ	جور معا والخلاف والبدع
فالناس في الشرع والسياسة	والاحسان والعدل كلهم شرع
ياملكا يردع الحوادث	والأيام عن ظلمها فترتدع

..... الخ

ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٤٦٧ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤/ص ٤٦٣ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨/ ص ٣٧٩ ، ابن العماد : الشذرات جـ ٤/ص ٢٦٦ ، الصفدى : الوافي بالوفيات جـ ٢ / ص ٢٤٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦ /ص ٩٥ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٤٦٣ .

جميع ما يعرفه الشعر العربي من مؤثرات لفظية وصوتية ، وصفه ابن خلكان بأنه كان " رقيق أسلوب الشعر حلو الصناعة رائق البراعة عذب اللفظ ، أرق من النسيم السحري ... ، والمغنون يغنون برائقات أبياته عن أصوات القدماء "[1] وكان أحد الشعراء المتأخرين المجيدين جمع في شعره بين الصناعة والرقة ، وأجاد كل الاجادة في الغزل والمديح[2] .

أما ثانيهما فهو أبو الغنائم محمد بن علي بن فارس ابن المعلم الواسطي (المتوفي عام ٥٩٢ هـ/ ١١٩٦م)[3] الذى اشتهر وذاع صيته في الغزل والمدح وفنون المقاصد ، قال عنه الذهبي " هو أحد من سار شعره ، وانتشر ذكره ، ونبه بالشعر قدره ، وحسن باب حاله وأمره ، أكثر القول في الغزل والمديح وفنون المقاصد "[4] وقال عنه سبط ابن الجوزى " مدح الرؤساء والأمراء والأعيان "[5] ، وقال ابن خلكان عن شعره : " ان شعر ابن المعلم لا يسمعه من عنده أدني هوى الا افتتن وهاج

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٤٦٣ .

(٢) ن . م . ص جـ ٤/ ص ٤٦٥ ، يذكر ابن خلكان نماذج من أشعاره كلها في الغزل وواحدة منها في المديح قصيدة من خير ماقاله الشاعر في مدح الوزير يحي بن هبيرة مطلعها :

ولع النسيم وبانه الجرعا	وصفاك الا الحلى والودعا
بادمية ضاقت خلاخلها	عنها وضقت بحبها ذرعا
قد كنت ذا دمع وذا جلد	فبقيت لا جلدا ولا دمعا

... الخ .

ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦/ص ٢٢٧ .

(٣) ابن المعلم الواسطي . شاعر رقيق الشعر لطيف حاشية الطبع ، يكاد شعره يذوب من رقته . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/ص ٥ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨ / ص ٤٥١ ، أبو شامة : ذيل الروضتين/ص ٩ ، الصفدى : الوافي بالوفيات جـ٤/ص ١٦٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٤ /ص ٣١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٦ /ص ١٠٢ .

(٤) الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ ١ / ص ٩٩ .

(٥) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٤٥١ .

غرامه "[1]. ولقد فضله صاحب الخريدة ، وهو الأديب الكاتب الشاعر المشهور ، علي مهيار الديلمي[2] وابن هاني الأندلسي[3]. وقال عنه الصفدي : " انتهت اليه رياسة الشعر في زمانه "[4] وقال ابن كثير عن شعره " ولطف مكانه عند أكثر الناس ، ومالوا اليه وتحفظوه وتداولوه بينهم واستشهد به الوعاظ واستملاه السامعون "[5].

وكان للصوفية في هذا العصر أدب خاص يختلف في خصائصه عن خصائص غيره ، ولعل أبرز خصائصه السمو الروحي ، والمعاني النفسية العميقة والخضوع التام للقدر ، وربما يتضمن في الأعم الأغلب منه الغموض والمعاني الرمزية[6].
ولقد برز في العراق خلال هذه الفترة عدد من الشعراء المعروفين كان لهم قصائد في الزهد والتصوف ، بالاضافة الى المتصوفة أنفسهم الذين كان لهم شعر له

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/ص ٥ - ٩ .
(٢) أبوالحسن مهيار بن مرزويه الديلمي (ت ٤٢٨هـ/١٠٣٦م) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٨ / ص ٩٤ . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/ص ٣٥٩ ، الخطيب : تاريخ بغداد جـ ١٣/ص ٢٧٦ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٩ / ص ١٥٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٥/ص ٢٦ - ٢٧ . ابن العماد : الشذرات جـ٣/ص ٢٤٢-٢٤٣ .
(٣) محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأزدى الأندلسي (ت ٣٦٢هـ/٩٧٣م). الأصفهاني : الخريدة جـ١/ص ٢٤٨-٢٨١ ، الضبي : بغية الملتمس ص١٣٠ - ١٣١ ، ابن الآبار : تكملة الصلة ص ٣٠١ ، الذهبي : سير النبلاء جـ١٠ / ص ١٧٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤/ص ٤٢١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٤/ص ٦٧ - ٦٨ ، ابن العماد : الشذرات جـ٣/ص ٤١ -٤٤ ، المقرى : نفح الطيب جـ٢ / ص ٣٦٤ - ٣٧٢ ، اليافعي : مرآة الجنان جـ ٢ / ص ٣٧٥ - ٣٧٩ .
(٤) الصفدى : الوافي بالوفيات جـ ٤ / ص ٦٥ .
(٥) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣/ ص ١٢ .
(٦) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ٤ / ص ١٧٠ .

أغراضه ومعانيه ، وكان من شعرائهم الشيخ أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الرفاعي (المتوفي عام ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢م)(١) فمن قوله في التصوف :

اذا جن ليلي هام قلبي بذكركم ... أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقي سحاب يمطر الهم والأسي ... وتحتي بحار بالأسي تتدفق(٢)

ومنهم شهاب الدين السهروردى (المتوفي عام ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤م)(٣) من قريضه في الزهد قوله :

لا تسقني وحدى فما عودتني ... أني أشيح بها على جلاسي
أنت الكريم ولا يليق تكرما ... أن يعبر الندماء دور الكاس(٤)

قال ابن خلكان : " فتواجد الناس لذلك ، وقطعت شعور كثيرة وتاب جمع كبير "(٥). ومن غزله الصوفي أيضا :

تصرمت وحشة الليالي ... وأقبلت دولة الوصال
وصار بالوصل لي حسودا ... من كان في هجركم رثي لي(٦)

---

(١) ترجمة ابن الرفاعي في السبكي : طبقات الشافعية جـ٤/ص ٤٠، سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٣٧٠ ، ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩/ص ١١٢ ، والعماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ /ص ٢٥٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ /ص ١٧١.
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ / ص ١٧١.
(٣) أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردى الصوفي . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣/ص ٤٤٦ ، أبو شامة : ذيل الروضتين/ص ١٦٣ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥ / ص ١٤٣ ، ابن الفوطي : الحوادث الجامعة / ص ٧٤ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨/ص ٦٧٩ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٥/ص ١٥٣.
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣/ص ٤٤٦.
(٥) ن.م.س جـ ٣ / ص ٤٤٦.
(٦) ن.م.س جـ ٣ / ص ٤٤٧.

وكان هناك شعراء من العلماء لهم صلات وروابط بالمتصوفة توزعت قصائدهم في بطون المصادر المختلفة ، منهم محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن الشبل الشاعر (المتوفي عام ٤٧٣ هـ/ ١٠٨٠م) [١] الحكيم الفيلسوف القائل :

خرجنا من قضاء الله خوفا   فكان فرارنا منه اليه [٢]

ومن شعراء الصوفية أيضا سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاجي (أبوالحسين) (المتوفي عام ٥٦٤ هـ/ ١١٦٩م) [٣] الذى كان واعظا يخالط الصوفية ويحضر معهم السماعات فمن قوله :

لي لذة في ذلتي وخضوعي   وأحب بين يديك سفك دموعي
وتضرعي في رأى عينك راحة   لي من جوى قد كن بين ضلوعي
ما الذل للمحبوب في شرع الهوى   عار ولا جور الهوى ببديع
هبني أسأت فأين عفوك سيدى   ثمن رجاك لقلبه الموجوع [٤]

وهناك الصوفي قوام الدين أبو الفرج هبة الله بن أحمد الاعرابي البغدادى (المتوفي عام ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠م) [٥] القائل :

من كان منفردا في ذا الزمان فقد   نجا من الذل والأحزان والقلق
تزوجنا كركوب البحر ثم اذا   صرنا الى ولد صرنا الى الفرق [٦]

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ٩ /ص ٣٢٨ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣٢٣ ، ياقوت : معجم الادباء جـ١ /ص ٢٣ ، ابن الأثير : الكامل جـ١ /ص ٤٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ /ص ٥٢١ .
(٢) ابن الأثير : الكامل جـ١ /ص ٤٤ .
(٣) الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ٤ /ص ٧٧ ، الكتبي : فوات الوفيات جـ١ /ص ٣٤١ .
(٤) الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ٤ /ص ٧٧ ، الصفدى : الوافي بالوفيات جـ١٣ /ص ١٤٩ .
(٥) ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ٤ / ص ٨٦٥ .
(٦) ن٠م٠ص جـ٤ / ص ٨٦٥ .

والامام أبو حامد الغزالي (المتوفي عام ٥٠٥هـ/ ١١١١م) قال في الأحياء :
" أما الشعر فكلام حسنه حسن ، وقبيحه قبيح ، الا أن التجرد له مذموم"(١) ومن مشاركاته ذات الطابع الصوفي قوله :

سقمي في الحب عافيتي	ووجودي في الهوى عدمي
وعذاب يرتضون به	في فمي أحلى من النغم
ما لضر في محبتكم	عندنا والله من ألم (٢)

وابن السراج جعفر بن أحمد بن الحسين المقرئ المحدث الأديب (المتوفي عام ٥٠٠ هـ/١١٠٦م) صاحب كتاب مصارع العشاق في أخبار العباد والنساك ، وله أشعار كثيرة تفيض بالوجد ، فمن شعره الذى يفيض بالوجد قوله :

بان الخليط دمعي	وجدا عليهم تستهل
وحدا بهم حادى الفرا	ق عن المنازل فاستقلوا
قل للذين ترحلوا	عن ناظرى والقلب خلوا
ما ضرهم لو أنهلوا	من ماء وصلهم وعلوا (٣)

وخير ما يمكن أن يوضح الشعر الصوفي قصيدة المرتضي الشهرزورى (المتوفي عام ٥١١ هـ/ ١١١٧م)(٤) وهي علي طريقة الصوفية :

---

(١) الغزالي : احياء علوم الدين جـ ٣ / ص ١٢١.
(٢) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ١٥.
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ / ص ٣٥٧.
(٤) هو أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر الشهرزورى ، اشتغل بالحديث والفقه وتولي القضاء والوعظ بالموصل ، وكان صالحا تقيا متعبدا . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣/ص ٤٩ ، الأصفهاني : الخريدة (قسم الشام) جـ٢/ص ٣٠٨ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٤/ص ١٢٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٥ / ص ٢٣١ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ١٢٤.

لمعت نارهم وقد عسعس الليـ ... ـل وملّ الحادي وحار الدليل
فتأملتها وقلت لصحبي ... هذه النار نار ليلى فميلوا
وهي تعلو ونحن ندنو الى أن ... حجزت دونها طلول محول
فدنونا من الطلول فحالت ... زفرات من دونها وغليل
قلت : من بالديار ؟ قالوا جريح ... وأسير مكبل وقتيل [(١)]

ولقد برز في هذا العصر عدد من العلماء الشعراء، وهؤلاء كانوا يمثلون الطبقة المثقفة في العصر السلجوقي ، كان منهم الطبيب ، والنحوى اللغوى ، وعالم الفلك والهيئة والنجوم والرياضيات ، وعالم الكيمياء .

وتقدم لنا كتب التراجم والطبقات معلومات وافرة عن الانتاج الشعرى وأسماء المؤلفات والدواوين لهؤلاء العلماء ، ويبدو أن شعر هؤلاء قد تفرق وضاع وتشتت في مرحلة مبكرة جدا ، ولعل السبب في ذلك يعود الى أن شعر هؤلاء العلماء كان يمثل شعر المثقفين الواقعي ، والذى يختلف في وصف الواقع لحياة ذلك العصر عن شعر شعراء الاستجداء والكدب ، وخاصة شعراء المديح للخلفاء أو الأمراء، فمثلا هبة الله بن الفضل بن القطان (المتوفي عام ٥٥٨ هـ/ ١١٠٤م) [(٢)] لم يسلم من لسانه أحد من الكبراء حتى الخليفة ، ولذلك قال عنه الأصفهاني : " له شعر كثير لم يدون " [(٣)]. ولقد انهالت المدائح على الخليفة المسترشد بالله بعد معركته الخاسرة مع السلطان مسعود . وتضمنت احدى قصائد هبة الله بن الفضل سخرية مريرة من عدد كبير من المسئولين ، وهي قصيدته الرائية المشهورة التي يقول فيها :

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ٤٩ .
(٢) هبة الله بن الفضل البغدادى درس الحديث ثم اتجه الى الطب فأتقنه حتى عد من أطباء بغداد ، غلب عليه الشعر وكان خبيث اللسان هجاء . حتى لم يسلم منه الأعيان وكبار رجال الدولة. ابن الجوزى : المنتظم جـ ١/ص ٢٠٧ ، الأصفهاني : الخريدة جـ٢/ص ٢٧٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦/ص ٥٣ ، الكتبي : فوات الوفيات جـ٢ / ص ٦١٧ ، اليافعي : مرآة الجنان جـ٣/ص ٣١٥ ، سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان جـ ٨ /ص ١٨٧ .
(٣) الأصفهاني : خريدة القصر جـ ٢ / ص ٢٧٠ .

تكريت تعجزنا ونحن بجهلنـــا نضي لنأخذ ترمذا من سنجـر (١)

ومن برز من الشعراء العلماء في هذا العصر أمين الدولة هبة الله بن التلميذ (المتوفي عام ٥٦٠ هـ/ ١١٦٤م) (٢) الذى كان بارعا في الطب والموسيقي والعربيـة ، حكيما أديبا شاعرا ، من ذلك قوله :

اذا وجد الشيخ في نفســـه نشاطا ، فذلك موت خفـي
ألست ترى أن ضوء الســراج له لهب قبل أن ينطفـي (٣)

وكان هبة الله بن الحسين الاسطرلابي (المتوفي عام ٥٣٤ هـ/ ١١٣٩م) (٤) متقنا لعلم النجوم والفلك ، بارعا في علم الاسطرلاب وصناعته ، أديبا فيلسوفا ، لـه الشعر المليح ، يستخدم فيه الألفاظ والمصطلحات العلمية الفلكية ، منها قوله :

تقسم قلبي في محبة معشــر بكل فتي منهم ، هواى منوط
كأن فؤادى مركز وهم لـــه محيط وأهوائي اليه خطـوط (٥)

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦ / ص ٦٠.
(٢) هبة الله بن صاعد بن هبة الله البغدادى ، طبيب حكيم شاعر خلف من الآثار شرح مسائل حنين بن اسحاق ، الرسالة الأمينية في الفصد ، ديوان شعر ، ديوان رسائل . عنه أنظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦ /ص ٦٩ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء/ص ٣٤٩ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ١٩/ص ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، الذهبي : سير النبلاء جـ١٢/ص ٢٢٧ ، أبو الفدا : المختصر جـ ٣ / ص ٤٥ ، ابن العماد : الشذرات جـ ٤ / ص ١٩٠ ، البغدادى : هدية العارفين جـ ٢ / ص ٥٠٥.
(٣) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٧ / ص ٢٤٦.
(٤) وكان الاسطرلابي أديبا فاضلا قال الشعر الرائق الكثير ، وقد جمع ديوانه بنفسه ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦/ص ٥٠ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ١٩/ص ٢٧٣ ، اليافعي : مرآة الجنان جـ٣/ص ٢٦١ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ / ص ١٨٤ ، القفطي : أخبار العلماء ص ٢٢٢ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣٧٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ /ص ٢٧٥ ، الصفدى : الوافي بالوفيات جـ ٩ / ص ١٨٤.
(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣٧٨.

ومن فلاسفة العلماء الشعراء ابن الشبل أبو علي حسين بن عبد الله البغدادى (المتوفي عام ٤٧٣ هـ/ ١٠٨٠م)[1] الذى كان حكيما فيلسوفا متكلما ، وكانت قضايا الوجود تشغل فكره ، فنظم قصيدته المشهورة :

بربك أيها الفلك المدار	أقصد ذا المسير أم اضطرار
مدارك قل لنا في أى شيء	ففي أفهامنا منك انبهار
وفيك نرى الفضاء وهل فضاء	سوى هذا الفضاء به تدار

....الخ.[2]

ولا ننسى العالم الكيميائى أبا اسماعيل الحسين بن على الطغرائي (المتوفي عام ٥١٣ هـ/ ١١١٩م) الكاتب الشهير ، الذى كان أديبا فيلسوفا بليغا شاعرا مجيدا ، شعره يغلب عليه أسلوب شعراء العرب الأوائل ، سهل عذب وله ديوان شعر جيد[3] ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم ، وقد سبقت الاشارة الى أنه حل بمخطب عظيم وهو بمدينة السلام ، حيث عزل من منصبه وعلاه من دونه ، وضاقت عليه بغداد فنظم لاميته المشهورة :

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل	وحلية الفضل زانتنى لدى العطل
مجدى أخيرا ومجدى أولا شرع	والشمس رأد الضحي كالشمس في الطفل
فيم الاقامة بالزوراء لا سكنى	بها ولا ناقتى فيها ولا جملي
ناء عن الأهل صفر الكف منفرد	كالسيف عرى متناه عن الخلل
فلا صديق اليه مشتكي حزني	ولا أنيس اليه منتهى جذلى[4]

---

(١) سبقت ترجمته ومصادره .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/ص ٥٢١ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٣٣٣.

(٣) توجد مخطوطات ديوانه في أكثر مكتبات العالم، منها مخطوط دار الكتب بالقاهرة رقم ٧٩٤٧، ومخطوط لندن رقم ٧٥٥٨، كما طبع ديوانه في القسطنطينية سنة ١٣٠٠هـ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ / ص ١٨٥.

الفصل الثالث

الدراسات الإنسانية

أولا : التاريخ ٤٢١ - نظرة الى التاريخ وأحواله في هذا العصر ٤٢١ - ميادين الدراسات التاريخية في هذا العصر ٤٢٦ - التراجم ٤٢٦ - طبقات الفقهاء ٤٣٠ - تراجم اللغويين والنحاة والأدباء ٤٣١ - التاريخ المحلي ٤٣٣ - التاريخ العام ٤٣٤ - مشاهير المؤرخين في هذا العصر ٤٣٨ - كتب الادارة والسياسة في هذا العصر ٤٤٤ .

ثانيا : الجغرافيا والرحلات الجغرافية ٤٤٧ - أهمية دراسة الجغرافيا لدى علماء المسلمين ٤٤٧ - رواد الدراسات الجغرافية في هذا العصر ٤٤٨ - الرحلات الجغرافية ٤٤٩ .

ثالثا : الدراسات التربوية ومن أسهم فيها من علماء العصر ٤٥٦ - الغزالي ٤٥٦ - الخطيب البغدادي ٤٦٢ - أبو الحسن الماوردي ٤٦٢ - أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ٤٦٤ .

رابعا : علم الكلام وموقفه في هذا العصر ٤٦٦ .

خامسا : دراسة الفلسفة وعلم المنطق ٤٧٢ - موقف الامام الغزالي منها ٤٧٢ - علماء الفلسفة في هذا العصر وأنشطتهم ٤٧٥ .

الفصل الثالث

العلوم الانسانية

كان للعراق في هذا العصر دور بارز في جملة فروع الدراسات الانسانية المختلفة وخاصة في نطاق الدراسات التاريخية ، حيث أنجب العراق في هذا العصر عددا كبيرا من علماء التاريخ البارزين ممن تناولوا فروع الدراسات التاريخية المختلفة بالدراسة والتأليف . كما أنجب علماء جغرافيين وفلكيين كانت لهم دراسات وتآليف في ميادين الجغرافيا المتعددة والبلدانيات ،أضفت الى الدراسات الجغرافية الاسلامية معلومات جديدة ، واضافات جادة. ولا ننسى ما كان لعلماء هذا العصر التربويين من فضل كبير في الدراسات التربوية والنفسية ، ونشير في هذا المجال الى ما قام به كل من الامام حجة الاسلام أبي حامد الغزالي ، والعلامة عبد الرحمن بن الجوزى ، والامام الماوردى .

أما في اطار دراسة الفلسفة وعلم الكلام فقد كان لهذه الدراسات شأن آخر في هذا العصر ، فلقد أصابهما الكساد ، ولاسيما بعد شيوع مؤلفات حجة الاسلام الغزالي ، وموقفه من علم الكلام والدراسات الفلسفية . وفي الصفحات التالية محاولة جادة لاستقصاء متابعة التطورات الايجابية التى قدمتها الدراسات الانسانية في العراق خلال العصر السلجوقي .

أولا : التاريخ :

لا مراء في أن الفكر التاريخي كانت له أهميته الخاصة في العالم الاسلامي . ذلك أن علم التاريخ الذى لعب دورا محدودا في اطار حضارات عصور ما قبل الاسلام قد حظى بمكانة بارزة فى الحضارة الاسلامية ، كما لعب دورا رئيسيا فى تكوين الثقافة

الدينية التى هي من مرتكزات الحياة العقيدية للمجتمع الاسلامي ، فضلا عن دوره في الحياة الاجتماعية وفنون الأدب ، وفي النشاطات السياسية والادارية للدولة الاسلامية . وليس أدل على المكانة الكبيرة التى يحتلها علم التاريخ فى الثقافة الاسلامية من ظهور تلك المصنفات والموسوعات التى تعد بالمئات ، والتى بلغت مرحلة النضج والعطاء في نهاية القرن الثاني وطوال القرن الثالث الهجريين ، ثم كانت مرحلة الاستثمار في القرون التالية لها ، والتى تعتبر وحتى العصر الحديث قمة ما وصلت اليه جهود العلماء المسلمين في هذا الاطار. وهكذا كان التاريخ جزءا أساسيا من ثقافة المجتمع في القرون الاسلامية الأولى ، ظل يتبوأ نفس المكانة فيما يلي ذلك من عصور .

ومن الجدير بالملاحظة أن الفكر التاريخي الاسلامي يختلف اختلافا بينا من ناحيتى الهدف والمنهج عما كان معروفا عن ذلك فى عصور ما قبل الاسلام ، ولعل أبرز ذلك الاختلاف يمكن في تأثير العقيدة الاسلامية فى التركيز على الهدف أو الغاية من وجود الانسان من ناحية ، والأغراض التى استهدفتها النظرة التاريخية الاسلامية من ناحية أخرى .

هذا اضافة الى الاختلاف الجذرى في الناحية المنهجية التى التزمت بأساليب المحدثين ، وكتاب السيرة النبوية ، في كتابة أحداث السيرة النبوية ، أو تاريخ الخلافة أو الفتوحات الاسلامية أو تطور الأوضاع في المجتمع الاسلامي .

قال ابن خلدون عن مؤرخي الاسلام : " فيجلبون الأخبار عن الدول وحكايات الوقائع في العصور الأول ، صورا قد تجردت عن موادها ، وصفاحا انتضيت من أغمادها ، ومعارف تستنكر للجهل بطارفها وتلادها ، وانما هي حوادث لم تعلم أصولها ، وأنواع لم تعتبر أجناسها ولا تحققت فصولها ، يكررون فى موضوعاتها الأخبار المتداولة بأعيانها ، اتباعا لمن عني من المتقدمين بشأنها ، ويغفلون أمر

الأجيال الناشئة في ديوانها ....".[1]

ان البحث عن الحقيقة يبقى الهدف الأول لدى أفضل المؤرخين ، غير أن النقد والتحليل والبحث عن الحقيقة ظلت جزئية بشكل ليس بالقليل في التاريخ الاسلامي ، لأسباب مختلفة ، منها ما يتعلق بالتاريخ كمنهج وغرض ، ومنها ما يتعلق بالأوضاع السياسية ، فلاشك أن التاريخ هو من أكثر العلوم ارتباطا بالسياسة ، فكثيرا ما كان التاريخ يضم الى وسائل الدعوة .

وفي الفترات المتأخرة ظهر بعض المؤرخين ممن تقربوا من الخلفاء والأمراء والسلاطين والوزراء ، بانتقاء الأخبار التي تنسجم مع اتجاهاتهم وأهوائهم دون تحقيق أو تمحيص . ويشير ابن خلدون الى هؤلاء بقوله : انهم " اذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا أخبارها نسقا ، محافظين على نقلها وهما أو صدقا ، ولا يتعرضون لبدايتها ، ولا يذكرون السبب الذى رفع من رايتها ...... ثم جاء آخرون بافراط الاختصار ، وذهبوا الى الاكتفاء بأسماء الملوك " الى أن يقول : " لأن الأخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الانساني ...... فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق ، وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ، ولم يعرضوها على أصولها ولا سبروها بمعيار الحكمة ".[2]

ان الغرض من دراسة التاريخ هو معرفة الوقائع البشرية ، والأحداث التاريخية والظروف التي حدثت فيها ، وأسبابها على وجه الحقيقة ، والفكر التاريخي لكي يتطور يتطلب اتباع منهج النقد والتحليل ، غير أن الكتابة التاريخية لا تخلو عادة

---

(١) ابن خلدون : <u>المقدمة</u> / ص ٥ .
(٢) <u>ن.م.ص</u> / ص ٥ - ٩ .

من الغرض أو الوقوع تحت المؤثرات ، دينية كانت أو شخصية أو سياسية ، غير أن ذلك يجرى بدرجات متفاوتة ، تخضع لمدى وضوح الهدف ، وقوة ووضوح شخصية الباحث ، وقدرته على الالتزام بموقف الحياد .

ومن الملاحظ أن المنهج المتبع في دراسة التاريخ في العراق في هذا العصر هو استمرار ذلك المنهج التقليدى المتبع قبله في العصور السابقة ، الا أن التجديد قد يجد مجالا في بعض الأحيان ، وينعكس مثل هذا مثلا فيما ذكره ابن الدبيثي في ترجمته ليحي بن محمد بن محمد بن جعفر العلوى (المتوفي عام ٦١٣/١٢١٦م) حيث يقول عنه " وأفضى الى تلميذه بأسرار من التاريخ الاسلامي عجيبة ، تقوم على التعليل والتحليل والاستنتاج ، وهي مذكورة في شرح نهج البلاغة ".[1]

فالعراق في هذا العصر تميز بالتوسع في المعاجم والتراجم التاريخية، والاهتمام بالوقائع التاريخية والتاريخ السياسي للدول ، كما جرى الاهتمام بالتاريخ المحلي ، وذلك نتيجة لكثرة المعارف وتفرعها ، وتنوع الفنون ، ووفرة الكتب ، واتصال العلماء بعضهم ببعض ، وتوفر ثقافة علمية واسعة .

وقد تميزت هذه المعاجم التاريخية بجمع التفاصيل المنثورة في تضاعيف الكتب ، وتنسيقها وترتيبها . وربما كان بعض مؤرخي الفترة محدودى النظر بالاطار السياسي الذى يعيش فيه ، ولذلك يندر أن يتمكن أحدهم من تناول أحداث الأقاليم القاصية ، نتيجة لما حدث من فقدان الوحدة السياسية ، الأمر الذى أثر بدوره على الحياة الفكرية .

ثم ان التاريخ السياسي أصبح في الغالب مهمة الموظفين والمقربين من السلطة وقد أثر ذلك بدوره على الكتابة التاريخية في هذا العصر في المنهج والموضوع على حد سواء .

---

(١) الذهبي : المختصر المحتاج اليه جـ٣ / ص ٢٤٩ .

وكانت المصادر التى يستقون منها أخبارهم هي الوثائق الرسمية التى تتهيأ لهم بسبب العلاقات الشخصية ، أو سماع ما يدور بين الموظفين وكبار المسئولين والعاملين والجلساء من حديث.[1] كما أن المؤلفات التاريخية في هذه الفترة لم تكن تخلو من التعصب ، سواء كان ذلك التعصب مذهبيا أو قبليا ، أو حتى اتخاذ موقف محدد من الخلفاء .

كما يلاحظ في الكثير من المصادر التاريخية لهذا العصر أنها أهملت الناحية الوصفية لحضارة الشعوب وانجازاتها ، غير أن هذه العيوب تكاد لا تذكر اذا ما استعرضنا ما تركه مؤرخو الفترة من تراث تاريخي ضخم ، على الرغم من الظروف المحيطة بهم ، ذلك أنهم لم يدخروا وسعا في سبيل تسجيل أحداث التاريخ ، وضبط مواقيت حدوثها ، واعطاء معلومات وصفية واسعة النطاق عن دقائقها ، ولا سيما فى هذا العصر الذى آتت الحضارة فيه أكلها ضعفين .

لقد عكف المؤرخون ، وما كان أكثرهم في هذا العصر ، على دراسة أحداث التاريخ الاسلامي المختلفة ، وأخذوا في تدوينها وترتيبها اما على صيغة حوادث مختلفة ، أو كتب جامعة متخصصة ، وأظهروا مهارة فائقة في تقسيم بحوثهم الواسعة الى أقسام متعددة .

كما اتسعت الدراسات التاريخية ، فصار موضوع التاريخ فى هذا العصر شاملا للحياة السياسية والعقلية والعقائد والأخلاق والأدب وسائر العلوم . ويمكن أن يتبين ذلك من خلال النظرة الى تنوع الدراسات التاريخية فى هذا العصر

---

(١) نلاحظ أن العماد الأصفهاني الكاتب المؤرخ (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) في كتابه " البرق الشامي " قد ألفه على صورة مذكرات مرتبة حسب السنين ، صنفه في الغالب من وثائق ورسائل ومنشورات. كما يلاحظ ذلك في كتاب التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل لابن الأثير ، وكذلك كتاب ذيل تجارب الأمم لوزير الخليفة المستظهر أبي شجاع محمد بن الحسين (ت ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م) .

والتى احتوتها كتب التراجم ، التى تعتبر من أهم أنواع الكتابة التاريخية فى هـــــذه المرحلة[(١)] ، فقد عنى بها المؤرخون المسلمون فيهذا العصر عناية فائقة ، فما ان يظهر أحد من المتخصصين فى أى فرع من فروع العلم والمعرفة الا وتناولته كتــــب التراجم بالكتابة عن تفصيلات حياته ودراسته وتخصصه واسهاماته العلمية وشيوخــــه وتلامذته .

ويرجع الفضل في نشأة هذا النوع من الكتابة التاريخية أصلا الى الرواد الأوائل في علم الحديث في فترة صدر الاسلام ، حيث بدأوا بتصنيف الكتب في الرجـــــال وعدالتهم ، ومعاصريهم ، ومن أخذ عنهم ، ومن لقيهم . والذى أدى فى آخـــــر المطاف الى ظهور ما يعرف بعلم الرجال أو الطبقات ، وقد عم ذلك فيما بعـد ، فشمل الأدباء واللغويين والمؤرخين والجغرافيين والأطباء ، وسائر المتخصصين فـــي فروع المعرفة الأخرى . فقد أسهمت تراجمهم هذه في اثراء المادة العلمية لكتابـة التاريخ الاسلامي منذ عهد الرسول صلي الله عليه وسلم والصحابة ، ثم التابعـــين وتابعيهم ، ثم الطبقات التالية واحدة تلو الأخرى[(٢)] .

ويعتبر الحافظ أبو بكر أحمد بن على المعروف بالخطيب (المتوفي عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)[(٣)] من أبرز العلماء في هذا العصر ، اذ كان اهتمامه منصبا على الحديــث وتراجم العلماء ، وخاصة رجال الحديث ، طوال حياته . ومع ان كتابه تاريخ بغداد قد شمل التاريخ العلمي والثقافي لمدينة بغداد فانه يعد واحدا من أشهر كتـــب

---

(١) يقول المستشرق مارتن بلسنر : " أنشأ المسلمون علما خاصا بالتراجم وأسمـــــاء المؤلفات التي وضعها علماؤهم في مختلف العلوم . وهو تقليد يتمنى المرء لـــو أن غيرهم من الأمم وأصحاب الثقافات الأخرى اتبعوه " . أنظر :
بلسنر : تراث الاسلام - قسم ٣ / طبعة الكويت / ص ١٤١ .
(٢) كحالة : التاريخ والجغرافية في العصور الاسلامية / ص ٦٥ .
(٣) سبقت ترجمته .

التراجم لرجال الحديث . فقد أصبح هذا الكتاب مثالا يحتذى في التأليف ، لا في الكتب التى أرخت لبغداد فحسب ، بل سار على نهجه المؤلفون فى كتاباتهم تواريخ كثيرة ، صنفت في القرون اللاحقة . على أن الخطيب البغدادى يعتبر في الوقت نفسه رائدا للمدرسة التى تنهج الترجمة لأعيان مدينة بعينها ، بل يمكن عده في هذا المقام رأس أساتذة هذه المدرسة جميعا . فتاريخ بغداد هو مجموعة تراجم للعلماء الذين عاشوا في بغداد وما حولها منذ تأسيسها الى زمانه ، ولمن زارها وعرف بالرواية فيها في خلال تلك الزيارة ، فهو تاريخ محلي لمدينة بغداد ، وهذا ما أكد عليه المؤرخ في مقدمته للكتاب ، وتتضمن هذه المقدمة أحسن وصف جغرافي وطبوغرافي[1] لمدينة السلام .

وهكذا فان هذا الكتاب أصبح المادة الأساسية التى اعتمدها من جاء بعده من المؤرخين لتاريخ المدينة ودراسة طبوغرافيتها ، أضف الى ذلك أن هناك الكثير من المعلومات المهمة التى قد يذكرها المؤلف في ثنايا تراجمه الكثيرة عن جوانب متعددة من تاريخ المدينة ، مثل مواقع المساجد والقصور ، ومنازل العلماء وأماكن اجتماعاتهم وغير ذلك[2] .

ولما كان كتاب تاريخ بغداد كتابا اختص بتراجم رجال الحديث ، فقد اهتم به علماء الحديث بعده ، وألفوا كتبا على منواله ، وجعلوها ذيولا عليه ، منهم

---

(١) الطبوغرافيا : هي الوصف التفصيلي للمكان ، بما في ذلك تضاريسه ، وأى ظاهرات دائما نسبية ، سواء أكانت طبيعية أم من صنع الانسان . أنظر :
يوسف توني : معجم المصطلحات الجغرافية / ص ٣٢٠ .

(٢) منير الدين : تاريخ التعليم عند المسلمين ص ١٧ عن :
- Salmon, Geogres: Histoire de Baghdad.
- Le strange, G.: Baghdad during the Abbasid caliphate P.381.

أبو البركات هبة الله بن المبارك بن موسى بن علي السقطي الرّحال (المتوفي عام ٥٠٩ هـ/ ١١١٥م) [١] الذى جمع تاريخا لبغداد ، وذيل به على تاريخ الخطيب [٢]. كما ذيّل على تاريخ الخطيب أيضا ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد المروزى التميمي السمعاني (المتوفي عام ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦م) [٣] والذى يبدو أنه كان بحجم تاريخ بغداد أو أقل قليلا [٤]. وكان أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي (المتوفي عام ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م) [٥] قد وضع تاريخا لبغداد ، وذيل به على ذيل السمعاني ، وسماه ذيل تاريخ بغداد تجاوزا [٦]، وقد ذيل عليه أيضا محمد بن أحمد القطيعي (المتوفي عام ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٦م) [٧]. ولمحب الدين محمد بن محمود

---

(١) هبة الله بن المبارك السقطي ، مؤرخ محدث رحّال ، ولد ببغداد ورحل الى عدد من البلدان ، وجمع معجما لشيوخه وتوفي ببغداد . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ / ص ١٨٦ ، اليافعي : مرآة الجنان جـ٣/ص ٢١٥ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨ / ص ١٨٧ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩/ص ١٨٣ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ص ١٨٣ ، ابن رجب : الذيل جـ١/ص ١١٤ ، ابن العماد : الشذرات جـ ٤ / ص ٢٦ ، الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة السلام جـ ١ / ص ١٤ .

(٣) عبد الكريم السمعاني مؤرخ محدث رحالة ، مولده ووفاته بمرو ، له الكثير من المصنفات منها الأنساب ، تاريخ مرو ، أدب الاملاء والاستملاء وغيرها من الكتب. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣/ ص ٢٠٩ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ /ص ٢٥٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ / ص ٥٦٣ .

(٤) السخاوى : الاعلان بالتوبيخ / ص ٦٢٢ .

(٥) محمد بن سعيد الدبيثي مؤرخ من حفاظ الحديث ولد بواسط وتوفي ببغداد له من المصنفات ذيل تاريخ بغداد ، تاريخ واسط. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٣٩٤ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥ / ص ٢٦ ، ابن العماد : الشذرات جـ ٥ / ص ١٨١ ، حاجي خليفة : كشف الظنون جـ ١/ص ٢٨٨ .

(٦) السبكي : طبقات الشافعية جـ٥ / ص ١٠٢ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٥/ ص ١٨٨ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ١٤١٤ ترجمة ١١٣٤ .

(٧) محمد بن أحمد القطيعي البغدادى ، فاضل مؤرخ من أهل بغداد ، لازم ابن الجوزى مدة ، وقرأ عليه تصانيفه. المنذرى : التكملة لوفيات النقلة جـ٣ / ص ٤٤٢ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ٢ / ص ٢١٤ ، الزركلي : الاعلام جـ ٥ / ص ٣٢١ .

ابن النجار (المتوفي عام ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥م) [١] ذيل عظيم على تاريخ بغداد للخطيب وهو تاريخ حافل دل على تبحره في التاريخ ، وسعة حفظه للتراجم والأخبار [٢] .
وقد ذيل على تاريخ ابن النجار مؤرخ العراق ابن الساعي البغدادي (المتوفي عام ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٥م) [٣] كما ذيل عليه أخيرا أبو المعالي محمد بن رافع بن هجرس السلامي (المتوفي عام ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢م) [٤] بكتابه الموسوم (بالمنتخب المختار [٥]) .

ومن كتب في تراجم القضاة والحكام القاضي أبو العباس أحمد بن بختيار الواسطي (المتوفي عام ٥٥٤ هـ/ ١١٥٩م) الأديب المؤرخ الذى ألف كتابا سماه تاريخ القضاة والحكام [٦] . وكتب أبو الفرج عبد الرحمن الجوزى (المتوفي عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) كتابه صفوة الصفوة ، [٧] مختصر الحلية الأولياء في تراجم الحكماء والأطباء والمتكلمين والصوفية [٨] .

---

(١) محمد بن محمود بن النجار ، مؤرخ حافظ رحال ، له من الكتب الكمال في معرفة الرجال ذيل تاريخ بغداد ، الدرة الثمينة في أخبار المدينة ، وغيرها من الكتب . أنظر : الكتبي : فوات الوفيات جـ٢ /ص ٢٦٤ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥/ص ٤١ ، ابن العماد : الشذرات جـ ٥ / ص ٢٢٦ .
(٢) ياقوت : معجم الأدباء جـ١٩/ص ٤٩ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٨ / ص ٩٨ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ١٤٢٨ .
(٣) ابن الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة السلام جـ١ /ص ١٩ ، وابن الساعي هو على بن أنجب بن عثمان بن عبد الله ، من كبار المصنفين في التاريخ ، توفي ببغداد وتولى خزانة كتب المستنصرية وصنف الجامع المختصر ، أخبار الخلفاء ، تاريخ الشعراء ، أخبار قضاة بغداد ، أخبار الوزراء وغيرها . ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص ٣٨٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣/ص ٢٧٠ ، القرشي : الجواهر المضية جـ ١ / ص ٣٥٤ ، الزركلي : الأعلام جـ ٤ / ص ٢٦٥ .
(٤) محمد بن رافع السلامي أبو المعالي مؤرخ فقيه ، من حفاظ الحديث ، من تصانيفه معجم لشيوخه ، ذيل تاريخ بغداد ، الوفيات ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ ٣ / ص ٤٣٩ ، ابن العماد : الشذرات جـ٦ /ص ٢٣٤ .
(٥) تاريخ علماء بغداد المسمى بالمنتخب المختار لابن رافع السلامي مطبوع بتعليق المحامي عباس العزاوى ، مطبعة الأهالي ، بغداد سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .
(٦) أحمد بن بختيار الواسطي المندائي ، كان عالما بالفقه والأدب ، رحل الى بغداد وولي قضاء واسط . البغدادى : هدية العارفين جـ١ / ص ٨٦ .
(٧) طبع كتاب صفوة الصفوة بحيدر آباد الدكن سنة ١٩٣٦م/١٩٣٧م .
(٨) مطبوع . القاهرة . مكتبة الخانجي ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م .

الحنبلي (المتوفي عام ٤٧١ هـ/ ١٠٧٨م)[١] الذى وضع مصنفا في طبقات الفقهاء[٢].

أما أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازى (المتوفي عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٨م) فقد صنف كتاب طبقات الفقهاء الشافعية[٣] في حين صنف أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن ابراهيم الهمذاني المؤرخ الفرضي[٤] (المتوفي عام ٥٢١ هـ/ ١١٢٧م) كتاب طبقات الفقهاء[٥].

ومن المصنفات المهمة التى ظهرت في هذا العصر في طبقات الفقهاء كتاب طبقات الحنابلة[٦] لأبي يعلي محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء البغدادى الحنبلي (المتوفي عام ٥٢٦هـ/ ١١٣١م) الذى كان من رؤوس الحنابلة في زمانه ، وقد جعل كتابه هذا على ست طبقات ، الأولى والثانية على حروف المعجم ، وما بعدهما على تقديم العمر والوفاة ، وانتهى فيه الى سنة (٥١٢ هـ / ١١١٨م) .

---

(١) الحسن بن أحمد بن عبد الله ابن البنا البغدادى الامام المقرئ المحدث الفقيه الواعظ صاحب التصانيف ، صنف كتبا في الفقه والحديث والفرائض وأصول الدين . ابن العماد : الشذرات جـ ٣ / ص ٣٣٨ . بروكلمان : تاريخ الأدب العربي جـ ٦/ ص ٦٣ .

(٢) ابن العماد : الشذرات جـ ٣ / ص ٣٣٨ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٣ / ص ٨٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ / ٢٦ ، والكتاب مطبوع بتحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م القاهرة .

(٤) محمد بن عبد الملك بن ابراهيم الهمذاني ، من كبار المؤرخين ، سكن بغداد وتوفي بها ، صنف أخبار الوزراء ، عنوان السير ، طبقات الفقهاء ، ذيل على تاريخ الطبرى ، ذيل على تاريخ أبي شجاع . ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ١ / ص ٢٨ - ٢٩ ، البغدادى : هدية العارفين جـ ٢ / ص ٨٥ .

(٥) ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ١ / ص ٢٨ - ٢٩ ، البغدادى : هدية العارفين جـ ٢ / ص ٨٥ .

(٦) منشور . القاهرة ١٩٥٢م .

وقد ذيل عليه زين الدين عبد الرحمن بن أحمد المعروف بابن رجب (المتوفي عام ٧٩٥ هـ/ ١٣٩٣م)[١] حيث غطي تراجم الفترة بين سنتي ٥١٢ هـ/ ١١١٨م وسنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م .

ثم ذيل عليه يوسف بن حسن بن أحمد المقدسي (المتوفي عام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)[٢] بكتاب سماه الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد[٣] مرتبا على الحروف الأبجدية .

وفي طبقات الشافعية صنف الامام أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردى المحدث الفقيه (المتوفي عام ٥٦٣ هـ/ ١١٦٧م)[٤] كتابا في طبقات الشافعية .

أما كتب تراجم الأدباء والشعراء واللغويين والنحاه ، فممن كتب في هذا الفن في العراق خلال هذه الفترة عبد الرحمن بن محمد الانبارى النحوى (المتوفي عام ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م)[٥] الذى ألف كتابه الموسوم بـ " نزهة الألباء في طبقات الأدباء"[٦] .

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب ، ولد ببغداد ، ومن العلماء الحفاظ ، من كتبه : شرح جامع الترمذى ، جامع العلوم والحكم ، الاستخراج في أحكام الخراج وغيرها العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٦ /ص ٣٣٩ ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ ٢ /ص٣٢١، وكتابه الذيل . مطبوع . القاهرة ١٩٥٢م .

(٢) يوسف بن حسن المقدسي ، من كبار فقهاء الحنابلة ، مصنفاته تزيد على الخمسين العماد الحنبلي : الشذرات جـ٨ /ص ٤٣ ، السخاوى : الضوء اللامع جـ١٠ /ص٣٠٨ .

(٣) ابن العماد : الشذرات جـ ٨ /ص ٤٣ ، البغدادى : هدية العارفين جـ٦ / ص ٥٦٠ .

(٤) عبد القاهر السهروردى سكن بغداد ، وتولي المدرسة النظامية ، وتوفي ببغداد صنف آداب المريدين وغيره من الكتب . ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ /ص٢٨٩ . السبكي : طبقات الشافعية جـ ٤ / ص ٢٥٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ٢٠٤ .

(٥) سبقت ترجمته .

(٦) نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنبارى مطبوع بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .

هذا بالاضافة الى تلك الموسوعة العظيمة عن أدباء وشعراء العصر التي وصفها العماد الكاتب الأصفهاني (المتوفي عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م)(١) ، أعني بها خريدة القصر . أما الكتب التي تبحث في التراجم العامة فأهمها كتاب أعمار الأعيان(٢) لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفي عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) ، وكتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة(٣) للمؤرخ عزالدين على بن محمد بن الأثير الجزري (المتوفي عام ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م) الذى أورد فيه ما يربو على سبعة آلاف وخمسمائة ترجمة ، واستدرك على ما فاته ممن تقدمه من مؤلفي التراجم وبين أوهامهم.(٤) أما الحسين بن نصر بن أحمد المعروف بابن خميس الموصلي الفقيه (المتوفي عام ٥٥٢ هـ/ ١١٥٧م)(٥) فقد كتب في المناقب ، حيث ألف كتاب مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار(٦) . وفي هذا الفن لابد أن نشير أيضا لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي وكتابه مناقب عمر بن الخطاب(٧) الذى رتبه على ثمانين بابا ، وكذلك الي

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج١/ص ٤١٩ ، وللكتاب نسخة خطية بمكتبة الغازى خسروبك بسرايفو في يوغسلافيا ضمن مجموع رقم ٣٠٠ ، أنظر : د وابراجا : فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٣) طبع بالقاهرة في خمسة أجزاء سنة ١٢٨٥هـ ومخطوطاته في برلين ٩٩٥١ ، ليدن ١٠٩١ ، آيا صوفيا ٣٣٧٩ ، القاهرة ثان ٦٨/١ . بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٦ / ص ١٣٨ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢/ص ٣٤٨ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٥/ ص ١٢٧ .

(٥) الحسين بن نصر بن أحمد من فقهاء الشافعية ، سكن بغداد ، له مصنفات عديدة منها الموضح ، أخبار المنامات ، طبقات الأولياء . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ١٣٩ .

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢/ص ١٣٩ ، وللكتاب نسخة مخطوطة بخزانة الرباط (١٠٢٧ د) .

(٧) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ج ٨ /ص ٣١١ ، الذهبي : تاريخ الاسلام مصور ج ١٤ وفيات سنة ٥٩٧ هـ ، والكتاب مطبوع ، دمشق ، دار احياء علوم الدين ١٣٩٤ هـ .

كتاب المختار في مناقب الأبرار[1] للمبارك بن محمد الشيباني ابن الأثير الجزرى (المتوفي عام ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) .

وفي التاريخ المحلي ظهر عدد من المؤلفات المهمة ، منها كتاب تاريخ الموصل[2] وهو خاص باستعراض تاريخ الموصل السياسي لعز الدين ابن الأثير الجزرى (المتوفي عام ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م) ، وكتاب تاريخ بغداد[3] للخطيب البغدادى الذى مر ذكره ، والذى أتى فيه مؤلفه بأخبار طبوغرافية وحضارية وتاريخية عن بغداد ، وكذلك كتاب تاريخ واسط[4] الذى وضعه محمد بن سعيد الدبيثي (المتوفي عام ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م)[5] . وهناك من مؤرخي هذا العصر من كتب في مواضيع ادارية وسياسية عامة ، مثل تواريخ الدول والملوك والوزراء والولاة ، منهم محمد بن محمد العماد الأصفهاني (المتوفي عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) الذى ألف كتاب نصرة الفترة وعصرة القطرة[6] في أخبار الدولة السلجوقية ووزرائها ، وابن الجوزى (المتوفي عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) الذى ألف مناقب عمر بن الخطاب - وقد سبقت الاشارة اليه آنفا - وكتاب مناقب عمر بن عبد العزيز[7] ، وكتاب أخبار البرامكة ، وكتاب سيرة المستضيء ، ومنهم عبد الله بن علي البغدادى المعروف بابن

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤/ص ١٤١ ، والكتاب تراجم لمشاهير المسلمين ، نسخ مخطوطة في ليدن (١٠٩٠) . بروكلمان : تاريخ الأدب العربي جـ ٦/ص ١٩٣.
(٢) وهو كتابه الموسوم بـ " التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية " مطبوع بتحقيق عبد القادر طليمات ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، ومكتبة المثنى ببغداد .
(٣) سبقت دراسته .
(٤) ذكره السخاوى : الاعلان بالتوبيخ ص ١٣٤ . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤/ ص ٣٩٤ .
(٥) سبقت ترجمته .
(٦) طبع بالقاهرة سنة ١٣١٨ هـ ، ومنه نسخة بالمكتبة الوطنية بباريس برقم ٢١٤٦ .
(٧) مطبوع . القاهرة ، مطبعة المؤيد ، مكتبة المنار سنة ١٣٣١ هـ .

المارستانية (المتوفي عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)[1] الذى ألف كتابا فى سيرة الوزير ابن هبيرة[2] .

أما التاريخ العام فلقد وجد من مؤرخي هذا العصر كل عناية واهتمام، وظهرت كتب مهمة في هذا الاطار ، اعتمد عليها المؤرخون اللاحقون كثيرا ، لعل أهمهما كتاب الكامل في التاريخ[3] لعز الدين علي بن محمد الجزرى (المتوفي عام ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) . فلقد نال ابن الأثير شهرته كمؤرخ من بين مؤرخي القرن السادس الهجرى بسبب تأليفه لهذا الكتاب ، فلقد تحرى الدقة وبحث عن الحقيقة فيما كتب ، وحاول الابتعاد عن الاسهاب والروايات المكررة . ثم انه راعي التوازن في كتابته لتاريخه بين أقاليم العالم الاسلامي ، فلم تصرفه الحوادث التى ألمت بالمشرق عما كان يجرى بالمغرب من تطورات ، ولهذا فهو يعيب هذا النقص على المؤرخين ، ويقول : ان " الشرقي منهم قد أخل بذكر أخبار الغرب ، والغربي قد أهمل أحوال الشرق ، فكان الطالب اذا أراد ان يطالع تاريخا احتاج الى مجلدات كثيرة ، وكتب متعددة ، مع ما فيها من الاخلال والاملال ، فلما رأيت الأمر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ..... وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان "[4] ولقد انتقي ابن الأثير

---

(١) أبو بكر مجد الدين عبيد الله بن على البغدادى التميمي ، كان بارعا في الطب ، وتولي المارستان العضدى ، صنف : ديوان الاسلام في تاريخ مدينة السلام . ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩/ص ٩٨ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٤٠٧ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٣٣٩. الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٢ / ص ١٨٨.

(٢) كحالة : التاريخ والجغرافية في العصور الاسلامية / ص ١٤٠.

(٣) وهو تاريخ للعالم الى سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م ، طبع عدة طبعات ونسخة المخطوطة بالمتحف البريطاني ثان ٦٤٢ - ٦٤٤ ، بني جامع ٢/ ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، باريس أول ٥٩١٠ . وأول طبعة سنة ١٨٥١م في لايدن . كما نشرته دار الكتاب العربي ببيروت وعنى بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م وكذلك دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م.

(٤) ابن الأثير: الكامل ج ١ / ص ٥ .

من كتابات السابقين ، فلم يكن مجرد جماع للروايات ، أو لما يصادفه من أخبار ، بل انه كان ينتقي المادة التى يعتقد جدواها ، ويختار منها ما يوافق العقل والمنطق ، فيقول في ذلك عن نفسه : " ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي ، ولا كمن يجمع الحصباء واللآلي ".[1] ولقد اعتمد ابن الأثير في جمع مادته على أدق المصادر وأوثق الكتب ، وفي ذلك يقول عن نفسه : " على أني لم أنقل الا من التواريخ المذكورة ، والكتب المشهورة ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه ، وصحة ما دونوه "[2] والحقيقة أن ابن الأثير قد تابع في كتابه المعلومات التاريخية التى أوردها الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى متابعة دقيقة الى حد بعيد فلخصها ثم أضاف اليها الكثير من المعلومات ، وخاصة تلك التى تتعلق بالفترة التالية لتوقف الطبرى عن الكتابة . وبذلك احتل ابن الأثير بكتابه هذا مكانة مرموقة بين فطاحل المؤرخين المسلمين ، فكتابه هذا يعد دائرة معارف ضخمة عن التاريخ الاسلامي حتى سنة (٦٢٨ هـ / ١٢٣٠م).[3]

ومن مؤرخي التاريخ العام في هذا العصر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (المتوفي عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) الذى وضع كتابه <u>المنتظم في تاريخ الملوك والأمم</u>[4] الذى قال عنه مؤلفه : " لما جمعت كتابي المسمي بالمنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، اطلعت على سير الخلق من الملوك والوزراء ، والعلماء والأدباء ، والفقهاء

---

(١) ابن الأثير : <u>الكامل</u> جـ ١ / ص ٥ .

(٢) <u>ن.م.س</u> جـ ١ / ص ٥ .

(٣) سعيد عاشور : <u>بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى</u> / ص ٤١٢ .

(٤) طبع من الكتاب الأجزاء من السادس حتى العاشر، طبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ١٣٥٨ هـ على اعتبار ان الأجزاء الخمسة الأولى مفقودة ، وقد عثر عليها مؤخرا وهي قيد النشر .

والمحدثين ، والزهاد وغيرهم[١] ويتضح من كلامه هذا ما يشتمل عليه الكتاب من أخبار أصناف متعددة من الناس ، من ملوك ووزراء وفقهاء وعلماء وزهاد ، وقد وضع ابن الجوزى كتابه هذا على أساس السنين أو الحوليات ، ذلك أنه يذكر أخبار السنين وما كان بها من أحداث ، ثم يعقب ذلك بأسماء المشهورين ممن توفوا في كل سنة مرتبة أسماؤهم على حروف المعجم[٢].

يقول حاجي خليفة عن المنتظم : انه " تاريخ كبير فيه نبذ من الفوائد الحديثة وتراجم الملوك والأعيان ، قال المولى على بن الحنائي : وفيه أوهام كثيرة وأغلاط صريحة "[٣] على أن ابن الأثير الجزرى قد اعتمد معلومات ابن الجوزى فى المنتظم ، ولخصها في كتابه الكامل ، حيث وثق أخباره ونقل عنه أخبار عصره . وللكتاب أهمية أخرى تظهر من خلال ما يقدمه من معلومات قيمة عن خطط بغداد وأسواقها وأزقتها ، ومساجدها وقصورها ومدارسها في عصر المؤلف[٤] ، بالاضافة الى المعلومات الاجتماعية المهمة التى يذكرها ابن الجوزى عن أحوال المجتمع في عصره ، والتى ترد مختلطة بغيرها من المعلومات ، موزعة على مختلف أجزاء هذا الكتاب[٥].

ولابن الجوزى كتب أخرى في التاريخ العام منها كتاب الذهب المسبوك في سير الملوك[٦] ، وشذور العقود في تاريخ العهود[٧] .

---

(١) ابن الجوزى : صيد الخاطر / ص ٣٧٩ .
(٢) أنظر كتابه : المنتظم .
(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون جـ ٢ /ص ١٨٥١ .
(٤) ، (٥) نجد أن ابن الجوزى في كتابه هذا أورد فيه في أغلب صفحاته صورا طبوغرافية لمدينة بغداد . بالاضافة الى المعلومات الاجتماعية لبغداد والتي يذكرها بين الحين والآخر .
(٦) الزركلي : الأعلام جـ ٣ / ص ٣١٦ .
(٧) ن.م.س جـ ٣ / ص ٣١٦ .

ومن مؤرخي التاريخ العام في هذا العصر هلال بن المحسن الصابي الكاتب (المتوفي عام ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦م)[١] حيث كتب تاريخا عاما ذيل به على تاريخ ثابت بن سنان الطبيب المؤرخ (المتوفي عام ٣٦٣ هـ/ ٩٧٣م)[٢] وانتهى فيه الى سنة ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٥م[٣] وقد ذيله ابنه غرس النعمة محمد بن هلال (المتوفي عام ٤٨٠ هـ/ ١٠٨٧م)[٤] ولم يتمه.[٥] ثم ذيله المؤرخ محمد بن عبد الملك الهمذاني (المتوفي عام ٥٢١ هـ/ ١١٢٧م)[٦] فأتم المعلومات التالية له حتى سنة ٥١٢هـ/١١١٨م.[٧] وقد ذيل عليه صدقة بن الحسين بن الحسن بن حداد (المتوفي عام ٥٧٣ هـ / ١١٧٧م)[٨] فواصل تأريخ هذا الكتاب الى سنة ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤م.[٩]

---

(١) هلال بن المحسن بن هلال الصابئ الحراني، مؤرخ كاتب من أهل بغداد، ولي ديوان الانشاء ببغداد زمنا، له من الكتب تحفة الأمراء، غرر البلاغة، رسوم دار الخلافة، أخبار بغداد، السياسة. ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٦/ ص ١٠١، ابن الجوزي: المنتظم جـ ٨/ص ١٧٦، الخطيب: تاريخ بغداد جـ ١٤ / ص ٧٦.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) الخطيب: تاريخ بغداد جـ ١٤/ص ٧٦، ابن الجوزي: المنتظم جـ ٨/ص١٧٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٦ / ص ١٠١.

(٤) محمد بن هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابئ الملقب بغرس النعمة، له من الكتب الهفوات النادرة، وكتاب الربيع. ابن الجوزي: المنتظم جـ ٩ / ص ٤٢، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٢٤٧، المنذري: التكملة لوفيات النقلة جـ ٣ / ص ٨٢.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ ٥ / ص ١٢٦، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ ٢ / ص ٢٠٤٥.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) البغدادي: هدية العارفين جـ ٢ / ص ٨٥.

(٨) صدقة بن الحسين بن حداد البغدادي، مؤرخ أديب فيلسوف، كان يعيش من نسخ الكتب ببغداد. ابن الجوزي: المنتظم جـ١٠/ص ٢٧٦، ابن الأثير: الكامل جـ ٩/ص ١٤٣، العماد الحنبلي: الشذرات جـ ٤/ص ٢٤٥.

(٩) ابن الجوزي: المنتظم جـ١٠/ص ٢٧٦، العماد الحنبلي: الشذرات جـ٤/ص ٢٤٥.

ومن كتب في التاريخ العام في هذا العصر أبو شجاع محمد بن الحسين (المتوفي عام ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م)(١) وزير الخليفة المستظهر ، فقد كتب ذيلا على كتاب ابن مسكويه (المتوفي عام ٤٢١ هـ/ ١٠٣٠م)(٢) الموسوم بـ "تجارب الأمم وتعاقب الهمم"(٣).

ولعل من المفيد أن يتعرض البحث لذكر مشاهير المؤرخين في هذا العصر ، وما خلفوه من تراث تاريخي ضخم ، فقد برز عدد منهم كان لآثارهم مكانة مرموقة بين كتب التاريخ الاسلامي .

ويأتي في مقدمة هؤلاء جميعا المؤرخ المشهور عزالدين أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، الذى عاش بين سنتي (٥٥٥هـ/ ٦٣٠هـ : ١١٦٠م/ ١٢٣٢م)(٤) وأحد الأخوة الثلاثة من أسرة آل الأثير ، التى اشتهرت بالعلم والفضل ، مما خلد أسماءهم بين أعلام العرب ، وأعاظم مؤلفيهم وعلمائهم .

ولقد شب عزالدين ابن الأثير في بيئة علمية عريقة فقد جلس الى العلماء والشيوخ يتلقي عليهم العلم ، فدرس الحساب واللغة والفقه والحديث ، وغيرهما من العلوم ، ولم يلبث أن عرف بالعلم والفضل ، فأصبح له خطوة تامة لدى صاحب

---

(١) محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله أبو شجاع، الملقب بظهير الدين ، وزير من العلماء ، كان وافر العقل عالما بالأدب . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥/ ص ١٣٤ . ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩/ص ٩٠ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٣ / ص ٥٦ ، وكتابه ذيل تاريخ مسكويه مطبوع نشره أمد روز ، مطبعة التمدن ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م.

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩/ص ٩٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/ص ١٣٤ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٣ / ص ٥٦ . والكتاب مطبوع نشره أمد روز سنة ١٩١٤م.

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ٣٤٨ ، أبو شامة : ذيل الروضتين/ص ١٦٢ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٥/ص ١٢٧ ، العماد الحنبلي : شذرات الذهب =

الموصل[١] . وجد ابن الأثير لديه في الموصل مجالا واسعا لنشاطه ، والتزود من العلم والمعرفة . كما أتيحت له الفرصة لمباشرة رحلته في طلب العلم فرحل الى بغداد وبلاد الشام ، حيث تردد على دمشق وحلب والقدس[٢] يسمع ويجتمع بالعلماء[٣]. وهكذا عاش حياته منقطعا الى العلم والاستزادة ، فسمع العالي والنازل[٤]، قال عنه ابن خلكان الذى اجتمع به كثيرا : " ان بيته كان مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها ، وكان اماما في حفظ الحديث ومعرفته ، وما يتعلق به ، وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ، وخبيرا بأنساب العرب ووقائعهم وأخبارهم "[٥].

وابن الأثير هذا كانت وجهته تاريخية ، كما ينعكس من حياته العلمية ومن مؤلفاته ، ولا شك في أنه قد شغف بالتاريخ فقد غلب عليه واستهواه ، فأكب على قراءة كتب التاريخ ، ولذلك فهو يقول عن نفسه في مقدمة كتابه الكامل : " أما بعد فاني لم أزل محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة مافيها ، مؤثرا على الاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيها . . . . . "[٦]، ولهذا فقد كان ابن الأثير مؤلفا نشيطا بارعا ، استطاع أن يخلد اسمه بين كبار فطاحل المؤرخين ، عن طريق مصنفاته التى من أشهرها كتابه : الكامل في التاريخ[٧]، واللباب[٨]، وهو مختصر لكتاب الأنساب للسمعاني ، الذى استدرك عليه فيه في مواضع ونبه الى أغلاط وأخطاء فيه . كما ألف ابن الأثير تاريخا للموصل في عهد أسرة عماد الدين زنكي ، وقد

= جـ ٥/ص ١٢٧ ، المنذرى : التكملة لوفيات النقلة جـ٣/ص ٣٤٧ ، حاجي خليفة : كشف الظنون جـ١/ص ٨٢ ، جـ ٢/ص ١٣٨٠ ، الزركلي : الأعلام جـ٤/ص ٣٣١ .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣/ص ٣٤٨ ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان جـ ١/ص ٦٤ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ٣٤٨ .

(٣) ن.م.س جـ ٣/ص ٣٤٨ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥ / ص ١٢٧ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ / ص ٣٤٨ .

(٦) ابن الأثير : الكامل جـ ١ /ص ٤ .

(٧) سبق الحديث عنه في هذا البحث .

(٨) اللباب في تهذيب الأنساب ، نشر دار صادر بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

سمي هذا الكتاب التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، حيث بدأ فيه بسرد أخبارهم وعالج فيه تاريخ الزنكيين وامتداد نفوذهم الى الشام في عصر الحروب الصليبية .

ومن مشاهير مؤرخي العصر أيضا أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (المتوفي عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) وتصانيفه كثيرة ، ويتمتع بعقلية جيدة أهلته لاخراج ثبت طويل من التآليف التي سئل عنها فقال : " زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفا منها ما هو عشرون مجلدا ، ومنها ما هو كراس "[1] وقال الذهبي : " ما علمت أحدا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل "[2].

وكان الخطيب البغدادي (المتوفي عام ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م) ممن برز من مؤرخي التراجم في هذا العصر ، وهو ، وان غلب عليه الحديث ، الا أن كتابه تاريخ بغداد يعد من أفضل الكتب التاريخية التي ظهرت في جميع العصور في فنه[3] .

ومن مشاهير المؤرخين المتأخرين في هذا العصر جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الحجاج الواسطي المعروف بابن الدبيثي ، ولد بواسط سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢م) وتوفي سنة ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م[4] ، درس الفقه والأدب ، وكان في الحديث وأسماء رجاله والتاريخ من الحفاظ المشهورين[5] ، ولي أوقاف النظامية سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م ، وقضى ردحا طويلا من حياته في التأليف والتدريس والتحديث والتصنيف[6] ، ولعل

---

(١) ابن رجب : الذيل جـ ١ / ص ٤١٣ .
(٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ٤/ص ١٣٤٤ ، وسبق أن تحدثنا عن مصنفاته التاريخية في هذا البحث ، على أن أهمها المنتظم ، أما مصنفاته بوجه عام فقد ذكرها سبطه في كتابه مرآة الزمان جـ٨/ص ٣١١ ، والذهبي : تاريخ الاسلام جـ ١٤ وفيات سنة ٥٩٧ هـ وأنظر أيضا عنها ناجية عبد الله ابراهيم : ابن الجوزي فهرست كتبه (مقالة مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٣١/ص ١٩٣) .
(٣) سبق الحديث عن كتاب تاريخ بغداد في هذا البحث مادة حديث .
(٤) سبقت ترجمته .
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٣٩٤ .
(٦) ن.م.ص جـ ٤ / ص ٣٩٤ .

أشهر كتبه تاريخ بغداد[1] الذى سار فيه على طريقة الخطيب البغدادى ومن بعده السمعاني وذيل به على تاريخهما[2]، واحتوى تاريخه على عدد ضخم من تراجم الرجال الذين نسبوا الى بغداد، من خلفاء وملوك، ووزراء وقضاة، وفقهاء ومدرسين، ومحدثين وشعراء وأطباء، ممن عاش في بغداد، أو قدم اليها وتعلم في مدارسها، ودرس على شيوخها، في الفترة ما بين سنتي٥٦٢هـ/٦٢١هـ هذا بالاضافة الى أن كتابه هذا يتعرض الى ذكر أهم المراكز العلمية في ذلك العصر، من ربط ومساجد ومدارس وجوامع، فضلا عن ذكره جملة كبيرة من الأساتذة والمدرسين، والمعيدين والشيوخ في مختلف العلوم.[3]

والكتاب أيضا يحتوى على مادة غنية مهمة لدراسة النظم الادارية للدولة العباسية خلال هذه الفترة، ومعرفة مؤسساتها وتنظيماتها، وذلك من استقراء النصوص الواردة عن الوزراء والخلفاء، والكتاب ورؤساء الدواوين وموظفى الدولة.[4] ومن مصنفاته أيضا تاريخ واسط، وقد وصفه المؤرخون بأنه كبير جدا.[5]

ومن مؤرخي العصر أيضا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر عبد الله الحميدى الأندلسي الحافظ (المتوفي عام ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م)[6] الذى اشتهر بالحديث رواية

---

(١) ذيل تاريخ بغداد، تتمة لذيل تاريخ بغداد للسمعاني، نسخة المخطوطة بالمتحف البريطاني Add ٢٥٢٤، وباريس أول ٢١٣٣، ٥٩٢١، ٥٩٢٢، القاهرة أول ٥/ ١٤٥، القاهرة ثان ٥/ ٣٢٥، والكتاب مطبوع بتحقيق بشار عواد معروف، مطبعة دار السلام - بغداد سنة ١٩٧٤م.

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون جـ ٢ / ص ٢٨٨.

(٣) ابن الدبيثي : ذيل تاريخ بغداد جـ١/ص ١٦ - ١٧.

(٤) ن.م.ص جـ ١ / ص ١٦ - ١٧.

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤/ص ٣٩٤، السبكي : طبقات الشافعية جـ٥/ص٢٦ العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٥ / ص ٨١ .

(٦) سبقت ترجمته .

وحفظا ، فروى عن علي بن حزم الظاهرى [(١)] ، وأكثر من الأخذ عنه ، وأخذ عن أبي عمر يوسف بن عبد البر [(٢)] صاحب الاستيعاب [(٣)].

ولقد رحل الى المشرق حاجا وسمع في مصر وشمال أفريقيا والشام ومكة [(٤)] ، واستقر به المقام في العراق ببغداد [(٥)] واشتهر بين أضرابه من العلماء شهرة واسعة ، وبرع في علوم الحديث [(٦)] على أنه كان ضليعا في التاريخ والآداب [(٧)] أشهر مصنفاته في التاريخ والتراجم والذى نال به الشهرة كتابه جذوة المقتبس [(٨)] وهو تراجم لأشهر علماء الأندلس ، وقد أحسن فيه غاية الاحسان ، كما صنف بلغة المستعجل في التاريخ [(٩)] ذكر فيه الوقائع الاسلامية من أول تاريخ ظهور الاسلام حتي عصر المستظهر بالله سنة ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م [(١٠)].

---

(١) علي بن سعيد بن حزم الظاهرى توفي بعد سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م بقرطبة ، كان حافظا عالما بعلوم الحديث وفقهه ، مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة ، متفننا في علوم جمة ، له من الكتب الايصال الى فهم كتاب الخصال ، والاحكام لأصول الأحكام ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، وغيرها من الكتب .أنظر: الحميدى : جذوة المقتبس ص ٣٠٨ .

(٢) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبي ، مؤرخ حافظ (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠م) له مؤلفات عديدة منها الاستيعاب ، جامع بيان العلم وفضله ، المدخل الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار وغيرها . الضبي : بغية الملتمس ص ٤٨٩ ، ابن بشكوال : الصلة ص ٦٧٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٧/ص ٦٦ .

(٣) مطبوع. حيدر آباد الدكن ، مطبعة دائرة المعارف النظامية سنة ١٣٣٦هـ.

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤/ص ٢٩٤ .

(٥) ن.م.ص جـ ٤/ص ٢٩٤ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩/ص ٩٦ .

(٦) سبق الحديث عن هذا في مادة الحديث من هذا البحث .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩/ص ٩٦ ، ابن بشكوال : الصلة جـ٢/ص ٦٠ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٣ / ص ٣٩٢ .

(٨) الضبي : بغية الملتمس ص ١٢٣ ، ابن بشكوال : الصلة جـ٢/ص ٦٠ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ١٢١٨ .

(٩) ابن الجوزى : المنتظم جـ٣/ص ٣٩٢ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٣/ص ٣٩٢ .

(١٠) الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ١٢١٨ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٣/ ص ٣٩٢ .

ولا ننسى عماد الدين محمد بن محمد الأصفهاني الكاتب المنشىء الأديب المؤرخ (المتوفي عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) فقد كان من مشاهير المؤرخين في هذا العصر ، ولعل أشهر كتبه التاريخية كتابه الشهير في تراجم أدباء العصر خريدة القصر وجريدة العصر ، وله في التاريخ البرق الشامي[١] في سبع مجلدات ، وله أيضا نصرة الفترة وعصرة القطرة في أخبار الدولة السلجوقية[٢] وغيرها من المصنفات التاريخية الأخرى .

وممن برز من المؤرخين بالعراق يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد (المتوفي عام ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٢م) المؤرخ القاضي الذى درس بالموصل ، واشتغل معيدا بنظامية بغداد[٣] ، ثم عاد الى الموصل[٤] حيث درّس فيها والتحق بخدمة السلطان صلاح الدين الأيوبي[٥] وأهم مصنفاته التاريخية النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية[٦] .

---

(١) كتاب البرق الشامي تاريخ لعصره في سبع مجلدات مخطوطاته في بودليانا ١ / ٧٦١ . بروكلمان : تاريخ الأدب العربي جـ٦/ص ٧ الترجمة العربية .

(٢) وهو تاريخ للسلاجقة ووزرائهم ، نسخه في بودليانا ١ / ٦٦٢ ، باريس أول ٢١٤٥ ، وطبع بالقاهرة سنة ١٣١٨هـ . بروكلمان : تاريخ الأدب العربي جـ٦/ص ٧ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٧ / ص ٨٤ ، أبو شامة : ذيل الروضتين / ص ١٦٣ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٧ / ص ٨٤ .

(٥) أبو شامة : ذيل الروضتين ص ١٦٣ . اليافعي : مرآة الجنان جـ ٤ / ص ٨٢ .

(٦) يعتمد أساسا على ترجمة لصلاح الدين ونسخة موزعة في برلين ٩٨١١ ، ليدن ٩٦٧ المتحف البريطاني أول ١٦٣٠ ، باريس أول ٦٧٣١ ومطبوع باسم سيرة صلاح الدين ، نشرته مطبعة المؤيد ـ بغداد سنة ١٣١٧ هـ .

كتب الادارة والسياسة التى ظهرت في هذا العصر :

لعل من المفيد ، ونحن نتحدث عن التاريخ في هذا العصر ، أن نتعرض لدراسة هامة مرتبطة بالتاريخ ارتباطا وثيقا ، حيث يلاحظ اهتمام عدد من علماء العصر الكبار بدراسة الأوضاع الادارية والسياسية ، ووضع المؤلفات فيها .

والواقع أن ذلك يعد تطورا طبيعيا لمجريات الأمور والأحداث السياسية رغم الانهيار الواضح في عدد كبير من مؤسسات الادارة في الدولة ، وتدهور مكانة واختصاصات الخلفاء . وقد حدا ذلك بعدد من العلماء الى تأليف عدد من الكتب التى أرخت للادارة ، وان كانوا قد وضعوها في قالب الوعظ والنصح ، وقدموها للخلفاء والسلاطين لتوضيح حكم الله ورسوله في كثير من الأمور المتعلقة بالسياسة والخلافة والوزارة والعدل بين الرعية .

ولعل من أهم العلماء الذين تعرضوا لمثل هذا الفن في هذه الفترة الامام أبا الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردى الفقيه الشافعي (المتوفي عام ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) .[١] فقد صنف هذا الامام الجليل مجموعة من كتب السياسة ، ضمنها آراءه في أنواع الحكومات ، ونظم الحكم والادارة ، وغير ذلك من الموضوعات التي استرعت أنظار الباحثين . ومن هذه الكتب كتاب قوانين الوزارة[٢] الذى تعرض فيه لتبيان الوزارة ، أسسها ، ومعناها ، وشروطها . والكتاب يتكون من ثمانية فصول عالج فيها أمورا تتعلق بمنصب الوزير وعلاقته بالحاكم ، وسياسة الرعية وحقوقهم ،[٣] يقول في مقدمته: "وأنت أيها الوزير أمدك الله بتوفيقه ، في منصب مختلف الأطراف ، تدبر غيرك من الرعايا ، وتدبر بغيرك من الملوك ، فأنت

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) الكتاب مطبوع بتحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، ومحمد سليمان داود . الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٣) أنظر الكتاب .

سائس سوس[1].

وله أيضا كتاب نصيحة الملوك[2] الذى قسمه الى عشرة أبواب ، والذى اشتمل على مجموعة من النصائح السياسية المهمة التى تتضمن العدل بين الرعية ، والخلاص لذمة الحاكم أمام الله[3]. وله أيضا كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر[4] ، يتحدث فيه عن أخلاق الملك ، وسياسة الملك وقواعده .

أما كتابه الأحكام السلطانية[5] فهو من أخطر المصادر التاريخية عن النظم الاسلامية ، فقد قسمه الى عشرين بابا ، ولم يترك جانبا من جوانب الحكم والادارة الا تعرض لبحثه ، وقرر قواعده ، وحدد أصوله ، ووضح شروطه .

وظهر الامام أبو حامد الغزالي (المتوفي عام ٥٠٥هـ/ ١١١١م) بكتاب صغير في حجمه ، عظيم في أهميته ، وهو كتابه التبر المسبوك[6] قال عنه حاجي خليفة : " فارسي معرب . . . . . فيه نصائح الغزالي لمحمد بن ملكشاه "[7] الذى يقدم فيه عشر وصايا للحكام في الدولة الاسلامية ، من التزام العدل ، وتجنب الجور ، واستشارة العلماء الخيرين ، والحذر من علماء السوء ، والتدقيق في المظالم ومنع الولاة من اقترافها ، وتجنب التكبر ، وانتهاج سبل العفو والتجاوز عن الأخطاء،

---

(١) الماوردى : قوانين الوزارة ص ٤٤ .
(٢) مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس في المجموع ٢٤٤٧ .
(٣) الماوردى : قوانين الوزارة ص ١٤ .
(٤) يتعرض الكتاب للكلام في أصول الأخلاق ، وسياسة الملك وقواعده ، نسخة موجودة بمكتبة غوطة بألمانيا الشرقية برقم ١٨٧٢ ، كلية الآداب - طهران - برقم ٩٠ د . ش . والكتاب قيد النشر بتحقيق محي هلال السرحان . محمد سليمان : أبو الحسن الماوردى ص ٢٩
(٥) طبع الكتاب طبعات متعددة .
(٦) مطبوع نشرته شركة الطباعة الفنية المتحدة بالقاهرة .
(٧) حاجي خليفة : كشف الظنون جـ ١ / ص ٣٣٧ .

وتجنب الاسراف واعتياد القناعة ، وأولى في ذلك اهتماما بارزا للوزارة ، فقد أفرد لها بابا في هذا الكتاب . وهو يقول في مقدمة النسخة العربية التي قام بترجمتها : " أما بعد ، فانه سألني بعض الكبراء أن أنقل هذا الكتاب ، وهو كتاب نصيحة الملوك ، من اللغة الفارسية الى الألفاظ العربية ، فامتثلت ذلك ، ونقلته على ترتيبه وصورته ، ولم أغير شيئا من وضع الكتاب وصيغته . . . . "[(١)]

وفي نهاية القرن السادس الهجري ظهر كتاب أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفي عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ م) الموسوم بالشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء[(٢)] وعلى الرغم من صغر حجم هذا الكتاب ، فانه تضمن ما ينبغي أن يتأدب به الحكام مما عرف بالتجارب والرأي الصائب ، وما ينبغي أن يفعله الحاكم ، وما ينبغي أن يتجنبه . وقد بسط الحديث في فرض الجهاد ، وتعيين الأكفاء في الولايات العامة . وأن يتفقد الحاكم أحوال الرعية . وأن يكون العدل أساس حكمه باعطاء كل ذي حق حقه . وأن يتجنب الظلم ، ولقد دعم ابن الجوزي كتابه بالأدلة من السنة النبوية ، وبين منهج التطبيق الاسلامي للسلف الراشد .[(٣)]

أما يعقوب بن سليمان أبو يوسف الاسفراييني خازن النظامية (المتوفي عام ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م) فقد ألف في[(٤)] هذا الباب كتابه المستظهري[(٥)] في الامامة وشرائط الخلافة والسير العادلة .[(٦)]

---

(١) الغزالي : التبر المسبوك ص ص ٤ - ٥ .

(٢) الكتاب مطبوع نشرته مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م . تحقيق فؤاد عبد المنعم ، ومحمد السيد الصفطاوي .

(٣) ابن الجوزي : الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء من ص ٤٣ الى ص ٦٥ .

(٤) يعقوب بن سليمان الاسفراييني من العلماء باللغة والأخبار ، له من الكتب : سير الخلافة ، قلائد الحكم وغيرها . حاجي خليفة : كشف الظنون جـ١/ص ٢٢٩ ، جـ٢ ص ١٠١٣ ، ١٦٠٨ ، ١٦٧٤ ، البغدادي : هدية العارفين جـ٢/ص ٥٤٥ .

(٥) حاجي خليفة : كشف الظنون جـ٢/ ص ١٦٧٤ .

(٦) الكتبي : فوات الوفيات جـ ٤/ص ٣٣٥ .

ولمحمد بن فتوح الحميدى المحدث المؤرخ (المتوفي عام ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م) كتاب الذهب المسبوك في وعظ الملوك[1] .

ثانيا : الجغرافيا والرحلات الجغرافية :

تطورت الدراسات الجغرافية الاسلامية بمرور الوقت ، وساعد على تطورها عدة عوامل ، دفعت بعلماء المسلمين الى تقصي المعلومات عن البلدان ومعرفة أحوال الشعوب .

فالفتوحات الاسلامية ، واتساع نطاق تجارة المسلمين ، وانتشارهم في مختلف أقطار العالم القديم داخل وخارج ديار الاسلام ، أضف الى ذلك اجتماع المسلمين في الحج من مختلف الأقطار ، وما ينجم عنه من اختلاط واحتكاك وتلاقح في الأفكار، بجانب ما تقدمه الرحلات العلمية من معلومات مبنية على المشاهدة والاطلاع. كل ذلك كان من العوامل الرئيسية التى أسهمت في تقدم العلوم والمعارف الجغرافية .

وهكذا باشرت طبقة من المختصين وضع كتب في الجغرافية دونوا فيها ماعرفوا من البلاد ، وما سمعوه من أخبارها ، نقلا عن الرحالة والتجار والحجاج ، حتي جاء القرن الرابع الهجرى ، الذى يعتبر نقطة انطلاق لمرحلة جديدة . فقد ازدهرت الدراسات الجغرافية ، وأضاف الرحالة المسلمون الشيء الكثير الى المعلومات التى كانت معروفة من خلال جغرافية بطليموس في العالم . كما تناولوا

---

(1) وهو مجموعة مواعظ ونصائح للملوك والولاة يرويها عن شيوخه. الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ٤ / ص ١٢١٨ ، محسن جمال الدين : الحميدى مقالة مجلة كلية الآداب بغداد - عدد ١٠ ص ١٧٩ .

مؤلفات الاغريق الجغرافية بالنقد والتحليل ، ووصلت صناعة الخرائط والنماذج الكروية للأرض درجة عظيمة من التقدم .

ولقد تناول علماء الجغرافية جميع فروع الدراسات الجغرافية ، كالجغرافية الاقليمية ، وجغرافية البلدان ومسالكها ، والجغرافية الفلكية ، والجغرافية الجيولوجية ، بالدراسة والتأليف ، ففي الفترة مابين بداية القرن الرابع الهجري حتى نهاية القرن السادس الهجري (١) تطورت الدراسات الجغرافية تطورا كبيرا ، وظهر عدد من العلماء كان لمؤلفاتهم الجغرافية فضل كبير على تطور هذا العلم .

ولقد كان لعلماء العراق في فترة العصر السلجوقي فضل كبير فى الدراسات الجغرافية ، وبخاصة ماله صلة بالرحلات الجغرافية ، بالاضافة الى الدراسات الفلكية ، أما فيما يتصل بالدراسات الوصفية أو ما يعرف بالجغرافية التحليلية (٢) فان من الملفت للانتباه أن تبدأ بواكير المؤلفات في هذا الاختصاص خلال هذه الفترة حين وضع المؤرخ المشهور عزالدين علي بن محمد بن الأثير الجزرى (المتوفى عام ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م) (٣) كتابه القيم الموسوم ب " كتاب تحفة العجائب وطرفة الغرائب " (٤) حيث ذكر في صدر كتابه هذا أن " الذى حوى هذا الكتاب المبارك عجائب الأفلاك ذكر العناصر ، ذكر الأرض ، الدنيا والدهر ، عجائب المدن والأقاليم ، عجائب البحار ، عجائب الجزائر ، عجائب الأنهار ، عجائب الجبال ، خواص المعادن ، خواص الأحجار ، خواص النبات ، خواص الحيوان " (٥) . ويظهر أن هذا الكتاب

---

(١) عبد الرحمن حميدة : أعلام الجغرافيين العرب / ص ٦٦ .
(٢) وهو ما يعرف في العصر الحديث بعلم الكوزموغرافيا وهو علم دراسة ووصف الكون كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ج ١ / ص ٣٦١ .
(٣) سبقت دراسته .
(٤) مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم "٨" جغرافيا .
(٥) ابن الأثير : تحفة العجائب - مصور - الورقة ١ أ .

بالاضافة الى ما يقدمه من معلومات وصفية عن الكون فانه يقدم وصفا للأقاليم والبلدان وطبيعتها من ذكر للجبال والنباتات والمزروعات والأحجار والمعادن . فقد تناول في الفصل الأول الحديث عن المدن الاسلامية المشهورة في بلاد الأندلس ، وشمال افريقيا ، ومصر والشام والعراق وجزيرة العرب وبلاد العجم وخراسان ، فذكر انشاءها وتخطيطها وتاريخ البناء ، وأهم المعالم فيها ، ودورها وثمارها .

وفي الفصل الثاني تحدث المؤلف عن عجائب البحار ، أما الفصل الثالث فقد خصصه لوصف أنهار الأقاليم المختلفة ، ثم درج على ذكر العيون والآبار في الفصل الرابع ، وتحدث عن الجبال في الفصل الخامس . وتعرض في أثناء حديثه الى ذكر النباتات والأشجار الطبيعية ، وأنواع الفواكه والمزروعات ، وأصناف الحيوانات البرية في العالم الاسلامي ، يقول في مقدمة الكتاب : " وبعد فهذا كتاب يتصرف فيه الناظر ، وذكرت فيه ما أظهرته الحكمة الالهية ، وأودعته القدرة الربانية ، من عجائب المخلوقات ، وغرائب الموجودات ..... جمعته من كتب عدة ".[1]

ويطالعنا هذا العصر في العراق بعدد من علماء الجغرافية ممن برزوا في الرحلات الجغرافية ، منهم المختار بن حسن بن عبدون ابن بطلان (المتوفي عام ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥م)[2] وهو من أهل بغداد ، سافر في رحلة طويلة ، وصف فيها انطباعاته عن الطريق من العراق الى شمال الشام ، في رسالته الى صديقه المؤرخ

---

(١) ابن الأثير : تحفة العجائب ورقة ١ أ .

(٢) المختار بن بطلان طبيب باحث من أهل بغداد ، رحالة ، له عدد من المصنفات الطبية . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣٢٥ ، القفطي : أخبار العلماء ص ١٩٢ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول /ص ٣٣١ ، دائرة المعارف الاسلامية جـ ١ / ص ٩٨ .

هلال بن المحسن الصابئ (المتوفي عام ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦م) ، والرسالة كما يظهر قد وقعت في يد ولده محمد بن هلال الصابئ (المتوفي عام ٤٨٠ هـ/١٠٨٧م) فضمها الى مصنفه كتاب الربيع.[١]

ولقد سار ابن بطلان في رحلته من بغداد الى الأنبار أولا ، ثم سار صاعدا بمحاذاة نهر الفرات زائرا المدن الواقعة على ضفافه ، حتى وصل الى مدينة حلب ثم رحل الى القسطنطينية ، ثم عاد بعد ذلك الى أنطاكية.[٢]

واضافة الى هذه الرحلة ، وما تضمنته من معلومات وصفية مهمة ، فقد صنف ابن بطلان عددا من المصنفات ، جميعها في الطب[٣] ولعل مما يعزز أهمية هذه الرسالة أن مؤلفها قد أولى الجوانب الاجتماعية والثقافية اهتماما كبيرا ، بجانب أهميتها الوصفية لجغرافية المناطق التي قام بزيارتها.[٤]

ومن المؤرخين الجغرافيين الذين برزوا في هذا العصر بالعراق أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي (المتوفي عام ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م)[٥] المؤرخ الرحالة ، وهو من أهل ميافارقين. تعلم بها ثم ارتحل الى بغداد ينهل من معاهدها وعلمائها ، وقام بعدد من الرحلات ، وصف فيها مشاهداته الى بلاد فارس والعراق والجزيرة وأرمينية والشام وغيرها[٦] ، وكانت أهم رحلاته زيارته

---

(١) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي جـ ١ / ص ٢٦١.
(٢) القفطي : أخبار العلماء / ص ١٩٢.
(٣) سنتعرض لكتبه الطبية في الفصل الرابع من هذا الباب.
(٤) أنظر مقتطفات من رسالته ، القفطي : أخبار العلماء ص ١٩٣ - ٢٠٨ ، جـ ١ /ص ١٧٧ ، جـ ٢ / ص ٢١٢ ، جـ ٣ / ص ١٥٧ ، جـ ٤ / ص ١٧٦.
(٥) أحمد بن يوسف الفارقي مؤرخ رحالة ، تلقي تعليمه ببغداد ، وتولي مناصب عدة صنف : تاريخ ميافارقين وآمد . ابن خلكان : وفيات الأعيان . جـ١/ص ١٧٧ ، جـ٢ ص ٢١٢ ، جـ ٣ / ص ١٥٧ ، جـ ٤ / ص ١٧٦ ، الزركلي : الأعلام جـ١/ص ٢٧٣.
(٦) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي جـ٦/ص ٧٩ ، الزركلي : الأعلام جـ١/ص ٢٧٣.

لمملكة جورجيا[1]، وايراده حوادث جرت بين ملك جورجيا وبعض ملوك المسلمين . وقد حفظ لنا وصفا دقيقا لمشاهداته ، كما تحدث كثيرا عما سمع ورأى في رحلاته[2].

ومن مشاهير الرحالين الجغرافيين بالعراق في هذا العصر أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروى الموصلي (المتوفي عام ٦١٢ هـ/ ١٢١٥م)[3]، الذى قضى معظم حياته في التجوال والرحلات حتى لقب بالسائح[4]. ولم يكن في تجواله مقتصرا على طلب العلم فقط ، بل انه وثق علاقاته مع عدد من الجغرافيين المعروفين في عصره[5]. وقد طوف بسوريا والعراق واليمن والحجاز ومصر وبلاد الروم ، وبعض جزر البحر المتوسط مثل صقلية . وقد تنقل خلال رحلاته في أرجاء المدن المختلفة وتكلم عن مشاهدها ومساجدها ، وخالط أهلها ، والتقى بالعلماء وأخذ منهم[6]. وقد وقد ألف الهروى عن رحلاته هذه كتابه الزيارات[7] الذى اعتمد فيه على ذاكرته بعد أن فقد كتاباته الوصفية المباشرة ، ولعل ذلك ماعناه بقوله : " وأكثر كتبي

---

(١) جمهورية سوفيتية غرب أراضي القوقاز عاصمتها تفليس ، حكمها الساسانيون في القرنين الثالث والرابع الميلادى ، وحكمها فرع من أسرة الباجريين الأرمينية في القرن السادس ، وفي القرن التاسع عشر الميلادى وخلع آخر ملوكها سنة ١٨٠١م وأصبحت جمهورية سوفيتية سنة ١٩٢١م. فتحها المسلمون في عهد عثمان بن عفان . وتناوب حكمها دويلات اسلامية مختلفة. ياقوت : معجم البلدان جـ ١ / ص ٣٠٣ ، باب الأبواب جـ ٢ / ص ٣٥ تفليس ، جـ ٤ /ص٤٤٧ الكرج . السيد غلاب : الموسوعة الثقافية ص ٣٦٨.

(٢) الزركلي : الأعلام جـ ١ / ص ٢٧٣.

(٣) أنظر عنه : ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣/ص ٣٤٦، المنذرى : التكملة لوفيات النقلة جـ٢ /ص ٣١٥.

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ / ص ٣٤٦.

(٥) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي جـ١ /ص ٣٢٠.

(٦) الهروى : الزيارات - الورقة ١٢٢ ب .

(٧) من نسخ المخطوطة - مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي برقم ٨ جغرافيا . كما طبع الكتاب بتحقيق جانين سوردئل طومين ، دمشق - المعهد الفرنسي للدراسات العربية ١٩٥٣م.

أخذتها الفرنج ، وغرقت في البحر ، بل قد عملت كتابا مفردا لهذا أذكر فيه ما أقدر عليه وسميته بكتاب منازل الأرض ذات الطول والعرض ".[١]

أما عن دوافع تأليفه لهذا الكتاب فيشير الهروى الى أنه قد صنفه استجابة لطلب بعض اخوانه فقد بدأ الكتاب بقوله : " أما بعد فانه سألني بعض الاخوان الصالحين .... أن أذكر ما زرته من الزيارات ، وما شاهدته من العجائب والأبنية والعمارات ، وما رأيته من الأصنام والآثار في الربع المسكون ".[٢] أما خطته في الكتابة فلم يبدأ فيها من العاصمة كما جرت العادة ، واعتذر عن ذلك بقوله : " فوقع ابتداء ذكر الزيارات من مدينة حلب ، وكان من الواجب ، أن نبتدئ بذكر مدينة السلام حرسها الله تعالى ، اذ بها امام المسلمين وأمير المؤمنين الامام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ابن المستضئ ".[٣]

وقد تعرض في كتابه هذا الى ذكر عدد كبير جدا من المدن والمراكز المختلفة وهو يذكر في نهاية الكتاب " وقد أتينا على المقصود في كتابنا هذا ، واختصرناه خوف التطويل ..... واجتمع لديّ ما يقارب تسعين حديثا من تسعين شيخا في تسعين بلدا ".[٤]

وممن كان له اسهام كبير في الدراسات الجغرافية في هذا العصر موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادى (المتوفي عام ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)[٥] الذى

---

(١) الهروى : الزيارات (الورقة ١٢٢ أ ـ ب) مصور .
(٢) ن.م.ص (الورقة ١ أ ب) .
(٣) ن.م.ص (الورقة ٢ أ ب) .
(٤) ن.م.ص (الورقة ١٢٢ ب) .
(٥) أنظر عنه الكتبي : فوات الوفيات جـ٢/ص ٣٨٥ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٦٨٣ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥/ ص ١٣٢ ، القفطي : انباه الرواة جـ ٢ / ص ١٩٣ . كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي جـ١/ص ٣٤٤ .

نشأ في جو من العلم والتقوى ، وترعرع في بغداد حيث درس بها الحديث، وحفظ الشعر والمقامات ، كما درس الكيمياء[1] . وفي سنة ٥٨٥ هـ/ ١١٩٠م[2] بدأ رحلته العلمية حين ارتحل الى الموصل ، التي لم يجد بها من يعتد بعلمه بين علمائها ، سوى الكمال بن يونس[3] الذى كان " أحد العلماء الذين تمكنوا من حل المسألة الهندسية التي طرحها مع مسائل أخرى على العلماء العرب الامبراطور فريدريك الهوهنشتاوفني[4] " [5] .

ورحل موفق الدين بعد ذلك من الموصل الى دمشق حيث التقي بعلمائها[6] . ثم رحل الى مصر غير أنه لم يستقر بها ، فقد ظل متنقلا بين الشام ومصر . وقد نوى تأدية فريضة الحج وهو في الشام ، غير أنه رغب في أن يجعل طريقه الى الحجاز يمر ببغداد . وكان يأمل ، على ما يظهر ، أن يقابل الخليفة المستنصر بالله .

----

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٨٣ .

(٢) ن.م.ص / ص ٦٨٦ .

(٣) أبو الفتح موسي بن يونس بن منعة الملقب بكمال الدين (ت ٦٣٩هـ/ ١٢٤١ م) من أعلم علماء زمانه فى الرياضيات والعلوم العقلية. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ / ص ٣١١، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥ / ص ١٥٨ . ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص ١٤٩ ، ابن العماد : الشذرات جـ٥/ص ٢٠٦ .

(٤) فريدريك الثاني (ت ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠م) توج امبراطورا (سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) قاد حملته الصليبية سنة ٦٢٦ هـ/١٢٢٨م وتوج ملكا على بيت المقدس سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩م ، كان متقدما على عصره وأتقن عدة لغات منها العربية ودرس الطب والرياضيات والفلك . الموسوعة الثقافية / ص ٧١٧ .

(٥) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي جـ١ / ص ٣٤٤ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٨٦ .

غير أن القدر لم يمهله ، فقد حان أجله وتوفي ببغداد جزاه الله تعالى بما نوى عليه.[(1)]

وكان عبد اللطيف البغدادى غزير العلم ، واسع المعرفة ، ضاربا في عدد من العلوم بسهم ، فقد شملت معرفته الطب والنحو واللغة والفلسفة.[(2)] وكان دقيق الملاحظة ، فهو مثال للعالم المحقق الذى يتوق الى المعرفة الايجابية مع ميل واضح الى التجربة العملية.[(3)] وكان مع شهرته في الطب بحاثة في العلوم الطبيعية.[(4)]
ومما يدل على سعة علم هذا الشيخ الجليل مصنفاته التى تناولت العديد من فروع العلم ، فهي كثيرة ذكر منها ابن أبي أصيبعة مائة وثلاثة وسبعين عملا ما بين كتاب ومقالة ورسالة[(5)] على أنه لم يصلنا من هذا التراث الضخم سوى النزر اليسير .
والذى يعنينا في هذا المجال كتابه المشهور كتاب الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر[(6)]، الذى يعد من أهم المصنفات

---

(١) الكتبي : فوات الوفيات جـ ٢ / ص ٣٨٥ .
(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٨٣ .
(٣) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي جـ١ /ص ٣٤٥ .
(٤) أبن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٨٣ .
(٥) وزعها الدكتور عبد الرحمن بدوى على النحو التالي ١٣ في اللغة وعلومها ، وكتابين في الفقه ، ٩ في النقد الأدبي ، ٥٣ صنفا في الطب ، ١٠ في الحيوان ، ٣ في علم التوحيد ، ٣ في التاريخ ، ٣ في الحساب والعلوم ، ٤ في التعليم ، واثنان في السحر والمعادن ، و٢٣ صنفا متنوعا ، و ٤٨ في الفلسفة ، من منطق وطبيعيات ، والهيات ، وسياسية . عبد الرحمن بدوى : الأفلاطونية المحدثة عند العرب /ص ٢٤٨ .
(٦) ان المخطوط الأصلي لهذا المؤلف المختصر موجود بالمكتبة البودلية بأكسفورد ، وقد استنسخه جوزيف وايت سنة ١٧٨٢م ، ونشره بألمانيا سنة ١٧٨٩م ، ثم ترجمه الى اللاتينية ، ونشره باللغتين اللاتينية والعربية سنة ١٨٠٠م ، ولم يترجم الكتاب الى الانجليزية الا سنة ١٩٦٤م . أنظر : عبد اللطيف البغدادى : مقالتان في الحواس تحقيق بول غليونجي /ص ٤٣ . كما نشره سلامة موسى ، المجلة الجديدة سنة ١٩٣٤م .

الطوبوغرافية عن مصر. والراجح أن هذا الكتاب هو عبارة عن موجز مختصر لكتاب كبير في نفس الموضوع سبق أن صنفه المؤلف[1] وهذا ما يدل عليه قوله في مقدمته لكتاب الافادة : " فاني لما أنهيت كتابي في أخبار مصر المشتمل على ثلاثة عشر فصلا ، رأيت أن أفرد معه الحوادث الحاضرة والآثار البادية المشاهدة ، اذ كانت أصدق خبرا ، وأعجب أثرا ، وأن ماعداها قد يوجد بعضه أو كله في كتب من سلف مجتمعا أو مفترقا ، فألفت ذلك في فصلين جددتهما وجعلتهما مقالتين في هذا الكتاب ، وهذا حتى يخف انهاؤه ، ويلطف موقعه عند عرضه على صاحب الأمر وامام العصر سيدنا ومولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين".[2]

ويقع المصنف في مقالتين ، الأولى مقسمة الى ستة فصول ، في خواص مصر المهمة ، حيث وصف سطح مصر ، نيلها ووايها ومجاريها وجبالها وسواحلها ، ووصف فيضان النيل. وخصص الفصل الثاني لنباتات مصر المختلفة . أما الفصل الثالث فقد أفرده للحديث عما تختص به من الحيوانات . أما آثار مصر القديمة فقد تعرض لها في الفصل الرابع . ووصف في الفصل الخامس ما شاهده بمصر من غرائب الأبنية والسفن . وخصص الفصل السادس عن غرائب أطعمتها .

أما المقالة الثانية فهي مؤلفة من ثلاثة فصول ، أولها في النيل وكيفية زيادته ، واعطاء علل ذلك وقوانينه ، والفصل الثاني يصف فيه المصائب التي أصابت الديار المصرية فى سنة ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ م نتيجة انخفاض النيل ، وما أصاب الناس من الجوع وأكل الجيف ، والموت ، والقحط . وارتفاع الأسعار ، ويروى في ذلك غريب الأخبار. أما الفصل الثالث فيتناول حوادث سنة ٥٩٨هـ /

---

(١) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ج ١ / ص ٣٤٦.
(٢) عبد اللطيف البغدادى : مقالتان في الحواس / ص ٤٥ .

١٢٠١م حيث تحسنت الحالة في هذه السنة ليس نتيجة لزوال الأسباب الموجبة اللازمة وانما للانخفاض الحاد في عدد السكان.[1]

ثالثا : الدراسات التربوية :

لقد أسهم المسلمون في هذا العصر في الكتابة في هذا الفرع من الدراسات ، وأدلوا فيه بآراء هامة ، حتى ان بالامكان القول بأنهم كانوا مبدعين وروادا فيه .

ولعل أبرز من ظهر في هذا العصر من التربويين هو حجة الاسلام الامام أبو حامد الغزالي[2] المعلم الناجح ، والمربي القدير ، الذى خلق معلما وعاش معلما ، وهو في معظم كتبه ، معلم يحاول أن يوصل معلوماته الى الناس بأسلوب سهل واضح .

وآراؤه في أصول التربية والتعليم والتهذيب بارزة في كتاباته ، وهي غالبا ما تتطابق والنظريات الحديثة في التربية والتعليم .

على أن أهم آرائه في هذا المجال قد تضمنتها مؤلفاته فاتحة العلوم[3]، وأيها الولد[4] ، وميزان العمل[5] ، وبداية الهداية[6] وكتابه الجامع احياء علوم الدين ، الذى

---

(١) لمعلومات أوسع عن هذا الكتاب أنظر : عبد اللطيف البغدادى : مقالتان في الحواس من ص ٤٣ الى ص ٦٥ .
(٢) سبقت دراسته في مواضع عدة من هذا البحث .
(٣) نشرة محمد النعساني ـ القاهرة ، ١٣٢٢هـ/١٣٢٩ هـ .
(٤) طبعه لأول مرة محققا الأستاذ فؤاد الدين الكليدار في سنة ١٩٤٨م ـ مطبعة المعارف ، بغداد . ثم طبع ضمن " القصور العوالي " ، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، مكتبة الجندى ـ القاهرة .
(٥) مطبوع ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م ، تحقيق سليمان دنيا .
(٦) طبع لأول مرة بتحقيق المحقق الأستاذ فؤاد الدين الكليدار في مطبعة المعارف ببغداد (١٩٥٢م) ، ثم أعاد طبعه ثانية سنة ١٩٥٦م في عين المطبعة مع رسالة " أيها الولد ".

يعتبر من أبرز مؤلفاته في علم الكلام والفقه والتربية والأخلاق .

والدارس لما كتب الغزالي عن التربية والتعليم في مؤلفاته هذه ، وعلى الأخص كتابه احياء علوم الدين يجد أنه وضع نظاما تربويا شاملا كاملا محددا[1] ، فلقد كان الارشاد الديني والتهذيب الخلقي من أهم غاياته ومقاصده ، حيث انه اهتم ببيان الطريقة السليمة للتربية الدينية للنشئ وتهذيب العقل بالمعرفة ، وتهذيب النفس بالعبادة[2] .

كما بين الغزالي الطريق في رياضة الصبيان أول نشأتهم فقال : " اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها ، والصبي أمانة عند والديه ؛ وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ...... ، فان عوّد الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ، وان عوّد الشر وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له . وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ، ويعلمه محاسن الأخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء ، ولا يعوده على التنعم ، ولا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية ، فيضيع عمره في طلبها ...... والصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه ، ...... وان الصبي اذا أهمل في ابتداء نشوئه خرج في الأغلب ردئ الأخلاق كذابا حسودا سروقا . واذا ظهر من الصبي خلق جميل ، وفعل محمود ، فينبغي أن يكرم عليه ، ويجازى عليه بما يفرح به ، ويمدح بين أظهر الناس ...... وينبغي أن يمنع من كل مايفعله في خفية ، فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد أنه قبيح ...... ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ...... وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب المكتب

---

(١) انظر في هذا : الغزالي : احياء علوم الدين جـ١ ص ص ١ - ٨٩ . أيها الولد ، الرسالة اللدنية .

(٢) الغزالي : المنقذ من الضلال ص٢٣ - ٢٥ .

بحيث لا يتعب في اللعب ، فان منع الصبي من اللعب وارهاقه بالتعليم دائما يميت قلبه ، ويبطل ذكاءه ، وينغص عليه العيش".[1]

هذه مجموعة من الوصايا أدلى بها الغزالي لغرض تربية الأولاد ، وهو بذلك يكون قد سبق علماء التربية في القرن العشرين ، فيما يمكن أن تؤديه التربية الحسنة من تعديل للطباع ، وتهذيب للأخلاق فقد بين أن التربية تستهدف تحقيق الانسجام بين الانسان وبيئته . وقد انتقد الغزالي أصحاب الرأى القائل بأن طبيعة الانسان لا يمكن تغييرها ، فيقول في ذلك تعليقا على قوله عليه السلام " حسنوا أخلاقكم "[2]" لو لم يكن ممكنا لما أمر به ، ولو امتنع ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ ، والترغيب والترهيب ، فان الأفعال نتائج الأخلاق ".[3] كما نجد أن الغزالي ينزع الى تخليص الابن من الخصال القبيحة كالتزين والتدليل ، والابتعاد عن قرناء السوء كوسيلة لتهذيبه ، وأن لا يترك الأب ابنه بعد الشباب من المراقبة والنصح .

وقد تكلم الغزالي عن الثواب والعقاب في التربية ، وهو يرى أنه يجب تكريم الصبي ومدحه على ما يأتي به من أفعال حسنة ، وما يتحلى به من خلق جميل ، لكنه اذا ما أتى أمرا مذموما ـ على خلاف عادته ـ فيحسن التغافل عنه ، فان مكاشفته بالمذمة قد تزيده عنادا ، فيقول في ذلك : " فان خالف ذلك في بعض الأحوال فينبغي أن يتغافل عنه ، ولا يهتك ستره ولا يكاشفه . . . . فان اظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة ".[4]

---

(١) الغزالي : احياء علوم الدين جـ ٣ / ص ٧٢ - ٧٣ .
(٢) أخرجه أبو بكر ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ " يامعاذ حسن خلقك للناس" الغزالي : احياء علوم الدين جـ ٣ / ص ٥٦ الحاشية .
(٣) ن . م . ص جـ ٣ / ص ٦٩ .
(٤) ن . م . ص جـ ٣ / ص ٧٣ .

ولقد اهتم الغزالي بالتربية الدينية للأولاد في صغرهم فهو يرى " ان الدين ينبغي أن يقدم الى الصبي في أول نشوئه ليحفظه حفظا ، ثم لا يزال يتكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا ، فابتداؤه الحفظ ، ثم الفهم ، ثم الاعتقاد ..... وذلك ما يحصل للصبي بغير برهان ".(١)

ولقد نبه الغزالي فى كتابه احياء علوم الدين الى أهمية التعليم والمتعلمين فتحدث في "كتاب العلم" عن فضل العلم والتعليم والتعلم ، وعن العلوم المحمودة والمذمومة ، وما منها فرض عين وما منها فرض كفاية ، وتحدث عن علم الخلاف ، وآفات المناظرة والجدل وشروطهما ، كما تحدث عن آداب المتعلم والمعلم(٢) وقد قسم حجة الاسلام الغزالي العلوم الى مجاميع جعل لكل مجموعة منها مرتبة في أفضليتها على النحو التالي :

المرتبة الأولى : القرآن الكريم وعلوم الدين كالفقه والسنة والتفسير .

المرتبة الثانية : علوم اللغة العربية ، والنحو ومخارج الحروف .

المرتبة الثالثة : فروض الكفاية ، وهي علوم الطب والحساب والسياسة والصناعات المختلفة .

المرتبة الرابعة : العلوم الثقافية ، كالشعر والأدب والتاريخ ، وبعض فروع الفلسفة والمنطق وبعض العلوم التجريبية .(٣)

ولقد وضع الغزالي مبادئ معينة ، وسلوكا خاصا ينبغي أن يتبعه المعلم أثناء تأديته لوظيفة التدريس ، فوضع في كتاباته عن التربية العلاقات التى يجب أن تربط بين المعلم والمتعلم ، حيث انه جعل شروطا وأوصافا للمعلم والمتعلم

---

(١) الغزالي : احياء علوم الدين جـ ١ / ص ٨٣ .
(٢) ن٠م٠س جـ ١ / ص ص ٤ - ٨٢ .
(٣) ن٠م٠س جـ ١ / ص ص ٤ - ٨٢ .

المثاليين في نظره . وهو يصف الطريقة المثلى التي يجب أن يعامل بها التلميذ من قبل معلمه من النواحي الاجتماعية والعاطفية .

وهكذا فقد سبق الغزالي المربين المعاصرين حين علق أهمية كبيرة على العلاقات الانسانية التي تربط المعلم بالمتعلم . وهو يرى بعد ذلك أن المدرس الكامل ، الحميد الخلق الموكل بتعليم النشء يجب أن يتصف بصفات معينة ذلك أنه " مهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما ".[1]

ولقد نصح الغزالي المعلم بأن يكون بمثابة الأب الحنون للمتعلم ، فقال: "ان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية".[2] والغزالي يحقر فكرة تقاضي المعلم أجرا على ما يقوم به من التعليم ، ذلك أنه يرى أن المعلم ماهو الا مرشد ديني ينبغي ألا يتقاضى من وراء تعليمه جزاء ولا شكورا.[3] ثم يقول : ان المعلم ينبغي أن يكون مرشدا أمينا صادقا لتلميذه ، فلا يدع تلميذه يبدأ دراسة تالية قبل استيفاء الدراسة التي قبلها ، وألا يضيع فرصة قد تفوت بغير تنبيه للمتعلم.[4]

كما فطن الغزالي الى أن التشهير بأخطاء الصغار من شأنه أن يثيرهم فيلجأون الى التحدي والاصرار على الخطأ ، وعلى ذلك فهو يرى بأن " يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ، فلايصرح ، وبطريق الرحمة ، لا بطريق التوبيخ ".[5]

---

(١) الغزالي : احياء علوم الدين جـ ١ / ص ٥٥ .
(٢) ن.م.س جـ ١ / ص ٥٥ .
(٣) ن.م.س جـ ١ / ص ٥٥ .
(٤) ن.م.س جـ ١ / ص ٥٦ .
(٥) ن.م.س جـ ١ / ص ٥٧ .

كما نبه الغزالي الى أن من واجب المعلم أن يعظم شأن العلوم جميعها ، ولا يقبح بعضها في نظر المتعلم .(١) كما نبه الى أن على المعلم أن يشجع التلاميذ على التعليم والحصول عليه من يد معلمين آخرين فيقول : " ان المعلم المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم من غيره ، وان كان متكفلا بعلوم فينبغي أن يراعي التدرج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة ".(٢)

كما نبه الغزالي الى الفروق الفردية بين التلاميذ بقوله : " واذا غلبت القوة البدنية على النفس يحتاج المتعلم الى زيادة التعلم ، وطول المدة ".(٣) ويقول أيضا : " أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى اليه ما لا يبلغه عقله ".(٤) وقد فطن الغزالي الى أهمية دراسة نفسية المتعلم ، لذلك تنبه الى كيفية معاملته ، بحيث يبعد عنه الشك والتحدى والقلق فيقول : " ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا ، وهو يدخره عنه ، فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ، ويشوش عليه قلبه ".(٥)

وقد نصح الغزالي بعد ذلك بعدم ارباك فكر المتعلم بتعليمه النظريات المتعارضة ، وهو يرى أنه " لا ينبغي أن يخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة ، بل يقتصر معهم على تعليم العبادات "(٦) ، وقد حرص الغزالي دائما على أن يبين أن التمسك بالمبادئ والعمل على تحقيقها من أهم صفات المعلم ، وهكذا فان على المعلم أن يكون ملتزما ، فلا ينادى بمبدأ ، ويأتي بأفعال مناقضة له ، لذلك فهو يرى أن " يكون المعلم عاملا بعلمه ، فلا يكذب قوله فعله ، .... فاذا خالف العمل العلم منع الرشد ".(٧)

---

(١) الغزالي : احياء علوم الدين جـ ١ / ص ٥٧ .
(٢) ن.م.س جـ ١ / ص ٥٧ .
(٣) الغزالي : الرسالة اللدنية /ص ١١٣ .
(٤) الغزالي : احياء علوم الدين جـ ١ / ص ٥٧ .
(٥) ن.م.س جـ ١ / ص ٥٨ .
(٦) ن.م.س جـ ١ / ص ٥٨ .
(٧) ن.م.س جـ ١ / ص ٥٨ .

أما رسالته الموسومة أيها الولد فانها تحوى مجموعة من النصائح والارشادات للمتعلم يقول فيها : " أيها الولد ، كم من ليال أحييتها بتكرار العلم، ومطالعة الكتب ، وحرمت على نفسك النوم ، لا أعلم ماكان الباعث فيه ، أيها الولد : العلم بلا عمل جنون ، والعمل بغير علم لا يكون . أيها الولد ينبغي أن يكون قولك وفعلك موافقا للشرع ، اذا العلم والعمل بلا اقتداء للشرع ضلالة ، أيها الولد ، انــي أنصحك بثمانية أشياء ، اقبلها مني ، لئلا يكون علمك خصما عليك يوم القيامة تعمل منها بأربعة ، وتدع منها أربعة "[١].

هذه نماذج من آراء الامام حجة الاسلام الغزالي في تربية النشء والمتعلمين، تشتمل على كثير من الآراء الجادة في التربية والتعليم ، مما ثبت جدواه في العصر الحديث ، وهي تمثل نماذج مبسطة عن آرائه في تربية الأطفال وتعليمهم الآداب العامة كالصدق ، والأمانة ، والتخلق بأخلاق الاسلام ، وعلاقاتهم بوالديهم والتواضع وآداب المجلس .

والى جانب حجة الاسلام الغزالي رائد التربية والتعليم في هذا العصر ، برز الى جانبه عدد آخر من رواد التربية والتعليم ، كان لهم دراسات جادة فـي هذا الميدان ، نخص منهم بالذكر الامام الخطيب البغدادى (المتوفي عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) الذى جاء كتابه تاريخ بغداد مثالا لكثير من الآراء التربوية والتعليمية . فلقد أورد تفصيلات عن الكتاب والمؤدبين والتلاميذ وابتداء دخولهم المدارس[٢]، وأجور المؤدبين والمعلمين[٣] ومواد التعليم[٤] وأماكن التعليم المختلفة مـــن

---

(١) الغزالي : أيها الولد / ص ١٧٣ الى ص ١٨٠.
(٢) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ٤/ص ٤٠٤، جـ٩/ص ص ٣٠٧، ٤٦٥.
(٣) ن٠م٠س جـ٢/ص ٨١، جـ٣ / ص ص ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٤٤، ٣٤٣، جـ٦ / ص ص ٢١٩، ٢٢١، جـ٨/ص ١٤٨، ١٩٨ ، جـ١٠/ص ص ٨، ٩ - ٩٠ ، ١٨٤، جـ١١/ص ص ٤٠٣ - ٤١٢، جـ١٢/ص ص ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٣٠ - ٢٣٢ - ٢٣٤ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٥ - ٤١٦ ، جـ١٤/ص ١٤٧ - ١٥٠.
(٤) ن٠م٠س جـ٩/ ص ٢٨١ ، جـ١٤/ ص ١٥٠.

حلقات[١] ومجالس علمية مختلفة كمجالس الحديث[٢] ومجالس التدريس[٣] ومجالس المناظرة[٤]. كما تحدث الخطيب عن آداب الدرس[٥] وأساليب التدريس كالسماع والاملاء والاجازة[٦].

ولقد برز كذلك الامام أبو الحسن الماوردى (المتوفي عام ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م) كواحد من رجال التربية والتعليم في هذا العصر ، ولعل كتابه أدب الدنيا والدين يعد من أهم كتبه التى عالج فيها الكثير من القضايا التربوية المتعلقة بالتعليم ، فلقد خصص الباب الثاني من هذا الكتاب في أدب العلم[٧] حيث تحدث فيه عن شرف العلم وفضله[٨]، والترغيب في العلم واخلاص النية فيه[٩]، وحث على العلوم الدينية ، ذاكرا أنها أفضل أنواع العلوم[١٠]. كما حث على التدرج فى طلب العلوم قائلا : " ولا يطلب الآخر قبل الأول ، ولا الحقيقة قبل المدخل ، فلا يدرك الآخر ، ولا يعرف الحقيقة ، لأن البناء على غير أساس لا يبنى"[١١]. كما نبه

---

(١) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ١/ص ٢٧٦، جـ٣/ص ٧ - ٣٢٨، جـ١١ / ص ص ١٤٨ - ١٤٩ ، جـ ١٢/ص ٣٥١ ، جـ ١٣/ص ٣٣٣.

(٢) ن.م.س جـ ٢/ص ص ٦ - ٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ ، جـ ٥/ص ص ٦٧ - ٢٣٩، جـ ١٠/ص ٣٦٧، جـ ١٢/ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٣) ن.م.س جـ ٤/ص ٣٦٩، كتاب الكفاية ص ص ٥٤ - ٥٥.

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد جـ ٤ / ص ص ١٥١ - ١٥٢، جـ ٦/ص ٢١، جـ ٧ / ص ٢٢٣، جـ ٨ / ص ٣٢ ،جـ ٩ / ص ٣١٤ - ٣١٥ - ٤٠٩ ، جـ ١١/ ص ص ٤٦٦ - ٤٦٧ ، جـ ١٤/ ص ٨٧ - ٩١ - ٢٠٤.

(٥) ن.م.س جـ ٢/ص ١٣، جـ ٤/ص ص ٦٩ - ٧٠، جـ ٥ /ص ٢٣٠، جـ ٦/ص ص ٧٣ - ١١٠ ، جـ ٩/ص ص ٤٠٧ - ٤٠٨ ، جـ ١٠/ص ص ٢١٩ - ٢٧٢، جـ ١٤ / ص ص ٢٢ - ٢٧٤.

(٦) ن.م.س جـ ١٢/ص ٢٧٨، جـ ٤/ص ٢٠، جـ ٥/ص ٢٢٧ - ٢٢٨، جـ ٨/ ص ١٠٢ - ١٠٣ - ٢٨٥، جـ ٩/ص ٣٣، جـ ١٢/ص ٢٤٨. الكفاية / ص ٣١١ - ٣٢٦ - ٣٢٩ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٤٥.

(٧) الماوردى : أدب الدنيا والدين من ص ٤١ الى ص ٩٣.

(٨) ن.م.س / ص ٤١.

(٩) ن.م.س / ص ص ٥٣ - ٥٤.

(١٠) ن.م.س / ص ٤٤.

(١١) ن.م.س / ص ٥٥.

الماوردى الى كشف الأسباب المانعة للفهم قائلا : " فينبغي لطالب العلم أن يكشف عن الأسباب المانعة تعلمه ، فان للنفس نفورا يفضي الى تقصير ، ووفورا يئـــول الى سرف ، وقيادها عسر. ولها أحوال ثلاث : فحال عدل وانصاف ، وحـال غلو واسراف ، وحال تقصير واحجاف ".[1]

وذكر الماوردى الآداب التى يجب أن يتحلى بها المتعلم والعالم قائـــلا : " وسأذكر طرفا مما يتأدب به المتعلم ، ويكون عليه العالم ".[2] وختم هذا الفصـــل بالحديث عن أجر المعلم[3] وأوجب عليه اسداء النصح للمتعلم.[4]

كما حث المعلمين بالرفق بالمتعلمين قائلا : " ومن آدابهم ألا يعنفـــوا متعلما ، ولا يحقروا ناشئا ، ولا يستصغروا مبتدئا ، فان ذلك أدعى اليهـــم ، وأعطف عليهم ، وأحث على الرغبة فيما لديهم ...... ومن آدابهم ألا يمنعـــوا طالبا ، ولا ينفّروا راغبا ، ولا يؤئسوا متعلما في ذلك من قطع الرغبة فيهـــم ، والزهد فيما لديهم ، واستمرار ذلك مفض الى انقراض العلم ".[5]

وعلى أى حال فكتابه هذا يعد من أهم كتبه التى تبحث في الأخلاق والعقل والعلم والنفس ، جمع فيه بين تحقيق الفقهاء ، وترقيق الأدباء ، مستشهـــــدا بالكتاب والسنة وأمثال الحكماء والأدباء .

ومن علماء العصر البارزين في ميدان التربية والتعليم الامام أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى (المتوفي عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ م) الذى تعرض لتربية الأطفال وتنشئتهم

---

(١) الماوردى : أدب الدنيا والدين / ص ص ٧٢ - ٧٣.
(٢) ن.م.س / ص ٧٥.
(٣) ن.م.س / ص ٩٢ .
(٤) ن.م.س / ص ٩٣ .
(٥) ن.م.س / ص ٩٣ .

النشأة الصالحة وتعليمهم ومراعاتهم في ذلك في الكثير من كتبه[1] ولعل اهتمام ابن الجوزى المحدث المؤرخ بهذا الجانب جاء نتيجة النشأة الصالحة التى كان عليها منذ نعومة أظفاره حين حمله خاله الى الشيوخ ، وأسمعه الحديث وثبت سماعاته[2] ثم يقول عن سيرة طفولته : " فاني أذكر نفسي ولي همة عالية ، وأنا في المكتب ابن ست سنين ، وأنا قرين الصبيان الكبار . . . . فما أذكر أني لعبت في طريق مع الصبيان ولا ضحكت ضحكا خارجا "[3]. ولهذا فابن الجوزى يرى أن نشأة الطفل الأولى هي المعيار الأساسي لنجاحه أو فشله في حياته ، وجعل للأب دورا عظيما في تحديد سلوك الطفل وكيفية تنشئته حيث يقول : " أقوم التقويم ما كان في الصغر ، فأما اذا ما ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرّن كان رده صعبا "[4].

وذكر ابن الجوزى المسلك الذى ينبغى على الوالد أن يسلكه فى تربية ولده ، والصفات التى يجب أن يزرعها في نفسه منذ الصغر ، ويعلل ذلك بقوله : " ان قلبه فارغ يقبل ما يلقى اليه "[5] ولهذا فهو يرى أن " يعوده النظافة والطهارة من الصغر ويثقفه بالآداب "[6] ونصح الآباء بقوله :" جنبوا أولادكم قرناء السوء قبل أن تصبغوهم في البلاء كما يصبغ الثوب ".[7]

وأكد ابن الجوزى على أهمية الثواب والعقاب كوسيلتين مهمتين لتربية وتأديب الأطفال بقوله : " يضرب تارة ويرش أخرى "[8]، فاذا أخطأ فعليه التغافل ،

---

(١) من مصنفاته هذه لفتة الكبد في نصيحة الولد ، صيد الخاطر، الطب الروحاني ، كتاب الأذكياء ، الحث على حفظ العلم ، ذكر كبار الحفاظ وغيرها .
(٢) ابن الجوزى : لفتة الكبد في نصيحة الولد / ص ٣٥.
(٣) ن.م.س / ص ٣٣.
(٤) ابن الجوزى : الطب الروحاني / ص ٤٥ - ٤٦ . مطبعة الترقي ، دمشق ١٣٤٨هـ.
(٥) ن.م.س / ص ٤٦.
(٦) ابن الجوزى : الحث على حفظ العلم /ص ٣٩.
(٧) ابن الجوزى : ذم الهوى / ص ١١٦.
(٨) ابن الجوزى : صيد الخاطر / ص ١٩٩.

فان كرر خطأه عاقبه بالتوبيخ أو الضرب ، على أن يكون ذلك سرا ، ليس أمام أحد من الأقران أو الأغراب.[(١)] وفي تعليم الطفل يرى ابن الجوزى أن سن الصغر أو ما يقاربه من ذلك أفضل وقت لبداية التعليم[(٢)] وحدد ابن الجوزى المنهج الذى ينبغي تلقينه للطفل ، فذكر أهم العلوم وهي القرآن الكريم ، والنحو ، والفقه.[(٣)]

ولقد تنبه ابن الجوزى الى أهمية الفروق الفردية ، والقدرات الشخصية بين الأفراد ، فقال : " وينبغي للعاقل ألاّ يقدم على العزائم حتى يزن نفسه هل يطيقها ، ويجرب نفسه في ركوب بعضها".[(٤)] ثم يذكر القدرات الشخصية والميول لدى المتعلمين فيقول : " ومن الصبيان من علق بشيء من الخط ، لكنه ضعيف الاستخراج ، ردىء الكتابة ، فخرج من المكتب ولم يعلق الا بقدر حساب، ومنهم من جوّد الخط ولم يتعلم الحساب ، وأتقن الأدب ".[(٥)]

رابعا : علم الكلام :

يؤكد شيخ الاسلام ابن تيمية أن المسلمين في صدر الاسلام كانوا يرون أن " التنافر والتجادل في الاعتقاد يؤدى الى الانسلاخ من الدين ، ولذلك كان المسلمون عند وفاة الرسول عليه السلام على عقيدة واحدة ، ولم يظهر البحث والجدل في مسائل العقيدة الا بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام حين ظهرت البدع ، واضطر المسلمون الى مدافعتها ، ومن ثم تفرقت الفرق ونشأ علم الكلام ضرورة تقدر بقدرها ".[(٦)]

---

(١) ابن الجوزى : الطب الروحاني / ص ٤٦.
(٢) ابن الجوزى : صيد الخاطر / ص ٤٩.
(٣) ن.م.س / ص ٢٠٠.
(٤) ن.م.س / ص ١٣٨.
(٥) ن.م.س / ص ٢٥١.
(٦) ابن تيمية : العقيدة الواسطية / ص ص ٢٤ - ٢٥.

ولقد ظهر الامام الغزالي في هذا العصر وخاض تجربته الذاتية في محاولة جادة للوصول الى المعرفة الحقة ، فلقد ترك لنا هذا الامام في كتابه المنقذ من الضلال تاريخا لحياته العقلية والعقيدية ، وحالة الصراع التى عاشها ، والنظرة الشكية التى تحكمت فيه ، بين فيه تطورها وتدرجها للوصول الى اليقين ، وهو يحكي لنا ذلك بعد أن جاوز الخمسين من عمره . وبين ما قاساه في مسيرته الحثيثة نحو استخلاص الحق والوصول الى المعرفة الحقة من بين اضطراب الفرق ، وما استجرأ عليه في الارتفاع من حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار مبتدئا بعلم الكلام ، ثم بمذهب الباطنية ، منتقلا بعد ذلك الى دراسة الفلسفة ، ومنتهيا بطريق الصوفية . خائضا بحر الخلاف ، متوغلا في كل ظلمة متهجما على كل مشكلة ، فاحصا كل عقيدة ، وكل فرقه وكل مذهب[1] ، وهو يقول : ان التعطش الى ادراك حقائق الأمور كان ديدنه ومذهبه ، من أول عمره غريزة وفطرة من الله ، وضعها الله في جبلته من اختيار منه ، حتى انحلت عنه رابطة التقليد ، وانكسرت عليه العقائد الموروثة ، على قرب عهد بسن الصبا[2] .

وقد حاول أن يعرف حقيقة الفطرة التى يكون عليها الانسان ، قبل الاعتقادات العارضة[3] ومطلوبه من ذلك العلم اليقيني الذى لا يتطرق اليه ريب ، ولا يتسع للقلب الشك فيه[4] . ولما امتحن الغزالي علومه لم يجد من بينها علما يبلغ هذه المرتبة في اليقين الا الحسّيات[5] ولكنه أراد أن يتأكد من ذلك ، فتأملها وحاول أن يشكك نفسه فيها فلم يجد أمانا من المحسوسات[6] لأن العين مثلا تخدع عن الحقيقة ، عند ذلك بطلت ثقته بالمحسوسات ، فاستعان بالعقل[7] الذى

---

(١) الغزالي : المنقذ من الضلال / ص ٥ .
(٢) ن ٠م ٠س / ص ٥ .
(٣) ن ٠م ٠س / ص ٦ .
(٤) ن ٠م ٠س / ص ٧ .
(٥) ن ٠م ٠س / ص ٧ .
(٦) ن ٠م ٠س / ص ٧ .
(٧) ن ٠م ٠س / ص ٩ .

استطاع بواسطته اماطة اللثام عن كثير من الأمور الغامضة.[١] ولكنه عندما حاول استعمال العقل للوصول الى المعرفة الحقة ألا وهي المعرفة الالهية ، استعصى عليه الأمر ، ودام قريبا من سنتين على هذه الحال حتى أخذ الله بيده ، وهداه الى مفتاح المعرفة الحقة في سلوك طريق التصوف ، فتراه يقول : " فعلمت يقينا أنهم أرباب الأحوال ، لا أصحاب الأقوال ، وأن مايمكن تحصيله بطريق العلم قد حصلته، ولم يبق الا ما لاسبيل اليه بالسماع والتعلم ".[٢]

ولهذا فقد كان منهج الغزالي في وصوله الى المعرفة تجربة عملية وميدانية اعتمدت على طرح التقليد واللجوء الى العقل والادراك والمناقشة والشك للوصول الى اليقين ، فيذكر الغزالي أن الحساب والهندسة والفلك والطبيعيات هي علوم حقيقية لاشك في صحة براهينها ، وفضل استنتاجها ،[٣] ولكن من الخطأ اقامة العلم على الاعتقاد كما لايجوز حصر الدين ضمن أحكام العقل وبراهين المنطق ، اذ أن لكل من الناحيتين مصدرا خاصا ، فاما العلم فيستند الى العقل ، وأما الدين فينبعث من القلب.[٤] اذا فالغزالي رجع آخر الأمر الى القلب للوصول الى المعرفة الحقة ، في محاولة لانقاذ الدين من المفاهيم الفاسدة ، والأفكار الخاطئة التي علقت به ، وهددت بالقضاء على حقيقته ، لقد أراد الغزالي جعل الدين خالصا طاهرا من تأويلات أهل الباطن ، ومن جهل أهل الظاهر ، ومن أوهام الفلاسفة وتخيلاتهم.[٥]

---

(١) الغزالي : المنقذ من الضلال / ص ١٠.
(٢) ن.م.س /ص ٤٥.
(٣) ن.م.س / ص٢٣.
(٤) ن.م.س / ص ص ٢٣ - ٢٥.
(٥) ن.م.س / ص ص ٢٤ - ٢٥ - ٢٦.

أما فيما يتعلق بعلم الكلام[(1)] فلقد بدأ أول الأمر كلاما في مسألة القدر ، ولم يكن علما حينذاك ، بل كان شكلا فكريا من أشكال التحول الكيفي لتراكمات التطور الاجتماعي والثقافي . وعلى أساس مسألة القدر من حيث علاقتها بحرية الانسان في اختيار أفعاله ، أثيرت مباحث متفرقة ومتنوعة في الفقه وأصوله التى كونت بالتالي ما يسمى بعلم الكلام[(2)].

ولقد اختلف في علم الكلام ونسبه هل هو للمعتزلة أم للأشاعرة ؟ . فيقول الغزالي في هذا : " وانما مقصوده ـ أى علم الكلام ـ حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة . . . . ثم ألقي الشيطان فى وساوس المبتدعة أمورا مخالفة للسنة ، فلهجوا بها ، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها ، فأنشأ الله طائفة المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف أهل السنة المأثورة ، فمنه نشأ علم الكلام "[(3)]، فكلام الغزالي هذا يدل دلالة واضحة على أن بداية علم الكلام من حيث بدأ أبو الحسن الأشعرى (المتوفي عام ٣٣٠هـ/ ٩٤١م) ومذهبه المناهض للاعتزال ، ولقد كان تولي الخليفة المتوكل العباسي الخلافة سنة ٢٣٢هـ/٨٤٧م[(4)]، بداية النهاية للاعتزال ، وايذانا بالقضاء على هذا المذهب بعد أن شمله ثلاثة

---

(1) علم الكلام : ملكة يقتدر بها الانسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التى صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل . أنظر :
الفارابي : احصاء العلوم / ص ١٠٧ - ١٠٨ .
وعرفه ابن خلدون بقوله : هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة. أنظر: ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥٨ .

(2) أنظر ما كتبه ابن خلدون : المقدمة / ص ٤٥٨ - ٤٦٧ عن علم الكلام ونشأته .

(3) الغزالي : المنقذ من الضلال / ص ١٤ .

(4) توفي الخليفة المتوكل عام ٢٤٧ هـ/ ٨٦١ م ، أظهر الميل الى السنة ونصر أهلها ورفع المحنة . أنظر: السيوطي : تاريخ الخلفاء / ص ٣٢٠ .

من الخلفاء قبله بالرعاية .[1] ولقد بدأ التحول الفعلي هذا في الحركة التي قادها اثنان من كبار فقهاء أهل السنة هما : الامام أحمد بن حنبل (المتوفي عام ٢٤١ هـ/ ٨٥٥ م) والامام أبو الحسن الأشعرى ، في موقف الشموخ والتصدى ، والالتزام بعقيدة أهل السلف، حتى ظهر الامام الغزالي الذى انبرى بجدارة ليقف في وجه الدهريين والرافضة والباطنية .

ويبدى الغزالي شيئا من التحفظ تجاه علم الكلام ، وهو يريد أن يقتصر على الأمور الجوهرية ، ولعل ذلك ما دعاه الى تأليف كتابه الموسوم الاقتصاد في الاعتقاد[2] الذى انعكست فيه رغبة واضحة في أن يظل مخلصا لمذهب الأشاعرة ، وأن يبسط الجدل الى أقصى حد ، متجنبا النظرات الفلسفية .[3]

ففي هذا الكتاب خصص الغزالى تمهيدات أربعة تجرى مجرى المدخل الى علم الكلام ، وهو يبدأ في التمهيد الأول " فى بيان أن الخوض فى هذا العلم مهم فى الدين " .[4] ويلتزم الغزالى بهذا المنحنى فى كتاباته التالية ، فهو فى كتابه جواهر القرآن[5] يقول : " من التوابع المتممة محاجة الكفار ومجادلتهم ، وفيه يتشعب علم الكلام المقصود لرد الضلالات والبدع وازالة الشبهات ، ويتكفل به المتكلمون . وهذا العلم قد شرحناه على طبقتين ، سمينا الطبقة القريبة منها الرسالة القدسية والطبقة التى فوقها الاقتصاد في الاعتقاد ، ومقصود هذا العلم حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة " .[6] ثم ينتقل الغزالى الى التمهيد

---

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء / ص ٣٢٠ .
(٢) مطبوع ، القاهرة ، مكتبة مصطفى البابي الحلبى سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م .
(٣) أنظر كتابه الاقتصاد في الاعتقاد .
(٤) ن.م.س / ص ٧٢ .
(٥) مطبوع ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة سنة ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م .
(٦) الغزالي : جواهر القرآن / ص ٢١ .

الثاني بقوله : " بيان الخوض في هذا العلم وان كان مهما فهو في حق بعض الخلق ليس بمهم بل المهم تركه "[1] لأن علم الكلام ينبغي ألا يستعمل في العادة الا في ازالة شكوك طائفة من المسلمين " اعتقدوا الحق تقليدا وسماعا ، ولكن خصوا في الفطرة بذكاء وفطنة فتنبهوا من أنفسهم لاشكالات تشككهم في عقائدهم ".[2]

والغزالي بين ذلك في كتابه احياء علوم الدين بقوله : " فان كانت البدعة شائعة ، وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا ، فلا بأس أن يعلموا القدر الذى أودعناه كتاب الرسالة القدسية ، وهي فصل من كتاب قواعد العقائد ، ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة ان وقعت اليهم ، وهذا قدر مختصر ، وقد أودعناه هذا الكتاب الاحياء لاختصاره ، فان كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال ، أو ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة ، وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه الى القدر الذى ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ، وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد ، الى غير ذلك من مباحث المتكلمين "[3]،
وفي التمهيد الثالث أكد الغزالي على أن الاشتغال بهذا العلم فرض كفاية[4] وبيّن ذلك بأن الاشتغال بعلم الكلام حلال وقت الانتفاع به ، وحرام باعتبار ما فيه من مضرة ، فيقول : " ما مضرته فاثارة الشبهات ، وتحريك العقائد ، وازالتها عن الجزم والتصميم ، فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه . . . . ، فهذا ضرر في الاعتقاد الحق ، وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة ، وتثبيته في صدورهم ، بحيث تنبعث دواعيهم ، ويشتد حرصهم على الاصرار عليه . . . . ؛ أما منفعته فقد يظن أن فائدة كشف الحقائق

---

(١) الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد / ص ٧٤.
(٢) ن.م.س / ص ٧٥.
(٣) الغزالي : احياء علوم الدين جـ ١ /ص ٩٨.
(٤) الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد / ص ٧٧.

ومعرفتها على ماهي عليه ، وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ..... ، ولكن منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها عن العوام".[1]

وهكذا أوضح حجة الاسلام الغزالي موقفه من علم الكلام ، وبين بوضوح من من الخاصة يستطيع الافادة منه والاشتغال به والاطلاع عليه . وما عداهم من العامة حذرهم من التورط في الخوض فيه ، وهذا يفسر سبب وضعه كتابه الموسوم الجام العوام عن علم الكلام[2] حيث قال في ثناياه : " بل ان السكوت عن السؤال واجب على العوام لأنه بالسؤال متعرض لما لا يطيقه ، وخائض فيما ليس له أهلا ".[3]

خامسا : الفلسفة وعلم المنطق :

أما بالنسبة للدراسات الفلسفية في هذا العصر ، بالاضافة الى المنطق وعلوم الأوائل ، فلقد أصابها الانهيار والضعف ، وتقهقرت بعدما نشطت في العصر السابق ، والذى قبله ، لأسباب متعددة ، منها موقف الفقهاء من دراسات علوم الأوائل بالاضافة الى موقف السلطة من ذلك ، ويكفى القول هنا بأن من يتهم بميله الى الدراسات الفلسفية وعلوم الأوائل في هذا العصر فانه يتعرض لضايقات حادة ، فقد تحرق كتبه وقد يتعرض للمكاره والسجن[4] ومصادر التاريخ تروى لنا الكثير من حوادث حرق الكتب والسجن للكثير ممن اتهموا باهتمامهم بالدراسات

---

(١) الغزالي : احياء علوم الدين جـ ١ / ص ٩٧ .
(٢) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الغزالي بعنوان القصور العوالي . تحقيق محمد مصطفى جـ ٢ / مكتبة الجندى .
(٣) الغزالي : الجام العوام عن علم الكلام / ص ٦٩ .
(٤) أنظر عن هذا : ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ /ص ٨٢ ، سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان جـ ٨ / ص ٣٤٤ ، أبو شامة : ذيل الروضتين /ص ٥٥ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ٤ /ص ١٢٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣ /ص ٤٥ .

الفلسفية ، بل أصبح الانتساب لهذه الدراسات مرادفا للانتساب الى التعطيل[(١)].

ولقد كان فكر الغزالي في هذا العصر النموذج الأول لأحد طرفي الصراع بين الفكر الديني الاسلامي ، والفكر الفلسفي ، وبلغت حدة الخصام في عهده بين الدين والفلسفة درجة من التوتر لم تبلغه من قبل[(٢)]. واعتبارا من هذا التاريخ أصبح الاتجاه الغالب للمثقفين هو اتجاه الغزالي نفسه الذى سلط سيف العقيدة على الفلسفة والفلاسفة في كتابه تهافت الفلاسفة ، وكذلك في مصنفاته الأخرى ، يقول السبكي : " جاء والناس الى ردّ فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصابيح السماء ، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيف بجلاد مقاله ويحمي حوزة الدين "[(٣)]. ويقول أحد الباحثين : " ولا ريب في أن الغزالي أعجب شخصية في تاريخ الاسلام ، ومذهبه صورة لشخصيته ، زهد الغزالي في محاولة تفهم هذا العالم أو حب الدنيا ولكنه أدرك المسألة الدينية أعمق مما أدركها فلاسفة عصره . فقد كان هؤلاء الفلاسفة عقليين في نزعتهم ، شأن أسلافهم اليونان .... فرأوا أن دين المتدينين اما انقياد وطاعة عمياء عند البعض ، أو هو ضرب من المعرفة فيه حقائق أدنى مرتبة من حقائق الفلسفة عند البعض الآخر "[(٤)].

وهكذا ثار الغزالي في وجه الفلسفة والفلاسفة حين رأى ضعف العقيدة في عصره وتخلخلها لدى العامة والمثقفين والفلاسفة أنفسهم.

---

(١) كقولهم : كان فلان سامحه الله يتهم بدينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه . أنظر: العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٥ / ص ٤١ . ذكر العماد في ترجمته لفخرالدين اسماعيل بن علي بن حسين الأزجي " ولم يكن في دينه بذلك " لكونه كان يشتغل بعلوم الأوائل .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٦/ص ١٩١ .

(٣) ن.م.ص جـ ٦/ص ١٩١ .

(٤) دى بور : تاريخ الفلسفة في الاسلام / ص ٣٥٥ .

والغزالي في جميع كتبه ينطلق من مبدأ واحد ، وهو التجديد بالرجوع الى المنبع الصافي للعقيدة ، ومحاولة توطيد أركان الدين الاسلامي[(١)] ، وكان يتوسل في ذلك بكل مقولاته النظرية ، واجتهاداته التطبيقية ، والقول بحرية الرأي والنظر وتمجيد العقل ، والاجتهاد ومهاجمة السلاطين الظالمين والأغنياء المتعسفين ، ومزوري الدين من كل صنف . وهكذا نجد الغزالي يشرح الأسباب التي دعته الى وضع كتابه فيقول : " أما بعد فانني رأيت طائفة يعتقدون في أنفسهم التميز من الأتراب ، والنظر بمزية الفطنة والذكاء ، قد رفضوا وظائف الاسلام من العبادات ، واستحقروا شعائر الدين من وظائف الصلوات ، والتوقي عن المحظورات .... فلما رأيت هذا العرق من الحماقة نابضا على هؤلاء الأغبياء انتدبت لتحرير هذا الكتاب ، ردا على الفلاسفة القدماء ، مبينا تهافت عقيدتهم ، وتناقض كلمتهم فيما يتعلق بالالهيات وكاشفا عن غوائل مذهبهم وعوراته التي هي على التحقيق ضاحك العقلاء ، وعبرة عند الأذكياء "[(٢)].

فالغزالي ينكر على الفلاسفة سحب مقولات الفلسفة والعلوم الطبيعية لتطبيقها على الالهيات ، فالالهيات مجالها الدين ، والا فهم كافرون[(٣)]. ويرى الغزالي أن مصدر انحرافهم هو ايمانهم واتباعهم " لأسماء هائلة ، كسقراط وأبقراط وأفلاطون وأرسطو طاليس وأمثالهم ، واطناب طوائف من متبعيهم وظلالهم في وصف عقولهم ، وحسن أصولهم ، ودقة علومهم ...."[(٤)].

وقد اتبع الغزالي منهجا علميا رائدا ودقيقا ومنتظما في رده على الفلاسفة ، ذلك أنه رتب مسائل الفلسفة أولا في كتابه مقاصد الفلاسفة[(٥)] وعرض الآراء والبراهين

---

(١) الغزالي : احياء علوم الدين ج ١ / ص ٣٠
(٢) الغزالي : تهافت الفلاسفة / ص ٧٣.
(٣) الغزالي : المنقذ من الضلال / ص ٢٠ ، ٢١.
(٤) الغزالي : تهافت الفلاسفة / ص ٧٤.
(٥) مطبوع ، القاهرة ، دار المعارف سنة ١٣٧٩ هـ/ ١٩٦٠م.

المثبتة لها في جلاء ووضوح ، وكان الغزالي يريد بذلك أن يتفحص المسائل الفلسفية بعين العالم الدارس ، ولهذا فانه لم يكفر الفلاسفة في سائر علومهم ، وذلك بعد دراستها وتقصيها وعرضها على ميزان الفطرة والعقل الصحيح ، فقد أحصى مسائل الفلسفة في عشرين مسألة ، وكفر الفلاسفة في ثلاث منها ، وهي قولهم بأزلية العالم وانكارهم لمعرفة الله تعالى للجزئيات ، وانكارهم لحشر الأجساد ، وبدعهم في السبعة عشر الباقية (١).

وبالاضافة الى حجة الاسلام الغزالي برز عدد قليل في هذا العصر في مجال الدراسات ، منهم أطباء كان لهم مراكزهم العلمية في هذا العصر ، مثل أوحد الزمان أبي البركات هبة الله بن علي بن ملكا البغدادى (٢) (المتوفي عام ٥٦٠ هـ/ ١١٦٤ م) الذى كان يهوديا فأسلم قبل تحريره كتابه المعتبر في الحكمة (٣)، قال عنه البيهقي : " فيلسوف العراقين ، وممن ادعى أنه نال رتبة أرسطو " (٤). وكتابه المعتبر في الحكمة من أجل كتبه ، ذلك أنه يمتاز بالنظرة النقدية العميقة لفلسفة ابن سينا في عصر كان يموج بفلسفة ابن سينا .

---

(١) تحدثت العشرات من الكتب عن حجة الاسلام الغزالي وتصديه للفلاسفة، وتناولوا كتابه " تهافت الفلاسفة " بالنقد والتحليل والتأييد . أنظر : الغزالي : تهافت الفلاسفة ، المنقذ من الضلال ، معيار العلم ، مقاصد الفلاسفة ، ابن رشد : تهافت التهافت ، اليازجي : الموجز في مسائل الفلسفة الاسلامية ، دى بور : تاريخ الفلسفة في الاسلام، عبدالقادر محمود : الفلسفة الصوفية في الاسلام ، زكي مبارك : الأخلاق عند الغزالي ، أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، محمد لطفي جمعة : تاريخ فلاسفة الاسلام.

(٢) أوحد الزمان هبة الله بن ملكا البغدادى ، طبيب ماهر، وعالم بعلوم الأوائل ، له عدد من المصنفات ، منها : سبب ظهور الكوكب ليلا واختفائها نهارا ، كتاب الافرباذين رسالة في العقل وماهيته ، كتاب النفس ، كتاب التفسير. ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء /ص ٣٧٤ ، القفطي : أخبار العلماء /ص ٢٢٤ . البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام/ص ١٥٢ ، البغدادى : هدية العارفين جـ٢/ص ٥٠٥ ، الزركلي : الأعلام جـ ٨ / ص ٧٤ .

(٣) عني بنشره سليمان القدورى بتكليف من دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٠هـ . ومن نسخ المخطوط نسخة بمكتبة أحمد الثالث برقم ٣٢٢٢ باستانبول .

(٤) البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام / ص ١٥٢ .

ويشتمل الكتاب على ثلاثة أجزاء : أولها في المنطق ، والثاني في الطبيعيات، والثالث فيما وراء الطبيعة.[١] ولقد كان اقتحام أبي البركات ميدان الفلسفة في هذا العصر ، رغم ما يوجهها من تحديات خطيرة ، مجازفة كبيرة منه ، ويبدو أن هناك عوامل معينة أسهمت في تخفيف عنف الفقهاء ووطأة الأصوليين من مجابهته ، ولقد رد الفقيه العالم ابن تيمية على آراء أبي البركات هبة الله بن ملكا البغدادى في العقل ، ومذهبه في الخلق والألوهية.[٢]

وعلى الجملة فان كتاب المعتبر في الحكمة هذا يعد من أبرز الكتب الفلسفية التى ظهرت في الفترة مابين وفاة ابن سينا (عام ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٤م) وبروز دور السهروردى شيخ الاشراق الذى ولد (عام ٥٤٩ هـ/ ١١٥٤م).[٣]

ومن فلاسفة أوائل العصر السلجوقي في العراق عيسى بن اسحاق بن زرعة بن مرقس البغدادى (المتوفي عام ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦م) الذى كان عالما بالفلسفة والمنطق ، وقد صنف في ذلك كتبا منها : اختصار كتاب أرسطو طاليس في المعمور من الأرض ، وأغراض كتب أرسطو طاليس المنطقية.[٤]

---

(١) أنظر الكتاب .
(٢) ابن تيمية : الرد على المنطقيين /ص ١٢٥ ، طبعة لاهور ، باكستان سنة ١٣٩٦هـ منهاج السنة جـ١ / ص ٩٨ .
(٣) أبو الفتوح يحي بن حبش بن أميرك السهروردى الحكيم الاشراقي المقتول بحلب سنة ٥٨٨ هـ/ ١١٩٢م وكان أوحد زمانه في العلوم الحكمية ، جامعا للفنون الفلسفية ، بارعا في الأصول الفقهية، مفرط الذكاء . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦ /ص ٢٦٨ ، اليافعي : مرآة الجنان جـ٣/ص ٤٣٤ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ١٩ /ص ٣١٤ ،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٦ / ص ١١٤ . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٤١ .
(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣١٨ ، القفطي : أخبار العلماء /ص ١٦٣.

وكان كامل بن أبي الفتح البادراني البغدادى (المتوفي عام ٥٩٦هـ/١١٩٩م)[1] ممن برعوا في علوم الأوائل ، وكان يدخل على الخليفة الناصر فينفرد به وبدراسة علوم الأوائل[2] .

أما جعفر القطاع المعروف بالسديد البغدادى (المتوفى عام٦٠٢هـ/١٢٠٥م)[3] فقد كانت له معرفة تامة بالكلام والمنطق والهندسة ، كما كان له اطلاع على علوم الأوائل وأقوالهم ومذاهبهم[4] .

وكان فخر الدين اسماعيل بن حسين الأزجي البغدادى المعروف بغلام المنى (المتوفى عام ٦١٠ هـ/ ١٢١٣م)[5] من المختصين في المنطق والفلسفة وعلم الكلام ، ولم يكن في زمانه أعلم منه بذلك[6] .

أما الشيخ عبد اللطيف البغدادى الذى تقدم الحديث عنه[7] فقد كان من رواد الفلسفة في عصره ، له من المصنفات ما يربو على مائة وسبعين مصنفا[8] ذكر البعض أن ثمانية وأربعين منها في الفلسفة[9] لم يصلنا منها سوى كتاب في علم ماوراء الطبيعة[10] .

---

(١) كامل بن الفتح بن ثابت البادراني شاعر من أهل بغداد ، رمي بالزندقة ، سكن بغداد وتوفي بها . الكتبي : فوات الوفيات جـ٣/ص ٢١٧ ، الصفدى : نكت الهميان ص ٢٣١ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ٦ / ص ٢٠٨ .

(٢) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ٩/ص٣٠ ، الصفدى : نكت الهميان / ص ١٣١ .

(٣) جعفر القطاع المدعو بالسديد البغدادى ، له معرفة تامة بالمنطق والفلسفة والهندسة ، واطلاع على علوم الأوائل . القفطي : أخبار العلماء / ص ١٠٩ .

(٤) القفطي : أخبار العلماء / ص ١٠٩ .

(٥) فخر الدين اسماعيل بن حسين الأزجي البغدادى كانت له حلقة كبيرة للمناظرة والاشتغال بعلم الكلام والجدل وتخرج به جماعة . ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ٢ / ص ٦٦ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٥ / ص ٤٠ .

(٦) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ٢ / ص ٦٦- ٦٧ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٥ / ص ٤٠ .

(٧) أنظر الدراسات الجغرافية من هذا المبحث .

(٨) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء/ص ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ .

(٩) عبد الرحمن بدوى : الافلاطونية المحدثة عند العرب / ص ٢٤٨ .

(١٠) عبد اللطيف البغدادى : مقالتان في الحواس / ص ٢٣ .

الفصل الرابع

دراسات العلوم الصرفه (البحته)

الفصل الرابـــع

العلوم البحتـــة

بدأت النهضة الفكرية في المجتمع الاسلامي مبكرة في صدر الاسلام، وتطـورت تطورا كبيرا خلال العصور العباسية المختلفة ، ثم بدأ العلماء المبرزون في الظهور وتنوع انتاجهم العلمي ، نتيجة للتطور العلمي وتبادل المعلومات في شـــــتي المعارف العلمية .

وعلى الرغم من بروز الكثير من العوائق المختلفة في العراق ، ابتداء من بداية العصر البويهي حتى نهاية العصر السلجوقي ، فان الحركة العلمية ظلت نشطـــة مستمرة ومتصلة ، رغم ما أصاب بعض فروعها من مقاومة أو اهمال . الا أن العلـــوم العقلية التجريبية كالطب والصيدلة ، والرياضيات والفلك ، والكيمياء والفيزيـــاء والميكانيكا ، حققت منجزات جيدة انعكست في شيوع التجارب العلمية في مختلف هذه الاختصاصات ، وتعميم عمليات التقطير وتركيب الأدوية والعقاقيروالمستحضرات الكيماوية ، والتوسع في استخدام الأقيسة الهندسية والأرصاد الفلكية .

وما كان لهذه المعارف أن تحظى باهتمام العلماء وتشجيعهم في هـــــذا العصر ، ولا أن تنال هذا القدر من التطور ، لو لم تكن ظروف وطبيعة مرحلـــة التطور فيه قد استلزمت ذلك ، وسنحاول في الصفحات التالية متابعة أوجه هـــذا التقدم في العراق خلال فترة البحث ، ان شاء الله .

أولا : الطب :

يعتبر المسلمون في مقدمة الشعوب التي اهتمت بالطب وانشاء المستشفيـا ت

فلقد أسهموا اسهاما منقطع النظير في الدراسات الطبية ، وظهر بينهم أطباء أجلاء ندر أن تجود بمثلهم أمة من الأمم .

ولقد أنشأ المسلمون البيمارستانات في الكثير من المدن والأمصار في الشرق والمغرب ، وكان أغلبها ثابتا مستقرا ، وبعضها متنقل الى حيث تظهر الحاجة اليه ، ذلك أن ينقل من مكان الى آخر حسب ظروف انتشار الأمراض والأوبئة ، أو مع حركة الجيوش.[(١)]

ولقد كانت هذه البيمارستانات الكبيرة بمثابة مدارس عالية للطب ، فقد كان الطلاب يتلقون فيها علومهم نظريا وعمليا.[(٢)] وعلى الجملة فان السمعة الطبية التي تمتع بها الأطباء المسلمون كانت تعتمد على تضلع كبير ، وباع طويل ، وتجارب مستمرة، وامتحان شديد في الدراسات الطبية. فلقد تسلم ابن التلميذ (المتوفي عام ٥٦٠ هـ/ ١١٦٤م)[(٣)] منصب الرئاسة في نقابة أطباء بغداد ، وكان يقوم بامتحان

---

(١) كان ابن المرخم طبيبا في مارستان السلطان السلجوقي ، وهو مارستان سيار وكان يحمل في عسكر السلطان على أربعين جملا . القفطي : أخبار العلماء ص ٢٦٤.

(٢) كان زاهد العلماء منصور بن عيسى ألف كتابه في الفصول والمسائل والجوابات التي أجاب عنها في مجلس العلم المقرر في البيمارستان الفارقي . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٤١.

(٣) هبة الله بن صاعد بن التلميذ ، طبيب وقته ، وفاضل زمانه ، وعالم أوانه، خدم خلفاء بني العباس وارتقت مكانته لديهم ، وكان موفقا في المعالجة ، وكان ساعور البيمارستان العضدي. ببغداد الى حين وفاته ، وكان خبير باللسان السرياني والفارسي ، متبحرا في اللغة العربية ، له أشعار كثيرة في الحكمة والزهد . أنظر:
ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦ /ص ٦٩، ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٩ / ص ٢٧٦، ابن الأثير : الكامل جـ ٩ / ص ٩٣، البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام/ص ١٤٤، القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٢٢، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء /ص ٣٤٩، العماد الحنبلي : الشذرات جـ ٤ / ص ١٩٠، البغدادي : هدية العارفين جـ ٢ / ص ٥٠٥.

الأطباء من وقت لآخر ، كما يشرف على امتحان دقيق وشامل يؤديه من يريد ممارسة المهنة[١] ، حيث يسأل الممتحن فيها عن شيوخه ، والكتب التى قرأها ، وأنواع الأمراض وكيفية مداواتها وغير ذلك . كما كان الجراح يمتحن في مادة التشريح نظريا وعمليا[٢] .

ولقد كثرت البيمارستانات في العصر السلجوقي في العراق . فلقد أنشىء في العراق خلال الفترة السابقة البيمارستان العضدى في الجانب الغربي من بغداد ، والذى أنشأه عضد الدولة البويهي ، وافتتحه سنة ٣٧٢ هـ/ ٩٨٢ م[٣] . وقد استمر هذا البيمارستان في تقديم الخدمات الطبية لأبناء الأمة فترة طويلة من الزمن شملت فترة الدراسة وما بعدها . ولقد أجريت تحسينات وترميمات على هذا البيمارستان سنة ٤٤٩ هـ/ ١٠٥٧م حيث جددت عمارته ، وجمع فيه من الأشربة والأدوية والعقاقير التى يعز وجودها شيئا كثيرا[٤] . وقد أحضرت الفرش واللحف للمرضى ، والأرابيح الطبية والأسرة والثلج ، كما زيد في عدد الأطباء والمستخدمين والفراشين ، فأصبح فيه ثمانية وعشرون طبيبا ، اضافة الى أعداد كبيرة من المساعدين والطباخين والبوابين والحراس . كما أقيمت الحمامات ، والبساتين الى جانبه[٥] .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٥١ .

(٢) هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب / ص ٢٣٧ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧/ص ١١٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٤ / ص ١٤٢ . وذكر ابن خلكان في ترجمته لعضد الدولة قوله : " والبيمارستان العضدى ببغداد منسوب اليه ، وهو في الجانب الغربي ، وغرم عليه مالا عظيما ، وفرغ من بنائه سنة ثمان وستين وثلثمائة " . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ / ص ٥٤ .

(٤) العيني : عقد الجمان جـ١١ / ورقة ٣٨ أ مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى - تاريخ رقم ١١٨٠ . عن نسخة أسعد أفندى بتركيا برقم ٢٣١٧ .

(٥) ن ٠م ٠س جـ١١ / ورقة ٣٨أ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ١٠٩ .

ولما دخل ابن جبير بغداد سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م أشار الى البيمارستان العضدى قائلا : " وبين الشارع ومحلة باب البصرة سوق المارستان ، وهي مدينة صغيرة فيها المارستان الشهير ببغداد ، وهو على دجلة ، وتتفقده الأطباء كل يوم اثنين وخميس ، ويطالعون أحوال المرضي به ".[1]

وتولى ادارة هذا البيمارستان والاشراف عليه في هذا العصر عدد من مشاهير أطباء العصر.[2]

وقد أنشىء في هذا العصر ببغداد ، وفى بعض مدن العراق الأخرى عدد من البيمارستانات كان لها أثرها الكبير في الدراسات الطبية ومعالجة المرضي . وقد ذكر العيينى في كتاب عقد الجمان في حوادث سنة ٤٤٩ هـ/ ١٠٥٧م المارستان الذى كان في باب المحوّل ببغداد.[3] كما ذكرت مصادر أخرى المارستان الذى أنشأه كمشتكين الخادم ببغداد سنة ٥٠٣ هـ/ ١١٠٩م والذى افتتح سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م.[4] ويذكر ابن الساعي أنه في سنة ٥٩٥ هـ/ ١١٩٨م بنى مجاهد الدين قايماز بالموصل " جامعا ومدرسة للشافعية ورباطا للصوفية ومارستانا للمرضى ووقف على الكل الوقوف الحسنة ".[5]

---

(١) ابن جبير : الرحلة / ص ٢٠١ .
(٢) منهم أبو الحسن على بن هبة الله بن الحسن (ت ٤٩٥ هـ/ ١١٠١م) ، وأمين الدولة بن التلميذ (ت سنة ٥٦٠ هـ/ ١١٦٤م) وسعيد بن هبة الله بن أثردي وابن المارستانية (ت ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢م) وأبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الغطروني (ت ٦٠١ هـ/ ١٢٠٤م) . ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ص ١١٢ .
(٣) العيني : عقد الجمان جـ ١١/ورقة ٨٣أ حوادث سنة ٤٤٩ هـ مصور مركز البحث العلمي.
(٤) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٨ .
(٥) ن.م.ص جـ ٩ /ص ٢٢ .

وهناك مارستان واسط الذى أقام فيه النقيب الأكمل عبيد الله بن مالك الهاشمي[(١)] .

هذه البيمارستانات المنتشرة في العراق فى هذا العصر ، واهتمام الخلفاء والأمراء بانشائها ، تدل دلالة واضحة على رقي في الوعي الصحي ، وعلى نشاط فى الثقافة والدراسات الطبية. والتى كان من نتائجها بروز عدد عظيم من الأطباء المشهورين في هذا العصر ، خلفوا تراثا طبيا رائعا ، ودراسات جادّة ، كان لها أثرها الكبير في اثراء الدراسات الطبية في العصور التالية ، بل ان قيمة بعضها قد استمرت حتى العصور الحديثة .

ومن ذلك جهود على بن عيسى الكحال[(٢)] أشهر كحالي العرب ، المتوفى أوائل العصر السلجوقي بالعراق والذى وصفه ابن أبي أصيبعة بأنه " كان مشهورا بالخدمة في صناعة الكحل ، متميزا فيها ، ويقتدى بكلامه فى أمراض العين ومداواتها "[(٣)]. وقد صنف اثنين وثلاثين كتابا في علم الرمد[(٤)] ، أشهرها كتابه تذكرة الكحالين[(٥)] الذى يرى فيليب حتى أنه " لم يسبقه في الموضوع الا رسالة ابن ماسويه ، ورسالة حنين بن اسحاق .

---

(١) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٢٢ .
(٢) على بن عيسى الكحال أشهر كحالي العرب ، ونال شهرته بتأليف كتابه تذكرة الكحالين . له عدد من المصنفات ، أهمها تذكرة الكحالين ، كتاب الحيوان طبائعه وخواصه ، منه نسخة مصورة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى . طب رقم ١٥١ . مصور مخطوط مكتبة شستربيتى رقم ٥٠٠٦ . أنظر: ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٣٢ .
(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٣٢ .
(٤) حتي : تاريخ العرب جـ ٢ / ص ٤٥١ ، ولم يذكر مصادر معلوماته .
(٥) مطبوع . حيدرآباد الدكن ، مجلس دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م .

وقد وصفت التذكرة مائة وثلاثين مرضا من أمراض العين . ونقلت الى العبرانية مرة ، واللاتينية مرتين .[1] وكتابه هذا يشتمل على ثلاث مقالات :

المقالة الأولى : في حد العين وتشريحها وطبقاتها ورطوبتها ، وأعصابها وعضلاتها ، ومن أين نبات كل طبقة منها ، وابتداؤها والى أين انتهاؤها ، وأين موضعها ومصدر غذائها .[2]

المقالة الثانية : في عدد أمراض العين الظاهرة للحس ، وأسبابها وعلاماتها وعلاجها .[3]

المقالة الثالثة : في أمراض العين الخفية عن الحس ، وعلاماتها ، وعلاجها ونسخ أدويتها .[4]

وكان هذا الكتاب من أهم ما كتب في الموضوع ، وقد اقتصر الكحالون في الاعتماد عليه دون غيره من الكتب المتخصصة في فنه .[5]

ومن أطباء أوائل العصر السلجوقي في العراق أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن بطلان البغدادي (المتوفي عام ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥م)[6] وهو طبيب نصراني من أهل بغداد ، درس وتدرب على يد عدد من أطباء عصره ،[7] واشتهر بالطب ، وصنف فيه كتبا ، أهمها : كتاب تقويم الصحة بالأسباب الستة ،[8] حيث

---

(١) حتي : تاريخ العرب جـ ٢ / ص ٤٠٥ .
(٢) علي بن عيسي : تذكرة الكحالين / ص ٣ .
(٣) ن.م.س / ص ٣ .
(٤) ن.م.س / ص ٣ .
(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٣٣ .
(٦) سبقت ترجمته ودراسته .
(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء/ص ٣٢٥ ، القفطي : أخبار العلماء/ص ١٩٢ .
(٨) ترجم الكتاب الى اللاتينية والألمانية دائرة المعارف الاسلامية جـ١ /ص ٩٨ .

يتناول في كتابه هذا أنواع الأطعمة المختلفة ، من الفواكه واللحوم والبقول والحبوب والسوائل والحلويات ، وآثارها على الجسم ، وكيف أن بعضها يسبب الأمراض والالتهابات ، ومدى تأثير الأكل على الانسان ولزوم تنوعه بتنوع الفصول وتأثير ذلك على الصحة ، ذاكرا كيف يمكن للانسان تحديد أنواع وكميات طعامه للاستفادة منه في تقويم صحته بدلا من الأدوية .

ويتعرض المؤلف بعدها لأنواع الخمور ، ومدى تأثيرها على صحة الانسان ، ويختم كتابه بفصل طريف عن الرياضة البدنية وأثرها في تكوين الجسم الصحيح ، ومكافحة الأمراض.(١)

وقد اتبع المؤلف في كتابه هذا منهجا طريفا أشبه مايكون بالطريقة الحديثة في العروض والتعليم ، حيث نهج طريقة خاصة في عرض النظريات الطبية ، وفي وصف العلاج ، وفي تنظيم جداول اجمالية للأدوية ، توضح مواعيد الاستعمال العملي . ولقد لقيت هذه الطريقة نجاحا كبيرا حتى صارت نموذجا متبعا لمنهج التأليف الطبي.(٢)

وله من الكتب أيضا دعوة الأطباء(٣) ، الأمراض العارضة ، كناش الأديرة والرهبان ، عمدة الطبيب في معرفة النبات ، بالاضافة الى مجموعة من المقالات الطبية .(٤)

ومن مشاهير الأطباء في هذا العصر يحي بن عيسي بن جزلة أبو على الطبيب

---

(١) ابن بطلان : تقويم الصحة بالأسباب الستة . مصور مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة . طب رقم ١٨ .
(٢) كمالة : العلوم البحتة في العصور الاسلامية / ص ٢٥ .
(٣) نشرة الدكتور بشارة زلزل ، الاسكندرية ، ١٩٠١م .
(٤) عن مصنفاته أنظر : ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٢٥ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول / ص ٣٢١ ، دائرة المعارف الاسلامية جـ١ / ص ٩٨ .

البغدادي (المتوفي عام ٤٩٢ هـ/ ١٠٩٨م)[1] ، امام الطب في عصره ، باحث عالم من أهل بغداد ، كان نصرانيا ثم أسلم ، وتلقى علومه الطبية على شيخه سعيد بن هبة الله (المتوفى عام ٤٩٤ هـ/ ١١٠٠م)[2] ، طبيب الخليفة المقتدى ، وكان يطبب أهل محلته مجانا ، كما كان يحمل اليهم الأشربة والأدوية[3] ، صنف مجموعة من الكتب ، منها تقويم الأبدان في تدبير الانسان[4] ، الذى صنفه للخليفة المقتدى . وقد اتبع المؤلف المنهج الذى سلكه ابن بطلان في تأليفه كتابه تقويم الصحة ، ذلك أنه قد قسمه الى جداول عامة ، تشمل شرحا وافيا لكل نوع من الأمراض التى يتعرض لها ، وهو يستعرض أنواع الأوبئة والأمراض وأوقات ظهورها ، ثم البلدان التى ينتشر فيها المرض ، وطرق تشخيصها ، ثم كيفية علاجها . وقد اتبع المؤلف طريقة منتظمة في متابعة أعضاء جسم الانسان وأمراضها . وقسم ذلك كله فى جداول جيدة التنظيم ، بحيث يستطيع المثقف الاعتيادى في عصره الاستفادة منه ، والاستطباب بواسطته .

وبوجه عام يمكن القول بأن هذا الكتاب كان بمثابة تعليمات عن الاسعافات الأولية الضرورية لمواجهة الحوادث الطارئة التى تحصل في المنزل في عصره ، وكان من الممكن استخدامه والاستفادة منه بيسر وسهولة .

---

(١) يحى بن عيسى بن جزلة أبو على الطبيب البغدادى كان طبيبا وعالما بعلم الكلام والمنطق له مصنفات عديدة . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦/ص ٢٦٧ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء /ص ٣٤٣ ، القفطي : أخبار العلماء /ص ٢٣٩ ، ابن الجوزي : المنتظم جـ ٩/ص ١١٩ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول /ص ٣٣٩ . ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ١٩٦ .

(٢) سعيد بن هبة الله بن الحسين من الأطباء المتميزين في صناعة الطب ، ومن الفضلاء في علوم الحكمة صنف عدد من المصنفات الطبية . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء /ص ٣٤٢ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٣/ص ٤٠٢ ، البغدادى بهدية العارفين جـ١ / ص ٣٩٠ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ٩/ص ١١٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦/ص ٢٦٧ .

(٤) طبع الكتاب بمطبعة روضة الشام ، دمشق ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م ، ومنه مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ١٧ طب .

وقد ختم المؤلف كتابه هذا بقوله : " وينبغي أن يختم هذا الكتاب بذكر نبذ يستعان بها على المداواة بالعمل ، وجودة التدبير المفضي الى السلامة من الزلل. فمن ذلك أن يراعي في وقت المداواة لكل مرض ، نوع ذلك المرض ، وسببه ، وقوة المريض ، ومزاجه الخارج عن الطبيعي ، وسن المريض ، والوقت الحاضر من أوقات السنة ، وبلد المرض ، وحال الهواء في وقته ".[1]

ولابن جزلة أيضا كتاب منهاج البيان فيما يستعمله الانسان[2] ، وكتاب الاشارة في تلخيص العبارة ، ورسالة في مدح الطب.[3]

وكان أبو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن (المتوفى عام ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م) من الأطباء المتميزين في صناعة الطب ، وكان معاصرا لابن جزلة ، واحدا من أساتذته[4] عاش في خلافة أمير المؤمنين المقتدي بالله ، وخدمه بصناعة الطب[5] كما خدم ولده الخليفة المستظهر بالله.[6] وكان قد تولى كذلك مداواة المرضى في البيمارستان العضدي[7] ، وله مصنفات فلسفية ومنطقية . أما مصنفاته الطبية فأهمها المغني في تدبير الأمراض[8] الذي سار فيه على منهج ابن بطلان في كتابه تقويم الصحة ، حيث كان يتتبع ذكر الأمراض التي يتعرض لها الانسان ، فيفرد

---

(١) ابن جزلة : تقويم الأبدان ، مصور مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، رقم ١٧ طب .
(٢) منه نسخة بالفاتيكان برقم ٣٧٤ ، ومنه مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ١٢٨ طب .
(٣) الزركلي : الأعلام جـ ٨ / ص ١٦١ .
(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٤٢ .
(٥) ن.م.س / ص ٣٤٢ .
(٦) ن.م.س / ص ٣٤٢ .
(٧) ن.م.س / ص ٣٤٢ .
(٨) المغني في تدبير الأمراض ، منه نسخة في وشستربتي برقم ٣٩٧٨ ، ومنه مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ١١٦ طب .

لكل نوع من الأمراض فقرة خاصة به . كما أنه صنف الأمراض وفق جداول انتظمت تحت ثلاث فقرات : نوع المرض ، سببه ، أعراضه . كما أفرد بعد ذلك قسما رابعا كبيرا للتدابير الطبية ومعالجة المرض[١].

وقد تعرض المؤلف في كتابه هذا لعدد كبير من أمراض الجسم مبتدئا بأمراض الرأس ، ثم متبعها أمراض بقية أعضاء الجسم ، اضافة الى أنه قد تعرض الى بعض الأمراض النفسية .

وعلى وجه الاجمال فالكتاب علمي تجريبي يحتوى على دراسات نظرية ، وتطبيقات عملية ، تعكس خبرات طبيب ماهر حاذق .

ومن مصنفاته الأخرى : الأسباب والعلاقات ، الاقناع ، في الطب ، خلق الانسان ، مقالة في صفات تركيب الأدوية ، ومصنفات أخرى[٢].

أما أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن التلميذ[٣] (المتوفي عام ٥٦٠ هـ/ ١١٦٢م) فقد كان من أشهر أطباء زمانه ، جمع بين المعارف المتفرقة ، والعلوم المتباينة ، من طب وفلسفة وأدب ، ونحو وترسل وشعر وموسيقى[٤]. وخدم خلفاء بني العباس ، وتقدم في خدمتهم ، وارتقت مكانته لديهم[٥]. وكان ساعور البيمارستان العضدى حيث استمر في وظيفته هذه الى حين وفاته[٦]. وكان متميزا في صناعة الطب وفي مباشرة أعمالها ، موفقا في المعالجة ، عالما بقوانين هذه الصناعة[٧].

---

(١) سعيد بن هبة الله : المغني في تدبير الأمراض ، مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة طب برقم ١١٦ .
(٢) مصنفاته ذكرها ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء/ ص ٣٤٢ .
(٣) سبقت دراسته .
(٤) القفطي : أخبار العلماء/ ص ٢٢٢ ، البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام/ ص ١٤٤ .
(٥) القفطي : أخبار العلماء/ ص ٢٢٢ .
(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٤٩ .
(٧) القفطي : أخبار العلماء/ ص ٢٢٢ .

وصفه ابن خلكان بأنه " سلطان الحكماء ، هو مقصد العالم في علم الطب ، بقراط عصره ، وجالينوس زمانه ، ختم به هذا العلم ، ولم يكن في الماضيين من بلغ مداه في الطب ، .... ومن مروءته أن ظهر داره كان يلي المدرسة النظامية ، فاذا مرض فقيه نقله اليه ، وقام في مرضه عليه ، فاذا شفي وهب له دينارا وصرفه ".[1]

وخلف ابن التلميذ مصنفات رائعة في الطب ، منها أقرباذينه المشهور.[2] وقد تداوله الناس أكثر من سائر كتبه ، والمقالة الأمينية في الأدوية البيمارستانية[3] ، واختيار الحاوى للرازى ، واختيار كتب مسكويه في الأشربة ، واختصار شرح جالينوس لكتاب الفصول لأبقراط ، ومقالة في الفصد.[4]

وقد عاصر ابن التلميذ أوحد الزمان هبة الله بن ملكا البغدادى (المتوفي عام ٥٤٧ هـ/ ١١٥٢م)[5] الذى كان من مشاهير الأطباء في بغداد ، فاضل عالم بعلوم الأوائل[6] ، ومن نوادره في معالجة الأمراض النفسية ما أورده ابن أبي أصيبعة : " أن مريضا ببغداد كان قد عرض له السوداء ـ المانخوليا ـ[7] وكان يعتقد أن على رأسه دنا ، وأنه لا يفارقه أبدا ، فكان كلما مشى يتحايد المواضع التى سقوفها قصيرة ، ويمشي برفق ، ولا يترك أحدا يدنو منه ... "[8] وعالجه أبو البركات بايهامه بكسر

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦/ص ٦٩ .
(٢) مخطوط . أنظر : الزركلي : الأعلام جـ ٨ / ص ٧٢ .
(٣) مخطوط . ن.م.س جـ ٨ / ص ٧٢ .
(٤) مصنفاته ذكرها ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء/ص ٣٤٩ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٩/ص ٢٧٦ .
(٥) سبقت ترجمته ودراسته .
(٦) البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام / ص ١٥٢ .
(٧) المانخوليا : ضرب من الجنون ، وهو أن تحدث للانسان أحكام جريئة ، ويغلبه الحزن والخوف ، وربما صرخ ونطق الأفكار الرديئة ، وخلط في كلامه . أنظر : الخوارزمي : مفاتيح العلوم / ص ١٣١ .
(٨) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٧٤ .

دنه عندما أدار غلامه خشبة ، وضرب بها فوق رأسه نحو ذراع خشبية ، ورمى غلام له آخر دنا من أعلى السطح فتكسر قطعا ، فلما عاين المريض الدن المنكسر تأوه لكسرهم اياه ، ولم يشك أنه هو الدن الذى كان على رأسه بزعمه ، وأثر فيه الوهم أثرا برئ فيه من علته .[1] ويقول ابن أبى أصيبعة في ذلك : " وهذا باب عظيم في المداواة ".[2] وله تطبيبات متعددة في معالجة المرض تذكرها المصادر المختلفة .

وله من المصنفات الطبية أمين الأرواح في المعاجين ، اختصار التشريح ، كتاب الأقرباذين .[3]

ومن مشاهير أطباء العصر في العراق أبو الحسن على بن أحمد بن هبل البغدادى (المتوفي عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م)[4] ، " كان أوحد وقته ، وعلامة زمانه في صناعة الطب والعلوم الحكمية ".[5] له مصنفات حسان في الطب أشهرها كتابه المختارات في الطب[6] الذى يعد من أشهر تصانيف العصر الطبية ، وأوفرها نفعا، وأتمها حاجة .

---

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٧٤.

(٢) ن.م.ص / ص ٣٧٤.

(٣) ذكر مصنفاته ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٧٤.

(٤) على بن أحمد بن على البغدادى المعروف بابن هبل ، الأديب الطبيب ، نشأ في بغداد ، وتلقى بها تعليمه ، ثم رحل فى طلب العلم ، وعاد الى الموصل وأقام بها الى حين وفاته . ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٤٠٩ ،القفطى: أخبار العلماء / ص ١٦٠ ، المنذرى : التكملة لوفيات النقلة ج٢/ص ٢٩٢ ، البغدادى : هدية العارفين ج ١ / ص ٧٠٤.

(٥) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٤٠٩.

(٦) طبعته دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٩٢م فى أربعة أجزاء .

وقد تناول فيه المؤلف عدة فصول في علم الطب ، وتطبيب الانسان بشكل جميل وواضح . والمطلع على كتابه هذا يدرك ماكان يتمتع به المؤلف من غزير العلم في حقل الطب البشرى، ذلك أنه تناول الأمراض التى تعترض الانسان ، وأعراضها ، ومعالجتها ، كما أضاف فصلا تحدث فيها عن تشريح أعضاء الانسان صغيرها وكبيرها . كما أنه أفرد فصولا أخرى للحديث عن المأكولات وأثرها على الصحة وأنواع العلاجات والأدوية ، وكيفية استخراجها من النباتات .

وقد عالج المؤلف في كتابه بجانب ذلك الأمزجة والنفس وأثرها على صحة الأبدان ، ويرى المؤلف أنه " مما يمتحن به الطبيب حتى يوثق بعلمه وعمله أن ينظر في ماذا أنفق زمانه ان كان الاشتغال بهذه الصناعة ، وملازمة خدمة الكبراء من أهلها ، وطول ملازمتهم والقراءة عليهم ، والعلاج بين أيديهم ، والتدريب على الدخول الى المرضى في بيوتهم ، وملازمة خدمة البيمارستان الذى يجتمع فيه حذّاق الأطباء ، وكثرة نظره الى معالجة الأستاذ ، فيشار اليه ويعوّل عليه ، وكذلك هل يثنى عليه الناس لحسن سيرته وديانته ، وأن همته اذا خلا في بيته مطالعة الكتب ودراسة هذه الصناعة ".(١)

وينبغى ألا تفوتنا الاشارة الى موفق الدين عبداللطيف بن يوسف البغدادى (المتوفى عام ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م).(٢) الذى كان يتردد اليه طوال حياته جماعة من الأطباء التلامذة للقراءة عليه ، ومن المعروف أن موفق الدين البغدادى هذا هو الذى نقض قول جالينوس بأن الفك الأسفل للانسان مؤلف من قطعتين من العظم ، وأكد أن الفك الأسفل مؤلف من عظمة واحدة .(٣) كما أنه هو الذى أثبت

---

(١) ابن هبل : المختارات في الطب / ص ٦ - ٧ .
(٢) سبقت ترجمته .
(٣) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي جـ ١ / ص ٣٤٥ .

أن مستدق الظهر مؤلف من قطعة واحدة من العظم ، وليس من ست قطع كما قال جالينوس [١].

ولموفق الدين البغدادي مصنفات كثيرة في الطب تجاوزت الخمسين ، ذكرها ابن أبي أصيبعة [٢] منها : مقالة تشمل أحد عشر بابا في حقيقة الدواء والغذاء، ومقالة في البادئ بصناعة الطب ، ومقالة في ديابيطس والأدوية النافعة منه ، واختصار كتاب الأدوية المفردة لابن واحد ، ومختصر في الحميات ، وكتاب الكفاية في التشريح ومقالة في ميزان الأدوية المركبة من جهة الكميات .

وممن اشتهر بالطب في هذا العصر أسرة آل أثردي الطبية ، حيث برز منهم عدد من المتخصصين في هذه الصناعة ، منهم جمال الدين أبو الحسن على بن سعيد بن هبة الله بن أثردي الذي كان فاضلا في صناعة الطب وعالم بها [٣].

وكان والده هبة الله بن على بن أثردي متميزا في الحكمة ، فاضلا في صناعة الطب ، له مصنفات فيها [٤].

ومنهم سعيد بن هبة الله بن أثردي ، كان ساعور البيمارستان العضدي في أيام المقتفي لأمر الله [٥].

واشتهر أيضا من هذه الأسرة بالطب وحسن المعالجة أبو على الحسن بن على بن أثردي [٦]، وعلى بن هبة الله بن أثردي [٧] الذي شرح كتاب دعوة الأطباء [٨].

---

(١) حميد موراني : قراءات في تاريخ العلوم عند العرب / ص ٦٦ .
(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٩٤ - ٦٩٥ .
(٣) ن.م.ص / ص ٤٠٠ .
(٤) ن.م.ص / ص ٣٩٩ .
(٥) ن.م.ص / ص ٣٩٩ .
(٦) ن.م.ص / ص ٤٠٠ .
(٧) ن.م.ص / ص ٣٩٩ .
(٨) ن.م.ص / ص ٣٩٩ .

ثانيا : الصيدلـة[*] :

لقد نظم العرب مهنة الصيدلة ، فجعلوا على الصيادلة نقيبا يسمى رئيس العشابين ، وأخضعوا المهنة لرقابة عريف الحسبة ، حتى يحولوا دون غش الدواء[1].

وبرز في العراق خلال العصر السلجوقي عدد من المتخصصين فى العلوم الصيدلانية ، كان أبرزهم سعيد بن هبة الله بن الحسين البغدادى (المتوفى عام ٤٩٤ هـ/ ١١٠٠م)[2] الذى برع فى الصيدلة حتى أطلق عليه لقب المشّاب. صنف فى الأدوية مقالة في صفات تراكيب الأدوية .

ومنهم الطبيب أبو علي يحي بن عيسى المعروف بابن جزلة (المتوفى عام ٤٩٢ هـ/ ١٠٩٨م)[3] الذى كان من الصيادلة المهرة المشهورين فى هذا العصر ببغداد ، وقد صنف فى ذلك كتابه منهاج البيان فيما يستعمله الانسان ، جمع فيه معلومات عن الحشائش والعقاقير والأدوية ، وكل ما يستخدمه الانسان فى التطبب من لحوم ونباتات ، ومستحضرات كيماوية ، ألفه للخليفة المقتدى بأمر الله كما يفهم من قوله فى مقدمته : " مستقصر فى ذلك خدمة خزائن سيدنا ومولانا الامام العادل المقتدى بأمر الله . . . ." الى أن يقول : " ولما أنعم بقبول الكتاب الذى سميته تقويم الأبدان ، بادرت بتركيب كتاب ثان سميته بمنهاج البيان فيما يستعمله الانسان ، فضمنته ذكر جميع الأدوية والأشربة والأغذية

(*) قال المطرزى : الصيادلة : جمع الصيدلاني ، لغة في الصيدناني ، وهو بياع الأدوية ، المطرزى : المغرب / ص ٢٦٥ .
(1) ابن بسام : نهاية الرتبة في طلب الحسبة/ص ٨٥ ، جلال موسى : منهج البحث العلمي عند العرب / ص ٢٤٧ .
(2) سبقت ترجمته .
(3) سبقت ترجمته .

وكل مركب من ذلك وبسيط ، ومفرد وخليط" ، ثم يقول : " ولقد تأملت ما نحاه المصنفون فلم أجد كتابا واحدا مختصرا جامعا لما جمعته في هذا الكتاب"[(١)].

ولقد برز في ميدان الصيدلة أمين الدولة ابن التلميذ (المتوفى عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)[(٢)] اضافة الى شهرته في الطب ، وصنف في مجالها كتبا حسانا "أقرباذنية العشرين بابا وهو مشهور ومتداول بين الناس والأطباء"[(٣)] ، وله أيضا فيهما المقالة الأمينية في الأدوية البيمارستانية[(٤)] ، واختيار كتب مسكويه في الأشربة ، وابدال الأدوية لجالينوس .

ومن برز في الصيدلة في العراق في هذا العصر عز الدين أبو النجم بدر بن أحمد بن محمود الأسمردي الصيدلاني الذي " كان عارفا بالأدوية والعقاقير وعمل الترياق الكبير ، وله تركيبات غريبة في المفرحات وغيرها ، وكان يحفظ جميع أدوية القانون ، وله معرفة بعمل الشرابات والسفوف والحشائش"[(٥)].

كما وبرز في علم الصيدلة خلال هذا العصر في العراق أوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البغدادي (المتوفى عام ٥٦٠ هـ/ ١١٦٤م) ، صنف فيها الأقرباذين[(٦)] في ثلاث مقالات ، مقالة في الدواء ، ومقالة في معجون خاص لعلاج بعض الأمراض سماه أمين الأرواح[(٧)].

---

(١) ابن جزلة : منهاج البيان فيما يستعمله الانسان ، مصور مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة(ورقة ١ أ ب طب - رقم ١٢٨) .
(٢) سبقت ترجمته .
(٣) مخطوط . أنظر : الزركلي : الأعلام جـ ٨ / ص ٧٢ .
(٤) مخطوط . ن.م.س جـ ٨ / ص ٧٢ .
(٥) ابن الفوطي : مجمع الآداب جـ ١ / ص ٤٣ . ولم يذكر سنة وفاته .
(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٧٤ .
(٧) البغدادي : هدية العارفين جـ ٢ / ص ٥٠٥ .

وقد ظهر فى أواخر العصر السلجوقي الطبيب موفق الدين عبداللطيف بن يوسف البغدادى (المتوفى عام ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م) وهو طبيب عالم بالحشائش وتركيب الأدوية صنف فيها كتابا كبيرا فى الأدوية المفردة ، واختصار كتاب الأدوية المفردة لابن وافد ، وانتزاعات من كتاب ديسقوريدس في صفات الحشائش.(١)

ثالثا : الرياضيات والفلك :

أدى اتساع الدولة الاسلامية وزيادة مسئوليتها ، كما اقتضت ظروف التطور الحضارى للمجتمع الاسلامي ، الى اهتمام واسع بشتى العلوم المختلفة . ومن ذلك علم الرياضيات والفلك ، حيث نالت هذه التخصصات قدرا عظيما من اهتمام العلماء المسلمين ، فقد برعوا فى الحساب ، ووضعوا فى ذلك مؤلفات كثيرة ، بحثوا فيها الأعداد وأنواعها وخواصها ، وتوصلوا الى دراسات ونتائج أثارت اعجاب علماء الغرب فى العصر الحديث وأدهشتهم ، فاعترف الكثير منهم بفضلهم وأسبقيتهم ، كما وضعوا علم الجبر " وأتوا فيه بالعجب العجاب ، حتى ان كاجورى قال : " ان العقل ليدهش عندما يرى ما عمله العرب فى الجبر ".(٢)

وترجمت الدراسات الهندسية عن كتب اليونان ، حيث جرت دراستها دراسة علمية فاحصة ، وأضاف العلماء المسلمون اليها اضافات كثيرة ومهمة .

وفى علم المثلثات حصل تطور نوعي كبير ، اذ لولا جهود العلماء المسلمين " لما كان علم المثلثات على ماهو عليه الآن ، فاليهم يرجع الفضل الأكبر فى وضعه بشكل علمي منظم مستقل عن علم الفلك ".(٣)

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٩٤.
(٢) طوقان : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك / ص ٦١.
(٣) ن.م.س / ص ١٠١.

واهتم العلماء المسلمون بعلم الفلك ، ودفعهم الى الاهتمام به تعيين سمت القبلة ، ووقت الزوال ، وأوائل الشهور القمرية وأواخرها ، لأن أوقات الصلوات الخمس تختلف من بلد الى بلد ، وهكذا فانهم طوروا علم الفلك " وجعلوه علما رياضيا مبنيا على الرصد والحساب والهندسة لتعليل ما يرى من الحركات والظواهر الفلكية والكونية . ولم يقفوا فيه عند حد النظريات كما فعل اليونان ، بل فاقوا غيرهم في عمل الآلات التى رصدوا بها النجوم والكواكب ".(١)

وقد تميزت المؤلفات الاسلامية فى مجال علم الفلك بما التزم به مؤلفوها من أسلوب علمي واتجاه لتطبيق النظريات الحسابية والجبرية والهندسية على الأغراض العلمية من شئون حياتهم ولوازم مجتمعهم.

ولقد عاش فى العراق خلال العصر السلجوقي عدد من جهابذة الرياضيات والفلك ، الذين استفاد بعض السلاطين والوزراء السلاجقة من قدراتهم الرياضية فى تنفيذ مشاريعهم العلمية والفلكية ، كما حصل فى اعادة النظر فيما يعرف بالتقويم الملكشاهي ، ويذكر ابن الأثير أنه فى سنة ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٤م " جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من أعيان المنجمين ، وجعلوا النيروز أول نقطة من الحمل .... ، وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم ، وفيها أيضا عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين ، منهم عمر الخيام(٢) وأبو المظفر الاسفزارى(٣) وميمون بن النجيب الواسطي ".(٤)

---

(١) ناجي معروف : المراصد الفلكية ببغداد /ص ٥ .

(٢) عمر الخيام(ت ٥١٥هـ/ ١١٢١م) فيلسوف شاعر من أشهر الرياضيين فى عصره القفطي : أخبار العلماء / ص ١٦٢ .

(٣) أبو حاتم المظفر بن اسماعيل الاسفزارى (ت ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م) فيلسوف رياضي عاصر عمر الخيام . البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام / ص ١٢٥ .

(٤) ابن الأثير: الكامل جـ ٨ / ص ١٢١ .

وقد نبغ في هذا العصر الكثير من علماء الرياضيات والفلك ممن كان لدراساتهم ومصنفاتهم أثر واضح في اثراء الدراسات الرياضية والفلكية .

منهم صاعد بن الحسن بن صاعد أبو العلاء الطبيب الفلكي (المتوفى عام ٤٧٥ هـ/ ١٠٨٢م) (١) الذى صنف في الفلك كتاب التشويق التعليمي فى علم الهيئة، أوله " هذه المقالة كتبها صاعد بن الحسن المتطبب فى سنة ٤٥٩ هـ الى بعض اخوانه اختصارا ولقبها التشويق التعليمي " (٢)، وهذه المقالة تتكون من ثمانية عشر بابا في شكل الأرض ووضعها في الفلك ، ومراتب أفلاك الكواكب الخمسة ، ومقادير الليل والنهار (٣).

وممن برز في الدراسات الرياضية والفلكية في هذا العصر أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف البغدادى المشهور بالبديع الاسطرلابي (المتوفى عام ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م) (٤) الذى وصفه ابن أبي أصيبعة بأنه كان " من الحكماء الفضلاء ، والأدباء النبلاء ، طبيب عالم ، وفيلسوف متكلم ، غلبت عليه الحكمة ، وعلم الكلام الرياضي ، وكان متقنا لعلوم النجوم والرصد " (٥). والذى قرظه الكتبى بقوله : " كان وحيد عصره وفريد دهره في معرفة الهيئة والكرة والطرجهان ومعرفة الرصد ، وتجزئة أوقات الليل والنهار وساعاتهما فأبدع فيها ، وحصل بذلك أموالا جزيلة (٦)، صنف

---

(١) صاعد بن الحسن بن صاعد أول من صنع قلم الحبر المداد ، وكان يُقْرِب في أشياء يخترعها . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ / ص ١١٥ .

(٢) صاعد بن الحسن : التشويق التعليمي الورقة ١ أ مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى " ٩ " مجاميع .

(٣) ن٠م٠س / ورقة ١ أ .

(٤) أنظر عن البديع الاسطرلابي : ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦/ص ٥٠ ، الذهبي: المختصر المحتاج اليه جـ٣/ص ٢٢٢ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨ / ص ١٨٤ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٤/ص ١٠٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥/ص ٢٧٥ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٧٦ .

(٥) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٧٩ .

(٦) الكتبي : عيون التواريخ جـ ٢ / ص ٣٤٨ .

في ذلك زيجا[1] سماه المعرب المحمودي[2] ، وله اصلاح الآلة الشاملة للخجندي[3] ، كما عمل جداول فلكية في قصر السلطان السلجوقي ببغداد[4] .

أما أبو بكر محمد بن عبد الباقي البغدادي (المتوفى عام ٥٣٥هـ/ ١١٤١م)[5] فقد برع في الرياضيات ، وصنف فيها : شرح المقالة العاشرة من كتاب أصول اقليدس ، ورسالة في الجبر والمقابلة .

وقد برز في هذا العصر في العلوم الرياضية الشيخ نجم الدين أبو الفتوح أحمد بن محمد بن السري البغدادي المعروف بابن الصلاح (المتوفى عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) ، الذي عاش ببغداد[6] ، وتلقي بها حظا وافرا من علوم الرياضة . وتدل

---

(١) الزيج : كتاب يحسب منه سير الكواكب ، ومنه يستخرج التقويم ، وهو بالفارسية " زه " أي الوتر ، ثم أعرب فقيل " الزيج " الخوارزمي : مفاتيح العلوم/ص ١٦٩ .

(٢) صنفه للسلطان مغيث الدين أبي القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه (ت ٥٢٥هـ/ ١١٣١م) . البغدادي : هدية العارفين جـ ٢ / ص ٥٠٥ ، كحالة : العلوم البحتة في العصور الاسلامية / ص ١٩٢ .

(٣) الخجندي من كبار الرياضيين الذين ظهروا في القرن الرابع الهجري (ت ٣٩٠هـ / ٩٩٩م) . بروكلمان : تاريخ الأدب العربي جـ ٤ / ص ١٩٤ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ / ص ٥٠ .

(٥) محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري الحنبلي البزاز ، عالم شارع في أصناف عديدة من العلوم كالفقه والحديث والحساب والجبر والمقابلة والهندسة والفرائض ، تتلمذ على الباقلاني وأبي الطيب الطبري . ابن العماد: الشذرات جـ ٤/ص ١٠٨ - ١١٠ ، ابن حجر : لسان الميزان جـ٥/ص ٢٤١ - ٢٤٣ ، حاجي خليفة : كشف الظنون جـ١ / ص ١٣٨ .

(٦) نجم الدين أبو الفتوح أحمد بن محمد بن السري سكن بغداد ، كان فاضلا في العلوم الحكمية جيد المعرفة بها ، له مصنفات عديدة . البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام /ص ١٧١ ، الصفدي : الوافي بالوفيات جـ٢/ص ٧٥ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٣٨ .

آثاره على مقدرة عالية في العلوم الرياضية ، ومعرفة دقائقها . فقد قارع رياضيين أكابر كابن الهيثم[1] والكوهي[2] ، وله مصنفات عديدة في العلوم الرياضية ، وقد وضع كتاب المقالات السبع ، ورسالة في تسطيح الكرة[3].

وعاش في بغداد في هذا العصر من علماء الرياضيات السموءل بن يحي بن عباس المغربي (المتوفى عام ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤م)[4] الذى ورد بغداد وأقام فيها معظم حياته ، كان عالما بصناعة الطب ، وبرع في العلوم الرياضية[5] ، له كتب ورسائل في الجبر والمقابلة ، منها كتاب اعجاز المهندسين ، وكتاب المثلث القائم الزاوية ، ورسالة الى ابن خدود في مسائل حسابية ، وكتاب القوامي في الحساب الهندى ، وكتاب الباهر في علم الرياضيات[6].

---

(١) محمد بن الحسن بن الهيثم توفي نحو ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م مهندس من أهل البصرة، له تصانيف في الهندسة ، كتبه تزيد على السبعين مصنفا ، منها المناظر ، تهذيب المجسطي ، مساحة المجسم المتكافىء ، مساحة الكرة ، المرايا المحرقة ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٥٥٠ ، القفطي : أخبار العلماء/ص ١١٤ .

(٢) ابن سهل ويجن بن رستم الكوهي توفي سنة ٣٩٠ هـ/ ١٠٠٠م مهندس عالم بالهيئة وآلات الرصد ، تقدم في الدولة البويهية ، وهو الذى بنى بيت الرصد لشرف الدولة ببغداد . له رسائل منها : البركار التام والعمل به ، المفروضات ، مراكز الدوائر المتماسة على الخطوط وغيرها . القفطي : أخبار العلماء/ص٢٣٠ ، البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام /ص ٨٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٤ / ص ١٥٤ .

(٣) طوقان : تراث العرب العلمي / ص ٣٦٩ ، الزركلي : الأعلام جـ ٨ / ص ١٢٧ .

(٤) السموءل بن يحي المغربي مهندس رياضي عالم بالطب والحكمة . عاش معظم حياته ببغداد . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٤٧١ .

(٥) ن.م.س / ص ٤٧١ .

(٦) أنظر مصنفاته في : Brockelman: Geschichte der Arabischen Litterature Vol. II, p.892.

الزركلي : الأعلام جـ ٣ / ص ١٤٠ .

أما أبو الرشيد الرازى ، مبشر بن أحمد بن على الحاسب المتوفى ببغداد (٥٨٩ هـ/ ١١٩٣م)[١] فقد برز في أيام الناصر لدين الله العباسي ، وقرأ عليه الكثيرون وأخذوا عنه[٢] ، واشتغل بالرياضيات ، وبرع فيها ، ولاسيما الحساب وخواص الأعداد ، والجبر والمقابلة والهيئة وقسمة التركات[٣].

وكان أبو المظفر جلال الدين عبد الله بن يونس بن هبة الله البغدادى الأزجي الحنبلي (المتوفى عام ٥٩٣ هـ/ ١١٩٧م)[٤] وزير الناصر لدين الله العباسي ، عالما بأصول الدين والفقه والحساب والهندسة والجبر والمقابلة ، صنف فى أوهام أبي الخطاب الكوذاني في الفرائض والوصايا[٥].

ومن برز فيهذا العصر فيالعراق متخصصا في العلوم الرياضية أبو الفتح موسي بن يونس بن محمد بن منعة (المتوفى عام ٦٣٩ هـ/ ١٢٤٢م)[٦] ، الذى وصف بأنه كان " عارفا بالحكمة والمنطق والطبيعي والالهي ، والطب ، ويعرف فنون الرياضة من اقليدس والهيئة والمخروطات ، والمتوسطات ، والمجسطي ، وأنواع الحساب المفتوح منه والجبر والمقابلة والأرثماطيقي ، والمساحة والموسيقي معرفة لا يشاركه فيها أحد ، الا فىظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على

---

(١) مبشر بن أحمد بن على الحاسب كان أوحد زمانه فى معرفة الحساب وخواص الأعداد والجبر والمقابلة وعلم الهيئة والهندسة. القفطي : أخبار العلماء / ص١٧٧.
(٢) ن.م.س / ص ١٧٧.
(٣) ن.م.س / ص ١٧٧.
(٤) الوزير جلال الدين عبد الله بن يونس البغدادى فقيه حنبلي أصولي فرضي . رحل في طلب العلم ، وسمع وسمع منه . ولم يكن في ولايته محمودا . العماد الحنبلي: الشذرات جـ ٤ / ص ٣١٣ .
(٥) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣ /ص ١٢ ، العماد الحنبلي : الشذرات جـ٤ / ص ٣١٣ - ٣١٤.
(٦) سبقت ترجمته .

حقائقها ...... ، ولقد ذكره أبو البركات المبارك بن المستوفي في تاريخ اربـل فقال : " هو عالم مقدم ضرب في كل علم ، وهو في علم الأوائل كالهندسة والمنطق وغيرهما ، ممن يشار اليه حل اقليدس والمجسطي "[١] وله في الرياضة مصنفات رائعة ، منها : تصحيح عصا الشرف الطوسي[٢] ورسالة تسبيع الدائرة وكيفية اتخاذ ذلك ، وكتاب الأسرار السلطانية في أحكام النجوم[٣]

رابعاً: الكيمياء :

وبالاضافة الى ما قدمه علماء هذا العصر من مآثر في الطب والرياضيات والفلك - كانت لهم دراسات في الكيمياء ، التى انتهج العرب فيها وغيرها من العلوم الطبيعية منهج التجربة العلمية .[٤]

ويطالعنا في العراق في هذا العصر نموذج فريد من العلماء جعله المؤرخون من أعظم علماء الكيمياء في تاريخ الاسلام بعد جابر بن حيان[٥] والرازي[٦] وهو فخر الكتاب أبو اسماعيل مؤيد الدين أبو اسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الرحمن العميد الوزير الأستاذ المنشىء المعروف بالطغرائي (المتوفى عام ٥١٥هـ/١١٢١م)[٧] ،

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ / ص ٢١١ .
(٢) الاسطرلاب الخطي المعروف بعصا الطوسي ، نسبة الى مخترعه المظفر بن المظفر الطوسي (ت ٦١٠هـ/١٢١٣م) وهو يشبه بهيئة المسطرة . أنظر: نللينو : دائرة المعارف الاسلامية جـ ٢ / ص ١١٧ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ / ص ٢١١ .
(٤) يقول حتي : " وهي خطوة الى الأمام رائعة ، اذا قورنت بنظريات الاغريق الغامضة" . حتى : تاريخ العرب جـ ٢ / ص ٤٦٥ .
(٥) جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي (المتوفي عام ٢٠٠هـ/٨١٥م) فيلسوف كيميائي من أهل الكوفة ، صنف : أسرار الكيمياء ، أصول الكيمياء ، علم الهيئة ، المكتسب .
(٦) محمد بن زكريا أبو بكر الرازي (ت ٣١٣هـ/٩٢٥م) فيلسوف كيميائي من الأئمة في صناعة الطب . القفطي : أخبار العلماء / ص ١٧٨ .
(٧) سبقت دراسته في هذا البحث .

قال عنه ابن الأثير : " قام أقوام فشهدوا عند السلطان محمود أن الطغرائي زنديق ، وأنه لا يتدين بدين الاسلام ، فقال السلطان : قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده ، وأمر بقتله ، فقتل أو ذبح بين يديه صبرا ".[١]

كان الطغرائي واسع المعرفة ، كرس غير قليل من همه للكيمياء واشتغل فيها حتى عد من شيوخها وأئمتها ،[٢] قال ياقوت : " كشف الأستاذ أبو اسماعيل بذكائه سر الكيمياء ، وفك رموزها ، واستخرج كنوزها ".[٣] والطغرائي فخور بمكانته في علم الكيمياء وقد قال في أحد كتبه في الكيمياء : " ولما علمت أن العلم أحرص شيء الى نفسي تحققت أن لا يناله أحد غير أهله ولا أبناء جنسه ، فألفت في ذلك كتبا لم يسمح الدهر بمثلها ، ولما فرغت عن لي أن أجعل كتابا في ذلك ، جامعا لذلك الفن على العموم والشمول ، محيطا بكل ما عز على الأوائل ذكره . . . . . وسميته بـ مفاتيح الرحمة وأسرار الحكمة ، ليكون ، بما أودعته فيه من العلوم ، وأوضحته مطابقا فحواه لاسمه ، ورتبته على مقدمة وسبعة أبواب ".[٤]

وتصانيفه في الكيمياء كثيرة منها : جامع الأسرار ،[٥] وكتاب تراكيب الأنوار ،[٦]

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ / ص ٢٩٥ .

(٢) يقول ابن خلدون : " وامام المدونين فيها جابر بن حيان . . . . والطغرائي من حكماء المشرق المتأخرين ، له فيها دواوين ومناظرات مع أهلها وغيرهم من الحكماء" ابن خلدون : المقدمة / ص ٥٠٤ ، وأنظر ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ / ص ١٨٥ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٠/ ص ٥٦ .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٠/ ص ٥٦ ، الصفدي : الغيث المسجم جـ ١/ص ٦، ابن العديم : بغية الطلب / ص ١٨٧ .

(٤) علي الطاهر : الشعر العربي في العراق وبلاد العجم جـ٢/ص ١٠٤ ، دون أن يذكر مصدره .

(٥) جامع الأسرار وتراكيب الأنوار . في الكيمياء نسخة موزعة في بطرسبرج (خامس ٥ ٢٠٥ رقم ١٢) والمتحف البريطاني (or ٨٢٢٩ أوراق منه) . بروكلمان : تاريخ الأدب العربي جـ ٥ / ص ١٢ .

(٦) تراكيب الأنوار . هناك صفحات منه بالمتحف البريطاني (or ٨٢٢٩) ن . م . س جـ ٥ / ص ١٢ .

وكتاب حقائق الاستشهاد في الدفاع عن الكيمياء ضد ابن سينا[١] ، وله الجوهر النظير في صناعة الاكسير[٢] ، وله قصيدتان في الكيمياء[٣] .

ومن علماء الكيمياء في هذا العصر بالعراق أبو القاسم محمد بن أحمد العراقي[٤] الذي برز في الشطر الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي له رسالة بعنوان العلم المكتسب في زراعة الذهب[٥] .

خامسا : الميكانيكا " علم الحيل "[٦] :

وكان للعلماء في هذا العصر دراسات جادة في علم الحيل وهو ما يعرف في العصر الحديث بالميكانيكا ، ودراساتهم تلك لم تفرد لها مصنفات خاصة ، بل كانت ضمن دراسة الطبيعيات وكتب الفلسفة .

ولقد برز في هذا العصر عدد من العلماء في هذا الميدان وعلى رأسهم

---

(١) حقائق الاستشهاد ، القاهرة ١٧٠ طبيعة ، تيمور ٢ / ١١ مجاميع ، مصورة ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي جـ ٥ / ص ١٢ .
(٢) منه نسخة في برلين ١٠٣٦١ مصورة . ن.م.س جـ ٥ / ص ١٢ .
(٣) المتحف البريطاني 601,III,3 . ن.م.س جـ ٥ / ص ١٢ .
(٤) أبوالقاسم محمد بن أحمد العراقي ، أنظر عنه : حاجي خليفة : كشف الظنون جـ٣/ ص ٢١٨ ، البغدادي : هدية العارفين جـ ٢ / ص ٣٠٤ .
(٥) هذه الرسالة ترجمها هولمياد الى الانجليزية في باريس سنة ١٩٢٣م . أنظر : حتى : تاريخ العرب جـ ٢ / ص ٤٦٥ .
(٦) علم الحيل : وتسمى باليونانية منجانيقون ، وأحد أقسامها جر الأثقال بالقوة اليسيرة . الخوارزمي : مفاتيح العلوم / ص ١٨٧ .

أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازن (ت ٥٥٠ هـ/ ١١٥٥م)[1] صاحب ميزان الحكمة[2] الذى يعد من الكتب المهمة في علم الطبيعة فيما له صلة بالميكانيكا.[3]

ومن برز منهم بالعراق أيضا هبة الله بن ملكا البغدادى (المتوفى عام ٥٤٧ هـ/ ١١٥٤م) الطبيب الماهر ، وقد كان له اهتمام بالغ بالعلوم ، وفطرة خاصة فيها حتى ادعى أنه نال رتبة أرسطو[4] ويعد كتابه المعتبر في الحكمة[5] من أهم الكتب التى ظهرت في العراق في ميدانه ، ويشتمل الكتاب على ثلاثة أقسام : القسم الأول فى المنطق ، والثاني في الطبيعيات ، والثالث فيما وراء الطبيعة . فعن الحركة يقول في كتابه هذا : " فعلى هذا سهل طريق التعليم الحكمي الذى يكون بالنظر والاستدلال ، وهذا القانون بعينه يستعمل في هذا العلم المسمى بالعلم الطبيعي المنسوب الى الطبيعة ، وهو المشتمل على العلم بسائر المحسوسات من الحركات والمتحركات والمحركات وما معها وبها وفيها من الآثار المحسوسة " .[6] ويقول فى مكان آخر : " والعلوم الطبيعية هى العلوم الناظرة فى هذه الأمور ، فهي الناظرة فى محل متحرك وساكن ، وما عنه وما به ، وما منه وما اليه ، وما فيه الحركة والسكون ، والطبيعيات هي الأشياء الواقعة تحت الحواس

---

(١) أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازن يعد على رأس علماء العصر فى ميدان الحيل، فكتابه " ميزان الحكمة " الأول من نوعه بين الكتب العلمية القيمة ، يحتوى على بحوث مبتكرة وجليلة ، حتى قيل : انه أروع ما أنتجته القريحة فى القرون الوسطي .
البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام/ ص ١٦١، Brockelman, G.A.L p. 902.
فيدمان : دائرة المعارف الاسلامية جـ ٨ / ص ١٨٨ .

(٢) مطبوع بتحقيق فؤاد جميمان ، القاهرة ، ١٩٤٧م .

(٣) فيدمان : دائرة المعارف الاسلامية جـ ٨ / ص ١٨٨ .

(٤) البيهقي : تاريخ الحكماء / ص ١٥٢ .

(٥) مطبوع ، حيدر آباد الدكن ، جمعية دائرة المعارف العثمانية - ١٣٥٧ هـ .

(٦) ابن ملكا : المعتبر في الحكمة جـ ٢ / ص ٤ .

من الأجسام وأحوالها . وما يصدر عنها من حركاتها وأفعالها ، وما يفعل ذلك فيها من قوى وذوات غير محسوسة ".(١)

ولقد قسم ابن ملكا الحركة الى قسمين : المكانية ، والوصفية ، فيقول :
" وأعم أعراض الجسم الطبيعي وأخصها به من حيث هو جسم هي الحركة ...... والحركة تقال على وجوه . فمنها الحركة المكانية ، وهي التى ينتقل بها المتحرك من مكان الى مكان ، ومنها الحركة الوضعية ، وهي التى تتبدل بها أوضاع المتحرك وتنتقل أجزاؤه في أجزاء مكانه ولا تخرجه عن جملة مكانه ......".(٢)

كما تحدث في كتابه أيضا عن انقسام الحركة الى : طبيعية ، وقسرية ، فيقول :
" فلأن الحركة اما طبيعية واما قسرية ، والقسرية تتقدمها الطبيعية ، لأن المقسور انما هو مقسور عن طبعه الى طبع قاسره ، فاذا لم تكن حركة بالطبع لم تكن حركة بالقسر ".(٣)

ويتحدث ابن ملكا في فصل آخر عن ازدياد السرعة باشتداد القوة فيقول :
" وكل حركة ففي زمان لا محالة ، فالقوة الأشد تحرك أسرع وفي زمان أقصر ، فكلما اشتدت القوة ازدادت السرعة فقصر الزمان ".(٤)

وعلى الجملة فان لهذا الكتاب أهمية في دراسة التطور العلمي التطبيقي . وقد أشار القفطي الى أن هذا العالم قد " وقف على كتب المتقدمين والمتأخرين ، وفي هذا الشأن واعتبرها واختبرها ، فلما صفت لديه وانتهى أمرها اليه صنف فيها كتابا سماه المعتبر ، أخلاه من النوع الرياضي ، وأتى فيه بالمنطق والطبيعي والالهي ، وهو أحسن كتاب في هذا الشأن في هذا الزمان ".(٥)

---

(١) ابن ملكا : المعتبر في الحكمة جـ ٢ / ص ٦ .
(٢) ن.م.س جـ ٢ / ص ٥٠ .
(٣) ن.م.س جـ ٢ / ص ٩١ .
(٤) ن.م.س جـ ٢ / ص ٥٠ .
(٥) القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٢٤ .

وقد برز في علم الحيل في هذا العصر أيضا أبو نصر بديع الزمان بن اسماعيل بن الرزاز الجزرى الذى عاش في أواخر القرن السادس الهجرى ، وهو من المشهورين بصناعة الأجهزة والآلات ، وقد ركز اهتمامه على صناعة آلات قياس الزمن والمكائن . يقول د ونالد هل : " وفي سنة ١٢٠٦ هـ وضع الجزرى كتابا يصف فيه بعض الآلات التى صنعها في مجرى حياته الحافلة بالعمل ، وتشتمل هذه الآلات على ساعات مائية ، وساعات تتحرك بفتائل القناديل ، وآلات حيل ، وآلات قياس ، ونافورات وآلات موسيقية ذاتية ، ومكائن لرفع المياه ، وباب واسعة تذكارية مغلّفة بالنحاس والبرونز . لقد كان كتاب الجزرى هذا [1] متفوقا على المصنفين السابقين وقد زودنا بمعظم مالدينا من معلومات عن التقنية عند العرب ، فقد أدخل المؤلف في كتابه هذا سلسلة واسعة ومنوعة من الآلات التى تشمل كل الفنون ، والآلات التى استعملها أسلافه ، وكذلك الكثير من الاضافات والتحسينات التى أدخلها عليها . وأكثر من هذا أهمية ان الجزرى كان بشكل جلي ماهرا في الصناعة تماما بشكل مفصل ودقيق [2] فلقد عمل ابريقا يعمل بطريقة الأواني المستطرقة ، جعل غطاءه على شكل طائر يصفر عند استعماله لفترة قصيرة قبل أن ينزل الماء ، وقد صنع كذلك ساعة مائية لها ذراعان يشيران الى الوقت [3] . ولقد وصف الجزرى في كتابه هذا مكائن خمسا صممت كلها بغرض رفع الماء ، وتشتمل أربع منها على مظاهر ذات أهمية عظمي في تاريخ التقنية الآلية [4] على أن أهمها جميعا المكنة الخامسة والتى تعد ذات أهمية كبرى ، ذلك لأنها كانت الأساس المهم لتطوير مكائن ضخ المياه [5] . ومن أهم مصنفات الجزرى كتابه السابق الذكر وهو كتاب في معرفة الحيل الهندسية ، وكتاب الهيئة والأشكال .

---

(١) وهذا الكتاب هو " كتاب في معرفة الحيل الهندسية " عرف من مخطوطاته خمس عشرة نسخة . د ونالد هل : التقنية الآلية عند العرب ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٣١ / ص ٢٦٢ .

(٢) د ونالد هل : التقنية الآلية عند العرب / ص ٢٤٤ .

(٣) الدوميلي : العلم عند العرب / ص ٣٠٥ ، باقر أمين الورد : معجم العلماء العرب جـ١/ ص ٥٠ .

(٤) د ونالد هل : التقنية الآلية عند العرب / ص ٢٥٤ - ص ٢٥٥ .

(٥) ن٠م٠س / ص ٢٥٥ .

وجدير بالذكر في هذا الميدان الاشارة الى مجال هام من مجالات الدراسات التطبيقية ، ألا وهو الزراعة والتقنية الزراعية ، ومع أن المعلومات التى تقدمها عن هذه الدراسات نادرة فان مما تجدر الاشارة اليه هنا بروز دور عالم جليل ظهر بأرض العراق فى الربع الأول من القرن السادس وهو أبو عبد الله أحمد بن الحسين الشقاق ،[1] كان عالما بالزراعة والفلاحة ، عارفا بتصريف الرى وحفر القنوات، وهندسة الأنهار ، مجتهدا فى العمارات.[2]

وقد صنف فى تخصصه هذا ، وهو الزراعة والهندسة الزراعية ، كتابا ورد ذكره فى الحاوى للأعمال السلطانية ورسوم الحساب الديوانية.[3]

ذكر أحد الباحثين المحدثين بأنه صنفه بالعراق في العصر السلجوقي[4] ، وهو يتصل بعلوم الضرائب والزراعة والحساب وحفر القنوات ، وكمية الأتربة المستخرجة فى حالة جريان الماء والجفاف وطريقة ذلك ، وبالجملة فهو يتحدث عن الخدمات الاروائية ، ومختلف الوسائل التقنية المتصلة بالرى.[5]

ولقد تحدث الشقاق في كتابه هذا عن كيفية حفر الأنهار المستجدة قائلا : " المقصود من ذلك أن يعرف علو مكان وانبساط مكان ، وهذا يعرف بعدة موازين ، الا أن المعروف بين أهل زماننا ثلاثة موازين "[6] ثم درج بعد ذلك على ذكر أنواع الموازين الثلاثة وكيفية العمل بها.[7] ثم ذكر الشقاق فى كتابه هذا

---

(1) Brockelman: G.A. L Vol. I p. 854.
Cahen, Le service de Lirrigation en Iraq. p. 117.

(٢) العمارة : وهي عملية كرى الأنهار والترع ومجارى مياه الرى. Op. cit. p.121.

(٣) مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس برقم ٢٤٦٢ .

(4) Cahen, Le service de lirrigation en Iraq p. 117.
(5) Cahen, op.cit. p. 117.
(6) Cahen, op.cit. p. 119.
(7) Cahen, op.cit. pp. 119-120-121-122-123.

ولمعلومات أوسع El-Samarraie: Agriculture in Iraq, pp. 21-30.

الوسائل المختلفة المستخدمة للسقي ، وهي[1] " النواعير المسحرات"[2] الدائـــرة اذا كان الناعور فيها كاملا كان عدد كيزانه ثمانين كوزا " ، والدواليب[3] ، والشادوف[4] ، والغرّافات ، والمنجونات ، والبكرات من الوسائل الفنية المستخدمة لدفع الميـــاه من مجارى الأنهار أو الآبار الى مستوى الأرض الزراعية المراد ريها وهي متشابهـــة من حيث فكرة العمل ، ومختلفة من ناحيتي الطاقة ، وما تحتاج اليه لتشغيلهـــا[5] وقد فصل المؤلف ذلك كله ، من حيث سعتها ، ومقدار ما تحمله من الميـــاه ، والوقت الذى تستغرقه لرى المزارع[6] .

ثم ذكر بابا في العمارة والبزندات[7] وهى عمليتا كرى الأنهار فى فـــترة الصيهود (وهو انخفاض مستوى المياه فى آخر الصيف) وتحصين الغلات فـــي المواسم التى تسبق الفياضانات ، وقد أورد تفصيلات وافية عن ذلك[8] .

. . . . . .

---

(1) Cahen, le service de lirrigation en Iraq, P.118.

(٢) السحارة : اسم لوسائل عدة تستخدم لسحب الماء ، وما يقصده هنا هو الكـــوز المغربل السفل الضيق الفم ، الذى يملأ ماء ، ثم يقبض على فيه ، فلا ينصـــب الماء من ثقوب الغربال . الخوارزمي : مفاتيح العلوم / ص ١٨٩ .

(٣) الدولاب : يشبه الناعور ، غير أن الناعور أسرع في الدوران .

- Cahen, Le service de lirrigation en Iraq, p.118.

(٤) الشادوف : دلو لطيف يعمل من بوارى مثل دلو الدالية ، ويحتاج الى أربعـة رجال .

(5) El-Samarraie: Agriculture in Iraq, pp. 26-30.

(6) Cahen, Op. cit. pp. 118. 119.

(٧) البزند : هو أن يفتح في جانب النهر بثق فيحتاج أن يسد ذلك بالقصـــب أو الدغل أو التراب ، تريد أن تعلم كم يدخل فيه .

- Cahen, op. cit. p. 125.

(8) Cahen, op. cit. pp. 123-129.

الخاتمة

الخاتمة :

نسأل الله أن يتم بالصالحات والتوفيق أعمالنا وأن ينير لنا سبل الخير وطـــرق العلم .

فان البحث في الميدان العلمي والفكري لتواريخ الأمم هو من الدراســـات الشيقة والمحببة الى النفس، ذلك أنه يكشف الركائز الحقيقية لحضارات الأمم ومـدى سموها الفكري والابداعي حيث أن العلم هو أهم الدعائم التي تبنى عليها حضـــارات الأمم .

ولا شك في أن الأمة الاسلامية قد جعلت من العلم الركيزة الأولى لبناء أمجادها ونالت من ذلك حظا وافرا لم تخص به غيرها أمة من الأمم .

روى أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، سأل كعب الأحبار عن البـــلاد وأحوالها فقال : يا أمير المؤمنين ، لما خلق الله سبحانه وتعالى الأشياء ، ألحـق كل شيء بشيء ، فقال العقل أنا لاحق بالعراق ، فقال العلم : أنا معك[1].

ولقد لعب العراق دورا أساسيا ورائدا في تطور العلوم والآداب في الدولـــة الاسلامية منذ بواكير نشأتها وامتدادها فقد كانت الكوفة وشقيقتها البصرة مركزيـــن رئيسيين من مراكز الاشعاع الفكري منذ أيام نشأتهما ، وظل العراق طوال العصـــور الاسلامية المتتابعة منارا للعلم وموئلا للعلماء على اختلاف مشاربهم وتخصصاتهم ، وزاد الأمر وتضاعف الدور بعد انشاء دار السلام درّة الدنيا وحاضرة العلم ومناره ، حيث كانت سوق العلم رائجة ودور الكتب نافقة ، والمستشفيات مشرعة الأبواب لطلاب العلم

---

(١) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ / ص ٤٨ .

والمرضى على السواء ، وحيث نشأت مدارس العلم وازدحمت الأرباع بالمكتبات ودكاكين الوراقين دليلا على زحمة الاجتماع على العلم والتعلم والحرص على الابداع والريادة وبروز العلماء وقد توسع الانتاج العلمي في هذا الاقليم وازدهر وأينعت ثماره ، حتى عاش العراق والأمة عصر الازدهار العلمى الذهبى خلال العصر العباسي الأول الذى استمر يانعا خصبا معطاء رغم كل الانتكاسات السياسية حيث امتدت آثاره لتتابع حركة التطور وخلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، حيث تباركت حركة علمية شاملة عمت مدن العراق كافة لتحفظ لنا تاريخا مشرقا من حياة أمتنا المجيدة ممثلا في نشاط العلم والتعليم ، وازدهار العلوم وضخامة الانتاج العلمي خلال العصر السلجوقي .

ان البحث الذى نتقدم به عن الحياة العلمية في العراق خلال هذه الحقبة قد توصل الى جملة نتائج هى ليست على سوية أو منحى واحد ، ذلك أن منها ماهو ايجابى ، وهذا هو السمة الغالبة ، وبعضها ماهو سلبى ، لا مندوحة لنا من تبيانه ، وهذه النتائج ماهي الا انعكاس للواقع العلمي والفكرى الذى كانت تعيشه الأمة بعامة والعراق خاصة فى هذا العصر بكافة ظروفه وملابساته المختلفة - ومن هذه النتائج ما يلي :

* لقد صاحب انتقال السلطة من البويهيين في العراق الى السلاجقة ، تغييرات مختلفة المدى في الأوضاع السياسية والاقتصادية والمذهبية والاجتماعية ، انعكاسا لاختلاف مسلك واتجاه الحكام البويهيين عنه لدى السلاجقة .

* بروز عامل جديد أسهم في تعقيد حالة الصراع الحاد الدائر على ساحة المشرق الاسلامي ، وقد تمثل ذلك فى موجة الغزو الأوروبية الصليبية التى كانت تندفع نحو المشرق بقصد الاحتلال والاستعمار فى الوقت الذى كانت مراكز القوى الحاكمة فى الدولة الاسلامية مشغولة فى الدفاع عن مصالحها الذاتية ومحاولة التسلط والتحكم وضمان التوسع والاستبداد ، وفي الاستجابة لحالة الصراع

الداخلي والانشغال بردود الفعل المنعكسة عن ذلك ، بدلا من أن توحد جهودها المشتركة وتتناسى خصوماتها وأحقادها وخلافاتها المذهبية ومطامعها الذاتية لمقاومة الخطر الداهم الذى يهدد الخلافة الاسلامية وديار الاسلام ويعرضها للانحلال والاستعمار.

* ان السياسة المالية التى اتبعها حكام السلاجقة ممثلة في وزيرهم المتوج نظام الملك تلك السياسة المرتكزة على النظام الاقطاعي لم يحالفها التوفيق بالشكل الذى كان يؤمل فيه ويتوخى منه من استقرار فى الأوضاع العامة مع ضمان توفير الأموال العامة وزيادة واردات بيت المال ، وعلى خلاف ماكان يتوقع ، فقد أدى ذلك الى تركيز الأموال لدى المستفيدين من الاقطاعات فى الوقت الذى استغل بعض الكبراء والتجار مراكزهم في امتلاك مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية التى كانت أصلا ملكا لصغار الملاك والفلاحين ، مما حولهم الى عمال زراعيين يشتغلون بأجور زهيدة اضطرتهم سوء أحوالهم الى الانتقال الى المدن والمراكز التجارية الحرفية للاشتغال بالأعمال التجارية والمهن الأخرى والتى لم تكن مدخولاتهم معها بأفضل مما كانوا عليه. وهكذا فبالاضافة الى تدهور الزراعة ومدخولاتها العامة ، فقد تدهورت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الى درجة كبيرة لسكان العراق مما نجم عنه الكثير من الأمراض الاجتماعية والأزمات الاقتصادية والصحية الحادة.

* لقد كان العراق في العصر السلجوقي تتنازعه سلفية متشددة ، وصوفية مبتدعة متنسّكة ، وشيعية منحرفة ومتطرفة . ذلك ان التعصب للمذهب أصبح السمة الشائعة بين العامة والخاصة من السكان ، وبخاصة المسلمين الذين انقسموا بشكل حاد الى قسمين متميزين : أهل السنة وأتباع السلف ، والشيعة العلوية ، انقسم كل منهما الى فئات متعددة ومتناحرة تبعا للأفكار والآراء التى تمثل انتماءاتهم المذهبية أو الفرق التى يدينون لها بالتبعية. وقد نجم عن ذلك ، اضافة الى حالة الصراع الحادة ، شيوع حالة يأس دفعت البعض الى الاتجاه نحو العزوف عن الدنيا واغراق النفس بأمور تبعدها عن استشعار الواقع المحسوس

المؤلم ، وهكذا حصل توجه عام نحو التصوف الذى وجد فيه الكثير من الناس ملاذا من حالة الصراع ، والتنازع التى يقاسي منها المجتمع . وهذا التوجه كـــان بحد ذاته مشكلة اضافية أسهمت فى زيادة حدة الصراع والتعصب التى عاشهـــا الناس . أضف الى ذلك ، أنه ظهرت خلال هذه المرحلة المشحونة بالمنازعات حركة مستترة أدعت الميل الى تحكيم العقل فى الظاهر الا أنها كانت فى حقيقتهـا دعوة باطنية عملت على توحيد صفوف أتباعها والسير بهم فى أسلوب سرى منظـم من أجل احداث تغييرات جذرية فى المجتمع يقوم على أساس اقامة الحكـــم العلوى الاسماعيلي مستفيدة من ظروف التشتت والانقسام التى عاشها المجتمع ، وقد لجأت الى مختلف الوسائل والأساليب لبث دعوتها من استخدام الجـــدل والمنطق وعلم الكلام ولم تتورع عن استخدام الارهاب مستفيدة من أحد فـــروع التنظيم الخاص بها وهم الحشاشون أو الحشيشية التى استمرت في اللجوء الى الاغتيالات الفردية وتصفية الخصوم واستخدام كافة الوسائل بغض النظر عـــن الأخلاق والشريعة لتنفيذ أهدافها والوصول الى ما تطمح اليه ، وكان على رأس التنظيم الأخير الحسن الصباح .

* هذه الظواهر تميز بها الوضع السياسي والفكرى للمجتمع في العراق فى فـــترة البحث ، والتى تمثل حالة من الضعف والانقسام والتدهور في كثير من مجـالات الحياة . ومن الممكن تصور مدى الضرر الذى لحق بالحياة العلمية والمستويات الفكرية والانتاج والابداع نتيجة ذلك . وأن نتصور بعد ذلك الآثار المدمـــرة التى لحقت بحياة الفرد والتى تمثلت فى شيوع حالة اليأس من امكانية الاصلاح فى مجتمع يتصف بالعديد من المتناقضات والتى تخالف كتاب الله وسنة رسولـــــه الأمين . ذلك اليأس الذى أدى بالكثيرين الى التحول الى موقف سلبى ، يرفض الواقع المتناقض والتعلق بطرق شتى مختلفة مؤملين أن يجدوا فيها ما فقـــدوه في واقعهم وأوضاعهم المختلفة .

* ولم يجد العلم والعلماء الاهتمام الكبير والرعاية من حكام السلاجقة الأوائل بحكم طبيعتهم البدوية ، فقد ركزوا على رعاية القوة العسكرية والاهتمام بها بجانب اهتمامات خاصة أخرى . على أن الحالة أخذت وضعا آخر منذ عهد السلطان ملكشاه حيث بدأ الاهتمام بالعلم والتعليم والعلماء ، وقد قوى هذا الخط وتعمق في عصور من جاء بعده من السلاطين .

* لقد برز دور الوزير نظام الملك السلجوقي في هذا العصر وكان من أبرز اهتماماته: السياسة والادارة والتعليم . وقد أدى اهتمامه بالعلم والعلماء واحتضان مراكز التعليم وانشاء المدارس الى أن يعرف بذلك بشكل بارز ، فلقد أولى علماء أهل السنة على اختلاف مذاهبهم وتخصصاتهم كل رعاية واهتمام . ولم يتفق لغيره ما اتفق له من ازدحام العلماء عليه وترددهم على بابه وثنائهم على سيرته ، وتصنيفهم الكتب باسمه[1] . على أن انشاء المدارس النظامية يعد من أهم وأبرز المعالم التي تميز بها العصر ولاسيما نظامية بغداد ، والتي انتقلت فكرتها وطرازها ونظامها الى كثير من مدن العراق وخراسان والرى ونيسابور وبلاد الشام ومصر . وان لم يكن نظام الملك أول من بنى المدارس في العالم الاسلامي ، فقد بنيت قبل نظامياته الكثير من المدارس خصوصا في منطقة نيسابور ، على أن أهم ما يميز المدارس النظامية عما قبلها هو اتباعها الأسلوب التنظيمي العلمي في البناء والمناهج والادارة والسكن وتقدير المعاليم للأساتذة والطلاب والعاملين .

ومع أن اقتباس النماذج السابقة من المدارس التي أنشئت في نيسابور وبخارى هو من الأمور المتوقعة فان بالامكان القول بأنه لم يكن هناك دافع محدد انفرد في التأثير على نظام الملك ودفعه الى المضي قدما في انشاء نظامياته في بغداد ومدن العراق الأخرى وأقاليم الشرق الاسلامي.والراجح أن تكون عدة عوامل قد تداخلت في تأثيراتها وأسهمت في تحديد وجهته ودفعته مجتمعة

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٣ / ص ١٥٦ .

الى تنفيذ ذلك . وربما كان أبرزها الوقوف في وجه الدعوة الاسماعيلية الباطنية المضللة ومحاربتها حفاظا على الاسلام والمسلمين. اضافة الى عوامل أخرى سياسية ودينية متداخلة التأثير.

* لقد كان للصراعات المذهبية بين طوائف أهل السنة أثر فعال في انتشار المدارس وكثرتها في هذا العصر في بغداد وسائر مدن العراق حيث أسهمت ظاهرة التعصب المذهبي في شيوعها وتعددها ، وهكذا ظهرت مدارس شافعية ، وحنفية ، وحنبلية . كان يتولى انشاءها الكبراء من رجال الدولة ، وكبار العلماء والأغنياء ، ويقوم على التدريس فيها كبار علماء المذهب .

* اذا نظرنا الى الأوضاع العلمية بصفة عامة لفترة البحث لوجدناها حركة جاركة ونشطة ومثمرة ، لاسيما فيما يخص الدراسات الشرعية واللغوية ، وكذلك الدراسات الخاصة بالتاريخ والطب . حيث نشطت هذه العلوم ابان فترة البحث نشاطا ملموسا وتطورت في أضواء نهضة علمية واسعة شملت جميع مدن العراق .هذا النشاط العلمي تمثل في عدة أوجه وتميز بمميزات بارزة يمكن أن تعد نتائج مباشرة تمثلت في تنافس الأمراء والوزراء والكبراء ورجال العلم على بناء المدارس والمعاهد والأربطة ، والتي عمت أغلب مدن العراق لاسيما بغداد ، اضافة الى تغطية احتياجاتها المالية والانفاق عليها بسخاء. وكان من نتائج ذلك أيضا ظاهرة انتشار دور الكتب العامة والخاصة واتساع حركة النسخ والتدوين وازدياد عدد المؤلفات والمصنفات . بجانب المكانة الاجتماعية العالية التي تمتع بها العلماء وارتقاء مكانتهم وتشجيعهم من قبل الكثير من الكبراء وحصولهم على مكانة مرموقة في المجتمع.وبجانب ذلك فقد زاد الاهتمام بالرحلات العلمية . والتي أصبحت من مستلزمات اكتمال الشخصية العلمية لطلاب العصر. وهكذا فقد تحقق انتشار حلقات العلم ومجالس المناظرة. اضافة الى انتشار مجالس القصاص والمذكرين كظاهرة علمية مهمة اتسم بها العصر، وقد زاد وضوح وتمايز المذاهب

الفقهية من ناحية ، والفكرية من ناحية أخرى ، ونشط أربابها في الدفاع عنها ، مستخدمين العلم ومجالس المناظرة والمحاورات والتأليف لتحقيق ذلك . وهكذا فان بالامكان القول بأن هذا العصر يمثل بداية الاستثمار العلمي لنهضة العلوم المختلفة في العصور السابقة حيث ظهر الاتجاه الى كتابة الموسوعات المتخصصة في علوم الشريعة ، واللغة ، والتراجم المختلفة ، والتواريخ . كما برز بشكل كبير دور الدراسات الشرعية وأثرها في تطوير العلوم المختلفة ، ذلك أن السلطة القائمة قد ركزت اهتمامها خلال هذا العصر على احياء العلوم الشرعية والعناية بها لأسباب كثيرة ومتداخلة من أبرزها الدفاع عن الأمة وعقيدتها عن طريق الوقوف في وجه الحركات الفكرية والسرية المختلفة والتي كانت تستهدف تشكيك المسلمين في عقيدتهم توطأة للسيطرة عليهم وتوجيههم ضمن مخططاتها الخاصة. وبالاضافة الى ذلك فقد كان للأوضاع السياسية والاقتصادية السيئة والكوارث والنكبات التي داهمت المسلمين في هذا العصر أثر كبير في اضطراب وزعزعة أفكارهم ودفعهم الى التهاون والاتكالية وابتعادهم عن روح الاسلام ، مما حدا بعدد من كبار العلماء في تلك الفترة الى تناول تلك الأوضاع المضطربة بالدراسة في محاولة لتوضيح صورة الاسلام الحقيقية والرجوع الى منابعه الصافية بعيدا عن كل ما علق به من رواسب ومعوقات .

وبالمقابل فان الدراسات الفلسفية ودراسة المنطق وعلوم الأوائل قد تقلصت وكسدت سوقها في هذا العصر ، بعد صراع طويل مع معارضيها منذ انتقال علم الكلام من مرحلة استخدامه الأولى في المجتمع الاسلامي وما نجم عنها من بروز الاعتزال ومحنة الحنابلة ، وقد حاول الأشاعرة الاستفادة من ذلك خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بعد أن كان البعض من العلماء يحرمون الخوض في علم الكلام ، ثم تدعم هذا الاتجاه في القرن الخامس حين رفع الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالي لواء الدفاع عن المذهب الأشعري ، الذي كان في الوقت نفسه يحارب المذاهب الفلسفية بسلاح الجدل وعلم الكلام والمنطق . حتى اذا ما

جاء القرن السادس الهجرى تدعمت جبهة المدافعين عن الشريعة والمتصدين للفلسفة وأساليبها حيث ترسخت في العراق والمشرق الاسلامي ، وقد ظهر هذا الاتجاه واضحا وجليا في أهداف المدارس النظامية وخططها الرامية الى صقل عقول علماء المسلمين وتوجيه همتهم لمحاربة الدراسات الفلسفية وعلوم الأوائل والأفكار الالحادية والشركية المناقضة لمبادئ الاسلام الحنيف . وهكذا تحقق للفقهاء والدعاة الى الله فرصة الوصول الى مراكز التوجيه الفكرى والثقافي في هذا العصر وأسهموا في انجاح خطط الادارة في الدفاع عن العقيدة ومنع تأثير الباطنية المضللة وأخطارها الجسيمة على الفكر والعقيدة والمجتمع والدولة على حد سواء . غير أن المغالاة في هذا الاتجاه قد أدى الى ظهور نوع من التقييد الحذر تحرى فيه العلماء السلامة باللجوء الى التقليد والالتزام به والابتعاد عن الاجتهاد مما منع ظهور أبحاث مبتكرة والاكتفاء بتقديم الشروح والمختصرات والتذييلات مما مهد لظهور الموسوعات في شتى فروع العلم المختلفة الشرعية والتاريخية واللغوية والتراجم .

.. .. ..

الملاحق

الملحق الأول

منشور الفتوة الذى صدر على عهد الخليفة الناصرلدين الله العباسي وأرسله مع سراويل الفتوة الى ملوك الأطراف بطريق الوكالة الشريفة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

" من المعلوم الذى لا يتمارى في صحته ولا يرتاب في براهينه وأدلته أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - ك - هو أصل الفتوة ومنبعها ومنجم أوصافها الشريفة ومطلعها وعنه تروى محاسنها وآدابها ومنه تشعبت قبائلها وأحزابها واليه دون غيره تنتسب الفتيان وعلى منوال مؤاخاته النبوية الشريفة نسج الرفقاء والاخوان وأنه كان عليه السلام مع كمال فتوته ووفور رجاحته يقيم حدود الشرع على اختلاف مراتبها ويستوفيها من أصناف الحسبات على تباين جناياتها وطلبها ونحلها ومذاهبها غير مقصر عما أمر به الشرع المطهر وقرره ولا مراقب فيما رتبه من الحدود وقرره امتثالا لأمر الله تعالى في اقامة حدوده وحفظا لمناظم الشرع وتقويم عموده فانه عليه السلام فعل ذلك بمرأى من السلف الصالح ومسمع ومشهد من أخيار الصحابة ومجمع فلم يسمع أن أحدا من الأمة لامه ولا طعن عليه طاعن في حد أقامه وحقيق بمن أورثه الله مقامه وناط به شرائع الاسلام وأحكامه وانتمي اليه عليه السلام في فنونه واقتفى شريف شيمه وكريم سجيته أن يقتدى به عليه السلام في أفعاله ويحتذى فيما استرعاه الله تعالى واضح مثاله غير ملوم في ما يأتيه من ذلك ولا معارض فتوه ولا شرعا في ما يورده ويصدره وقد رسم الله المراسم العلية المقدسة النبوية الامامية وزادها نفاذا معضودا بالصواب وتأييدا ممتد الأطناب محكم الأسباب على كل من تشرف بالفتوة

---

(١) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩/ص ص ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ .

برفاقة الخدمة الشريفة المقدسة المعظمة المجدة المكرمة الطاهرة الزكية النبوية الامامية الناصرة لدين الله تعالى شرف الله مقامها وخلّد أيامها وأعلى كلمتها ونصر رايتها : أنه من قتل له رفيق نفسا نهى الله تعالى عن قتلها وحرمه وسفك دما حقنه الشرع المطهر وعصمه وصار بذلك مما قال الله تعالى في حقه حيث ارتكب هذا المحرم واحتقب عظيم هذا المأثم " ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها " الآية أن ينزل عنه في الحال في جميع الفتيان عند تحققه لذلك ومعرفته ويبادر الى تغيير رفقته مخرجا له بذلك عن دائرة الفتوة التي كان متسما بها مسقطا له من عداد الرفاقة التي لم يقم نواحيها ، ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، وأن كل فتى يحوى قاتلا ويخفيه ويساعده على أمره ويؤويه ينزل كبيرة عنه ويغير رفاقته ويتبرأ منه . وأن من حوى ذا عيب فقد عاب وغوى ومن آوى طريد الشرع فقد ضل وهوى والنبي عليه السلام يقول " من آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا " ولا حدث أكبر من قتل النفس عدوانا وظلما ولا ذنب أعظم منه وزرا واثما فان من قتل فتى من حزبه سقطت فتوته ووجب أن يؤخذ منه القصاص عملا بقوله " وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص " وان قتل غير فتى عونا من الأعوان أو متعلقا بديوان في بلد سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على كافة الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين فقد عيب هذا القاتل في حرم صاحب الحزب بالقتل فكأنما عيب على كبيره فسقطت فتوته بهذا السبب الواضح ووجب أخذ القصاص منه عند كل فتى راجح وليعلم الرفقة الميمونة ذلك وليعملوا بموجبه وليجروا الأمر في أمثال ذلك على مقتضى المأمور به وليقفوا عند الحدود في هذا المرسوم المطاع ويقابلوه بالانقياد والاتباع - ان شاء الله تعالى - وكتب في تاسع صفر سنة أربع وستمائة ، وسلم الى كل واحد من رؤساء الأحزاب منشور بهذا المثال فيه شهادة ثلاثين من العدول . ثم كتب تحت كل مرسوم ومنشور ما هذا صورته " قابل العبد ما تضمنه هذا المرسوم المطاع وقابله بما يجب عليه من الانقياد والاتباع والامتثال وهو الذى يجب العمل به فتوة وشرعا

وهذا المعروف من سيرة الفتيان المحققين نقلا ، وقد ألزمت نفسي اجراء الأمر علـــى ما تضمنه هذا المرسوم الأشرف فمتى جرى ما ينافي المأمور به المحدود فيه كان الدرك لازما لي والمؤاخذة مستحقة على ما يراه صاحب الحزب ثبّت الله دولته وأعلى كلمتـه وكتب فلان بن فلان في تاريخه ".

.. .. ..

الملحق الثاني

كتاب نظام الملك الوزير السلجوقي الى ابن جهير فخر الدولة وزير الخليفة المقتدى بأمر الله (١)

وهي بشأن تجدد الفتنة بين الشافعية والحنابلة ببغداد

" كتابي أطال الله بقاء سيدنا الوزير الأجل السيد مؤيد الدين فخر الدولة شرف الوزراء أدام الله رفعته وتمكينه وبسطته. بلغنا ما تجدد ببغداد من القضايا المتعلقة بالدين التي تظهر في أنبائها على الصدفة واعتقاد المداهنين ما يشعر بأن الضمائر المنطوية على النفاق أبت الا ما تكنه ، والسرائر المعقودة على الخلاف والغل لم تصبر على استحفاظ ما تجنّه ، حتى ورد اثر ذلك عدة من الفقهاء ، ونفر من العلماء فأوضحوا ما يجرى هناك مما كانت تخفى حقيقته وجليته ، وما ظهرت بذلك صورته. ولعمرى أن هذه الطائفة ، اذا قلّت أعوانهم ولم يجدوا فيما دهمهم من ينصرهم ويظافرهم ، ولم يقم معهم حزبهم يؤازرهم وان كانوا لم يزالوا مقدّمين مميزين مكرمين يصبحوا أغراضا لسهام النوائب ، يطغى فيهم كل مخالف ومجانب ، لا ترعى لهم حرمة ، ولا يرقب فيهم ذمة ، غير اعتقاد المذهب الذى هم به موسرون ومن علومه يتعلمون.

وقد بنينا لهم مدرسة تصير مأواهم ويتخذونها في السراء والضراء مثواهم وان هؤلاء الذين ينتحلون مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله. وان كان هو بريئا من سوء دخلتهم وأفعالهم ، منتفيا من ذميم طرائقهم وأقوالهم ، مع كثرة عددهم في تلك البقعة ، واشتداد شوكتهم ، واتفاق أقاويلهم في الضلال وكلمتهم ، لم يتجاسروا في زمن من الأزمنة على ما جعلوه الآن بينهم سورة يتدارسونها وصنيعة يمارسونها ، في سب الأئمة ، والوقيعة في علماء الأمة ، من غير منع ولا معاقبة ، ولا تخوف ولا مراقبة.

---

(١) من رسائل نظام الملك الوزير السلجوقي ، الدكتور عبد الهادى محبوبه ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد السابع - الجزء الثاني ١٣٨٠ هـ/١٩٦١م.

والعجب من اقدامهم في تلك البقعة الحرجة على أهل السنة ، والقائهم اياهم في كل محنة ، وعندنا بخراسان وبلاد الترك، مع تباعد أقطارها واتساع أكوارها لا يعرف فيها سوى مذهب الامامين الشافعي ، وأبي حنيفة ، ومن سمعت منه كلمة عوراء في سائر كورها تخالف المذهبين ، وتباين اجتماع الفريقين نرى دمه حلالا ، ونوسعه ضربا واذلالا .

وليس غضّنا عما يبدو منهم من البدع ، ويضاف اليهم في شر مجتمع ، الا ترفعا أن يجرى في جوار الخليفة ، وسدة الامامة المكرمة ما يخل بلوازم الهيبة ، ويشلّ جوانب التعظيم والرتبة .

وأما ما يخصّني أنا في ذلك ، فما أجد أصلح من حسم القول فيما يتعلق بتلك المدرسة لئلا يجرى على من يتفيأ ظل عنايتي ، ويحاط بعين رعايتي ما يجرى " .

.. .. ..

الملحق الثالث

كتاب نظام الملك الى أبي اسحاق الشيرازي بشأن الفتنة السابقة الذكر بين شافعية وحنابلة بغداد[1]

"ورد كتابك بشرح أطلت فيه الخطاب وليس توجب سياسة السلطان وقضية العدالة الى أن نميل في المذاهب الى جهة دون جهة ونحن بتأييد السنن أولى من تشييد الفتن ولم نتقدم ببناء هذه المدرسة الا لصيانة أهل العلم والمصلحة لا للاختلاف وتفريق الكلمة ومتى جرت الأمور على خلاف ما أردناه من هذه الأسباب فليس الا التقدم بسد الباب وليس في المكنه الا بيان على بغداد ونواحيها ونقلهم عن ما جرت عليه عاداتهم فيها فان الغالب هناك وهو مذهب الامام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمة الله عليه ومحله معروف بين الأئمة وقدره معلوم في السنه وكان ما انتهى الينا أن السبب في تجديد ما تجدد مسألة سئل عنها أبو نصر القشيرى من الأصول فأجاب عنها بخلاف ما عرفوه في معتقداتهم والشيخ الامام أبو اسحاق وفقه الله رجل سليم الصدر سلس الانقياد ويصغي الى كل من ينقل اليه وعندنا من تصادر كتبه ما يدل على ما وصفناه من سهو له يجتذبه والسلام".

.. .. ..

---

(1) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ / ص ٣١٢.

الملحق الرابع

كتاب حجة الاسلام الغزالي الى ضياء الملك أحمد بن نظام الملك متولي المدرسة النظامية ببغداد ، يعتذر فيه عن عدم استطاعته للعودة للتدريس بنظامية بغداد وذلك في سنة ٥٠٤ هـ.(١)

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله أجمعين . قال الله تعالى " ولكل وجهة هو موليها ، فاستبقوا الخيرات".

الخلق من جهة ما جعلوه قبلتهم ثلاث طبقات : عوام أهل غفلة ، وخواص أولو كياسة ، وخواص الخواص وهم ذوو البصيرة . أما أهل الغفلة ، فقد قصّروا نظرهم على عاجل الخيرات ، وظنوا نعيم الدنيا هو الخير الأكبر ، وحسبوه أصل المال والجاه ، فاقبلوا عليها ، وعدّوها قرة عين لهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"ما ذئبان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فسادا فيها من حب الشرف والمال في دين المرء المسلم". لم يفرق أولئك الغافلون بين الذئب والصيد ، ولم يميزوا بين الفرة والسخنة ، واصطفوا طريقا أعوج ، وزعموا أنه رفعه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبىء بزيفهم هذا : " تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم".

وأما الخواص ، فقد أسلمتهم الكياسة والموازنة بين الدنيا والآخرة أن آثروا الآخرة على الأولى ، وهي خير وأبقى ، والباقي أفضل من الفاني المنقضي . فمالوا عن الحياة الدنيا ، وولوا وجوههم شطر الآخرة . ولكن قصر هؤلاء أيضا ، اذ لم يطلبوا الخير المطلق وان قنعوا بما هو أحسن من الدنيا .

وأما خواص الخواص ، وهم أولو البصيرة ، فقد عرفوا أن ذلك ليس بالخير المطلق ، وأن كل ما دونه من الآفلين ، والعاقل لا يحب الآفل ، ودروا أن الدنيا

---

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي جـ ١ . المجلد الثالث ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م . عن كتاب " غزالي نامه" للأستاذ جلال الدين الهمائي . طبعة طهران سنة ١٣١٨هـ .

والآخرة مخلوقان ، وأن أكثرها شهوة استوى فيها البهائم والأناسي . وهذه مرتبة لا تنبغي لهم. والله مالك يوم الدين ، وله ملكوت الدنيا وهو خالقها ، وهو خير وأعلى . وقد كشف عن هؤلاء غطاء قوله " والله خير وأبقى " ، واختاروا مقام " في مقعد صدق عند مليك مقتدر" ، وآثروه على مرتبة " ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون" بل أدركوا حقيقة لا اله الا الله ، وعرفوا أن الآدمي عبد ما قيد به نفسه ، وأنه الهه ومعبوده " أفرأيت من اتخذ الهه هواه ". ومقصود كل نفس معبودها ، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعس عبد الدراهم. فمن كان مقصوده غير الله ، فتوحيده غير تام ، وهو من الشرك الخفي غير بريء. وقد قسم هؤلاء كل ما في الوجود قسمين متقابلين : الله ، وما دونه . وهما ككفتي ميزان. جعلوا قلوبهم لسانه . فلما وجدوا طبعهم يميل طوعا مع الكفة الراجحة ، قالوا : قد ثقلت موازين الحسنات ، وأيقنوا أن مالم يوفه هذا القسطاس لا يزنه الميزان يوم الحساب .

وحال الطبقة الثانية عند الطبقة الثالثة ، هو مثل حال الطبقة الأولى لدى الطبقة الثانية : عوام لا يفهمون قيلهم ، ولا يدرون أن من نظر الى وجه الله تعالى بالحقيقة حسن وجهه .

وقد دعاني صدر الوزارة - بلغه الله أعلى المقامات - من المحل الأدنى الى المرتبة العلية ، فأنا أدعوه من مقام الطبقة الأولى وهو أسفل السافلين ، الى أعلى عليين وهو مقام الطائفة الثالثة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : من أحسن اليكم فكافئوه . وأنا لم أصب سبيلا الى جزائه ومكافأته ، فقد عجزت عن اسعافه بالاجابة. فليهيئ لي أمر السفر من حضيض درجة العوام الى علو درجة الخواص. والطريق الى الله واحدة من طوس وبغداد وسائر البلاد ، ولكن بعضها أقرب من بعض. ولكن ليست تلك الطرائق الثلاث الى الله تعالى سواء. ثم ليعرف حق المعرفة أنه لو ترك فرضا من الفروض التى أوجبها الله تعالى ،أو ارتكب ما حظره الشرع ،أو لذّ له النوم وفي البلاد مظلوم واحد يتظلم من السقام ، فما درجته الا حضيض المقام الأول

وهو من أهل الغفلة ، أولئك هم الغافلون ، لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون . أسأل الله تعالى أن يوقظه من نوم الغفلة لينظر في يومه لغده قبل أن يخرج الأمر من يده .

عدنا الى حديث مدرسة بغداد ، وعذر التقاعد عن امتثال اشارة صدر الوزارة. أما العذر فان الخروج من الوطن لا يلتمس الا ابتغاء زيادة دين ، أو طلب زيادة دنيا . أما الدنيا فقد زال طلبها من القلب والحمد لله تعالى . فاذا أتوا ببغداد الى طوس وهيأوا أسباب الملك والمملكة للغزالي ، وأسلموها اليه ، والتفت اليها ، كان ذلك من ضعف الايمان ، فالميل من نتائجه . وأما زيادة الدين فانه يستحق الحركة والاطّلاب . ولا ريب أن افاضة العلم هنالك أيسر ، وأسبابه أوفر ، وطلابه أكثر . ولكن العذر أن السفر يوجب خللا في الدين لا تسده هذه الزيادة ، فان هاهنا نحو مائة وخمسين محصلا متورعا مشغولون بالاستفادة ، ونقلهم واعداد وسائلهم متعذر ، وتركهم وكسر قلوبهم والسفر لكثرة نظائرهم في مكان آخر لا رخصة فيه ، مثل ذلك كمثل رجل يكفل عشرة أيتام ثم يعدل عنهم ليتعهد عشرين في موضع آخر والموت والآفات في طلبه .

ثم انني كنت فردا لما دعاني الصدر الشهيد نظام الملك - قدس الله روحه - الى بغداد ، لا أهل ولا بنون ، وقد بليت بالأهل والولد ، ولا يجوز اغفالهم وكسر قلوبهم .

والعذر الثالث أنني نذرت لما وصلت الى تربة الخليل عليه السلام سنة ٤٨٩هـ، أي قبل خمس عشرة سنة تقريبا ، ألا أقبل مالا من سلطان أو سلطاني ، وألا أخرج للسلام على سلطان أو سلطاني ، وألا أناظر. فاذا نقضت هذا النذر ضاع الوقت ، وانصرف القلب ، ولم أستطع شيئا من أعمال الدنيا والدين . ولابد من المناظرة في بغداد ، ولا مناص من السلام على دار الخلافة بها ، وأنا لم أمثل للسلام على أحد في بغداد منذ رجعت من الشام ، ولم أتصرف في أي شغل ، واجتنبت الاعتزال . واذا توليت أمرا لم أستطع الحياة سالما . فالباطن حينئذ ينكر الانزواء .

وأعظم هذه المعاذير أنني لا أقبل مالا من السلطان ، وليس عندي في بغداد ملك ، وباب المعيشة موصد . وعند هذا الحقير ضييعة في طوس تكفي هذا الضعيف وأطفاله جميعا بعد المبالغة في الاقتصاد والقناعة . واذا غبت ، قصرت عن ذلك . وهذه المعاذير جميعا دينية ، وهي لدى جليله وان ظنها أكثر الناس يسيرة .

وقد بلغت غاية العمر . وهذا - على كل حال - وقت الوداع للفراق ، لا وقت سفر العراق . أؤمل من مكارم أخلاقك قبول هذا الاعتذار . فظنّ أن الغزالي قدم بغداد . وأتاه أمر الله ، ألا يجب اعداد مدرس آخر ؟ فاعمل هذا اليوم ، والسلام. زين الله تعالى صدر العالم بحقيقة الايمان التى هي وراء صورة الايمان ، ليعمر العالم به . والحمد لله حق حمده ، وصلاته على نبيه وآله وسلم ".

.. .. ..

الملحق الخامس

أسماء ما أمكن الحصول عليه من أساتذة الفقه وأصولـــه بالمدرسة النظامية ببغداد خلال العصر السلجوقـــي

- أبو اسحاق الشيرازي ، ابراهيم بن علي (ت ٤٧٦ هـ/ ١٠٨٣م).
- أبو نصر الصباغ ، عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد (ت ٤٧٧ هـ/ ١٠٨٥م).
- عبد الرحمن بن مأمون أبو سعد المتولي (ت ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م).
- الشريف أبو القاسم الدبوسي العلوي (ت ٤٨٣ هـ/ ١٠٩٠م).
- الحسين بن علي أبو عبد الله الطبري (ت ٤٩٥هـ / ١١٠١م).
- عبد الوهاب بن محمد أبو محمد الشيرازي (ت ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م).
- أبو الحسن الكيا الهراسي ، علي بن محمد الطبري (ت ٥٠٤هـ/ ١١١٠م).
- أبو حامد ، محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ/ ١١١١م).
- محمد بن أحمد بن الحسين أبو بكر الشاشي (ت ٥٠٧ هـ/ ١١١٣م).
- محمد بن عتيق ابن أبي كديّه التميمي القيرواني (ت ٥١٢هـ/ ١١١٨م).
- أحمد بن علي بن محمد الوكيل أبو الفتح بن برهان (ت ٥١٨ هـ/ ١١٢٤م).
- يحي بن علي البزاز ، أبو سعد الحلواني (ت ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦م).
- أحمد بن محمد بن محمد الطوسي ، أبو الفتوح الغزالي (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م).
- الحسن بن سليمان النهرواني (ت ٥٢٥ هـ/ ١١٣٠م).
- محمد بن أحمد الديباجي المقدسي النابلسي (ت ٥٢٦ هـ/ ١١٣١م).
- أبو الفتح الميهني ، أسعد بن أبي نصر (ت ٥٢٧ هـ/ ١١٣٢م).
- عبد الرحمن بن الحسين بن محمد الطبري (ت ٥٣٠ هـ/ ١١٣٥م).
- أحمد بن محمد بن ثابت الخجندي (ت ٥٣١ هـ/ ١١٣٦م).
- معين الدين سعيد بن الرزاز (ت ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣م).
- محي الدين محمد بن يحي النيسابوري (ت ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣م).

- محمد بن عبد اللطيف الخجندى الأزدى (ت ٥٥٢ هـ/ ١١٥٧م).
- عبد الواحد بن الحسن أبو الفتح الباقرحي (ت ٥٥٣ هـ/ ١١٥٨م).
- عبد الأول عيسى بن شعيب السجزى (ت ٥٥٣ هـ/ ١١٥٨م).
- الحسن بن محمد بن الحسن الأصفهاني (ت ٥٥٩ هـ/ ١١٦٣م).
- الأمير أبو نصر محمد بن علي بن أحمد بن نظام الملك (ت ٥٦١ هـ/ ١١٦٥م).
- عبد القاهر بن عبد الله البكرى أبو النجيب السهروردى (ت ٥٦٣ هـ/ ١١٦٧م).
- يوسف بن بندار الدمشقي (ت ٥٦٣ هـ/ ١١٦٧م).
- علي بن الحسن بن علي المعروف بابن الرميلي (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م).
- أبو النصر الشاشي ، أحمد بن عبد الله ، حفيد أبو بكر الشاشي (ت ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م).
- المبارك بن أبي البركات بن المبارك الكرخي (ت ٥٨٥ هـ/ ١١٨٩م).
- محمد بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن عبد الواحد (ت ٥٨٥ هـ/ ١١٨٩م).
- أحمد بن اسماعيل القزويني الطالقاني أبو الخير (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م).
- محمود بن المبارك أبو المظفر الواسطي (ت ٥٩٢ هـ/ ١١٩٥م).
- جمال الدين يحي بن علي (ت ٥٩٥ هـ/ ١١٩٨م).
- أحمد بن محمد الدورى (ت ٥٩٨ هـ/ ١٢٠١م).
- يحي بن الربيع بن سليمان بن حراز (ت ٥٩٨ هـ/ ١٢٠١م).
- أبو الحسن علي بن علي الفارقي (ت ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥م).

.. .. ..

الملحق السادس

أسماء ما أمكن العثور عليه من أساتذة الحديث والتفسير والوعظ بالمدرسة النظامية ببغداد خلال العصر السلجوقي

- أبو بكر عتيق البكري ، الصديقي المغربي (ت ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م) .
- أبو نصر الفوركي ، أحمد بن محمد (ت ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م) .
- عمر الزنجاني الخطيبي (ت ٤٩١هـ/ ١٠٩٧م) .
- أبو الحسين أردشير بن منصور العبادي (ت ٤٩٦هـ/ ١١٠٢م) .
- عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الشيرازي (ت ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م) .
- أبو الحسن الكيا الهراسي ، علي بن محمد الطبري (ت ٥٠٤هـ/ ١١١٠م) .
- محمد بن أبي بكر عتيق بن محمد التميمي القيرواني (ت ٥١٠ هـ/ ١١١٦م) .
- عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري (ت ٥١٤ هـ/ ١١٢٠م) .
- الحسن بن سلمان بن عبد الله أبو علي الفقيه الشافعي (ت ٥٢٦هـ/ ١١٣١م) .
- يوسف بن أيوب بن وهره الهمذاني (ت ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م) .
- محمد بن الفضل بن محمد ، أبو الفتح الاسفراييني (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) .
- محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، صاحب الملل والنحل (ت ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م) .
- محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت المهلبي (ت ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م) .
- عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو النجيب (ت ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م) .
- أبو منصور محمد بن محمد البروي (ت ٥٦٧هـ/ ١١٧١م) .
- أبو محمد العباسي ، ظهير الدين محمود بن محمد الخوارزمي (ت ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢م) .
- محمد بن أحمد بن منصور بن عبد الجبار السمعاني (ت ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م) .
- الامام أبو الخير أحمد بن اسماعيل بن يوسف الطالقاني (ت ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م) .
- ابن الظريف الملقب بالنظام محمد بن عبد الله (ت ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م) .

- أبو الحسن علي بن علي بن سعادة الفارقي (ت٦٠٢هـ/١٢٠٥م) .
- أسعد بن أبي نصر محمد بن علي بن أحمد بن نظام الملك (ت ٦١٣هـ/١٢١٦م) .
- أبو الفتوح يحي بن عبد الملك بن الامام الكيا الهراسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) .

.. .. ..

الملحق السابع

أسماء ما أمكن العثور عليه من أساتذة اللغة والنحو والأدب في المدرسة النظامية ببغداد خلال العصر السلجوقي

- أبو زكريا يحي بن علي بن بسطام الشيباني الخطيب التبريزي (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م).
- أبو الحسن على بن أبي زيد الفصيحي (ت ٥١٦هـ/١١٢٢م).
- أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ت ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥م).
- أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبد الله الأنباري (ت٥٧٧هـ/ ١١٨١م).
- المبارك بن المبارك بن سعيد بن الدهان النحوى الوجيه (ت ٦١٢هـ/ ١٢١٥م).
- فتح بن موسي بن حماد بن عبد الله الجزرى (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م).
- يحي بن القاسم بن مفرج بن درع التكريتي (ت٦١٦هـ/ ١٢١٩م).

.. .. ..

الملحق الثامن

أسماء ما أمكن العثور عليه من معيدي المدرسة النظامية ببغداد ابان العصر السلجوقي

- أبو عبد الله الحسين بن علي (ت ٤٩٥ هـ/ ١١٠١م) .
- محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر (ت ٥٠٧هـ/ ١١١٣م) .
- أحمد بن محمد بن على الخجندى (ت ٥٣١ هـ/ ١١٣٦م) .
- أبو الفضائل أحمد بن يحي البغدادى (ت٥٦١هـ/ ١١٦٥م) .
- علي بن الحسن بن علي الرميلي (ت ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣م) .
- محمد بن هبة الله بن عبد الله الشيخ سديد الدين السلماسي (ت٥٧٤هـ/١١٧٨م) .
- أبو البركات عبد الله بن الخضر الموصلي (ت٥٧٤هـ/ ١١٧٨م) .
- أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الانبارى النحوى (ت٥٧٧هـ/ ١١٨١م) .
- علي بن أبي المكارم بن فتيان الدمشقي (ت٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) .
- محمد بن اسماعيل بن ودعه البقال (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) .
- أحمد بن عمر بن الحسين الكردى المعروف بالوجيه (ت ٥٩١هـ/ ١١٩٤م) .
- محمود بن المبارك بن بقيره الواسطي (ت ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م) .
- المبارك بن حمزه البزدوى (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) .
- أبو المكارم منصور بن الحسن الزنجاني (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) .
- علي بن علي بن سعادة ، أبو الحسن الفارقي (ت ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م) .
- علي بن علي بن سعيد بن الجنيس (ت ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥م) .
- مجد الدين أبو علي يحي بن الربيع بن سليمان (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) .
- محمد بن يونس بن منعة بن مالك (ت ٦٠٨هـ/ ١٢١١م) .
- محمد بن ابراهيم بن أبي بكر (والد ابن خلكان) (ت ٦١٠هـ/ ١٢١٣م) .

- الحسن بن علي بن محمد المتولي النيسابوري[1] .
- عبد الله بن يوسف بن عبد القادر أبو المظفر[2] .
- الكمال أبو الرضا عبد الرحمن بن محمد بن ياسين[3] .
- محمد بن أبي الفرج بن معالي بن بركه الموصلي[4] .

.. .. ..

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٧ / ص ٦٥ .
(٢) ن.م.ص جـ ٧ / ص ١٤٢ .
(٣) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ / ص ٢١٨ .
(٤) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٨ / ص ١١٤ .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة بأسماء مصادر ومراجع البحث

القرآن الكريم :

أولا : المصادر الخطية :

ابن الأثير : عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

- تحفة العجائب وطرفة الغرائب . مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى رقم (٨) طب ، عن مخطوط مكتبة أحمد الثالث بتركيا رقم٢٩٦٣ .

ابن بطلان : المختار بن الحسن بن عبدون (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) .

- تقويم الصحة بالأسباب الستة. مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى رقم (١٨) طب ، عن مخطوط مكتبة أحمد الثالث بتركيا رقم٢٠٦٩ .

ابن جزله : يحي بن عيسى البغدادي (ت ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م) .

- منهاج البيان فيما يستعمله الانسان . مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى رقم (١٢٨) طب.
- تقويم الأبدان في تدبير الانسان. مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى برقم (١٧) طب.

ابن الدبيثي : محمد بن سعيد (ت ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م) .

- ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد . مصور بمكتبة الدراسات العليا،بكلية الآداب، جامعة بغداد رقم(٥٧٤) ، عن مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ٥٩٢١ .

الذهبي : محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) .

- تاريخ الاسلام . مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى ، الأجزاء ١١ رقم(٥٩٣) ، ١٢ رقم (٥٩٤) ، ١٣ رقم (٥٩٦)، ١٤ رقم (٥٩٧) تاريخ ، عن مخطوطة مكتبة أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٩١٧ .

أبو العلاء : صاعد بن الحسن المتطبب (ت ٤٧٥ هـ/ ١٠٨٢م) .

- التشويق التعليمي في علم الهيئة . مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى برقم (٩) مجاميع. علم هيئة وفلك ، عن مخطوط مكتبة أحمد الثالث بتركيا برقم ٣٣٤١ .

العماد الأصفهاني : محمد بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) .

- نصرة الفترة وعصرة الفطرة . مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم (٢١٤٦) .

العيني : بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفي (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) .

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان . مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى برقم (١١٨٠) تاريخ ، عن نسخة مكتبة أسعد أفندى بتركيا رقم ٢٣٩٧ .

ابن قاضي شهبه : تقي الدين الأسدى (ت ٨٥١ هـ/ ١٤٤٧م) .

- ذيل تاريخ الذهبي. نسخة دار الكتب الباريسية رقم (١٥٩٨) .

ابن الظفر : الأمير السعيد أبو الحسن علي بن نصير الدين محمود .

- التبصرة في علم الهيئة . مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى . عن مخطوط مكتبة أحمد الثالث بتركيا رقم ٣٣٤١ مجاميع .

ابن هبة الله : أبو الحسن سعيد بن هبة الله (ت ٤٩٥ هـ/ ١١٠١م) .

- مختصر المغني في معرفة الأمراض والأسباب والعلامات والمداواة . مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى رقم (١٠٨) طب .
- المغني في تدبير الأمراض. مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى رقم (١١٦) طب .

الهروى : أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت ٦١١ هـ/ ١٢١٤م) .

- كتاب الزيارات ، مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى رقم (٨) جغرافيا .

مؤلف مجهول : من رجال القرن السادس .

- انسان العيون في مشاهير سادس القرون . مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى رقم (١٣١٠) تراجم ، عن مصور مكتبة جامعة بغداد ، دراسات عليا رقم ٢٤٨.

ثانيا : المصادر العربية والمعربة المطبوعة :

ابن الأبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٩ هـ/ ١٢٦٠).

- التكملة لكتاب الصلة ، عنى بنشره السيد عزت العطار الحسيني ، مكتبة نشر الثقافة الاسلامية ، القاهرة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

ابن أبي أصيبعة : أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة السعدى (ت ٦٦٨ هـ/١٢٦٩).

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء . شرح وتحقيق د . نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

الأبيوردى : أبو المظفر محمد بن أحمد بن محمد (ت ٥٠٧ هـ/ ١١١٣م).

- ديوان الأبيوردى ، بيروت ، ١٣١٧ هـ .

ابن الأثير : ضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني الجزرى (ت٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م).

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . تحقيق د . أحمد الحوفي ، د . بدوى طبانه ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

ابن الأثير : عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزرى (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

- الكامل في التاريخ . دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليمات ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ومكتبة المثنى ببغداد .
- اللباب في تهذيب الأنساب . دار صادر ، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

اخوان الصفا

- رسائل اخوان الصفا . المطبعة العربية ١٣٤٧ هـ/ ١٩٢٨م .

الاربلي : عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٢م) .

- خلاصة الذهب المسبوك . وقف على طبعه وتصحيحه مكي السيد جاسم ، نشر مكتبة المثنى ببغداد .

الأشرف الغساني : عماد الدين أبي العباس اسماعيل بن العباس بن علي (ت٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) .

- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك . تحقيق د . شاكر محمود عبد المنعم ، دار البيان ، بغداد ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م .

الاصطخرى : أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧م) .

- المسالك والممالك . تحقيق محمد جابر عبد العال ، طبع القاهرة ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م .

ابن الأنباري : عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م) .

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء . تحقيق د . ابراهيم السامرائي ، الطبعة الثانية ، مكتبة بغداد ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م .

الباخرزي : أبو الحسن علي بن علي (ت ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٤م) .

- دمية القصر وعصرة أهل العصر . جزآن . تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، دار الفكر العربي .

بحشل : أسلم بن سهل الرزاز الواسطي (ت ٢٩٢ هـ/ ٩٠٤م) .

- تاريخ واسط . تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م .

البخاري : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠م) .

- صحيح البخاري . المطبوع بمطبعة المصطفاني ١٣٠٧ هـ.

ابن بسام : محمد بن أحمد المحتسب .

- نهاية الرتبة في طلب الحسبة . تحقيق حسام الدين السامرائي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٨م.

ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢م) .

- كتاب الصلة . الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب ، القاهرة، ١٩٦٦م.

ابن بطوطة : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) .

- رحلة ابن بطوطة . دار التراث ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) .

البغدادى : اسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني (ت ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م) .

- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين . جزآن ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية ، استانبول ١٩٥١م، منشورات مكتبة المثني . بغداد .

البغدادى : عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م) .

- الفرق بين الفرق . تحقيق محمد يحي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت . لبنان .

البغدادى : موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد (ت ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م) .

- مقالتان في الحواس ومسائل الطبيعة . دراسة وتحقيق د . بول غليونجي ، د . سعيد عبده ، مطبعة حكومة الكويت ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م.

البندارى : الفتح بن علي بن محمد (٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥م) .

- تاريخ دولة آل سلجوق . الطبعة الثانية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٨م.

البيروني : أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) .

- الآثار الباقية عن القرون الخالية . بعناية ادوارد سخاو ، ليبزغ، ١٩٢٣م.

البيهقي : ظهيرالدين أبي الحسن علي بن زيد (٥٦٥هـ/ ١١٧٠م) .

- تاريخ حكماء الاسلام. عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، مطبعة المفيد الجديدة بدمشق ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

التطيلي : بنيامين بن يونه الأندلسي (ت ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣م) .

- رحلة بنيامين. ترجمة عزرا حداد ، بغداد ١٩٤٥م.

ابن التعاويذى : أبو الفتح محمد بن عبيد الله (٥٨٣ هـ/ ١١٨٧م) .

- ديوان ابن التعاويذى . تحقيق د . س مارجليوث . مطبعة المقتطف، القاهرة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م.

ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) .

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.(١٥ جزء) ، دار الكتب المصرية ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

التنوخي : أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤م) .

- الفرج بعد الشدة . تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م.

التهانوى : محمد علي الفارقي (ت ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م) .

- كشاف اصطلاحات الفنون . الأجزاء (١ - ٢ - ٣ ، تحقيق لطفي عبد البديع ، وترجم النصوص الفارسية د . عبد النعيم حسنين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

التوحيدى : أبو حيان علي بن محمد (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)

- الامتاع والمؤانسة . جزآن ، تصحيح أحمد أمين ، وأحمد الزين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .
- رسالة الصداقة والصديق . شرح وتعليق على متولي صلاح ، الناشر مكتبة الآداب ، بيروت .
- مثالب الوزيرين. تحقيق ابراهيم الكيلاني ، دمشق ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

ابن تيمية : الامام شيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٧م) .

- الرد على المنطقيين. طبعة لاهور ، الطبعة الثانية ، باكستان ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦م.
- العقيدة الواسطية. القاهرة ، مطبعة المنار ١٣٤٠هـ.

الثعالبي : عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م) .

- نثر النظم وحل العقد . دار الرائد العربي ، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م.

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨ م) .

- البيان والتبيين . ٣ أجزاء باشراف محب الدين الخطيب ، طبعة مطبعة الفتوح الأدبية ، القاهرة ١٣٣٢هـ.

ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي الشاطبي البلنسي (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) .

- رحلة ابن جبير. دار صادر ، دار بيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

الجزري : أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣ هـ/ ١٤٢٩ م) .

- غاية النهاية في طبقات القراء . عني بنشره ج . برجستراسر ، الطبعة الثانية دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

ابن جماعة : أبو اسحاق ابراهيم ابن السيد العارف سعد الله الكناني (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢م) .

- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم. دار الكتب العلمية ، بيروت .

الجواليقي : أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (ت ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) .

- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم . تحقيق أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار بيروت ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩م.

ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي (٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

- تلبيس ابليس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، دار الدعوة ، الاسكندرية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ذم الهوى ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مراجعة محمد الغزالي ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م.
- الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء ، تحقيق فؤاد عبد المنعم ، مراجعة محمد السيد الطنطاوي ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- صيد الخاطر ، الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
- كتاب القصاص والمذكرين ، تحقيق د. محمد لطفي الصباغ ، الناشر المكتب الاسلامي ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- لفتة الكبد في نصيحة الولد ، تعليق مروان قباني ، المكتب الاسلامي ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- مناقب بغداد ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الأجزاء من السادس الى العاشر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله المعروف بكاتب جلبي (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م).

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد .

ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، الطبعة الثانية ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري . دار الفكر ، دمشق ١٣٧٩هـ.
- لسان الميزان . طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٣١هـ .
- نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر . مطبعة أخوت ، دار السلطنة السنية العثمانية ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م.

الحريري : أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري (٥١٦هـ/١١٢٢م).

- مقامات الحريري . دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ١٩٦٥م.

ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد الظاهري (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م).

- الفصل في الملل والأهواء والنحل . دار الفكر ، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

الحسيني : صدر الدين أبي الحسن علي بن ناصر (توفي في القرن السابع) .
- أخبار الدولة السلجوقية ، نشر محمد اقبال ، لاهور ١٩٣٣م .

الحميدي : أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م) .
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس . الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م .

الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت ٩٢٢ هـ/١٥١٦م) .
- الروض المعطار في خبر الأقطار . تحقيق احسان عباس ، الطبعة الثانية ، نشر مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ١٩٨٠م .

ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي (توفي بعد ٣٦٧ هـ / ١٩٧٧م .
- المسالك والممالك . طبعة ليدن ١٩٣٨م .

ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠ هـ/ ٩١٢م) .
- المسالك والممالك . طبعة ليدن ١٨٨٩م .

الخطيب البغدادي : الحافظ أبي بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م) .
- تاريخ بغداد . دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .
- الرحلة في طلب الحديث . حققه نور الدين عتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م .
- كتاب الكفاية في علم الرواية . الطبعة الأولى ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

الخفاجي : أحمد بن محمد بن عمر (ت ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م) .
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل . تعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى ، القاهرة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م .

ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد بن محمد ولي الدين التونسي الحضرمي الأشبيلي (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م) .

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، طبعة بـــولاق ١٢٨٤هـ .
- المقدمة . الطبعة الرابعة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . ٧ أجزاء ، حققه الدكتور احسان عبـــاس دار صادر ، بيروت ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م .

الخوارزمي : محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧ هـ/ ٩٩٧م) .

- مفاتيح العلوم . تقديم واعداد د . عبداللطيف محمد العبد ، دار النهضـــة العربية ، القاهرة .

الداوودي : الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م) .

- طبقات المفسرين . جزآن ، تحقيق على محمد عمر ، مكتبة وهبة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

ابن الدبيثي : محمد بن سعيد بن محمد (ت ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م) .

- ذيل تاريخ مدينة السلام . ثلاثة أجزاء ، حققه بشار عواد معروف ، مطبعـــة دار السلام ، بغداد ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

ابن دحيّة : عمر بن حسن بن علي (ت ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥م) .

- النبراس في تاريخ بني العباس . باعتناء عباس العزاوى ، مطبعة دار المعارف ، بغداد ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٦م .

الديلمي : محمد بن الحسن (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١م) .

- بيان مذهب الباطنية وبطلانه . عنى بتصحيحه شد وطمان ، الطبعة الثانيـــة ، المكتبة الامدادية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .

الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ/ ٨٩٥م) .

- الأخبار الطوال . تحقيق عبد المنعم عامر ، مراجعة جمال الدين الشيال ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦٠م.

الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) .

- تذكرة الحفاظ . الأجزاء الثالث والرابع ، السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ، دار احياء التراث العربي .
- سير النبلاء . تحقيق صلاح الدين المنجد ، والابياري ، وأسعد طلس ، طبعة مصر ١٩٥٦ - ١٩٦٢م.
- العبر في خبر من غبر . تحقيق صلاح الدين المنجد ، وفؤاد السيد ، الكويت ١٩٦٠م/ ١٩٦٦م.
- كتاب دول الاسلام . جزآن ، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن ١٣٣٧ هـ.
- المختصر المحتاج اليه . جزآن ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣م.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار . جزآن ، حققه محمد سيد جاد الحق الطبعة الأولى ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال . تحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي ، مصر ، ١٩٦٣م.

الراغب الأصفهاني : أبو القاسم حسين بن محمد (٥٠٢ هـ/ ١١٠٨م) .

- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء . دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١م.

ابن رافع السلامي : أبو المعالي محمد بن رافع (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) .

- منتخب المختار . صححه وعلق عليه عباس العزاوي ، مطبعة الأهالي ، بغداد ، ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨م.

الراوندي : محمد بن علي بن سليمان (ت ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م)

- راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية. ترجمة د . ابراهيم الشواربي د . عبد النعيم حسنين ، د . فؤاد الصياد ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

ابن رجب : زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادى الحنبلى (٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م) .

- كتاب الذيل على طبقات الحنابلة . الأجزاء ١ - ٢ ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٥٢م / ١٩٥٣م .

ابن رستة : شهاب الدين أحمد بن عمر (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) .

- الأعلاق النفيسة . المكتبة الجغرافية ، ليدن ١٨٩٢م .

الزبيدى : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بالسيد الحسينى (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠م) .

- تاج العروس من جواهر القاموس . دار مكتبة الحياة ، بيروت .

الزرنوجي : برهان الدين الزرنوجي (ت ٥٩١ هـ/ ١٢٤٢م)

- تعليم المتعلم طريق التعلم . الطبعة الأولى ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة .

ابن الساعي : تاج الدين على بن أنجب الخازن (ت ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٥م) .

- الجامع المختصر في تواريخ عنوان وعيون السير . ج ٩ ، تحقيق مصطفى جواد بغداد ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٤م .
- مختصر أخبار الخلفاء . طبع بولاق ١٣٠٩ م .

سبط ابن الجوزى : شمس الدين أبى المظفر يوسف بن قزاوغلي علي بن عبد الله (ت ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦م) .

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان . ج ٨ ، حيدر آباد ١٣٧٠ هـ/ ١٩٥١م .

السبكي : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م) .

- طبقات الشافعية الكبرى . تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحي ، الطبعة الأولى ، مطبعة عيسي البابي الحلبى وشركاه ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٦م .

ابن سحنون : محمد عبد السلام (ت ٢٥٦ هـ/ ٨٦٩م) .

- كتاب آداب المتعلمين . تحقيق محمد عبد المولي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٦٩م .

السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ/ ١٤٩٦م)

- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . تحقيق فرانز روزنتال ، ترجمة د . صالح العلي ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦٣م .
- تحفة الأحباب وبغية الطلاب . طبع مصر ١٩٣٧م .
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .

السمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) .

- أدب الاملاء والاستملاء . طبعة ليدن ١٩٥٢م .
- الأنساب . تحقيق عبد الرحمن يحي المعلمي ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

السهروردي : أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن عمويه (ت ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤م) .

- عوارف المعارف . مكتبة القاهرة ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م .

ابن سيناء : الحسن بن علي (ت ٤٢٨ هـ/ ١٠٣٦م) .

- القانون في الطب . المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٢٩٤م هـ .

السيوطي : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) .

- تدريب الراوي في شرح تقريب النووي . جـ ٢ ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، الطبعة الثانية ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٦م .
- تاريخ الخلفاء ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤م .
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة . جزآن ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الأولي ، داراحياء الكتب العربية ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .
- طبقات المفسرين . تحقيق على محمد عمر ، الطبعة الأولي ، مكتبة وهبة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم ، الطبعة الأولى . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤م .

أبو شجاع : الوزير محمد بن الحسين الملقب ظهير الدين (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) .
- ذيل تجارب الأمم. طبع شركة التمدن الصناعية بمصر.

أبو شامه : عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) .
- الروضتين في أخبار الدولتين. مطبعة وادى النيل ، القاهرة ١٢٨٨ هـ/ ١٨٧١م.
- ذيل الروضتين . نشره عزه العطار ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٧م.

الشريشي : أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي (ت ٦١٩هـ/ ١٢٢٣م) .
- شرح مقامات الحريري . جـ ١ ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة.

الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م) .
- الملل والنحل . دار الفكر . بيروت ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

الشيرازي : أبو اسحاق ابراهيم بن علي (ت ٤٧٦ هـ/ ١٠٨٣م) .
- طبقات الفقهاء . تحقيق د . احسان عباس ، الطبعة الثانية ، دار الرائد العربي بيروت ، لبنان ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

الصابي : أبو الحسين هلال بن المحسن (٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦م) .
- رسوم دار الخلافة . تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.
- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء . تحقيق عبد الله مخلص ، القاهرة ١٩٥٨م.

الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) .
- الغيث المسجم في شرح لامية العجم . جزآن ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- نكت الهميان في نكت العميان . المطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.
- الوافي بالوفيات . بتحقيق جماعة من الفضلاء. طبعت في فيسبادن ، واستانبول ، ودمشق .

ابن الصلاح : الامام أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) .
- علوم الحديث. تحقيق نور الدين عتر ، المكتبة العلمية ، بيروت لبنان ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

الضبي : أحمد بن يحي بن أحمد بن عميره (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) .

- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، دار الكاتب العربي ١٩٦٧م.

الطرطوشي : أبو بكر محمد بن الوليد القرشي الفهري المالكي (ت٥٠٢هـ/ ١١٢٦م) .

- سراج الملوك. باعتناء أنطون أفندي غندور . المطبعة الوطنية بثغر الاسكندرية ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م.

ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م) .

- الفخري في الآداب السلطانية. دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) .

- جامع بيان العلم وفضله . جزآن . دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

ابن العبري : غريغوريوس الملطي (ت ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م) .

- تاريخ مختصر الدول . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

ابن العديم : كمال الدين أبي القاسم عمر بن العديم (ت. ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)

- بغية الطلب في تاريخ حلب . التراجم الخاصة بتاريخ السلاجقة. عني بنشره وعلق عليه الدكتور علي سويم ، مطبعة الجمعية التاريخية التركية، أنقرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

العطار الهمذاني : فريد الدين محمد بن ابراهيم النيسابوري (ت٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م) .

- تذكرة الأولياء . طهران ١٣٢١هـ/ ١٩٠٢م.

العماد الأصفهاني : أبو عبد الله محمد بن محمد صفي الدين (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) .

- خريدة القصر وجريدة العصر. القسم العراقي ج ١ ، ج ٢ مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٥-١٩٦٤م، ج ٤ في مجلد بن مطبوعات وزارة الاعلام العراقية بغداد ١٩٧٣م تحقيق محمد بهجه الأثرى .
قسم بلاد الشام. تحقيق د . شكري فيصل ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٩٥٩م.

العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٨٧٨م) .

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ٨ أجزاء ، الطبعة الثالثة ، منشورات دار المسيرة ، بيروت ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.

ابن العمراني : محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م) .

- الأنباء في تاريخ الخلفاء. تحقيق قاسم السامرائي ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م.

الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥ هـ/ ١١١١م) .

- احياء علوم الدين ٥ أجزاء ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ،
- الاقتصاد في الاعتقاد . تقديم عادل العوّا ، الطبعة الأولى ، دار الأمانة - بيروت - لبنان ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٩م.
- التبر المسبوك في نصيحة الملوك . مطبعة المؤيد والآداب ، القاهرة ١٣١٧ هـ .
- جواهر القرآن . الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣م.
- فاتحة العلوم . طبعة محمد بدر النعساني ، القاهرة ١٣٢٢ هـ/ ١٣٢٩م) .
- فضائح الباطنية . تحقيق عبد الرحمن بدوى ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت .
- مجموعة القصور العوالي من رسائل الامام الغزالي . منها :
- أيها الولد ج ١ .
- الجام العوام عن علم الكلام ج ٢ .
- الرسالة اللدنية ج ١ .

تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا ، الطبعة الثانية ، مكتبة الجندى ، القاهرة ١٣٩٠ هـ/ ١٣٧٠م.
- منطق تهافت الفلاسفة (المسمى معيار العلم) تحقيق سليمان دنيا ، الطبعة الثانية - دار المعارف ، القاهرة ١٣٧٩ هـ/ ١٩٦٠م.
- المنقذ من الضلال . تعليق محمد محمد جابر ، مكتبة الجندى .
- ميزان العمل . المطبعة العربية . ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م.

الفارابي : أبو نصر محمد (ت ٣٣٩ هـ/ ٩٥٠م) .

- احصاء العلوم . حققه وقدم له د . عثمان أميه ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٨م.

الفارقي : أحمد بن يوسف بن علي الأزرق (ت ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م) .

- تاريخ الفارقي. تحقيق بدوى عبد اللطيف ، طبعة القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٦م.

أبو الفدا : اسماعيل بن علي عماد الدين (ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١م) .
- المختصر في أخبار البشر . القاهرة ١٣٢٥ هـ .

ابن الفوطي : كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣م) .
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة . المكتبة العربية، بغداد .
- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب . ج ٤ ، تحقيق مصطفى جواد ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم .

الفيروزبادى : الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٥م) .
- القاموس المحيط . ٤ أجزاء ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م .

القابسي : أبو الحسن علي بن خلف (ت ٤٠٣ هـ/ ١٠١٢م) .
- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين ، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٨م .

القرشي : محي الدين أبي محمد عبد القادر (ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م)
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية . جزآن ، طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٧٢ هـ .

القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣م) .
- آثار البلاد وأخبار العباد . دار صادر ، بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .

القشيرى : أبو القاسم عبد الكريم القشيرى (ت ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢م) .
- الرسالة القشيرية . جزآن تحقيق د . عبد الحليم محمود ، محمود بن الشريف دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

القفطي : الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)
- أخبار العلماء بأخبار الحكماء . دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان .
- انباه الرواة على انباه النحاة . ٤ أجزاء ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الكتب المصرية ١٣٧٠ هـ/ ١٩٥٠م .

القلقشندى : الشيخ أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م) .

- صبح الأعشى في صناعة الانشا . المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣٣١هـ/١٩١٣م

الكتبي : محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٢م)

- عيون التواريخ . جـ ١٢ ، تحقيق فيصل السامر ، ونبيله عبد المنعم داود ، وزارة الاعلام ، سلسلة كتب التراث . بغداد ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م .
- فوات الوفيات والذيل عليها . ٤ أجزاء تحقيق احسان عباس - دار صادر . بيروت .

ابن كثير : أبو الفدا اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) .

- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث . الطبعة الثالثة، مكتبة دار التراث القاهرة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م .
- البداية والنهاية في التاريخ . مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٥١هـ/ ١٩٥٨م .

الكمال : علي بن عيسي (توفي فى النصف الأول من القرن الخامس) .

- تذكرة الكحالين . صححه وعلق عليه غوث محي الدين القادرى ، حيدر آباد الدكن مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م .

مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ/ ٧٩٥م) .

- المدونة الكبرى ، القاهرة ، المطبعة الخيرية ، ١٣٢٤ هـ .

الماوردى : علي بن محمد بن حبيب البصرى (ت ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٥م) .

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية . الطبعة الثالثة ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م .
- أدب الدنيا والدين . تحقيق مصطفى السقا ، دار الفكر ، بيروت .
- قوانين الوزارة . تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد - ومحمد سليمان داود ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م .

المراكشي : محي الدين أبي محمد عبد الواحد بن علي التميمي (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م) .

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب . مصر ١٣٣٢ هـ/ ١٩١٣م .

المطرزى : أبو الفتح ناصر الدين عبد السيد بن علي (ت ٦١٦هـ/ ١٢١٩م) .

- كتاب المغرب في ترتيب المعرب . دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

المسعودى : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) .

- التنبيه والاشراف . دار مكتبة الهلال ، بيروت - لبنان ١٩٨١م.
- مروج الذهب . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١ هـ/ ١٠٣٠م) .

- تجارب الأمم وتعاقب الهمم . مصر ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م.
- تهذيب الأخلاق . تحقيق قسطنطين زريق ، نشر الجامعة الأمريكية . بيروت١٩٦٦م .

المعرى : أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان (ت ٤٤٩ هـ/ ١٠٥٧م) .

- رسالة الغفران . دار المعارف ، القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

ابن المعمار : محمد بن أبي المكارم الحنبلي البغدادى (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م) .

- كتاب الفتوة . تحقيق مصطفى جواد وآخرون ، مطبعة شفيق ، بغداد ١٩٥٨ / ١٩٦٠م.

المقدسي : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر البنا (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) .

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . الطبعة الثانية ، ليدن ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م.

المقريزى : تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)

- كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ج ٢، دار صادر ، بيروت .

ابن ملكا : أبو البركات هبة الله بن علي البغدادى (ت ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م) .

- المعتبر في الحكمة . حيدر آباد الدكن ، جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧ هـ .

المنذرى : زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوى (ت ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م) .

- التكملة لوفيات النقلة . حققه د . بشار عواد معروف ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.

ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصرى (ت٧١١هـ/ ١٣١١م) .

- لسان العرب . دار الفكر - بيروت .

ابن النجار : الحافظ محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود البغدادى (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) .

- ذيل تاريخ بغداد . الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ، الهند ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م.

ابن النديم : محمد بن اسحاق (ت ٣٨٥ هـ/ ٩٩٥م) .

- الفهرست . دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

نظام الملك : قوام الدين أبي علي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي (ت ٤٨٤ هـ / ١٠٩١م) .

- سياسة نامه . ترجمة وتعليق السيد محمد العزاوى ، دار الرائد العربي ، بيروت .

النظامي العروضي : أحمد بن عمر بن علي السمرقندى (توفى آخر القرن السادس) .

- جهار مقاله . ترجمة عبد الوهاب عزام ، ويحي الخشاب ، القاهرة ١٩٤٩م.

ابن النظام الحسيني : محمد بن محمد بن عبد الله بن النظام (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) .

- العراضة في الحكاية السلجوقية . ترجمة وتحقيق عبد النعيم حسنين ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ١٩٧٩م.

النعال البغدادى : صائن الدين محمد بن الأنجب (ت ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م) .

- شيخة النعال البغدادى . تخريج الحافظ رشيد الدين محمد بن عبد العظيم المنذرى (ت ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥م) تحقيق د . ناجي معروف ، د . بشار عواد معروف ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

النهروالي : قطب الدين محمد بن أحمد المكي الحنفي (ت ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م) .

- الاعلام باعلام بيت الله الحرام ، طبعة وستنفلد ليبسك ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م.

ابن هبل : مهذب الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن علي البغدادى (ت ٦١٠هـ/ ١٢١٣م) .

- المختارات في الطب . الطبعة الأولى ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٦٢ هـ/ ١٩٤٣م.

ابن أبي يعلي : القاضي أبي الحسين محمد بن محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت ٥٢٦هـ / ١١٣١م) .

- طبقات الحنابلة . جزآن ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت.

اليافعي : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي المكي (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م.

ياقوت : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م).

- معجم الأدباء . الطبعة الثانية ، مطبعة دار المأمون سلسلة الموسوعات العربية ، القاهرة.
- معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، دار صادر ، بيروت .

اليونيني : قطب الدين موسى بن محمد البعلبكي (ت ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥م)

- ذيل مرآة الزمان . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند ١٩٥٤/ ١٩٦١م.

ثالثا : المراجع العربية والمعربة :

أحمد : منير الدين

- تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس . ترجمة وتعليق الدكتور سامي الصقار ، دار المريخ ، الرياض ١٤٠٠هـ/ ١٩٨١م.

الاسكندرى : أحمد

- تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي . الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م.

الدوميلي :

- العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي . ترجمة د . عبد الحليم النجار ، د . محمد يوسف موسى - راجعه د . حسين فوزى ، دار القلم ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

الألوسي : محمد شكرى

- تاريخ مساجد بغداد وآثارها . تهذيب محمد بهجه الأثرى ، مطبعة دار السلام بغداد ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م.

أمين : أحمد

- ضحى الاسلام . الطبعة العاشرة ، دار الكتاب العربي . بيروت - لبنان .
- ظهر الاسلام . الطبعة الخامسة ، دار الكتاب العربي . بيروت - لبنان ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

أمين : حسين
- تاريخ العراق في العصر السلجوقي - منشورات المكتبة الأهلية ، مطبعة الارشاد ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

الأهواني : أحمد فؤاد
- التربية في الاسلام. أو التعليم في رأى القابسي ، احياء التراث القديم ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥م.

الباشا : حسن
- الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٨م.
- الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية. ٣ أجزاء ، دار النهضة العربية القاهرة ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦م.

بدوى : عبد الرحمن
- الأفلاطونية المحدثة عند العرب ، مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٥٥م.
- مؤلفات الغزالي . الطبعة الثانية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٧م.

بروكلمان : كارل
- تاريخ الأدب العربي . ٦ أجزاء ، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر، والدكتور رمضان عبد التواب ، دار المعارف ١٩٧٧م.

البسام : هيفاء
- الوزير السلجوقي نظام الملك . بحث قدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي بجامعة أم القرى ، اشراف د. حسام الدين السامرائي ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م.

بلبع : عبد الحكيم
- النثر الفني وأثر الجاحظ فيه . الطبعة الثالثة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

بلسنر
- تراث الاسلام. قسم ٣ ، ترجمة د. حسين مؤنس ، احسان صدقي العميد ، مراجعة فؤاد زكريا ، سلسلة كتب يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت .

التونجي : الدكتور محمد
- حول الأدب في العصر السلجوقي ، الطبعة الأولي ، منشورات مكتبة فورينا ، بنغازى ١٩٧٤م.

توني : يوسف
- معجم المصطلحات الجغرافية. دار الفكر العربي ، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

جب : هاملتون
- دراسات في حضارة الاسلام. ترجمة الدكتور احسان عباس ، والدكتور محمد يوسف نجم ، والدكتور محمود زايد ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

جمعه : محمد لطفي
- تاريخ فلاسفة الاسلام في الشرق والمغرب . مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ، ١٣٤٥ هـ/ ١٩٢٧م.

جواد : مصطفى - والدكتور أحمد سوسه
- دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا ، مطبوعات المجمع العلمي ١٩٥٨م.
- الفتوة منذ القرن الأول للهجرة الى القرن الثالث عشر منها . مقدمة كتاب الفتوة لأبي المعمار الحنبلي ، مطبعة شفيق - بغداد ١٩٥٨م.

حتي : فيليب . وآخرون
- تاريخ العرب مطول . جـ ٢ ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م.

حسنين : عبد النعيم محمد
- دولة السلاجقة . مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥م.
- سلاجقة ايران والعراق . الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٠هـ/١٩٧٠م.
- نظامي الكنجوى . القاهرة ١٩٥٤م.

حميده : عبد الرحمن
- اعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم. الطبعة الثانية ، دار الفكر ، دمشق ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

أبو الخشب : ابراهيم علي
- تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني ، دار الفكر ، القاهرة ١٩٧٥م.

داود : محمد سليمان
- الامام أبو الحسن الماوردي. مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م.

الدسوقي : عمر
- الفتوة عند العرب - أو أحاديث الفروسية والمثل العليا . الطبعة الرابعة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة.

الدوري : عبدالعزيز

- تاريخ العراق الاقتصادى في القرن الرابع الهجرى . الطبعة الثانية ، دارالمشرق بيروت - لبنان .
- الجذور التاريخية للشعوبيه . الطبعة الثالثة ، دارالطليعة، بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨١م.
- دراسات في العصور العباسية المتأخرة . بغداد ١٩٤٥م.
- مقدمة في التاريخ الاقتصادى العربي . الطبعة الرابعة ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م.

دى بور : ت ، ج .

- تاريخ الفلسفة في الاسلام . ترجمة محمد عبدالهادى أبوريده ، الطبعة الخامسة - دار النهضة العربية ، بيروت ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.

رؤوف : عماد عبد السلام

- مدارس بغداد في العصر العباسي . الطبعة الأولي ، مطبعة دار البصرى ، بغداد ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦م.

أبو ريان : الدكتور محمد علي

- تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦م.

ريبيرا : خوليان

- التربية الاسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية. ترجمةالدكتور الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

الريس : محمد ضياء الدين

- الاسلام والخلافة في العصر الحديث . الدار السعودية للنشر ، جدة ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م.

الزركلي : خيرالدين بن محمود الدمشقي

- الاعلام . ٨ أجزاء ، الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

زكار : سهيل

- مدخل الي تاريخ الحروب الصليبية ، الطبعة الأولي ، دار القلم ، بيروت ١٩٧٢م.

زيدان : جرجي .

- تاريخ التمدن الاسلامي . منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت.

السامرائى : حسام الدين

- الفهرست الجديد . بيروت ١٩٦٦م.

سرور : محمد جمال الدين

- تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك الى منتصف القرن الخامس الهجري. دار الفكر العربي ، القاهرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

سليمان : الشيخ محمد

- كتاب من أخلاق العلماء. المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م.

سوسه : أحمد

- ري سامراء في عهد الخلافة العباسية . جزآن ، الطبعة الأولي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٩م.

سيديو : ل . أ

- تاريخ العرب العام. ترجمة عادل زعيتر ، الطبعة الثانية ، عيسي البابي الحلبي، القاهرة ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩م.

شاخت وبوزوورث

- تراث الاسلام. القسم الثاني ، ترجمة حسين مؤنس - احسان صدقي ، مراجعة د . فؤاد زكريا ، عالم المعرفة - سلسلة كتب ثقافية شهرية نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م.

الشكعة : مصطفى

- مناهج التأليف عند العلماء العرب . قسم الأدب ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.

الشطي : شوكت

- مختصر في تاريخ الطب وطبقات الأطباء عند العرب . مطبعة جامعة دمشق ، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

شلبي : أحمد

- التربية الاسلامية - نظمها - فلسفتها - تاريخها. الطبعة السادسة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٨م.

شوقي : جلال

- تراث العرب في الميكانيكا . عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٣م.

الشيبي : الدكتور كامل

- ديوان الدوبيت في الشعر العربي. طبعة دار الثقافة ، بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

ضيف : شوقي
- البلاغة تطور ومنهج . الطبعة السادسة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٥م.
- تاريخ الأدب العربي - عصر الدول والامارات . دار المعارف .
- تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني . الطبعة الرابعة ، دار المعارف القاهرة .
- الفن ومذاهبه في النثر العربي . الطبعة السادسة ، دار المعارف ، القاهرة.
- المقامة . الطبعة الرابعة ، دار المعارف بمصر ، القاهرة.

الطاهر : علي جواد
- الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي . جزآن ، مطبعة المعارف - بغداد ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٨م.

طرخان : ابراهيم علي
- النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م.

طوقان : قدري حافظ
- تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك . دار الشروق ، بيروت ، القاهرة.

طوطح : خليل
- التربية عند العرب . المطبعة التجارية ، القدس ١٩٢٥م.

عاشور : سعيد عبد الفتاح
- بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى . طبع دار الأحد ، بيروت ١٩٧٧م.

العاملي : السيد محسن الأمين
- أعيان الشيعة . مطبعة الانصاف ، بيروت ١٩٥٠م.

عبد الرؤوف : عصام الدين
- بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ، تصحيح وتعليق مصطفى جواد، الطبعة الأولى . دار الفكر العربي ، بيروت ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م.

عبد النور : جبور
- اخوان الصفا . طبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٤م.

عمر : فاروق
- التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين . الطبعة الأولى ، مؤسسة المطبوعات العربية ، بيروت - لبنان ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

عواد : كوركيس
- خزائن الكتب القديمة في العراق . مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م.

عيسى بيك : أحمد

- تاريخ البيمارستانات في الاسلام . الطبعة الثانية ، دار الرائد العربي ، بيروت ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م .

غني : قاسم

- تاريخ التصوف في الاسلام . ترجمة صادق نشأت ، راجعه د . أحمد ناجي القيسي - د . محمد مصطفى حلمي ، مكتبة النهضة المصرية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

الفاخوري : حنا

- تاريخ الأدب العربي . المطبعة البوليسية ، بيروت - لبنان .

فامبير : آرمينوس

- تاريخ بخارى . ترجمة د . أحمد محمود السامرائي ، مراجعة يحي الخشاب ، القاهرة ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م .

فروخ : عمر

- عبقرية العرب في العلم والفلسفة . الطبعة الثالثة ، بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .
- تاريخ الأدب العربي في الأعصر العباسية جـ ٢ ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ١٩٨١م .

فهد : بدري محمد

- تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير . مطبعة الارشاد ، بغداد ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

فهمي : عبد الرحمن

- صنج السكة . القاهرة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م .

كاهين : كلود

- تاريخ العرب والشعوب الاسلامية . ترجمة د . بدر الدين القاسم ، الطبعة الثانية - دار الحقيقة ، بيروت ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م .

كراتشكوفسكي : أغناطيوس بوليانوفتش

- تاريخ الأدب العربي . ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، مراجعة أيغور بلياييف ، القسم الأول ، اختارته الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية .

الكرملي : انستاس ماري

- النقود العربية وعلم النميّات - رسائل في النقود للبلاذري ، والمقريزي والذهبي - الناشر محمد أمين دمج ، بيروت .

كحاله : عمر رضا

- الأدب العربي في الجاهلية والاسلام. المطبعة التعاونية - دمشق ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م.
- اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام . جـ ١ جـ ٢ ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م.
- التاريخ والجغرافية في العصور الاسلامية ، المطبعة التعاونية ، دمشق ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
- علوم الدين الاسلامي. مطبعة الحجاز ، دمشق ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- اللغة العربية وعلومها . دار المعلم العربي - المطبعة التعاونية ، دمشق ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

لويس : برنارد

- أصول الاسماعيلية . ترجمة خليل أحمد جلو - جاسم محمد الرجب ، قدم لـه الدكتور عبد العزيز الدوري ، طبع بدار الكتاب العربي بمصر.
- الحشاشون. تعريب محمد العزب موسى ، الطبعة الأولي . منشورات دار المشرق العربي الكبير ، بيروت ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

متز : آدم

- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري . ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده جزآن ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار الكتاب العربي . بيروت .

محمد : جلال موسي

- منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية . دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٨٢م.

المراغي : عبد الله مصطفى

- الفتح المبين في طبقات الأصوليين. الطبعة الثانية ، محمد أمين دمج وشركاه ، بيروت ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤م.

معروف : ناجي

- أصالة الحضارة العربية . الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، بيروت ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- تاريخ علماء المستنصرية. جزآن . الطبعة الثالثة، منشورات مؤسسة دار الشعب ، القاهرة.
- عالمات بغداديات . دار الجمهورية ، بغداد ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامي . مطبعة الارشاد ، بغداد ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- مدارس قبل النظامية . مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- المراصد الفلكية ببغداد في العصر العباسي. دار الجمهورية ، بغداد ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
- نشأة المدارس المستقلة في الاسلام . مطبعة الأزهر ، بغداد ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

المقدسي : أنيس
- تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي. الطبعة السابعة ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٢م.

موراني : حميد - والدكتور عبد الحليم منتصر
- قراءات في تاريخ العلوم عند العرب . مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل - العراق ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤م.

موسى : أشرف محمد
- الكتابة العربية والأدبية والعلمية . القاهرة ، مكتبة الخانجي ١٩٧٨م.

نللينو
- علم الفلك . مكتبة المثنى . طبعة روما ١٣٣٠ هـ/ ١٩١١م.

هونكه : زغريد
- شمس العرب تسطع على الغرب . ترجمة فاروق بيضون - وكمال الدسوقي . الطبعة الثالثة - نشر المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

الورد : باقر أمين
- معجم العلماء العرب . راجعه كوركيس عواد ، الطبعة الأولى ، المكتبة الوطنية بغداد ١٤٠٢/ ١٩٨٢م.

رابعا : المراجع الأجنبية :

- Brockelman. C
- Geschichte Der Arabisch en Literatur, cahen, cl.
- Le service de L'irrigation en Iraq debut XI siecle, BEO, 1949.

El-Samarraie, Husam

- Agriculture in Iraq. During the 3rd century A.H., Librairie Du Liban, Beirut 1972.

Lestrang. G

- Baghdad during the caliphate, Oxford salmon, Georges.

- Histoire de Baghdad., Paris, 1904.

خامسا : الموسوعات :

- دائرة المعارف الاسلامية . الترجمة العربية ١٤ جزء .
- الموسوعة الثقافية . ٣ أجزاء باشراف د . حسين سعيد ، دار المعرفة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة . نيويورك ١٩٧٢م .
- الموسوعة العربية الميسرة . باشراف شفيق غربال ، الطبعة الثانية ، دارالشعب - مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٥م .

سادسا : المجلات والدوريات :

مجلة المجمع العلمي العراقي :

- المدرسة النظامية : مقالة سعيد نفيسي ، ترجمة د . حسين علي محفوظ ج ١ ، مجلد ٣ - بغداد ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤م .
- الفتوة وأطوارها : مقالة مصطفى جواد . المجلد الخامس - بغداد ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٨م .
- ابن الجوزى ، فهرست كتبه : مقالة ناجيه عبد الله ابراهيم ، المجلد (٣١) ، ج ٣ بغداد ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

مجلة سومر : تصدرها مديرية الآثار العامة العراقية :

- الربط البغدادية وأثرها في الثقافة الاسلامية : مقالة الدكتور مصطفى جواد ، المجلد العاشر ، والمجلد الحادى عشر ج ٢ ١٩٥٤ - ١٩٥٥م

- المدرسة النظامية ببغداد : مقالة الدكتور مصطفى جواد . المجلد التاسع ، ج٢ بغداد ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٣م.
- مدارس الموصل في العهد الأتابكي : مقالة سعيد الديوه جي . المجلد الخامس

مجلة كلية الآداب : تصدرها جامعة بغداد :

- التوقيعات التدريسية : مقالة ناجي معروف - العدد ٦ - مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣م.
- الحميدى : مقالة محسن جمال الدين - العدد ١٠ بغداد .

مجلة الأستاذ :

- الحركة العلمية في المائة الخامسة الهجرية . مقالة عبد الهادى محبوبه - المجلد ١١.
- المظاهر الحضارية للسلاجقة في العراق وآثارها . حسين أمين - المجلد ١٤.

مجلة المقتطف :

- نظام الملك والمدرسة النظامية . مقالة كرد علي المجلد ٢٧ ، ١٩٠٢م.
- الجامعة المصرية : مقالة المجلة - المجلد ٣١ ج ١١.

مجلة معهد المخطوطات العربية :

- أمالي نظام الملك . المجلد الخامس ج ٢ ١٣٧٩ هـ/١٩٥٩م.

مجلة الحضارة :

- الاخاء في الثقافة ووقف الكتب . مقالة مصطفى جواد - العدد ٣٣ - ٣٤.

مجلة لغة العرب :

- الفتوة والفتيان قديما . مقالة مصطفى جواد - المجلد ٤ بغداد .

مجلة المعلم الجديد :

- أول مدرسة في العراق مدرسة الامام أبو حنيفة . العدد ٦ - ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

مجلة عالم الفكر : تصدرها وزارة الاعلام بالكويت

- المسجد والقصص والمذكرون . د . بلبع - المجلد ١٢ العدد ٤ - ١٩٨٢م.